منهاج البراعة

في شرح نهج البلاغة

لمؤلفه

العلامة المحقق الحاج ميرزا حبيب الله الهاشمي

الخوئي

الجزء العاشر

من منشورات

المكتبة الإسلامية

[illegible]

بسم الله الرحمن الرحيم

منهاج البراعه فی شرح نهج البلاغه

نویسنده:

حبیب الله خوئی

ناشر چاپی:

المکتبه الاسلامیه

ناشر دیجیتالی:

مرکز تحقیقات رایانه‌ای قائمیه اصفهان

فهرست

منهاج البراعه فی شرح نهج البلاغه (عربی – فارسی) جلد ۱۰

مشخصات کتاب

سرشناسه:خوئی، حبیب الله بن محمدهاشم، ۱۲۶۸ - ۱۳۲۴ق.

عنوان و نام پدیدآور:منهاج البراعه فی شرح نهج البلاغه/ لمولفه حبیب الله الهاشمی الخوئی؛ بتصحیحه و تهذیبه ابراهیم المیانجی.

مشخصات نشر:تهران: مکتبه الاسلامیه؛ قم: انتشارات دار العلم، ۱۳ -

مشخصات ظاهری:۲۰ ج.

شابک:۱۵۰ ریال (ج. ۸)

یادداشت:عربی.

یادداشت:فهرستنویسی براساس جلد هشتم، ۱۳۸۶ ق.= ۱۳۴۴.

یادداشت:چاپ دوم.

موضوع:علی بن ابی طالب (ع)، امام اول، ۲۳ قبل از هجرت - ۴۰ق. -- کلمات قصار

موضوع:علی بن ابی طالب (ع)، امام اول، ۲۳ قبل از هجرت - ۴۰ق -- خطبه ها

موضوع:علی بن ابی طالب (ع)، امام اول، ۲۳ قبل از هجرت - ۴۰ق. -- نامه ها

موضوع:علی بن ابی طالب (ع)، امام اول، ۲۳ قبل از هجرت - ۴۰ق . نهج البلاغه -- نقد و تفسیر

شناسه افزوده:میانجی، ابراهیم، ۱۲۹۲ - ۱۳۷۰.، مصحح

شناسه افزوده:علی بن ابی طالب (ع)، امام اول، ۲۳ قبل از هجرت - ۴۰ق . نهج البلاغه. شرح

رده بندی کنگره:BP۳۸/۰۲ /خ۹ ۱۳۰۰ی

رده بندی دیویی:۲۹۷/۹۵۱۵

شماره کتابشناسی ملی:۱۹۹۲۰۶

ص:۱

تتمه باب المختار من خطب أمير المؤمنين علیه السلام و أوامره

اشاره

بسم اللّه الرّحمن الرّحيم

و من كلام له عليه السّلام و هو المأه و الواحد

اشاره

و الستون من المختار فى باب الخطب

و هو مرویّ فی إرشاد المفید و فی البحار من علل الشّرایع و أمالی الصّدوق علی اختلاف تعرفه، قال علیه السّلام لبعض أصحابه و قد سأله علیه السّلام کیف دفعکم قومکم عن هذا المقام و أنتم أحقّ به؟ فقال:

یا أخا بنی أسد إنّک لقلق الوضین ترسل فی غیر سدد و لک بعد ذمامه الصّهر و حقّ المسأله، و قد استعلمت فاعلم أمّا الاستبداد علینا بهذا المقام و نحن الأعلون نسبا، و الأشدّون بالرّسول صلّی اللّه علیه و آله و سلّم نوطا فإنّها کانت أثره شحّت علیها نفوس قوم و سخت عنها نفوس آخرین، و الحکم اللّه و المعود إلیه القیمه - و دع(۱) عنک نهبا صیح فی حجراته -

ص:۲

۱- (۱) فدع، خ ل.

و هلمّ الخطب فی ابن أبی سفیان فلقد أضحکنی الدّهر بعد إبکائه و لا غرو و اللّه فیا له خطبا یستفرغ العجب، و یکثر الأود، حاول القوم إطفاء نور اللّه من مصباحه، و سدّ فوّاره من ینبوعه، و جدحوا بینی و بینهم شربا وبیئا، فإن ترتفع عنّا و عنهم محن البلوی أحملهم من الحقّ علی محضه، و إن تکن الاخری «فَلا تَذْهَبْ نَفْسُکَ عَلَیْهِمْ حَسَراتٍ إِنَّ اللّهَ عَلِیمٌ بِما یَصْنَعُونَ ».

اللغه

(قلق) قلقا من باب تعب اضطرب فهو قلق ککتف و (الوضین) کما عن النّهایه بطان منسوج بعضها علی بعض یشدّ به الرّحل علی البعیر کالحزام للسّرج و (الارسال) الاطلاق و اهمال التّوجیه و (السّدد) محرّکه کالسّداد الصّواب و الاستقامه و (الذّمامه) بکسر الذّال المعجمه: الحرمه و (الصهر) القرابه قال ابن السکّیت: کلّ من کان من قبل الزّوج من أبیه أو أخیه أو أعمامه فهم الأحماء و من کان من قبل المرأه فهم الأختان، و تجمع الصّنفین الأصهار.

و (استبدّ) فی الامر انفرد به من غیر مشارک له فیه و رجل (یستأثر) علی أصحابه أی یختار لنفسه أشیاء حسنه، و الاسم الأثره محرّکه و الأثره بالضمّ و الکسر و الأثری کالحسنی و (المعود) إمّا اسم لمکان العود أو مصدر بمعناه. و فی بعض النسخ یوم القیامه باضافه یوم و (الحجرات) النّواحی جمع حجره کجمره و جمرات و (هلّم) اسم فعل یستعمل بمعنی هات و تعال، فعلی الأوّل متعدّ و علی الثّانی لازم یستوی فیه الواحد و الجمع و المذکّر و المؤنّث فی لغه أهل الحجاز، و أهل نجد یقولون هلمّا و هلمّوا.

و (الأود) محرّکه الاعوجاج و (فوّار) الینبوع بفتح الفاء و تشدید الواو

ص:۳

ثقب البئر و الفوار بالضمّ و التّخفيف ما يفور من حرّ القدر و بهما قرء و الأوّل أظهر و (جدحه) يجدحه من باب منع خلطه و مزجه و (الشّرب) بالكسر الحظّ من الماء قال تعالى: «لَها شِرْبٌ وَ لَكُمْ شِرْبُ يَوْمٍ مَعْلُومٍ » و (الوبيء) ذو الوباء و المرض.

الاعراب

قوله لقلق الوضين صفه حذف موصوفها للعلم به، و جمله ترسل، فى محلّ الرّفع عطف بيان، و لك خبر مقدّم و ذمامه الصهر و حقّ المسأله مرفوعان على الابتداء، و بعد، ظرف لغو متعلّق بذمامه تقديمه عليه للتّوسّع، و جمله و نحن الأعلون فى محلّ النّصب على الحال، و نسبا و نوطا منصوبان على التميز، و تعديه سخت بعن لتضمين معنى الاعراض، و القيامه فى بعض النّسخ بالرّفع و فى بعضها بالنصب، فالأوّل مبنىّ على أنّه خبر لمعود و جعله اسم مكان، و الثّانى على كونه ظرفا له و جعله مصدرا.

و البيت أعنى قوله: و دع عنك نهبا صيح فى حجراته، مطلع قصيده لامرء القيس ابن حجر الكندى و تمامه: و لكن حديثا ما حديث الرّواحل، و قد أثبت المصراع الثّانى أيضا فى بعض النّسخ، و الظّاهر أنّه سهو من النسّاخ، و أنّه لم يتمثّل إلاّ بصدر البيت و أقام قوله: و هلمّ الخطب، مقام المصراع الثّانى كما نبّه عليه الشّارح المعتزلى و غيره.

و كيف كان فقوله: حديثا ما اه - انتصب حديثا باضمار فعل أى حدّثنى أو أسمع أو هات، و يروى بالرّفع على أنّه خبر محذوف المبتدأ أى غرضى حديث و ما هاهنا تحتمل أن تكون ابهاميّه و هى التّى إذا اقترنت بنكره زادته إبهاما و شياعا كقولك:

اعطنى كتابا ما، تريد، أى أىّ كتاب كان، و تحتمل أن تكون صله مؤكّده كما فى قوله تعالى «فَبِما نَقْضِهِمْ مِيثاقَهُمْ » و أمّا حديث الثّانى فقد ينصب على البدل من الأوّل، و قد يرفع على أن

ص:۴۰

یکون ما موصوله و صلتها الجمله أی الذی هو حدیث الرّواحل، ثمّ حذف صدر الصّله کما فی «اتماما علی الذی أحسن» أو علی أن تکون استفهامیه بمعنی أیّ قوله: و لا غرو، لا لنفی الجنس محذوف خبرها، و قوله: فیا له خطبا النّداء للتعجّب و التفخیم و خطبا منصوب علی التمیز من الضمیر.

المعنی

اشاره

اعلم أنّ المستفاد من روایتی العلل و الأمالی الاتیتین أنّ هذا الکلام (قاله لبعض أصحابه) بصفّین (و) ذلک أنّه (قد سأله) و قال له (کیف دفعکم قومکم عن هذا المقام) أی مقام الخلافه و الوصایه (و أنتم أحقّ به) منهم و من غیرهم لعلوّ النسب و شرافه الحسب و ماسّه الرّحم و مزید التقرّب و غزاره العلم و وفور الحلم و ملکه العصمه و فضیله الطّهاره و ثبوت الوصیّه و حقوق الوراثه و سایر خصایص الولایه (فقال علیه السّلام) مجیبا للسّائل (یا أخا بنی أسد انّک ل) رجل (قلق الوضین) أی مضطرب البطان أراد به خفّته و قلّه ثباته کالحزام إذا کان رخوا، لأنّه قد سأله فی غیر مقامه کما أبان عنه بقوله (ترسل فی غیر سدد) أی تطلق عنان دابّتک و تهملها و توجّهها فی غیر مواضعها، أی تتکلّم فی غیر موضع الکلام، و تسئل مثل هذا الأمر الذی لا یمکن التصریح فیه بمخّ الحقّ بمجمع النّاس، أو تسئل مثل هذا الأمر الذی یحتاج إلی تفصیل الجواب فی مقام لا یسع ذلک، و الأخیر أظهر بملاحظه ما یأتی فی روایتی العلل و الأمالی من أنّه سأله بینا هو فی أصعب موقف بصفّین.

و کیف کان فلمّا اعترض علیه السّلام علی السائل یکون سؤاله فی غیر موقعه المناسب، و لما کان ذلک مظنّه لأن ینکسر منه قلب السائل استدرک علیه السّلام ذلک بمقتضی سودده و مکارم خلقه فقال استعطافا و تلطّفا:(و لک بعد ذمامه الصّهر و حقّ المسأله) أی حرمه القرابه و حقّ السؤال.

قال الشّارح المعتزلی: و إنّما قال: لک بعد ذمامه الصّهر لأنّ زینب بنت جحش زوج رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم کانت أسدیّه، و شنّع الشّارح علی القطب الرّاوندی

ص:5

حيث علّل ذلک بأنّ أمير المؤمنين قد تزوّج فی بنی أسد بأنّ عليّا لم يتزوّج فی بنی أسد البتّه. ثمّ فصّل أولاده و أزواجه، ثمّ قال: فهؤلاء أولاده و ليس فيهم أحد من أسديّه و لا بلغنا أنّه تزوّج فی بنی أسد و لم يولد.

و ردّه الشّارح البحرانی بأنّ الانکار لا معنى له إذ ليس کلّ ما لم يبلغنا من حالهم لا يکون حقّا و يلزم أن لا يصل إلى غيره.

أقول: الحقّ مع البحرانی! إذ عدم نقل التزوّج إلينا لا يکون دليلا على العدم! لکنّه يبعّده کما لا يخفى هذا.

و أمّا حقّ المسأله فلأنّ للرّعيّه من الامام حقّ السؤال و إن لم يفرض عليه الجواب لو لم يکن فيه المصلحه.

يدلّ على ذلک ما رواه فی الکافی عن الحسين بن محمّد عن معلّى بن محمّد عن الوشا قال: سألت الرّضا عليه السّلام فقلت له جعلت فداک – «فَسْئَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لا تَعْلَمُونَ » – فقال عليه السّلام: نحن أهل الذکر و نحن المسئولون، قلت: أ فأنتم المسئولون و نحن السائلون؟ قال: نعم فقلت: حقّا علينا أن نسألکم؟ قال: نعم، قلت: حقّا عليکم أن تجيبونا؟ قال: لا، ذاک إلينا إن شئنا فعلنا و إن شئنا لم نفعل أما تسمع قول اللّه تبارک و تعالى:

«هذا عَطاؤُنا فَامْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسابٍ ».

و ما بمعناه أخبار کثيره مرويّه فی الکافی و غيره.

ثمّ تصدّى لجواب السّائل لما علم المصلحه فی الجواب فقال (و قد استعلمت فاعلم أمّا الاستبداد علينا بهذا المقام) أی استقلال الغاصبين للخلافه و تفرّدهم بهذا المقام الّذی هو مقام الأولياء و الأوصياء (و نحن الأعلون نسبا و الأشدّون بالرّسول صلّى اللّه عليه و آله و سلّم نوطا) أی مع کوننا أولى منهم بهذا المقام و أحقّ به بشرافه النّسب و شدّه التعلّق و اللّصوق برسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم أمّا شرافه النسب فقد مرّ فی ديباجه

الشرح، و أما شدّه العلاقه فيكفى فى الدّلاله عليها جعل النبىّ صلّى اللّه عليه و آله و سلّم له منه بمنزله هارون من موسى و تنزيله منزله نفسه فى آيه أنفسنا مضافا إلى ساير ما تضمّنت ذلك المعنى ممّا عرفتها فى تضاعيف الشرح و تعرفها بعد ذلك انشاء اللّه تعالى.

(فانها) أى الخلافه المعلومه من السياق (كانت اثره) أى شيئا مرغوبا يتنافس فيه النفوس و يزيده كلّ لنفسه و أن يخصّ به من دون مشاركه الغير (شحّت) أى بخلت (عليها نفوس قوم) أراد بهم أهل السقيفه (و سخت عنها) أى جادت بها و تركتها معرضه عنها (نفوس آخرين) أراد بهم أهل البيت عليهم السّلام و إعراضهم عنها لعدم رغبتهم فى الخلافه من حيث إنّها سلطنه ظاهريه و أماره على الخلق.

كما يدلّ عليه قوله عليه السّلام لابن عباس فى عنوان الخطبه الثالثه و الثلاثين:

و اللّه لهى أحبّ إلىّ من امرتكم إلاّ أن اقيم حقّا أو أدفع باطلا.

نعم لو كان متمكّنا من الخلافه و إقامه مراسمها على ما هو حقّها لرغب فيه البتّه لكنّه لم يتمكّن منها لعدم وجود النّاصر كما يؤمى إليه قوله عليه السّلام فى الخطبه الثّالثه المعروفه بالشقشقيّه: و طفقت أرتأى بين أن أصول بيد جذّاء أو أصبر على طخيه عمياء، و قوله فى الخطبه السّادسه و العشرين: فنظرت فاذا ليس لى معين إلاّ أهل بيتى فضننت بهم عن الموت اه، و غير ذلك ممّا تضمّن هذا المعنى.

(و الحكم) الحقّ و الحاكم العدل هو (اللّه) سبحانه (و المعود إليه القيامه) كما قال:

«ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلى عالِمِ الْغَيْبِ وَ الشَّهادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِما كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ » و يقضى بين الخلق بالحقّ و يجعل لعنته على الظالمين،و تمثّل عليه السّلام بقول امرء القيس فقال:

(و دع عنك نهبا صيح فى حجراته) و لكن حديثا ما حديث الرّواحل

و كان من قصّه هذا الشّعر أنّ امرء القيس لمّا انتقل فى أحياء العرب بعد قتل أبيه نزل على رجل من جذيله طيّىء يقال له: طريف فأحسن جواره فمدحه فأقام

عنده، ثمّ إنّه لم يولّه نصيبا فی الجبلين: اجاء و سلمی، فخاف أن لا يكون له منعه فتحوّل فنزل علی خالد بن سدوس بن اصمع النبهانی فأغارت بنو جذيله علی امرء القيس و هو فی جوار خالد بن سدوس فذهبوا بابله و كان الذی أغار عليه منهم باعث بن حويص، فلمّا أتی امرء القيس الخبر ذكر ذلک لجاره، فقال له: اعطنی رواحلک ألحق عليها القوم فأردّ عليک ابلک، ففعل فركب خالد فی أثر القوم حتّی أدركهم فقال: يا بنی جذيله أغرتم علی ابل جاری؟ قالوا: ما هو لک بجار، قال: بلی و اللّه و هذه رواحله، قالوا: كذلک، قال: نعم، فرجعوا إليه فأنزلوه عنهنّ و ذهبوا بهنّ و بالابل، و قيل بل انطوی خالد علی الابل فذهب بها، فقال امرء القيس:دع عنك نهبا،القصيده. أی اترک عنک منهوبا يعنی غنيمه صيح فی جوانبه و نواحيه صياح الغاره، و لكن هات حديثا الذی هو حديث الرّواحل أی النّوق التّی تصلح لأن يشدّ الرّحل علی ظهرها.

و غرضه عليه السّلام بالتمثيل بالبيت الاشاره إلی أنّ المتخلّفين الثلاثه الماضين قد نهبوا تراثی و أغاروا علی حقّی مع صياح عند النّهب و الغاره يريد به الاحتجاجات و المناشدات الّتی كانت منه عليه السّلام و من أتباعه بعد السقيفه و فی مجلس الشّوری حسبما عرفتها فی شرح الخطبه الشقشقيّه و غيرها.

يقول عليه السّلام: دع عنك ذكر تلك الغاره و حديثها و لا تسئل عنها فانّه نهب صيح فی حجراته و مضی و انقضی (و لكن هلمّ الخطب فی ابن أبی سفيان) أی لكن هات ذكر الحدث الجليل و الأمر العظيم الّذی نحن مبتلی به الان فی منازعه معاويه بن أبی سفيان و طمعه فی الخلافه، فانّه حديث عجيب ينبغی أن يتحدّث و يذاكر و يستمع (فلقد أضحكنی الدّهر بعد إبكائه) أی صرت ضاحكا ضحك تعجّب من تصرّفات الدّهر و تقلّباته و تربيته لأراذل النّاس و جعله مثل ابن النّابغه الاكله للأكباد و الطّليق ابن الطّليق منازعا لی فی الخلافه، و معارضا علیّ فی الرّياسه مع غايه بعده عنها و انحطاط رتبته عن الطمع فی مثلها بعد ما كانت بی من الكأبه و الحزن لتقدّم من سلف.

ص:٨

و محصّل المراد أنّ الدّهر أضحكنى من فرط التعجّب بعد ما أحزننى لأنّه(۱) أنزلنى ثمّ أنزلنى حتّى قيل معاويه و علىّ (و لا غرو و اللّه) أى لا عجب و اللّه من تقلّبات الدّهر و أحواله و قوّه الباطل و غلبه أهله فيه ممّا بى نزل و إضحاكه بى بعد إبكائه، لأنّ عادته قد جرت دائما على وضع الأشراف و رفع الأراذل حتّى صار سجيّه له و مجبولا عليها، و إليه ينظر قول مولانا الحسين عليه السّلام ليله العاشور:

يا دهر افّ لک من خليل كم لک بالاشراق و الأصيل

(فيا له خطبا يستفرغ العجب) كلام مستأنف لاستعظام هذا الأمر، و على هذا فالوقف على اللّه، و يجوز أن لا يكون استينافا بل وصلا على سابقه و تفسيرا له فانّه عليه السّلام لمّا أشار إلى أنّ الدّهر أعجبه أتبعه بقوله: و لا غرو، أى ليس ذلک بعجب و فسّر هذا بقوله: فيا له خطبا يستفرغ العجب، أى يستنفده و يفنيه أى قد صار العجب لا عجب لأنّ هذا الخطب قد استغرق المتعجّب فلم يبق منه ما يطلق عليه لفظ التعجّب، و هذا من باب الاغراق و المبالغه فى المبالغه أى هذا أمر يجلّ عن التعجّب كقول ابن هانى:

قد صرت فى الميدان يوم طرادهم فعجبت حتّى كدت لا أتعجّب

هذا (و) وصف الخطب أيضا بأنّه (يكثر الأود) لأنّ كلّ امرء بعد عن الشريعه ازداد الأمر به اعوجاجا (حاول القوم) أراد به معاويه و اتباعه (إطفاء نور اللّه من مصباحه) أراد بنور اللّه الولايه و الخلافه و بمصباحه نفسه الشّريف الحامل لذلک النّور، يعنى أنّ معاويه و من تبعه أرادوا إطفاء نور الولايه و إزاله الأمر عن الأحقّ به كما أنّ من تقدّم عليهم من المتخلّفين الثلاث و أشياعهم و طلحه و الزّبير و أتباعهما كان غرضهم إطفاء النّور هذا.

(و سدّ فوّاره من ينبوعه) أى سدّ مجراه و منبعه (و جدحوا) أى مزجوا و خلطوا (بينى و بينهم شربا وبيئا) أراد بالشرب الوبىء الفتنه الحاصله من عدم انقيادهم له كالشّرب المخلوط بالسمّ.

۱- (۱) علّه الضحک و التعجب منه.

و قال الشارح البحرانی: استعار لفظ الشرب لذلک الأمر و لفظ الجدح للکدر الواقع بینهم و المجاذبه لهذا الأمر، و استعار وصف الوبیء له باعتبار کونه سببا للهلاک و القتل بینهم (فان ترتفع عنّا و عنهم محن البلوی) و یجتمعوا علی رأیی و یتّبعوا أمری (أحملهم من الحقّ علی محضه) أی خالصه الذی لا یشوبه شبهه و ریب (و إن تکن الاخری) أی و إن لم یکشف اللّه هذه الغمّه و کانت الدّوله و الغلبه لأهل الضلال «فَلا تَذْهَبْ نَفْسُکَ عَلَيْهِمْ حَسَراتٍ إِنَّ اللّهَ عَلِيمٌ بِما يَصْنَعُونَ » اقتباس من الایه الشریفه فی سوره الفاطر قال:

«أَ فَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَرَآهُ حَسَناً فَإِنَّ اللّهَ يُضِلُّ مَنْ يَشاءُ وَ يَهْدِي مَنْ يَشاءُ فَلا تَذْهَبْ نَفْسُکَ » الایه.

أی لا تهلک نفسک علیهم للحسرات علی غیّهم و ضلالهم و إصرارهم علی التکذیب «إِنَّ اللّهَ عَلِيمٌ بِما يَصْنَعُونَ » فیجازیهم علیه.

و فی الصافی عن القمّی مرفوعا قال: نزلت فی زریق و حبتر، و علیه فالاقتباس بها غیر خال من اللّطف و المناسبه.

لطیفه

قال الشارح المعتزلی بعد الفراغ من شرح هذا الکلام: و سألت أبا جعفر یحیی ابن محمّد العلوی نقیب البصره وقت قراءتی علیه عن هذا الکلام و کان علی ما یذهب علیه من مذهب العلویّه منصفا وافر العقل فقلت له: من یعنی علیه السّلام بقوله: کانت أثره شحّت علیها نفوس قوم و سخت عنها نفوس آخرین؟ و من القوم الّذین عناهم الأسدی بقوله:

کیف دفعکم قومکم عن هذا المقام و أنتم أحقّ به؟ هل المراد یوم السقیفه أو یوم الشوری؟ فقال: یوم السقیفه فقلت: إنّ نفسی لا تسامحنی أن أنسب إلی الصحابه عصیان الرسول و دفع النصّ، فقال: و أنا فلا تسامحنی نفسی أن أنسب الرّسول إلی إهمال أمر الامامه و أن یترک الناس سدی مهملین، و قد کان لا یغیب عن المدینه إلاّ و یؤمّر علیها أمیرا و هو حیّ لیس بالبعید عنها، فکیف لا یؤمّر و هو میّت لا یقدر علی استدراک ما یحدث؟

ص:۱۰

ثمّ قال: لیس یشکّ أحد من الناس أنّ رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم کان عاقلا کامل العقل أمّا المسلمون فاعتقادهم فیه معلوم، و أمّا الیهود و النصاری و الفلاسفه فیزعمون أنّه حکیم تامّ الحکمه سدید الرّأی أقام ملّه و شرع شریعه فاستجد ملکا عظیما بعقله و تدبیره، و هذا الرجل العاقل الکامل یعرف طباع العرب و غرایزهم و طلبهم بالثارات و الذّحول(۱) و لو بعد الأزمان المتطاوله، و کان یقتل الرّجل من القبیله رجلا من بیت آخر، فلا یزال أهل ذلک المقتول و أقاربه یتطلّبون القاتل لیقتلوه حتی یدرکوا ثارهم منه، فان لم یظفروا به قتلوا بعض أقاربه و أهله فان لم یظفروا بأحدهم قتلوا واحدا أو جماعه من تلک القبیله و إن لم یکونوا رهطه الأدنین، و الاسلام لم یحل طبائعهم و لا غیّر هذه السجیّه المرکوزه فی أخلاقهم و الغرایز بحالها.

فکیف یتوهّم لبیب أنّ هذا العاقل وتر العرب و علی الخصوص قریشا و ساعده علی سفک الدّماء و إزهاق الأنفس و تقلّد الضغائن ابن عمّه الأدنی و صهره و هو یعلم أنه سیموت کما یموت الناس و یترکه بعده و عنده ابنته ولد منها ابنان یجریان عنده مجری ابنین من ظهره حنوا علیهما و محبّه لهما، و یعدل عنه فی الأمر بعده و لا ینصّ علیه و لا یستخلفه، فیحقن دمه و دم بنیه و أهله باستخلافه.

أ لا یعلم هذا العاقل الکامل أنّه إذا ترکه و ترک بنیه و أهله سوقه رعیّه فقد عرض دماءهم للاراقه بعده، بل یکون هو الّذی قتله و أشاط بدمائهم، لأنّهم لا یعتصمون بعده بأمر یحمیهم، و إنّما یکونون مضغه للاکل و فریسه للمفترس یتخطّفهم النّاس و یبلغ فیهم الأغراض.

فأمّا إذا جعل السّلطان فیهم و الأمر الیهم فانّه یکون قد عصمهم و حقن دماءهم بالرّیاسه الّتی یصولون بها، و یرتدع النّاس عنهم لأجلها، و مثل هذا معلوم بالتّجربه.

أ لا تری أنّ ملک بغداد أو غیرها من البلاد لو قتل النّاس و وترهم و أبقی فی

۱- (۱) الذحل: الثار أو طلب مکافاه بجنایه جنیت علیک أو عداوه اتیت الیک، أو هو العداوه و الحقد، جمعه اذحال و ذحول. ق.

نفوسهم الأحقاد العظيمه عليه ثمّ أهمل أمر ولده و ذرّيّته من بعده، و فسح للنّاس أن يقيموا ملكا من عرضهم و واحدا منهم، و جعل بنيه سوقه كبعض العامّه، لكان بنوه بعده قليلا بقاؤهم سريعا هلاكهم، و لوثب عليهم النّاس ذوو الاحقاد و التراث من كلّ جهه يقتلونهم و يشردونهم كلّ شرد.

و لو أنّه عيّن ولدا من أولاده للملك، و قام خواصّه و خدمه، و خوّله(١) بامره بعده، لحقنت دماء أهل بيته و لم تطل يد أحد من النّاس إليهم لناموس الملک و ابهه السلطنه و قوّه الرّياسه و حرمه الاماره.

أ فترى ذهب عن رسول اللّه هذا المعنى أم أحبّ أن يستأصل أهله و ذرّيّته من بعده و أين موضع الشّفقه على فاطمه العزيزه عنده الحبيبه إلى قلبه؟! أ تقول: إنّه أحبّ أن يجعلها كواحده من فقراء المدينه تتكفّف النّاس؟! و أن يجعل عليّا المكرّم المعظّم عنده الّذى كانت حاله معه معلومه كأبى هريره الدّوسى و أنس بن مالک الأنصارى يحكم الأمراء فى دمه و عرضه و نفسه و ولده فلا يستطيع الامتناع و على رأسه مأئه ألف سيف مسلول يتلظّى أكباد أصحابها عليه و يودّون أن يشربوا دمه بأفواههم و يأكلوا لحمه بأسيافهم قد قتل أبنائهم و اخوانهم و آبائهم و أعمامهم، و العهد لم يطل، و القروح لم تنفرق، و الجروح لم تندمل؟! فقلت: لقد أحسنت فيما قلت: إلاّ أنّ لفظه عليه السّلام يدلّ على أنّه لم يكن نصّ عليه، أ لا تراه يقول: و نحن الأعلون نسبا و الأشدّون بالرّسول نوطا، فجعل الاحتجاج بالنّسب و شدّه القرب، فلو كان عليه نصّ لقال عوض ذلک: و أنا المنصوص علىّ المخطوب باسمى.

فقال: إنّما أتاه من حيث يعلم لا من حيث يجهل، أ لا ترى أنّه سأله فقال:

كيف دفعكم قومكم عن هذا المقام و أنتم أحقّ به، فهو إنّما سأل عن دفعهم عنه و هم أحقّ به من جهه اللّحمه و العتره، و لم يكن الأسدى يتصوّر النصّ و لا يعتقد و لا يخطر بباله، لأنه لو كان هذا فى نفسه لقال له: لم دفعک الناس عن هذا المقام

١- (١) خوله المال اعطاه اياه متفضلا.

و قد نصّ عليك رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم، و لم يقل له هذا، و إنما قال كلاما عاما لبنى هاشم كافه: كيف دفعكم قومكم عن هذا و أنتم أحقّ به أى باعتبار الهاشميه و القربى، فأجابه بجواب أعاد قبله المعنى الذى تعلّق به الأسدى بعينه تمهيدا للجواب، فقال:

إنما فعلوا ذلك مع أنا أقرب إلى رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله من غيرنا لأنهم استأثروا علينا و لو قال له: أنا المنصوص عليّ المخطوب باسمى فى حياه رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم لما كان قد أجابه، لأنه ما سأله هل أنت منصوص عليك أم لا، و لا هل نصّ رسول اللّه بالخلافه على أحد أم لا، و إنما قال: لم دفعكم قومكم عن الأمر و أنتم أقرب إلى ينبوعه و معدنه منهم، فأجابه جوابا ينطبق على السؤال و يلايمه.

و أيضا فلو أخذ يصرّح له بالنصّ و يعرّفه تفاصيل باطن الأمر لنفر عنه و اتّهمه و لم يقبل قوله و لم يتجذّب الى تصديقه فكان أولى الامور فى حكم السياسه و تدبير الناس أن يجيب بما لا نفره منه و لا مطعن عليه فيه انتهى.

أقول: و للّه درّ النقيب العلوى فلقد أجاد فيما أفاد، و نهج منهج الرّشاد، و راقب العدل و الانصاف، و جانب العصبيّه و الاعتساف، و كشف الظلام عن وجه المرام و أوضح المقام بكلام ليس فوقه كلام، أودعه من البيان و البرهان ما يجلى الغشاوه عن أبصار متأمّليه، و العمى عن عيون متناوليه، و بعد ذلك فان كان إذعانه على طبق بيانه فأجزل اللّه له الجزاء فى دار خلده و جنانه، و إلّا فليضاعف عليه العذاب فى يوم الحساب، و لكن يبعد جدّا مع هذا التحقيق أن يكون معتقده خلاف المذهب الحقّ، بل الظاهر من الشارح المعتزلى أيضا حيث نقل هذا التفصيل عن النقيب و سكت مضافا إلى نظايره الكثيره فى تضاعيف الشرح أنّ معتقده أيضا ذلك، و لولا تصريحه فى غير موضع من شرحه بعدم النصّ فى الخلافه لحكمنا بكونه من الفرقه الناجيه، و هو الذى ظنّه بعض أصحابنا فى حقّه و قال: إنّ الشارح شيعيّ المذهب إلّا أنه سلك فى الشرح مسلك أهل السنه من باب الالجاء و التقيّه، و اللّه العالم بسرائر العباد و المجازى كلاّ ما يستحقّه يوم التناد، نسئل اللّه العصمه و السداد، و نعوذ به من الزلل و الفساد فى المذهب و الاعتقاد.

ص:١٣

تکمله

قد أشرنا إلى أنّ هذا الکلام مرویّ عنه علیه السّلام بطرق عدیده مختلفه أحببت أن أوردها جریا على عادتنا المستمرّه فأقول:

قال المفید (ره) فی الارشاد: روى نقله الاثار أنّ رجلا من بنی أسد وقف على أمیر المؤمنین علیه السّلام فقال له: یا أمیر المؤمنین العجب فیکم یا بنی هاشم کیف عدل بهذا الأمر عنکم و أنتم الأعلون نسبا و سببا و نوطا بالرّسول صلّى اللّه علیه و آله و سلّم و فهما للکتاب؟ فقال أمیر المؤمنین علیه السّلام: یا ابن دودان إنّک لقلق الوضین، ضیّق المخرم ترسل غیر ذی مسد لک ذمامه الصهر و حقّ المسأله، و قد استعلمت فاعلم: کانت اثره سخت بها نفوس قوم و شحّت علیها نفوس آخرین

فدع عنک نهبا صیح فی حجراته

و هلمّ الخطب فی أمر ابن أبی سفیان، فلقد أضحکنی الدّهر بعد إبکائه و لا غرو، بئس القوم و اللّه من خفضنی و هیّننی و حاولوا الادّهان فی ذات اللّه، و هیهات ذلک منّی و قد جدحوا بینی و بینهم شربا وبیئا، فان تتحسّر عنّا محن البلوى أحملهم من الحقّ على محضه، و إن تکن الاخرى فلا تذهب نفسک علیهم حسرات فلا تأس على القوم الفاسقین.

و فی البحار من علل الشّرایع و الأمالی عن الحسین بن عبید اللّه العسکری عن إبراهیم بن رعد العبشمی، عن ثبیت بن محمّد، عن أبی الأحوص المصری عمّن حدّثه عن آبائه عن أبی محمّد الحسن بن علیّ علیهما السّلام عن جماعه من أهل العلم، عن الصّادق جعفر بن محمّد عن أبیه عن جدّه علیهم السّلام قال:

بینا أمیر المؤمنین علیه السّلام فی أصعب موقف بصفین اذ قام إلیه رجل من بنی دودان فقال: ما بال قومکم دفعوکم عن هذا الأمر و أنتم الأعلون نسبا و اشدّ نوطا بالرّسول صلّى اللّه علیه و آله و سلّم و فهما بالکتاب و السنّه؟ فقال علیه السّلام: سئلت یا أخا بنی دودان و لک حقّ المسأله و ذمام الصّهر و إنّک لقلق الوضین ترسل عن ذی مسد انّها إمره شحّت علیها نفوس قوم و سخت عنها نفوس آخرین، و نعم الحکم اللّه فدع عنک نهبا صیح فی حجراته -

و هلمّ الخطب فی ابن أبی سفیان فلقد أضحکنی الدّهر بعد إبکائه و لا اغزو إلّا جارتی و سؤالها الاهل لنا أهل سألت کذلک بئس القوم من خفضنی و حاولوا الادهان فی دین اللّه، فان ترفع عنّا محن البلوی أحملهم من الحقّ علی محضه، و إن تکن الأخری فلا تأس علی «عن خ ل» القوم الفاسقین، إلیک عنّی یا أخا بنی سیدان.

بیان

لما فی هاتین الرّوایتین من الألفاظ الغریبه التّی لم تکن فی روایه السیّد (ره) فأقول:

«دودان» بن أسد بن خزیمه بالضمّ أبو قبیله فلا ینافی ما فی روایه السیّد أنّه کان من بنی أسد و «المحزم» بالحاء المهمله وزان منبر و المحزمه کمکنسه و الحزام ککتاب ما حزم به قیل: و یقال للرّجل المضطرب فی أمره أنّه قلق الوضین أی مضطرب شاکّ فیه و لعلّ ضیق المحزم کنایه عن عدم طرفیّته(۱).

و «المسد» حبل مفتول من لیف محکم الفتل و یقال علی نفس اللّیف قال سبحانه: «فِی جِیدِها حَبْلٌ مِنْ مَسَدٍ »، فقوله فی روایه الارشاد: «ترسل غیر ذی مسد» أراد به أنک تطلق عنان کلامک من غیر تأمّل، و قوله فی روایه البحار «ترسل عن ذی مسد» أراد به أنّک تطلق حیوانا له مسد ربط به، فیکون کنایه عن التکلّم بما له مانع عن التکلّم به.

و «هیننی» أی أهاننی و استهان و «حسر» الشیء فانحسر کشفه فانکشف و «امرأه» فی روایه الأمالی لعلّه تصحیف امره بالکسر أی أماره و قوم «جاره» و جوره أی جائرون و «الادهان» کالمداهنه إظهار خلاف ما تضمر و الغشّ.

الترجمه

از جمله کلام آن امام انامست ببعض أصحاب خود در حالتی که سؤال کرد از آن بزرگوار چگونه دفع کردند شما را قوم شما از مقام خلافت و حال آنکه شما سزاوارترید بان؟.

پس فرمود أی برادر بنی اسد بدرستی که تو مردی هستی که پاردم تو

۱- (۱) بل الصحیح ما قدّمناه و هو المخرم بالخاء المعجمه و الراء موضع القلاده من الانف و المعنی واضح.

مضطرب و متحرکست، رها می کنی أفسار گفتار خود را در غیر صواب، یعنی در غیر موقع مناسب سؤال می نمائی و با وجود این که مر تو راست حرمت قرابت و حقّ مسألت و بتحقیق که تو طلب آگاهی نمودی پس بدان و آگاه باش.

أمّا استقلال ایشان بر ضرر ما بمقام خلافت و حال آنکه ما بلندتریم از ایشان از حیثیّت نسب و محکم تریم بحضرت رسالت از حیثیّت علاقه و قرب منزلت، پس جهتش اینست که بود خلافت چیز مرغوبی بخیلی کرد بان نفوس خسیسهٔ طائفهٔ، و سخاوت کرد و اعراض نمود از آن نفوس نفیسهٔ طائفهٔ دیگر، و حاکم بحق خدای متعالست و بازگشت بسوی او در قیامت است، و ترک بکن از خودت غارتی را که در أطراف آن صدا بلند شد یعنی غارت خلافت را که پیش از این ابو بکر و عمر و عثمان غارت کردند.

و بیار امر عظیم را یا این که بیا بأمر عظیم در خصوص پسر أبو سفیان ملعون، پس بدرستی که خندانید مرا روزگار بد رفتار بعد از گریاندن او، و هیچ تعجّب نیست قسم بخدا خندانیدن بعد از گریانیدن، پس بیائید تعجّب کنید باین أمر عظیم و عجیب که فانی کند تعجّب را، و بسیار می کند کجروی را، طلب کردند مخالفان قریش خاموش کردن نور خداوند را از چراغ او، و بستن فوارهٔ آن از چشمهٔ آن، و آمیختند میان من و میان ایشان شربت و با آورده، پس اگر برداشته شود از ما و از ایشان محنتهای بلاها حمل می کنم ایشان را از دین حق بر خالص آن، و اگر باشد آن حالت دیگر یعنی غلبهٔ أهل ضلالت و سلطنت ایشان پس باید که هلاک نشود نفس تو بر کار ایشان از جهه حسرتها بر ضلال ایشان، بدرستی که خداوند عالمست به آن چه که می کنند و البته جزا خواهد داد بر قبایح أعمال ایشان.

و من خطبه له علیه السّلام و هی المأه و الثانیه

اشاره

و الستون من المختار فی باب الخطب

الحمد للّه خالق العباد، و ساطح المهاد، و مسیل الوهاد، و

ص:۱۶

مخصّب النّجاد، ليس لأوّليّته ابتداء، و لا لأزليّته انقضاء، هو الأوّل لم يزل، و الباقى بلا أجل، خرّت له الجباه، و وحّدته الشّفاه، حدّ الأشياء عند خلقه لها إبانه له من شبهها، لا تقدّره الأوهام بالحدود و الحركات، و لا بالجوارح و الأدوات، لا يقال له متى، و لا يضرب له أمد بحتّى، الظاهر لا يقال ممّا، و الباطن لا يقال فيما، لا شبح فيتقضّى، و لا محجوب فيحوى، لم يقرب من الأشياء بالتصاق، و لم يبعد عنها بافتراق، لا يخفى عليه من عباده شخوص لحظه، و لا كرور لفظه، و لا ازدلاف ربوه، و لا انبساط خطوه، فى ليل داج، و لا غسق ساج، يتفيّؤ عليه القمر المنير، و تعقبه الشّمس ذات النّور، فى الافول و الكرور، و تقليب الأزمنه و الدّهور، من إقبال ليل مقبل، و إدبار نهار مدبر، قبل كلّ غايه و مدّه، و كلّ إحصاء و عدّه، تعالى عمّا ينحله المحدّدون من صفات الأقدار، و نهايات الأقطار، و تأثّل المساكن، و تمكّن الأماكن، فالحدّ لخلقه مضروب، و إلى غيره منسوب، لم يخلق الأشياء من أصول أزليّه، و لا من أوائل أبديّه، خلق ما خلق فأقام حدّه، و صوّر ما صوّر فأحسن صورته، ليس لشىء منه امتناع،

ص:١٧

و لا له بطاعه شيء انتفاع، علمه بالأموات الماضين، كعلمه بالأحياء الباقين، و علمه بما في السّموات العلى، كعلمه بما في الأرضين السّفلى. منها أيّها المخلوق السّويّ، و المنشاء المرعيّ في ظلمات الأرحام، و مضاعفات الأستار، بدئت من سلاله من طين، و وضعت في قرار مكين، إلى قدر معلوم، و أجل مقسوم، تمور في بطن أمّك جنينا، لا تحير دعاء، و لا تسمع نداء ثمّ أخرجت من مقرّك إلى دار لم تشهدها و لم تعرف سبل منافعها، فمن هداك لاجترار الغذاء من ثدي أمّك، و عرّفك عند الحاجه مواضع طلبك و إرادتك، هيهات إنّ من يعجز عن صفات ذي الهيئه و الأدوات، فهو من صفات خالقه أعجز، و من تناوله بحدود المخلوقين أبعد.

اللغه

(المهاد) بالكسر الفراش و الجمع مهد ككتاب و كتب و (سال) الماء سيلا و سيلانا إذا طغا و جرى و أسلته اساله أجريته و (الوهاد) جمع وهده و هي الأرض المنخفضه و (النجد) الأرض المرتفعه و الجمع أنجاد و نجاد و نجود و (شخص) الرّجل بصره إذا فتح عينيه لا يطرف و (ازدلف) و تزلف أي تقدّم و اقترب و المزدلفه موضع بين عرفات و منى سمّي بها لأنّه يتقرّب فيها إلى اللّه أو لاقتراب الناس إلى منى بعد الافاضه أو لمجيء النّاس إليها في زلف من اللّيل.

و (الرّبوه) بضمّ الرّاء و كسرها و الفتح لغه بني تميم المكان المرتفع

ص:١٨

و (الغسق) محركه الظّلام أو ظلمه أوّل اللّيل و (تفيّاء) الظلّ تقلّب و رجع من جانب إلى جانب قال سبحانه: «يَتَفَيَّؤُا ظِلالُهُ » و (عقبت) زيدا عقبا من باب قتل و عقوبا و عقّبته بالتشديد جئت بعده، و منه سمّى رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم العاقب لأنّه عقب من كان قبله من الأنبياء أى جاء بعدهم، و تعقبه الشّمس مضارع عقب بالتخفيف و يروى يعقّبه مضارع عقّب بالتضعيف و فى نسخه الشارح المعتزلى تعقّبه قال الشارح أى تتعقّبه فحذف إحدى التائين كما قال سبحانه: «الَّذِينَ تَوَفّاهُمُ الْمَلائِكَةُ » و (تأثّل) المال اكتسبه و (أحار) جوابا يحيره ردّه.

الاعراب

من فى قوله: من عباده، ابتدائيه، و قوله: فى ليل، متعلّق بقوله: يخفى، أو بالشخوص، و الكرور و الازدلاف و الانبساط على سبيل التنازع و الثانى أظهر و أولى كما لا يخفى، و قوله: فى الافول و الكرور، ظرف لغو متعلّق بتعقب، و قال الشارح المعتزلى: ظرف مستقرّ فى موضع نصب على الحال، أى و تعقبه كارّا و آفلا و من فى قوله: من اقبال، بيان التّقليب.

المعنى

اعلم أنّ هذه الخطبه الشريفه مسوقه للثناء على اللّه سبحانه و تعظيمه و تمجيده بجمله من نعوت جماله و صفات جلاله.

قال الشارح المعتزلى: اعلم أنّ هذا الفنّ هو الّذى بان به أمير المؤمنين عليه السّلام عن العرب فى زمانه قاطبه، و استحقّ به الفضل و التقدّم عليهم أجمعين، و ذلک لأنّ الخاصّه التى يتميّز بها الانسان عن البهايم هى العقل و العلم، ألا ترى أنّه يشاركه غيره من الحيوانات فى اللّحميّه و الدّمويّه و القوّه و القدره و الحركه الكاينه على سبيل الاراده و الاختيار، فليس الامتياز إلّا بالقوّه الناطقه أى العاقله العالمه، فكلّما كان الانسان أكثر حظّا منها كانت انسانيّته أتمّ.

و معلوم أنّ هذا الرّجل انفرد بهذا الفنّ و هو أشرف العلوم، لأنّ معلومه أشرف المعلومات، و لم ينقل عن أحد من العرب غيره فى هذا الفنّ حرف واحد

و لاـ كـانت أذهـانهم يصل إلى هـذا و لا يفهمونه، فهو بهـذا الفنّ منفرد و بغيره من الفنون و هى العلوم الشـرعيه مشارك لهم و أرجح عليهم، فكان أكمل منهم، لأنا قد بيّنا أنّ الأعلم أدخل فى صوره الانسانيه، و هذا هو معنى الأفضليّه انتهى.

أقول: قد مرّ غير مرّه أنه بعد الاعتراف و الاذعان بكونه عليه السّـلام أفضل و أكمل من غيره كيف يجوّز تقديم غيره عليه؟ و بعد الاقرار باختصاص العلم الالهى به عليه السّلام و باشتراكه مع غيره و رجحانه عليهم فى ساير العلوم كيف يسوّغ القول بحقيه امامه غيره؟ و الحال أنّ ترجيح المرجوح على الرّاجح قبيح عقلا على اصول العدليّه فضلا عن النقل قال تعالى:

«قُلْ هَلْ يَسْتَوِى الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَ الَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ » و قال أيضا:

«أَ فَمَنْ يَهْدِى إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ أَمَّنْ لا يَهِدِّى إِلاّ أَنْ يُهْدى ».

فيا عجبا عجبا يقوم بالخلافه من لا يعرف معنى عنبا و أبّا، و يعتزل فى جنـح بيته من عنـده علم الكتاب و له الفضل على غيره من كلّ باب و إلى اللّه الشكوى من دهر يربى الجهل و الضلال، و يمحق الفضل و الكمال فلنرجع إلى شرح كلامه فأقول:

إنّه حمـد اللّه سـبحانه و أثنى عليه بأوصاف كماليه فقال (الحمد للّه خالق العباد) أى الملائكه و الانس و الجنّ و تخصيصـهم من ساير المخلوقات بالذكر مع أنه خالق كلّ شـىء تشرّفهم بشرف التكليف (و ساطح المهاد) أى جعل الأرض فراشا و بساطا للناس و سـطحها على الماء بقدرته الكامله و رحمته السابغه، و فى ذلك من دلائل القدره و آثار الكبرياء و العظمه ما لا يحصـى، و من الفوائد التامه و العوائد العامه الّتى للناس ما لا يستقصـى حسـبما مرّت الاشاره إليها فى شـرح الفصل السادس من الخطبه التسـعين المعروفه بالأشباح.

(و مسيل الوهاد و مخصب النّجاد) أى مجرى للسّيل فى الأراضى المنخفضه و جاعل المرتفعه ذوات خصب و رفاه ليكمل معاش الانسان و الدوابّ بما أنبت فيها

من الحبّ و النّبات و الفواكه و الجنات.

(ليس لأوّليّته ابتداء و لا لأزليّته انقضاء) لأنّه تعالى واجب الوجود لذاته فلو كان لكونه أوّلا للأشياء حدّ تقف عنده أوّليته و تنتهى به لكان محدثا و لا شىء من المحدث بواجب الوجود، لأنّ المحدث ما كان مسبوقا بالعدم و واجب الوجود يستحيل عليه العدم أى ذاته لا يقبل العدم، و من ذلك علم أيضا أنّه ليس لأزليّته انقضاء إذ كلّ ما ثبت قدمه امتنع عدمه، و الأزليّه عباره عن القدم، و ربّما يفسّر بأنّها المصاحبه لجميع الثّابتات المستمرّه الوجود فى الزّمان.

(هو الأوّل لم يزل و الباقى بلا أجل) و غايه و هاتان الجملتان مؤكّدتان لسابقتيهما يعنى أنّه سبحانه لم يزل و لا يزال إذ وجوده أصل الحقيقه و ذاته عين البقاء، و هو الأوّل و الاخر لأنّه مبدء كلّ شىء و غايته لا أوّل لأوّليّته و لا غايه لبقائه (خرّت له الجباه و وحّدته الشّفاه) أى سقطت الجباه ساجده له، و نطقت الشّفاه بتوحيده لكمال الوهيّته و عظمته و استحقاقه للعبوديّه و اختصاصه بالفردانيّه (حد الأشياء عند خلقه لها إبانه له من شبهها) و إبانه لها من شبهه و قد تقدّم توضيح ذلك و تحقيقه فى شرح الخطبه المائه و الثانيه و الخمسين فليراجع ثمّه.

(لا تقدرّه الأوهام بالحدود و الحركات و لا بالجوارح و الأدوات) لمّا كان شأن الوهم بالنّسبه إلى مدركاته أن يدركها بحدّ أو حركه أو جارحه أو أداه، و كان اللّه سبحانه منزّها عنها كلّها، لكونها من عوارض الأجسام، صحّ بذلك سلب إدراك الأوهام و تقديرها أى تعيينها و تشخيصها له تعالى، و قد قال الباقر عليه السّلام كلّما ميّزتموه بأوهامكم فى أدقّ معانيه مصنوع مثلكم مردود إليكم، و قد مرّ فى شرح الفصل الثّانى من الخطبه الاولى توضيح هذا المعنى.

(و لا يقال له متى و لا يضرب له أمد بحتّى) و قد تقدّم تحقيق ذلك أيضا هنالك، فليراجع إليه.

(الظّاهر لا يقال ممّا و الباطن لا يقال فيما) يعنى أنّ اتّصافه بالظهور و البطون ليس بالمعنى المتبادر منهما فى غيره، فانّ المتبادر من ظهور الأجسام

كونها ظاهره بارزه من مادّه و أصل، و من بطونها اختفائها فى حيّز و مكان، و اللّه سبحانه منزّه عن ذلك، بل اطلاق الظّاهر و الباطن عليه و اتّصافه تعالى بهما باعتبار آخر عرفته تفصيلا فى شرح الخطبه الرّابعه و الستّين.

(لا شبح فيتقضّى و لا محجوب فيخوى) أى ليس بجسم و شخص فيتطرّق إليه الفناء و الانقضاء، و لا مستور بحجاب جسمانىّ حتّى يكون الحجاب حاويا له و ساترا.

(لم يقرب من الأشياء بالتصاق و لم يبعد عنها بافتراق) إشاره إلى أنّ قربه و بعده بالنسبه إلى الأشياء ليس على نحو الالتصاق و الافتراق كما هو المتصوّر فى الأجسام، بل على وجه آخر تقدّم تحقيقه فى شرح الفصل الخامس و السادس من الخطبه الاولى، و فى شرح الخطبه التاسعه و الأربعين.

(لا يخفى عليه) سبحانه شيء من مخلوقاته، بل هو عالم بها كليّاتها و جزئيّاتها، ذواتها و ماهيّاتها، عوارضها و كيفيّاتها، و صفاتها و حالاتها، فلا يعزب عنه (من عباده شخوص لحظه) أى مدّ البصر من دون حركه جفن (و لا كرور لفظه) أى رجوعها و اعادتها (و لا ازدلاف ربوه) الظّاهر أنّ المراد مجيء انسان إليها فى زلف من اللّيل أو تقدّمهم أى صعودهم إليها.

قال الشّارح البحرانى: ازدلاف الرّبوه تقدّمها و أراد الرّبوه المتقدّمه أى فى النّظر و الباديه عند مدّ العين، فانّ الرّبى أوّل ما يقع فى العين من الارض انتهى و هو تفسير بارد سخيف، و المتبادر ما قلناه مضافا إلى أنّ سوق كلام المفيد لكون الشّخوص و الكرور و الانبساط فى قوله (و لا انبساط خطوه) صفه للعباد كون الازدلاف أيضا من صفاتهم لا من صفات نفس الرّبوه كما هو مقتضى تفسير الشّارح على أنّ غرض أمير المؤمنين عليه السّلام من تعداد هذه الصّفات الاشاره إلى خفايا أوصاف العباد و حالاتهم، و تقدّم الرّبوه فى النظر ليس شيئا مخفيّا فافهم(۱)

۱- (۱) اشاره الى أنّ عدم خفاء تقدّم الربوه فى الناظر بالنسبه الى نفس الناظر، و أما ادراك غير الناظر لذلك التقدم فلا، بل هو أخفى شيء بالنسبه اليه كما لا يخفى. منه ره.

و بالجمله فالمقصود بـذلک کلّه تمجیـد اللّه باعتبار إحاطه علمه و عـدم خفاء شـیء من هـذه الامور علیه سـبحانه (فی لیل داج) ظلمـانی (و لاـ غسق سـاج) سـاکن کمـا یخفی فیهمـا علی غیره تعـالی، و ذلـک لأنّ معرفه غیره تعالی بهـذه الأشـیاء من العباد و إدراکه لها إنّما هو بواسطه آلات جسمانیّه کالباصره(۱) و السامعه و نحوها، و أقویها الباصره، و الظلمه مانعه عن ادراکها البتّه، و أمّـا اللّه الحیّ القیّوم فلاـ یتفاوت علمه بالنسـبه إلی نهار و لیل، و شـهاده و غیب بل یعلم السرّ و أخفی «وَ عِنْـدَهُ مَفاتِـحُ الْغَیْبِ لا یَعْلَمُهـا إِلاّـ هُوَ وَ یَعْلَمُ ما فِی الْبَرِّ وَ الْبَحْرِ وَ ما تَسْـقُطُ مِنْ وَرَقَهٍ إِلاّ یَعْلَمُها وَ لا حَبَّهٍ فِی ظُلُماتِ الْأَرْضِ وَ لا رَطْبٍ وَ لا یابِسٍ إِلاّ فِی کِتابٍ مُبِینٍ ».

(یتفیّـاء علیه القمر المنیر) أی یتقلّب علی الغسـق القمر المنیر ذاهبـا و جائیـا فی حـالتی أخـذه فی الضّـوء إلی التّبـدّر و أخـذه فی النّقص إلی المحـاق (و تعقبه) أی القمر (الشـمس ذات النّور) أی تعـاقبه (فی الافول و الکرور) یعنی أنّها تطلع عنـد أفوله و یطلع عنـد افولهـا (و تقلیب الأزمنه و الـدّهور من إقبال لیل مقبل و إدبار نهار مـدبر) أی أنّهما یتعاقبان و یجیء أحـدهما بعـد الاخر و یقلّبان الأزمان و یجعلان اللّیل نهارا و النّهار لیلا.

ثمّ عـاد إلی وصـفه سـبحانه أیضـا بقوله (قبل کلّ غایه و مـدّه و کلّ إحصاء و عـدّه) لأنّه سـبحانه خالق الکلّ و موجـده و مبـدئه فـوجب تقـدّمه و قبلیّتـه علیـه جمیعـا (تعـالی) و تقـدّس (عمّـا ینحلـه) و یعطیه (المحـدّدون) الجـاعلون له حـدودا من المشـبّهه و المجسّـمه (من صـفات الأقـدار) أی المقادیر (و نهایات الأقطار) طولا و عرضا و صـغرا للحجم و کبرا (و تأثّل المساکن و تمکّن الأماکن) أی اکتساب

۱- (۱) ادراک الباصره بالنسبه الی شـخوص اللحظه و ازدلاـف الربوه و انبسـاط الخطوه، و ادراک السـامعه بالنسبه الی کرور اللفظه، و یمکن ادراک بعضها باللاّمسه أیضا فی الجمله کما لا یخفی و الیه أشرنا بقولنا و نحوها، منه رحمه اللّه.

المساكن و استقرار الأحياز و نحوها ممّا هو من صفات المخلوقات المنزّه المتعالى عنها خالق الأرض و السماوات تنزّها ذاتيا و علوّا كبيرا.

(فالحدّ لخلقه مضروب و إلى غيره منسوب) يعنى أنه سبحانه جاعل الحدود و النهايات و مبدئها و موجدها فأبدئها و ضربها لمخلوقاته و أضافها إلى مبدعاته و جعل لكلّ منها حدا معيّنا و قدرا معلوما، فهى أوصاف للممكنات و حضره القدس مبرّاه عنها.

روى فى الكافى عن سهل بن زياد عن بشر بن بشّار النّيشابورى قال: كتبت إلى الرّجل أنّ من قبلنا قد اختلفوا فى التّوحيد فمنهم من يقول إنّه جسم و منهم من يقول إنّه صوره، فكتب عليه السّلام سبحان من لا يحدّ و لا يوصف و لا يشبهه شيء و ليس كمثله شيء و هو السّميع البصير.

(لم يخلق الأشياء من اصول أزليّه و لا ـ من أوائل أبديّه) قال العلاّمه المجلسيّ ردّ على الفلاسفه القائلين بالعقول و الهيولى القديمه.

و قال الشّارح المعتزلى: الردّ فى هذا على أصحاب الهيولى و الطّينه الّتى يزعمون قدمها و قيل: إنّ معناه ليس لما خلق أصل أزليّ أبديّ خلق منه من مادّه و صوره كما زعمت الفلاسفه.

و قال الشّارح البحرانى: إنّه لم يخلق ما خلق على مثال سبق يكون أصلا.

و محصّل ما ذكروه أنّ خلقه للأشياء على محض الابداع و الاختراع و أن لا مبدء لصنعه إلاّ ذاته، إذ لو كان خلقه لها مسبوقا بمادّه أو مثال فان كانا قديمين لزم تعدّد القدماء، و إلاّ لزم التسلسل فى الأمثله و الموادّ.

و أوضح هذا المعنى بقوله (بل خلق ما خلق فأقام حدّه و صوّر ما صّور فأحسن صورته) يعنى أنّه المخترع لاقامه حدود الأشياء على ما هى عليها من المقادير و الاشكال و النهايات و الاجال و الغايات على أبلغ نظام. و مصوّرها على أحسن اتقان و إحكام (ليس لشىء منه امتناع) لعموم قدرته و غايه قهره و قوّته (و لا له بطاعه شيء انتفاع) إذ هو الغنىّ المطلق عمّا عداه و المتعالى عن الافتقار إلى ما سواه،

فلو كان منتفعا بطاعه مخلوقاته لزم أن يكون مستكملا بغيره فاقدا للكمال بذاته.

و هو أيضا (علمه بالأموات الماضين كعلمه بالأحياء الباقين) لأنّه لا يتفاوت علمه بالنّسبه إلى الحاضرين الموجودين و الغائبين المعدومين كما يتفاوت فى حقّنا و ذلك لأنّ علمنا بالأشياء من الأشياء كما أنا نعلم قبل وجود زيد أنّ زيدا معدوم، فاذا وجد نعلم أنّه موجود ثمّ إذا عدم بعد وجوده نعلم أنّه كان موجودا فقد تغيّر علمنا بتغيّر المعلوم و حصل التّفاوت بين الحالين و منشأ ذلك أنّ علمنا زمانى لأنه مستفاد من الموجودات و أحوالها و أمّا اللّه الحىّ القيّوم فهو إنّما يعلم كلّ شىء جزئىّ أو كلىّ من ذاته و لا يجوز أن يكون يعلم الأشياء من الأشياء، و إلاّ يلزم أن يستفيد علمه من غيره و يكون لو لا امور من خارج لم يكن عالما فيكون لغيره تأثير فى ذاته، و الاصول الالهيّه تبطل ذلك مضافا إلى استلزامه التّغيّر فى ذاته بتغيّر معلوماته.

(و) من ذلك علم أيضا أنّ (علمه بما فى السّماوات العلى كعلمه بما فى الأرضين السّفلى) من دون تفاوت بينهما و أمّا غيره تعالى من أهل الأرض فعلمهم بما فى الأرضين أقوى من علمهم بما فى السّماوات، كما أنّ أهل السّماوات أعلم بها من أهل الأرض، و منشأ ذلك التّفاوت تفاوت الأمكنه كما أنّ منشأ التفاوت فيما سبق تفاوت الأزمنه قربا و بعدا.

و بالجمله لما كان نسبه ذات البارى إلى جميع أجزاء الزّمان و الزّمانيّات و جميع أصقاع المكان و المكانيّات على حدّ سواء، كان علمه بالنسبه إلى الجميع كذلك ثمّ خاطب الانسان بما فيه من بدايع الصّنع و عجايب الابداع ليتخلّص منه إلى عظمه المبدع سبحانه و كمال قدرته و جلاله فقال (أيّها المخلوق السّوىّ) أى مستقيم القامه معتدل الخلقه (و المنشاء المرعى) المحفوظ (فى ظلمات الأرحام و مضاعفات الأستار) العطف كالتفسير و المراد بها ما اشير إليه فى قوله:«يخلقكم فى بطون امّهاتكم خلقاً من بعد خلق فى ظلمات ثلث» أى ظلمه البطن و الرّحم و المشيمه أو الصّلب و الرّحم و البطن و الأوّل مروىّ عن أبى جعفر عليه السّلام.

(بدئت من سلاله من طين و وضعت فى قرار مكين) قال الشّارح المعتزلى

ص:۲۵

الكلام الأوّل لادم الّذى هو أصل البشر، و الثانى لذرّيته.

أقول: بل كلاهما لذرّيته كما عرفته فى شرح الفصل السّابع من فصول الخطبه الثّانيه و الثّمانين، و المراد بالقرار المكين الرّحم متمكّنه فى موضعها برباطاتها، لأنّها لو كانت متحرّكه لتعذّر العلوق أى وضعت فى الرّحم منتهيا (إلى قدر معلوم و أجل مقسوم) قال الشّارح المعتزلى: أى مقدار معلوم طوله و شكله إلى أجل مقسوم مدّه حياته.

أقول: بل الظّاهر أنّ المراد بالأجل المقسوم هو المدّه المضروبه لبقائه فى الرّحم من سبعه أشهر أو تسعه و نحوهما، و بالقدر المعلوم هو صغر حجمه و كبره و مقدار قطره طولا و عرضا إذ كان جنينا فى بطن أمّه، لا الحياه المقسوم له فى الدّنيا و مقداره المعلوم فيها كما زعمه الشّارح لأنّه عليه السّلام لم ينتقل بعد إلى بيان نشائته الدّنياويّه كما يؤمى إليه قوله (تمور فى بطن أمّك جنينا) أى تضطرب و تتحرّك فيه (لا تحير دعاء و لا تسمع نداء) أى لا تقدر على أن تردّ جوابا لدعوه من دعاك، و على محاورته كما لا تقدر على سماع ندائه.

(ثمّ اخرجت من مقرّك) أى القرار المكين (إلى دار لم تشهدها) أى الدّار الّتى لم تكن شاهدتها قبل خروجك إليها (و لم تعرف سبل منافعها) ثمّ اهتديت إليها.

(فمن هداك لاجترار الغذاء من ثدى امّك) و لالتقام حلمه الثدى و امتصاصها (و عرّفك عند الحاجه مواضع طلبك و إرادتك) و معلوم أنّ الهادى للاجترار و المعرّف لمحالّ الطلب ليس إلاّ اللّه سبحانه، فالغرض من الاستفهام التّنبيه على وجود الخالق الهادى إلى المطالب، و المرشد إلى المارب، و هذا القدر من العلم بالصّانع ضروريّ فى النّفوس و إن احتاج إلى أدنى تنبيه و ما وراء ذلك بمعنى صفات الكمال و نعوت الجلال امور لا تطّلع عليها العقول البشريّه بالكنه.

و إليه أشار بقوله (هيهات) أى بعد الوصول إلى كنه معرفه الخالق و الغور فى تيّار بحار جلاله و كبريائه ف (انّ من يعجز عن) معرفه (صفات) نفسه فى حال

ص:۲۶

تخليقه و الاطّلاع على منافع أجزائه و أعضائه و معرفه من هو مثله من ساير (ذى الهيئه و الادوات) و الجوارح و الالات مع كونها محسوسه مشاهـده له (فهو عن) معرفه (صـفات خالقه) الّتى هى أبعد الأشياء مناسـبه له (أعجز و من تناوله بحدود المخلوقين) و إدراكه له سبحانه بالمقايسه إليهم و التشبيه بهم (أبعد) كما هو ظاهر بالعيان، غنىّ عن البيّنه و البرهان.

الترجمه

از جمله خطب شريفۀ آن حضرتست در حمد و ثناى خداوند ذو الجلال و وصف او با صفات عز و كمال مى فرمايد:

حمـد و سـتايش معبود بحقّى را سـزاست كه خالق بندگانست و گسترانندۀ زمين، و روان كنندۀ زمينهاى نشـيب است بباران، و فراخ سالى دهنـدۀ زمينهاى بلنـد است برويانيدن گياهان، نيست أوّليت او را ابتدائى، و نه ازليّت او را نهايت و انتهائى، او اسـت أوّل بى زوال، و باقى بى غايت، افتادند از براى سجدۀ او پيشانيهاى مكلّفان، و بتوحيد او مشغول شد لبهاى پيران و جوانان، حدّ معيّنى قرار داد همه أشـياء را هنگام آفريـدن آنها بجهه ابداء مباينه و جدائى خود از مشابهت آنها، تقدير و تشـخيص نمى تواند بكنـد او را و همهـا بنهايتها و حركتها، و نه بعضوها و آلتها، گفته نمى شود كه او از كيست بجهه تنزّه او از احاطۀ زمان، و زده نمى شود از براى او مـدّتى بكلمه حتّى كه افادۀ انقضاء و انتها مى نمايد، ظاهر است گفته نمى شود از چه ظاهر شد بجهت اين كه منزّهست از مادّه و امكان، و پنهانست گفته نمى شود كه در چه پنهانست بجهه اين كه مبرّ است از مكان، نه جثّه و جسـمى است كه فانى و منقضـى بشود، و نه مستور است و محجوب كه چيزى بر او احاطه نمايد نزديك نيست بأشياء بچسبيدن، و دور نيست از آنها بجـدا شدن، پنهان نمى ماند بر او از بندگان مدّ بصـرى، و نه مكرّر كردن لفظى و خبرى، و نه بلند شدن ايشان به پشـتۀ كوهى، و نه گستردن گـامى در شب تاريك، و نه در ظلمت برقرار كه بر مى گردد بان ظلمت و تاريكى ماه نور بخش و در عقب ماه مى آيد آفتاب صاحب نور

ص:٢٧

در غروب و رجوع، و در برگدانیدن آن زمانها و روزگارها که عبارتست از اقبال کردن شب اقبال کننده، و از ادبار نمودن روز ادبار نماینده، موجود است پروردگار عالم پیش از هر نهایتی و مدّتی، و قبل از هر شمردنی و تعدادی، منزّهست از آنچه که بخش می کنند باو تحدید کنندگان او از صفتهای مقدارها، و از جوانب قطرها و از کسب نمودن مسکنها، و تمکّن یافتن وطنها، پس حدّ و نهایت مر خلق او را زده شده و بسوی غیر او نسبت داده شده، نیافرید چیزها را از أصلهائی که ازلی باشد، و نه از اوّلهائی که ابدی باشد، بلکه آفرید آنچه که آفرید پس بر پا داشت حدّ آنرا، و تصویر نمود آنچه که تصویر فرمود پس نیکو گردانید صورت آنرا، نیست هیچ چیز را از امر او امتناعی، و نیست مر او را بطاعت چیزی انتفاعی علم او بر مردگان گذشتگان مثل علم او است بر زندگان باقی ماندگان، و احاطه او بان چیزی که در آسمانهای بلندها است مثل احاطهٔ او است بچیزهائی که در زمینهای پستهاست.

از جملهٔ فقرات این خطبه است می فرماید:

أی مخلوقی که مستوی الأعضا است و ایجاد شده که محفوظ بوده است در ظلمتهای رحمها و در پردهای متضاعفه، ابتدا کرده شدی از خلاصهٔ گل، و نهاده شدی در قرار محکم تا اندازهٔ معلوم و مدّت قسمت کرده شده در حالتی که مضطرب بودی در شکم مادر خود در حالت بچگی که نمی توانستی جواب بدهی دعوت کننده را، و نمی توانستی بشنوی طلب نماینده را، پس از آن بیرون آورده شدی از قرارگاه خودت بسوی خانهٔ که ندیده بودی آن را، و نه شناخته بودی راههای منافع آنرا پس که هدایت نمود ترا به کشیدن غذا از پستان مادرت؟ و شناساند تو را هنگام احتیاج تو مواضع طلب تو و اراده تو را؟ خیلی دور است معرفت ذات او از جهت این که کسی که عاجز بشود از معرفت صفات صاحب صورت و أعضا، پس از معرفت صفات آفرینندهٔ خود عاجزتر است، و از ادراک ذات او بحدود و نهایاتی که مخلوقات راست دورتر و مهجورتر.

و من كلام له عليه السّلام و هو المأه و الثالث

اشاره

و الستون من المختار فى باب الخطب

و قـد رواه فى شـرح المعتزلى عن أبى جعفر محمّـد بن جرير الطّبرى مثل ما أورده السّـيد هنا مع إضافات تطّلع عليه، و قـد تكلّم بـذلك الكلام لمّا اجتمع النّاس عليه و شـكوا ممّا نقموه على عثمان، و سألوه مخاطبته عنهم و اسـتعتابه لهم، فـدخل عليه السّـلام عليه فقال:

إنّ النّـاس ورائى و قـد استسـفرونى بينـك و بينهم، و و اللّه ما أدرى ما أقول لك، ما أعرف شـيئا تجهله، و لا أدلّك على أمر لا تعرفه، إنّك لتعلم ما نعلم، ما سـبقناك إلى شيء فنخبرك عنه، و لا خلونا فنبلّغكه، و قد رأيت كما رأينا، و سمعت كما سمعنا و صحبت رسول اللّه صـلّى اللّه عليه و آله و سـلّم كما صحبنا، و ما ابن أبى قحافه و لا ابن الخطّاب أولى بعمل الحقّ منك، و أنت أقرب إلى رسول اللّه صـلّى اللّه عليه و آله و سلّم وشيجه رحم منهما، و قد نلت من صهره ما لم ينالا، فاللّه اللّه فى نفسك فإنّك و اللّه ما تبصّـر من عمى، و لا تعلّم من جهل، و إنّ الطّرق لواضـحه، و إنّ أعلام الـدّين لقائمه، فاعلم أنّ أفضل عباد اللّه عنـد اللّه إمام عادل هدى و هدى، فأقام سنّه معلومه، و أمات بدعه

مجهوله، و إنّ السّـِنن لنيّره لها أعلام، و إنّ البدع لظاهره لها أعلام، و إنّ شـرّ النّاس عند اللّه إمام جائر ضلّ و ضلّ به، فأمات سنّه مأخوذه و أحيى بدعه متروكه. و إنّى سـمعت رسول اللّه صـلّى اللّه عليه و آله و سلّم يقول: يؤتى يوم القيمه بالإمام الجائر و ليس معه نصير و لا عاذر فيلقى فى نار جهنّم فيدور فيها كما تدور الرّحى ثمّ يرتبط فى قعرها. و إنّى أنشدك أن تكون إمام هذه الامّه المقتول فإنه كان يقال:

يقتـل فى هـذه الامّه إمام يفتـح عليها القتل و القتال إلى يوم القيمه و يلبّس أمورها عليها و يبثّ الفتن فيها فلا يبصـرون الحقّ من الباطل، يموجون فيها موجا، و يمرجون فيها مرجا، فلا تكوننّ لمروان سيّقه يسوقك حيث شاء بعـد جلال السّنّ و تقضّـی العمر. فقال له عثمان: كلّم النّاس فى أن يؤجّلونى حتّى أخرج إليهم من مظالمهم، فقال عليه السّلام:

ما كان بالمدينه فلا أجل فيه، و ما غاب فأجله وصول أمرك إليه.

اللغه

(نقمت) عليه أمره و نقمت منه نقما من باب ضرب و نقوما و من باب تعب لغه إذا عتبته و كرهته أشدّ الكراهه لسوء فعله و (الاستعتاب) طلب العتبى و هو الرّضا و الرّجوع و (الوشيجه) عرق الشّجره و الواشجه الرّحم المشتبكه و قد وشجت بک قرابه فلان، و الاسم الوشيج كما عن الصّحاح و (يرتبط) أى يشدّ و عن بعض النسخ يرتبک بدلها أى ينشب و (يلبّس) امورها من التلبيس و فى بعض النّسخ تلبس أمورها من اللّبس بالضمّ و هو الاشكال و (مرج) أمره اختلط و اضطرب و منه الهرج و المرج و (السيّقه) بتشديد الياء المكسوره ما استاقه العدوّ من الدّوابّ و (جلّ) يجلّ جلاله و جلالا أسنّ.

الاعراب

الواو فى قوله: و أنت أقرب، للحال و تحتمل العطف، و الجمله فى معنى التّعليل لسابقه كما هو ظاهر، و وشيجه رحم منسوب على التّميز، و اللّه اللّه منصوبان على التحذير، و جمله يموجون فيها اه تأكيد معنوىّ لسابقتها و لذلک ترک العاطف و الفاء فى قوله: فلا تكوننّ، فصيحه.

المعنى

اشاره

اعلم أنّه قد تقدّم فى شرح الفصل الرّابع من الخطبه الثالثه و التّذييل الثّانى من شرح الكلام الثّالث و الأربعين أنّ عثمان أحدث فى الدّين أحداثا، و أبدع بدعا، و استعمل الفسّاق و أرباب الظلم على الأمصار، و تقدّم فى شرح الكلام الثّلاثين أنّه لمّا شاع الظلم و الفساد منه و من عمّاله فى المدينه و ساير البلاد أوجب ذلک إجلاب النّاس عليه و تحريض بعضهم بعضا على خلعه من الخلافه و قتله و أقول هنا: إنّه لمّا تكاثرت أحداثه و تكاثر طمع الناس فيه كتب جمع من أهل المدينه من الصحابه و غيرهم إلى من بالافاق إنكم كنتم تريدون الجهاد فهلمّوا إلينا فانّ دين محمّد قد أفسده خليفتكم فاخلعوه، فاختلف إليه القلوب وجاء المصريّون و غيرهم إلى المدينه فاجتمعوا إلى أمير المؤمنين عليه السّلام و كلّموه و سألوه أن يكلّم عثمان.

ص:۳۱

و (لما اجتمع الناس اليه و شكوا ممّا نقموه) و كرهوه (على عثمان و سألوا) منه عليه السّلام (مخاطبته عنهم و استعتابه لهم) أى أن يطلب لهم منه الرّجوع إلى الحقّ و الارتداع عن أحداثه و الاقلاع عن بدعه، استجاب عليه السّلام مسئلتهم (فدخل عليه) و كلّمه بما أورده السيد (ره) فى الكتاب.

و قد رواه عنه عليه السّلام أيضا محمّد بن جرير الطبرى فى تاريخه الكبير كما فى شرح المعتزلى قال: إنّ نفرا من أصحاب رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله تكاتبوا فكتب بعضهم إلى بعض أن اقدموا فانّ الجهاد بالمدينه لا بالرّوم، فاستطال الناس على عثمان و نالوا منه فى سنه أربع و ثلاثين و لم يكن أحد من الصحابه يذبّ عنه و لا ينهى إلاّ نفر منهم زيد بن ثابت و أبو أسيد الساعدى و كعب بن مالك و حسّان بن ثابت، فاجتمع الناس فكلّموا عليّ بن أبى طالب و سألوه أن يكلّم عثمان فدخل عليه (فقال عليه السّلام) له:

(إنّ الناس ورائى و قد استسفرونى) أى اتّخذونى سفيرا (بينك و بينهم و و اللّه ما أدرى ما أقول لك) و بأىّ لسان أتكلّم معك يؤثّر فيك (ما أعرف شيئا تجهله و لا أدلّك على أمر لا تعرفه) يعنى أنّ قبايح هذه الأعمال و فضايح تلك البدعات ليست بحيث تختفى على أحد، بل هى واضحه للصبيان غنيّه عن التنبيه و البيان.

و هذا هو مراده أيضا بقوله (إنك لتعلم ما نعلم) أى تعلم من شناعه تلك الأحداث خاصّه ما نعلمه، و ليس المراد بيان وفور علمه و أنه يعلم كلّما يعلمه عليه السّلام كما توهّمه البحرانى حيث قال: و حاصل الكلام استعتابه باللّين من القول فأثبت له منزلته من العلم أى بأحكام الشريعه و السنن المتداوله بينهم فى زمان الرّسول صلّى اللّه عليه و آله و الظهور على كلّ ما ظهر عليه من مرئىّ و مسموع.

(و ما سبقناك إلى شيء فنخبرك عنه و لا خلونا بشيء فنبلّغكه) يعنى أنك قد أدركت من صحبه الرّسول ما أدركناه، و عرفت من سيره و سلوكه و سياساته المدنيّه ما عرفناه، لم نكن منفردين بذلك، و لم تكن غايبا عن شيء منه حتى نبلّغكه و ندلّك عليه ج. «۲»

ص:۳۲

و أكّد ذلك بقوله (و قد رأيت كما رأينا و سمعت كما سمعنا و صحبت رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله كما صحبنا) ثمّ خرج إلى ذكر الشيخين تهييجا له و الهابا فقال (و ما) أبو بكر (ابن أبى قحافه و لا) عمر (ابن الخطاب بأولى بعمل الخير) و فى بعض النسخ بعمل الحقّ (منك و) ذلك لأنك (أنت أقرب إلى رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم وشيجه رحم منهما) أى من حيث النسب فأنت أولى بالتأسّى به من غيره و الأخذ بسنّته صلّى اللّه عليه و آله و سيرته.

و إنّما جعله أقرب نسبا لاشتراكه مع رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم فى الجدّ الأدنى أعنى عبد مناف، فانّ رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم هو ابن عبد اللّه بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف، و عثمان هو ابن عفّان بن أبى العاص بن أميّه بن عبد شمس بن عبد مناف.

و أمّا هما فيشتركان معه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم فى الجدّ الأعلى أعنى كعب بن لوى، فانّ عبد مناف هو ابن قصىّ بن كلاب بن مرّه بن كعب، و أبا بكر بن أبى قحافه: عثمان ابن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم بن مرّه بن كعب، و عمر بن الخطّاب: ابن نفيل ابن عبد العزى بن رياح بن عبد اللّه بن قرط بن زراح بن عدىّ بن كعب، هذا.

و لا يخفى عليك أنّ تشريك الثلاثه مع النبىّ صلّى اللّه عليه و آله فى النسب إنّما هو بحسب الظاهر و من باب المماشاه و جريا بما هو المعروف عند الناس، و إلاّ فقد علمت فى شرح الفصل الثانى من الخطبه الثّالثه الطعن فى نسب عمر، و فى شرح الكلام السادس و السبعين الطّعن فى نسب عثمان و ساير بنى اميّه فتذكّر.

ثمّ أثبت له القرب بالمصاهره فقال (و قد نلت من صهره صلّى اللّه عليه و آله ما لم ينالا) لأنّه قد تزوّج رقيّه بنت النبىّ صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و بعد موتها عقد على بنته الاخرى أمّ كلثوم، و لذلک لقّب عند العامه بذى النورين، و أمّا عند أصحابنا فظلمه فى حقهما مشهور و الأخبار بذلک عن طريق أهل البيت مأثور.

قال المحدّث الجزائرى: إنّ طوايف العامّه و الخاصّه رووا أنّ عثمان قد ضرب رقيه زوجته ضربا مبرحا أى مؤلما حتى أثرت السياط فى بدنها على غير جنايه تستحقّها و لما أتت النبىّ صلّى اللّه عليه و آله شاكيه تكلّم عليها، و قال صلّى اللّه عليه و آله و سلّم: لا يليق بالمرأه أن تشكو

من زوجها و أمرها بالرّجوع إلى منزله، ثمّ كرّر عليه الضرب فأتت النبىّ صلّى اللّه عليه و آله ثمّ ردّها، ثمّ ضربها الضرب الذى كان السبب فى موتها فأمر النبىّ صلّى اللّه عليه و آله عليّا أن يخرجها من منزل عثمان فأتى بها إلى بيت النبىّ صلّى اللّه عليه و آله و ماتت فيه.

ثمّ حذّره عليه السّلام من اللّه سبحانه و خوّفه من عقابه فقال (فاللّه اللّه فى) شأن (نفسك فانك و اللّه ما تبصّر من عمى و لا تعلّم من جهل) أى لا تحتاج إلى التبصره و التعليم (و) الحال (أنّ الطرق) أى طرق الشرع المبين (لواضحه و أنّ أعلام الدّين لقائمه) و الاتيان بالجملات مؤكّده بانّ و اللاّم و غيرهما لعدم جرى المخاطب بمقتضى علمه.

و لذلك شدّد التأكيد بالتنبيه على فضل الامام العادل على الامام الجائر تنفيرا له عن الجور و ترغيبا إلى العدل فقال (فاعلم أنّ أفضل عباد اللّه إمام عادل هدى) بنور الحقّ (و هدى) غيره كما قال سبحانه: «وَ مِمَّنْ خَلَقْنا أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَ بِهِ يَعْدِلُونَ » قال أبو عبد اللّه عليه السّلام فى روايه عبد اللّه بن سنان: هم الأئمه صلوات اللّه عليهم (فأقام سنّه معلومه) بالتصديق على حقّيتها و القيام بوظايفها (و أمات بدعه مجهوله) بالتنبيه على بطلانها و الارتداع عنها (و أنّ السنن) النبويّه و الشرائع المصطفويّه (لنيّره لها أعلام) و منار (و أنّ البدع) المستحدثه (لظاهره لها أعلام) و آثار لا يخفى ما فى حسن التعبير و الخطابه بالنيّره فى السنّن و بالظاهره فى البدع.

(و انّ شرّ الناس عند اللّه إمام جائر ضلّ) فى نفسه (و ضلّ) غيره (به) كما قال تعالى: «وَ مَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَواهُ بِغَيْرِ هُدىً مِنَ اللّهِ » قال الصادق عليه السّلام فى روايه معلّى بن خنيس: هو من يتّخذ دينه برأيه بغير هدى إمام من أئمه الهدى (فأمات سنّه ماخوذه) و سعى فى إطفاء نور الحقّ (و أحيا بدعه متروكه) و جدّ فى ترويج الباطل، هذا.

و تقسيم الامام على القسمين أعنى الامام العادل و الامام الجائر قد ورد فى الكتاب العزيز و غير واحد من الأخبار.

مثل ما رواه فى البحار من تفسير علىّ بن إبراهيم باسناده عن جعفر بن محمّد

عن أبيه عليهما السّلام قال: الأئمه فى كتاب اللّه إمامان: إمام عدل و إمام جور، قال اللّه:

«وَ جَعَلْنا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنا »، لا بأمر الناس يقدّمون أمر اللّه قبل أمرهم و حكم اللّه قبل حكمهم، و قال و جعلناهم أئمّه يدعون إلى النار يقدّمون أمرهم قبل أمر اللّه و حكمهم قبل حكم اللّه و يأخذون بأهوائهم خلافا لما فى كتاب اللّه.

و فيه من بصاير الدّرجات مسندا عن أبى بصير عن أبى عبد اللّه عليه السّلام قال: لا يصلح الناس إلا إمام عادل و إمام فاجر إنّ اللّه عزّ و جلّ قال: «وَ جَعَلْنا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنا »، و قال: «وَ جَعَلْناهُمْ أَئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَى النّارِ ».

ثمّ إنّه شدّد التنفير عن الجور بالتّنبيه على عقوبه الامام الجائر بما رواه عن النبىّ صلّى اللّه عليه و آله فقال (و إنّى سمعت رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم يقول: يؤتى يوم القيامه بالامام الجائر و ليس معه نصير) ينجيه من نار الجحيم (و لا عاذر) يدفع عنه العذاب الأليم (فيلقى فى نار جهنّم فيدور فيها كما تدور الرّحى ثمّ يرتبط) و يشدّ (فى قعرها) فلا يكون له مخلص و لا منجاه عنها.

ثمّ حذّره عن القتل بما لاح له عليه السّلام من الأسباب المؤدّيه إليه فقال:(و انّى انشدك اللّه) أى أسئلك و أقسم عليك (أن تكون إمام هذه الامّه المقتول) أراد الامام الدّاعى إلى النّار (فانّه كان يقال) الظّاهر أنّ القائل هو النبىّ صلّى اللّه عليه و آله و أبهم لاقتضاء المصلحه (يقتل فى هذه الامّه إمام يفتح عليها) أى على هذه الامّه (باب القتل و القتال إلى يوم القيامه) بقتله (و يلبّس امورها عليها) أى يدلّس ذلك الامام و يلبّس امور الأمه عليهم و يوقعهم فى اللّبس و الاشكال (و يبثّ الفتن) و ينشرها (فيها فلا يبصرون الحقّ من الباطل يموجون فيها) أى فى تلك الفتن (موجا و يمرجون) أى يختلطون و يضطربون (فيها مرجا).

أقول: و قد وقع مصداق هذا الخبر الذى رواه أمير المؤمنين عن النبىّ صلّى اللّه عليه و آله و سلّم على طبق ما رواه، فانّ عثمان لما ولّى و أوطأ رقاب الناس بنى أبى معيط و بنى اميه و ولّاهم على البلاد انتشر الهرج و المرج و الفساد، و تظاهر الفتن، و انجذم حبل الدّين، و تزعزع سوارى اليقين، و خمل الهدى، و شمل العمى، و ضاق المصدر

و عمی المخرج، حتّی اشتدّ الظلم و المحن و البلوی، و بلغ الغایه القصوی کما قال عزّ من قائل «فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَ تُقَطِّعُوا أَرْحامَكُمْ ».

(۱) إلی أن انتکث علی عثمـان فتله، و اجهز علیه عمله، و کبت به بطنته، و قتل شـرّ قتله، فکان قتله عنوانا للناکثین و القاسـطین و المـارقین، و انفتـح علی الأـمه بـاب القتـل و القتـال و التخاصم و الجـدال إلی أن قام ابن أبی سـفیان و آل حرب حزب الشـیطان بالخلافه، و اسـتقلّ بالإماره، فمنحه الدّنیا درّها، و أوردته صـفوها، فتمادی فی الظلم و الطغیان، و لم یدع للّه محرّما إلّا استحله، و لا عقـدا إلا حلّه، حتّی لم یبق بیت مدر و لا وبر إلّا دخله ظلمه، و نبا به سوء رعیه، فقتل من المهاجر و الأنصار و سایر المسـلمین مأئه ألف أو یزیـدون، و حذا حذوه ابنه اللعین، فقتل بالطفّ سـبط سـید المرسـلین و أنصاره المظلومین، و تبعهم سایر بنی امیه و بنی مروان «اَلَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَتَ اللّهِ كُفْراً وَ أَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دارَ الْبَوارِ جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَها وَ بِئْسَ الْقَرارُ »(۲).

ثمّ إنه لما محض النصح لعثمان و أراه وجه الصواب و السداد و دلّه علی نهج الحقّ و الرّشاد و حذّره من القتل، و کان مروان بن الحکـم اللّعین طریـد رسـول ربّ العـالمین أقوی الأسـباب البـاعثه لنکیه عن طریـق الحـقّ إلی البـاطـل و الضـلال، و لایقـاعه فی المعاطب و المهالک. لا جرم نهاه عن اتّباعه و الرّجوع إلیه و الأخذ برأیه و قال (فلا تکوننّ سـیّقه لمروان یسوقک حیث شاء بعد جلال السنّ) و کبره (و تقضّی العمر) و فنائه.

(فقـال له عثمـان کلّم الناس فی أن یؤجّلونی) أی یمهلونی (حتّی أخرج الیهم من مظالمهم) و أردّ ظلامتهم (فقال علیه السّـلام ما کان بالمدینه فلا أجل فیه و ما غاب

۱- (۱) فی البحار عن الثعلبی فی قوله: «فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ» الایه نزلت فی بنی امیه و بنی هاشم.أقول: یعنی من بنی هاشم بنی العباس خاصه کما هو ظاهر. منه.

۲- (۲) فی البحـار عن العیاشـی عن مسـلم المنشوف عن علیّ بن أبی طـالب (علیه السـلام) فی قـوله تعـالی «وَ أَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دارَ الْبَوارِ» قال هما الأفجران من قریش بنو امیه و بنو المغیره. منه.

فأجله وصول أمرك اليه) قال الشارح المعتزلى: هذا كلام فصيح لأنّ الحاضر أىّ معنى لتأجيله و الغايب فلا عذر بعد وصول الأمر فى تأخيره، لأنّ السلطان لا يؤخّر أمره.

تكمله

فى الشرح بعد روايته عن محمّد بن جرير الطبرى فى تاريخه تمام هذه المخاطبه بين أمير المؤمنين عليه السّلام و بين عثمان حسبما أشرت إليه و أنهاها إلى آخرها قال:

فقال عثمان: و قد علمت أنك لتقولنّ ما قلت أما و اللّه لو كنت مكانى ما عنّفتك و لا عبت عليك و لم آت منكرا إنّما وصلت رحما و سددت خلّه و أويت ضايعا و ولّيت شبيها بمن كان عمر يولّيه، انشدك اللّه يا علىّ ألا تعلم أنّ مغيره بن شعبه ليس هناك؟ قال: بلى، قال: أفلا تعلم أنّ عمر ولاّه؟ قال: بلى، قال: فلم تلومنى إن ولّيت ابن عامر فى رحمه و قرابته؟.

فقال علىّ عليه السّلام إنّ عمر كان يطاء على صماخ من يولّيه ثمّ يبلغ منه إن أنكر منه أمرا أقصى العقوبه و أنت فلا تفعل ضعفت و رقبت على أقربائك.

قال عثمان: أ فلا تعلم أنّ عمر ولّى معاويه فقد ولّيته.

قال علىّ عليه السّلام انشدك اللّه أ لا تعلم أنّ معاويه كان أخوف لعمر من يرفاء غلامه له؟ قال: بلى، قال فانّ معاويه يقطع الامور دونك و يقول للنّاس هذا بأمر عثمان و أنت تعلم ذلك فلا تغيّر عليه.

ثمّ قام علىّ عليه السّلام فخرج عثمان على اثره فجلس على المنبر فخطب النّاس و قال: أمّا بعد فانّ لكلّ شىء آفه و لكلّ أمر عاهه، و إنّ آفه هذه الأمّه و عاهه هذه النّعمه عيّابون طعّانون يرونكم ما تحبّون و يسرّون عنكم ما تكرهون، يقولون لكم و تقولون أمثال النّعام يتبع أوّل ناعق، احبّ مواردها اليها البعيد لا يشربون إلاّ نغصا و لا يردون. الاّ عكرا أما و اللّه لقد عبتم على ما أقررتم لابن الخطاب بمثله، و لكنه وطئكم برجله و ضربكم بيده و قمعكم بلسانه فدنتم له على ما أحببتم و كرهتم و لنت لكم و أوطاتكم كتفى و كففت يدى و لسانى عنكم فاجترأتم علىّ، أم و اللّه

ص:٣٧

لأنـا أقرب ناصـر و أعزّ نفرا و أكثر عـددا و أحرى إن قلت هلمّ أن يجـاب صوتی، و لقـد أعـددت لكم أقرانا، و كثرت لكم عن نابی، و اخرجتم منی خلقا لم اكن احسـنه و منطقا لم اكن انطق، فكفّوا عنّی ألسـنتكم و طعنكم و عيبكم علی ولاتكم، فما الـذی تفقدون من حقكم؟ و اللّه ما قصرت شيئا عن بلوغ من كان قبلی، و ما وجدتكم تختلفون عليه، فما بالكم.

فقام مروان بن الحكم فقال: و إن شئتم حكّمنا بيننا و بينكم السيف.

فقال عثمان: اسكت دعنی و أصحابی ما منطقك فی هذا، ألم أتقدّم اليك أن لا تنطق؟ فسكت و نزل عثمان، هذا.

و فی الشرح أيضا عن الطبری فی شرح الكلام الثلاثين قال:

و كان عثمان قد استشار نصـحائه فی أمره فأشاروا أن يرسل إلی علیّ عليه السّـلام يطلب إليه أن يردّ الناس و يعطيهم ما يرضيهم ليطاولهم حتّی يأتيه الأمداد فقال إنهم لا يقبلون التعليل و قد كان منّی فی المرّه الاولی ما كان، فقال مروان: أعطهم ما سألوك و طاولهم ما طاولوك فانّهم قوم قد بغوا عليك و لا عهد لهم.

فـدعا عليا و قال له قـد تری ما كان من الناس و لست آمنهم علی دمی فارددهم فانی أعطيتهم ما يريـدون من الحقّ من نفسـی و من غيری.

فقـال علیّ عليه السّـلام: إنّ النـاس إلی عـدلك أحوج منهم إلی قتلـك و انهم لا يرضون إلّا بالرّضا و قـد كنت أعطيتهم من قبل عهدا فلم تف به فلا تغرر فی هذه المرّه فانّی معطيهم عنك الحقّ.

قال: أعطهم فو اللّه لأفينّ لهم.

فخرج علیّ عليه السّلام إلی الناس فقال: انكم إنّما تطلبون الحقّ و قد أعطيتموه و انّه منصفكم من نفسه.

فسأله الناس أن يستوثق لهم و قالوا: إنا لا نرضی بقول دون فعل.

فدخل عليه السّلام إليه فأعلمه.

ص:٣٨

فقال: اضرب بینی و بین الناس أجلا فانی لا أقدر علی تبدیل ما کرهوا فی یوم واحد.

فقال علیّ علیه السّلام أمّا ما کان بالمدینه فلا أجل فیه و أما ما غاب فأجله وصول أمرک إلیه.

قال: نعم فأجّلنی فیما بالمدینه ثلاثه أیّام.

فأجابه إلی ذلک و کتب بینه و بین الناس کتابا علی ردّ کلّ مظلمه و عزل کلّ عامل کرهوه فکفّ الناس عنه.

و جعل یتأهّب سرّا للقتال و یستند بالسلاح و الجند جدّا، فلمّا مضت الأیام الثلاثه و لم یغیّر شیئا ثار به الناس و خرج قوم إلی من بذی خشب من المصریّین فأعلموهم الحال فقدموا المدینه و تکاثر الناس علیه و طلبوا منه عزل عماله و ردّ مظالمهم، فکان جوابه لهم: إنی إن کنت أستعمل من تریدون لا ـ من ارید فلست إذا فی شیء من الخلافه و الأمر أمرکم فقالوا لتفعلنّ أو لتخلعنّ أو لنقتلنک، فأبی علیهم و قال: لا أنزع سربالا سربلنیه اللّه، فحصروه و ضیّقوا الحصار و أدّی الأمر إلی قتله، علی ما مرّ منّا فی شرح الکلام الثلاثین.

الترجمه

از جمله کلام بلاغت نظام و نصیحت انجام آن حضرتست در حینی که جمع شدند مردمان بسوی او و شکایت کردند از چیزی که ناخوش می گرفتند بر عثمان ابن عفّان و خواهش کردند از آن حضرت که از جانب ایشان سؤال و جواب نماید، و طلب کند از عثمان که رجوع بحق نماید و ایشان را خوشنود سازد، پس داخل شد آن بزرگوار بر عثمان پس فرمود:

بدرستی که مردمان در عقب منند و بدرستی که ایلچی أخذ نموده اند مرا در میان تو و میان خودشان، و بخدا سوگند نمی دانم چه گویم تو را، و نمی دانم چیزی را که تو ندانی آن را، و نمی توانم دلالت کنم تو را بر چیزی که نشناسی آن را، بدرستی که تو می دانی آنچه که ما می دانیم، سبقت نیافته ایم از تو بچیزی تا خبر بدهیم بتو از

آن، و تنها نشده ایم بچیزی تا ابلاغ بکنیم بتو آن را، و بتحقیق که تو دیدۀ چنانچه ما دیده ایم، و شنیدۀ چنانچه ما شنیده ایم، و صحبت کردۀ با رسول خدا صلّی اللّه علیه و آله و سلّم چنانچه ما صحبت داشته ایم و نه بود پسر ابو قحافه و نه پسر خطاب سزاوار تر بعمل خیر از تو و حال آنکه تو أقرب هستی برسول خدا صلّی اللّه علیه و آله از حیثیّت رگهای خویشی از ایشان، پس بترس از خدای قهّار در نفس خود، پس بدرستی که تو قسم بخدا بصیرت داده نمی شوی از کوری، و تعلیم یافته نمی شوی از جهالت، و بدرستی که راههای شریعت هر آینه واضح و هویداست، و بدرستی که علامتهای دین هر آینه ثابت و برپاست، بدرستی أفضل بندگان خدا در نزد خدا امام عادلیست که هدایت شده باشد و هدایت نماید، پس برپا دارد سنّت و طریقۀ معلومه را، و بمیراند و بر طرف سازد بدعت مجهوله را، و بدرستی که سنّتها هر آینه تابانند و درخشان مر آنها را است علامتها، و بدرستی که بدعتها ظاهر است و هویدا مر آنها راست علامتها، و بدرستی که شریرترین مردمان در نزد خدا امام جائریست که گمراه باشد و گمراه شوند بسبب او، پس بمیراند سنّت مأخوذه را، و زنده گرداند بدعت متروکه را.

و بدرستی که من شنیدم از حضرت ختمی ماب صلّی اللّه علیه و آله و سلّم که می فرمود: آورده می شود در روز قیامت امام جور کننده. در حالتی که نباشد با او یاری دهنده و نه عذر آورنده پس انداخته شود در آتش دوزخ پس دور می کند در آن آتش چنانچه دور میکند آسیا پس از آن بسته شود در قعر جهنم.

و بدرستی که من قسم می دهم تو را بخدا که باشی امام این امّت که کشته شوی بواسطۀ ظلم و ستم، پس بدرستی که بود گفته می شد که کشته خواهد شد در این امّت امامی که فتح می شود بر این امت قتل و قتال تا روز قیامت، و تلبیس نماید کارهای ایشان را بر ایشان، و منتشر و پراکنده می کند فتنها را در میان ایشان، پس نمی بینند حق را از باطل، و مضطرب می شوند در آن فتنها مضطرب شدنی، و آمیخته بهم می شوند در آن فتن آمیختنی، پس البته مباش ای عثمان از برای مروان بن

حکم مثل چارپائی که میرانند آن را دشمنان هنگام غارت که براند تو را مروان هر جا که بخواهد بعد از بزرگی سن و سال و بسر آمدن عمر.

پس گفت مر آن حضرت را عثمان که: تکلّم کن با مردمان در این خصوص که مرا مهلت بدهند تا خارج بشوم بسوی ایشان از عهدهٔ مظلمه های ایشان پس آن حضرت فرمود:

آنچه که در مدینه است پس مهلت نیست در او، و آنچه که غایبست پس مهلت او رسیدن حکم تو است بسوی او.

و من خطبه له علیه السّلام یذکر فیها خلقه الطاوس و هی

اشاره

المأه و الرابعه و الستون من المختار فی باب الخطب

و شرحها فی ضمن فصلین:

الفصل الاول

اشاره

ابتدعهم خلقا عجیبا من حیوان و موات، و ساکن و ذی حرکات، و أقام من شواهد البیّنات علی لطیف صنعته و عظیم قدرته ما انقادت له العقول معترفه به، و مسلّمه له، و نعقت فی أسماعنا دلائله علی وحدانیّته، و ما ذرء من مختلف (إختلاف) صور الأطیار الّتی أسکنها أخادید الأرض و خروق فجاجها، و رواسی أعلامها، من ذوات أجنحه مختلفه، و هیئات متباینه، مصرّفه فی زمام التّسخیر، و مرفرفه بأجنحتها فی مخارق الجوّ المنفسح، و الفضاء المنفرج، کوّنها بعد إذ لم تکن فی عجائب صور ظاهره، و رکّبها فی حقاق مفاصل محتجبه

ص:۴۱

و منع بعضـها بعباله خلقه أن يسـمو فى السّـماء (الهواء) خفوفا، و جعله يـدفّ دفيفا، و نسـقها على اختلافها فى الأصابيغ، بلطيف قدرته، و دقيق صنعته، فمنها مغموس فى قالب لون لا يشوبه غير لون ما غمس فيه، و منها مغموس فى لون صبغ قد طوّق بخلاف ما صبغ به. و من أعجبها خلقا ألطّاوس الّذى أقامه فى أحكم تعديل، و نضّد ألوانه فى أحسن تنضيد، بجناح أشرج قصبه، و ذنب أطال مسحبه، و إذا درج إلى الانثى نشره من طيّه، و سما به مطلّا على رأسه، كأنّه قلع دارىّ عنجه نوتيّه، يختال بألوانه، و يميس بزيفانه، يفضـى كإفضاء الـدّيكه، و يورّ بملاقحه أرّ الفحول المغتلمه للضـرّاب، أحيلك من ذلك على معاينه لا كمن يحيل على ضعيف أسـناده، و لو كان كزعم من يزعم أنّه يلقـح بـدمعه تسـفحها (تنشـجها) مدامعه فتقف فى ضـفّتى جفونه و أنّ أنثاه تطعّم ذلـك ثمّ تبيّض لا ـ من لقـاح فحـل سوى الـدّمع المتبجّس (المنبجس) لمـا كـان ذلك بأعجب من مطاعمه الغراب، تخال قصـبه مـدارى من فضّه، و ما أنبتت عليها من عجيب داراته و شـموسه خالص العقيان و فلـذ الزّبرجد. فإن شـبّهته بما أنبتت الأرض قلت جنىّ جنى من زهره كلّ

ربیع، و إن ضاهیته بالملابس فهو کموشیّ الحلل أو مونق عصب الیمن، و إن شاکلته بالحلیّ فهو کفصوص ذات ألوان قد نطّقت باللّجین المکلّل، یمشی مشی المرح المختال، و یتصفّح ذنبه و جناحه فیقهقه ضاحکا لجمال سرباله، و أصابیغ وشاحه، فإذا رمی ببصره إلی قوائمه زقا معولا بصوت یکاد یبین عن استغاثته، و یشهد بصادق توجّعه، لأنّ قوائمه حمش کقوائم الدّیکه الخلاسیّه، و قد نجمت من ظنبوب ساقه صیصیه خفیّه. و له فی موضع العرف قنزعه خضراء موشاه (موشّاه)، و مخرج عنقه کالإبریق، و مغرزها إلی حیث بطنه کصبغ الوسمه الیمانیّه، أو کحریره ملبّسه مراتا ذات صقال، و کأنّه متلفّع بمعجر أسحم إلاّ أنّه یخیّل لکثره ماءه و شدّه بریقه أنّ الخضره النّاضره ممتزجه به، و مع فتق سمعه خطّ کمستدقّ القلم فی لون الاقحوان أبیض یقق فهو ببیاضه فی سواد ما هنالک یأتلق. و قلّ صبغ إلاّ و قد أخذ منه بقسط، و علاه بکثره صقاله و بریقه، و بصیص دیباجه و رونقه، فهو کالأزاهیر المبثوثه لم تربّها أمطار ربیع و لا شموس قیظ، و قد یتحسّر من ریشه و یعری من

لباسه فيسقط تترى و ينبت تباعا فينحتّ من قصبه انحتات أوراق الأغصان، ثمّ يتلاحق ناميا حتّى يعود كهيئته قبل سقوطه، لا يخالف سالف ألوانه، و لا يقع لون فى غير مكانه، و إذا تصفّحت شعره من شعرات قصبه أرتك حمره ورديّه، و تاره خضره زبرجديّه، و أحيانا صفره عسجديّه. فكيف تصل إلى صفه هذا عمائق الفطن، أو تبلغه قرائح العقول، أو تستنظم وصفه أقوال الواصفين، و أقلّ أجزائه قد أعجز الأوهام أن تدركه، و الألسنه أن تصفه. فسبحان الّذى بهر العقول عن وصف خلق جلاه للعيون فأدركته محدودا مكوّنا، و مؤلّفا ملوّنا، و أعجز الألسن عن تلخيص صفته، و قعد بها عن تأديه نعته، و سبحان من أدمج قوائم الذّرّه و الهمجه إلى ما فوقهما من خلق الحيتان و الفيله، و واى على نفسه ألاّ يضطرب شبح ممّا أولج فيه الرّوح إلاّ و جعل الحمام موعده، و الفناء غايته. قال السيد (ره) بعد إيراد الخطبه بتمامها: تفسير ما جاء فيها من الغريب «و يؤرّ بملاقحه»ألأرّ كنايه عن النّكاح يقال أرّ المرأه يؤرّها إذا نكحها، و قوله:

«كأنّه قلع دارى عنجه نوتيّه» القلع شراع السفينه، و داريّ منسوب إلى دارين و هى بلده على البحر يجلب منها الطّيب، و عنجه أى عطفه يقال: عنجت النّاقه

أعنجها عنجا إذا عطفتها، و النوتىّ الملاّح و قوله: «ضـفّتى جفونه» أراد جانبى جفونه، و الضّفتان الجانبان و قوله: «و فلذ الزّبرجد» الفلذ جمع فلذه و هى القطعه و قوله: «كبائس اللّؤلؤ الرطب» الكباسه العذق «و العساليج» الغصون واحدها عسلوج.

اللغه

(الحيوان) محرّكه جنس الحىّ أصـله حييان و قد تكون بمعنى الحياه و المراد هنا الأوّل و (نعق) بغنمه من بابى ضـرب و منع نعقا و نعيقـا و نعاقا صاح بها و زجرها هكـذا فى القاموس، و فى مصـباح اللّغه للفيومى من باب ضـرب إلاّ أنّ الموجود فيما رأيته من نسخ النهج نعقت بكسر العين.

و (رفرف) الطائر بسط جناحيه عند السـقوط على الشـىء يحوم عليه لتقع فوقه و (حقاق المفاصل) بكسـر الحاء جمع حقّ بالضـمّ رأس الورك الّذى فيه عظم الفخذ و رأس العضد الذى فيه الوابله قال الشّارح المعتزلى: هو مجمع المفصلين من الأعضاء فيكون أعمّ و (سـحبه) على الأرض سـحبا من بـاب منع جرّه عليهـا فانسـحب و (طوى) الصّـحيفه يطويها طيّا قال سـبحانه «نَطْوِى السَّماءَ كَطَيِّ السِّجِلِّ لِلْكُتُبِ » و انّه لحسن الطيّه بالكسر و فى بعض النسخ من طيه بالكسر.

و (قلـع دارىّ) قـال الفيـومى: القلاـع شـراع السـفينه، و الجمع قلع، مثـل كتـاب و كتب، و القلع مثله، و الجمع قلوع مثـل حمـل و حمول، و فى القاموس القلع بالكسر الشراع كالقلاعه ككتابه، و الدارى المنسوب إلى دارين قال البحرانى:

و هى جزيره من سواحل القطيف من بلاد البحرين يقال إنّ الطيب كان يجلب اليها من الهنـد و هى الان خراب لا عماره بها و لا سكنى، و فيها آثار قديمه و فى القاموس الدّارين موضع بالشام.

و (ماس) فى مشـيه تبختر و (الزّيفان) التبختر فى المشـى و (الملاقحه) مفاعله من ألقح الفحل الناقه أى أحبلها، و فى بعض النسخ (بملاقحه) بصيغه الجمع

ص:۴۵

مضافا إلى الضـمير أى بالات التناسل و الأعضاء و (غلم) كفرح غلما و غلمه بالضمّ و اغتلم غلب شـهوه، و غلم البعير و اغتلم أى هاج من شهوه الضرّاب، فهو غلّم و غلّيم و الاثنى غلّمه و غلّيمه و مغتلمه.

و (سـفحت) الدّم أى أرقته و الدّمع أسـلته و فى بعض النّسخ تنشـجها بدل تسـفحها مضارع نشج من باب ضرب يقال نشج القدر أى غلا ما فيه حتّى سمع له صوت قال العلاّمه المجلسى: و لعلّ الأوّل أوضح، فانّ الفعل ليس متعدّيا بنفسه على ما فى كتب اللّغه و (تطعّم) على صـيغه التفعّل بحـذف إحـدى التّائين و (بجّس) الماء تبجيسا فجره فتبجّس و انبجس، و فى بعض النّسخ المنبجس من باب الانفعال.

و (المدارى) بالدال المهمله جمع المدرى قال ابن الأثير: المدرى و المدراه شـىء من حديد أو خشب على شكل سنّ من أسنان المشط و أطول منه يسرح به الشعر الملبّد و يستعمله من لا مشط له، و فى نسخ الشّارح البحرانى بالذّال المعجمه قال:

و هى خشبه ذات أطراف كأصابع الكفّ ينقى بها الطّعام.

و (دارات) جمع الدّاره داره القمر و غيره سـمّيت بذلك لاستدارتها و (العقيان) بالكسر كما فى القاموس و قال العلاّمه المجلسىّ بالضمّ: الـذّهب الخالص أو الـذّهب النّابت من الأرض و (جنيت) التّمره و الزّهره و اجتنيتها و الجنىّ فعيل منه، و فى بعض النّسـخ جنى كحصى و هو ما يجنى من الشّجر ما دام غصنا بمعنى فعيل و لفظه الفعل المجهول ليست فى بعض النّسخ.

و (زهر) النّبات بالفتح نوره، و الواحده زهره كتمر و تمره قالوا و لا يسـمّى زهرا حتى تفتح و (وشـيت) الثوب وشيا من باب رمى نقشـته فهو موشـىّ وزان مرمىّ أى منقّش، و الأصل على مفعول و (الحلل) كصـرد جمع حله بالضمّ و هى إزار و رداء من برد أو غيره فلا تكون حلّه إلاّ من ثوبين أو ثوب له بطانه.

و (العصب) وزان فلس قال الفيومى برد يصـنع غزله ثمّ ينسـج، و لا يثنى و لا يجمع و إنّما يثنى و يجمع ما يضاف إليه فيقال: برد عصب و برود عصب، و الاضافه للتخصيص، و يجوز أن يجعل وصفا فيقال: شريت ثوبا عصبا، و قال السهلى: العصب

صبغ لا ینبت إلّا بالیمن.

و (الفصوص) جمع فصّ کفلس و فلوس قال ابن السکیت: کسر الفاء ردیّ، و کذا قال الفارابی، و فی القاموس الفص الخاتم مثلثه و الکسر غیر لحن و (کلل) فلانا أی ألبس الاکلیل و هو بالکسر التاج و شبه عصابه زین بالجوهر و (الوشاح) ککتاب شیء ینسج من أدیم و یرصّع شبه القلاده تلبسه النساء.

و رجل (أحمش) الساقین أی أدقّهما و (الخلاسی) بکسر الخاء المعجمه الدیک بین دجاجتین هندیه و فارسیه، و الولد بین أبوین أبیض و أسود و (الظنبوب) حرف العظم الیابس من قدم الساق و (الوسمه) بکسر السین کما فی بعض النسخ و هی لغه الحجاز و أفصح من السکون، و أنکر الأزهری السکون، و بالسکون کما فی بعضها و (اللفاع) ککتاب الملحفه أو الکساء أو کلما تتلفّع به المرأه، و تلفع الرّجل بالثوب إذا اشتمل به و تغطی، و فی بعض النسخ متقنّع من القناع و (أبیض یقق) بالتحریک و بالکسر أیضا وزان کتف شدید البیاض.

و (یتحسّر) فی بعض النسخ مضارع تفعل یقال: تحسّر البعیر أی سقط من الاعیاء، و فی بعض النّسخ تنحسر علی صیغه الانفعال تقول: حسره کضربه فانحسر أی کشفه فانکشف و (سالف ألوانه) فی بعض النسخ بدلها سایر ألوانه و الأوّل أظهر و (العسجد) کجعفر الذّهب و (العمق) بالضمّ و الفتح قعر البئر و نحوها و (الفطن) کعنب جمع فطنه بالکسر و هی الحذق و العلم بوجوه الامور و (جلّاه) بالتّشدید و التخفیف علی اختلاف النّسخ أی کشفه و (الهمجه) محرّکه واحده الهمج بالتّحریک أیضا و هو ذباب صغیر کالبعوض یسقط علی وجوه الغنم و الحمیر و النعاج الهرمه.

الاعراب

قوله: و نعقت جمله مستأنفه، و تحتمل أن تکون معطوفه علی جمله انقادت و علی الأوّل فالضمیر فی دلائله راجع إلی اللّه، و علی الثّانی فهو راجع إلی ما، و قوله: و ما ذرأ، عطف علی قوله: ما انقادت، أو علی الضّمیر فی دلائله کما قاله

الشّارح البحرانى و قوله: من ذوات، بيان للأطيار، و مصرّفه، و مرفرفه منصوبان على الحال، و فى بعض النّسخ بالجرّ على أنّهما صفتان لذوات أجنحه.

و جمله كوّنها فى المعنى تأكيد لجمله ذرأ، و لكمال الاتصال ترك العاطف بينهما، و تحتمل الاستيناف البيانى، و قوله: فى لون صبغ، بجرّلون مضافا إلى صبغ على الاضافه البيانيّه، و فى بعض النّسخ بالجرّ و التّنوين و صبغ على صيغه الماضى المجهول، أى صبغ ذلك المغموس، و الواو فى قوله: و من أعجبها، استينافيّه و قوله: بجناح، إمّا بدل من أحكم تعديل أو عطف بيان، و يحتمل تعلّقه بقوله أحسن تنضيد.

و جمله عنجه، مرفوعه المحل صفه لقلع، و مغرزها، مبتدأ خبره كصبغ الوسمه، و بطنه بالرّفع مبتدأ محذوف الخبر أى مغرزها إلى حيث بطنه موجودا و ممتدّا و منتهى إليه كصبغ.

و حيث تضاف إلى الجمله غالبا و إضافتها إلى المفرد تشذّ فى الشّعر، و هو فى المعنى مضافه إلى المصدر الّذى تضمّنته الجمله قالوا: حيث و إن كانت مضافه الى الجمله فى الظّاهر، لكن لمّا كانت فى المعنى مضافه إلى المصدر فاضافتها إليها كلا إضافه، و لذا بنيت على الضمّ كالغايات على الأعرف قال نجم الأئمه: قد حذف خبر المبتدأ الّذى بعد حيث غير قليل، و التّنوين فى قوله: بقسط، للتّفخيم، و جمله: علاه عطف على جمله أخذ.

المعنى

اشاره

اعلم أنّ هذه الخطبه الشّريفه على غايه بلاغتها و بديع اسلوبها و عجيب نظمها مسوقه لشرح أوصاف الطّير لا سيّما الطّاؤوس، و الغرض منه التّنبيه على عظيم قدرته سبحانه و لطيف صنعته و الاشاره إلى عجايب ما أبدعه سبحانه فى الملك و الملكوت، لتتنبّه من رقده الغفله، و يتحصّل لك كمال المعرفه.

و افتتح عليه السّلام بمطلق دلائل القدره ثمّ تخلّص إلى ذكر الطّاؤوس فقال (ابتدعهم) أى أبدع الموجودات لا عن مادّه أو على غير مثال سابق (خلقا عجيبا)

على أصناف مختلفه و أنواع متكثّره و هيئات عجيبه و أوصاف بديعه (من حيوان و موات و ساكن و ذى حركات) أى بعضها ذو حيات كأصناف الملائكه و الحيوان و الجنّ و الانس، و بعضها ذو ممات كالشّجر و الجماد و النّبات و غيرها ممّا ليس لها حياه، و بعضها متّصفه بالسكون كالأرض و الجبال، و بعضها متّصفه بالحركه الاراديّه كالانسان و الحيوان و نحوهما، أو طبيعيّه كالماء و النّار و الكواكب و الأفلاك.

(و أقام من شواهد البيّنات على لطيف صنعته و عظيم قدرته ما) أى شاهد صدق و برهان حتّى (انقادت له) أى لذلك الشّاهد (العقول معترفه به) أى بهذا الشّاهد أو باللّه سبحانه (و مسلّمه له) غير جاحده لحقيّته(و نعقت)أى صاحت(فى أسماعنا دلائله)سبحانه(على وحدانيّته)قال الشّارح البحرانى استعار لفظ النّعيق فى الأسماع لظهور تلك الدّلائل فى صماخ العقل (و ما ذرأ) أى أقام من شواهد البيّنات أو نعقت دلائل ما ذرئه و خلقه (من اختلاف صور الأطيار الّتى أسكنها أخاديد الأرض) كالقطا و نحوه ممّا يسكن الشّقوق فى الأرض (و خروق فجاجها) كالقبج و شبهه ممّا يسكن الفجاج أى الطرق الواسعه بين الجبلين (و رواسى أعلامها) كالعقبان و الصّيقور تأوى فى الجبال الرّاسيات أى الثّابتات المستقرّات (من ذوات أجنحه مختلفه و هيئات متباينه) فهذا غراب، و هذا عقاب، و هذا حمام، و هذا نعام خلقها اللّه سبحانه على أشكال مختلفه و طبايع متضادّه.

و لكنّها كلّها على تباين طبائعها و تضادّ أجناسها مقهوره تحت ذلّ القدره مشدوده بربق الطّاعه (مصرّفه) و متقلّبه (فى زمام التسخير) كما قال عزّ من قائل:

«أَ لَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ مُسَخَّراتٍ فِي جَوِّ السَّماءِ ما يُمْسِكُهُنَّ إِلاَّ اللّهُ إِنَّ فِي ذلِكَ لَآياتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ».

قال الرّازى: هذا دليل على كمال قدره اللّه و حكمته: فانّه لولا أنّه تعالى خلق الطّير خلقه معها يمكنه الطّيران فيها لما أمكن ذلك، فانّه أعطى الطّير جناحا يبسطه مرّه و يكسره اخرى، مثل ما يعمل السّابح فى الماء، و خلق الهواء خلقه

لطیفه رقیقه یسهل خرقه و النّفاذ فیه و لو لا ـ ذلک لما کان الطّیران ممکنا، و جسد الطّیر جسم ثقیل و الجسم الثّقیل یمتنع بقاؤه فی الجوّ معلّقا من غیر دعامه و لا علاقه فوقه، فوجب أن یکون الممسک له فی ذلک الجوّ هو اللّه سبحانه.

(و مرفرفه بأجنحتها فی مخارق الجوّ المنفسح و الفضاء المنفرج) أی باسطه جناحیها فی أمکنتها الّتی تخرق الهواء الواسع فتدخلها قال تعالی:

«أَ وَ لَمْ یَرَوْا إِلَی الطَّیْرِ فَوْقَهُمْ صافّاتٍ وَ یَقْبِضْنَ ما یُمْسِکُهُنَّ إِلاَّ الرَّحْمنُ إِنَّهُ بِکُلِّ شَیْ ءٍ بَصِیرٌ ».

قیل فی تفسیره: أی باسطات أجنحتهنّ فی الجوّ عند طیرانها، فانّهنّ إذا بسطنها صففن قوادمها - و یقبضن - أی و یضممنها إذا ضربن بها جنوبهن وقتا بعد وقت للاستظهار به علی التّحرّک، و لذلک عدل به إلی صیغه الفعل للتّفرقه بین الأصیل فی الطیران و الطّاری علیه - ما یمسکهنّ - فی الجوّ علی خلاف طبعهنّ - إلاّ ـ الرّحمن - الشّامل رحمته کلّشیء بأن خلقهنّ علی اشکال و خصایص هیئاتهنّ للحرکه فی الهواء - إنّه بکلّ شیء بصیر - یعلم کیف یخلق الغرائب و یدبّر العجائب.

(کوّنها) کسایر المکوّنات و المخلوقات (بعد اذ لم تکن فی عجائب صور ظاهره) و هیئات بدیعه غیر مستوره (و رکّبها فی حقاق مفاصل محتجبه) مستتره باللّحم و الجلد و نحوهما (و منع بعضها بعباله خلقه) و ضخامه جثّته کالنّعامه و اللّقلق و نحوهما (أن یسمو فی السّماء خفوفا) أی یعلو فی جهه العلوّ بسرعه (و جعله یدفّ دفیفا) أی یحرّک ج ناحیه للطّیران قال الفیومی: معناه ضرب بهما دفّیه و هما جنباه، یقال ذلک إذا أسرع مشیا و رجلاه علی وجه الأرض ثمّ یستقلّ طیرانا (و نسقها) أی نظمها (علی اختلافها فی الاصابیغ) و الألوان (بلطیف قدرته و دقیق صنعته) أی جعل کلاّ منها علی لون خاصّ علی وفق حکمته البالغه (فمنها مغموس فی قالب لون لا یشوبه غیر لون ما غمس فیه) أی بعضها ذو لون واحد کالأسود و الأبیض و الأحمر، فعبر عنه بالغمس فی قالب اللّون إشاره إلی

إحاطه اللّون الواحد به بجميع أجزائه كما يحيط القالب بالأشياء المصنوعه بالصبّ فيه من نحاس و نحوه.

(و منها مغموس فى لون صبغ قد طوّق بخلاف ما صبّغ به) أى بعضها ذو لونين فما زاد كالقبج و الفاخته و البلبل و نحوها ممّا يخالف لون عنقه لون ساير جسده، و الغرض بذلك كلّه حسبما عرفت التّنبيه على عظمه اللّه سبحانه و كمال قدرته و لطيف صنعته و بديع حكمته.

و قد شرحه الصّادق عليه السّلام و أفصح عنه فى حديث المفضّل.

قال عليه السّلام: تأمّل يا مفضّل جسم الطّاير و خلقته فانّه حين قدر أن يكون طائرا فى الجوّ خفّف جسمه و ادمج خلقه فاقتصر به من القوايم الأربع على اثنتين، و من الأصابع الخمس على أربع، و من منفذين للزّبل و البول على واحد يجمعهما، ثمّ خلق ذا جؤجؤ محدّد يسهل عليه أن يخرق الهواء كيف ما أخذ فيه كما جعل السّفينه بهذه الهيئه لتشقّ الماء و تنفذ فيه، و جعل فى جناحيه و ذنبه ريشات طوال متان لينهض بها للطّيران، و كسى كلّه الرّيش ليداخله «ليتداخله خ ل» الهواء فيقلّه.

و لما قدّر أن يكون طعمه الحبّ و اللّحم يبلعه بلعا بلا مضغ نقص من خلقه الأسنان و خلق له منقار صلب(۱) جاس يتناول به طعمه فلا ينسحج من لقط الحبّ و لا يتقصّف(۲) من نهش اللّحم، و لما عدم الأسنان و صار يزدرد الحبّ صحيحا و اللّحم غريضا أعين بفضل حراره فى الجوف تطحن له الطعم طحنا يستغنى به عن المضغ.

و اعتبر بأنّ عجم العنب و غيره يخرج من أجواف الانس صحيحا و يطحن فى أجواف الطير لا يرى له أثر.

ثمّ جعل مما يبيض بيضا و لا يلد ولاده لكيلا يثقل عن الطيران، فانه لو كانت الفرخ فى جوفه تمكث حتى تستحكم لأثقلته و عاقته عن النهوض و الطيران فجعل

۱- (۱) اى صلب يابس (م)

۲- (۲) التقصّف التكسّر (م)

كلّ شيء من خلقه شاكلا للأمر الذى قدّر أن يكون عليه.

ثمّ صار الطائر السابح فى هذا الجوّ يقعد على بيضه فيخرّ له اسبوعا و بعضها اسبوعين و بعضها ثلاثه أسابيع حتى يخرج الفرخ من البيضه، ثمّ يقبل عليه فيزقّه لتتّسع حوصلته للغذاء، ثمّ يربّيه و يغذيه بما يعيش به، فمن كلّفه أن يلفظ الطعم و يستخرجه بعد أن يستقرّ فى حوصلته و يغذو به فراخه؟ و لأىّ معنى يحتمل هذه المشقه و ليس بذى رويّه و لا تفكّر؟ و لا يأمل فى فراخه ما يأمل الانسان فى ولده من العزّ و الرّفد و بقاء الذكر و هذا من فعل هو يشهد بأنه معطوف على فراخه لعلّه لا يعرفها و لا يفكّر فيها و هى دوام النسل و بقاؤه لطفا من اللّه تعالى ذكره.

انظر إلى الدّجاجه كيف تهيج لحضن البيض و التفريخ و ليس لها بيض مجتمع و لا وكر موطىء بل تنبعث و تنتفخ و تقوقى و تمتنع من الطعم حتّى يجمع لها البيض فتحضنه و تفرخ، فلم كان ذلك منها إلّا لاقامه النّسل، و من أخذها باقامه النسل؟ و لا رويّه و لا فكر لولا أنها مجبوله على ذلك.

و اعتبر بخلق البيضه و ما فيها من المخّ الأصفر الخاثر، و الماء الأبيض الرّقيق فبعضه لينتشر منه الفرخ، و بعضه ليغذى به إلى أن تنقاب عنه البيضه، و ما فى ذلك من التدبير، فانه لو كان نشوء «نشق خ ل» الفرخ فى تلك القشره المستحضنه التى لا مساغ لشىء اليها لجعل معه فى جوفها من الغذاء ما يكتفى إلى وقت خروجه منها كمن يحبس فى حبس حصين لا يوصل النفقه إلى من فيه فيجعل معه من القوت ما يكتفى به إلى وقت خروجه منه.

فكّر فى حوصله الطائر و ما قدّر له، فانّ مسلك الطعم إلى القانصه ضيّق لا ينفذ فيه الطعام إلّا قليلا قليلا، فلو كان الطائر لا يلقط حبه ثانيه حتى تصل الاولى القانصه لطال عليه و متى كان يستوفى طعمه، فانما يختلسه اختلاسا لشدّه الحذر، فجعلت الحوصله كالمخلاه المعلقه أمامه ليوعى فيها ما أدرك من الطعم بسرعه ثمّ تنفذه إلى القانصه على مهل، و فى الحوصله أيضا خلّه اخرى فانّ من الطائر ما يحتاج إلى أن يزقّ فراخه فيكون ردّه للطعم من قرب أسهل عليه.

قال المفضل: فقلت إنّ قوما من المعطله يزعمون أنّ اختلاف الألوان و الأشكال فی الطیر إنما یکون من قبیل امتزاج الأخلاط و اختلاف مقادیرها بالمزج و الاهمال.

فقال علیه السّلام: یا مفضّل هذا الوشی الّذی تراه فی الطواویس و الدّراج و التدارج علی استواء و مقابله کنحو ما یخطّ بالأقلام کیف یأتی به الامتزاج المهمل علی شکل واحد لا یختلف، لو کان بالاهمال لعدم الاستواء و لکان مختلفا.

تأمّل ریش الطیر کیف هو؟ فانّک تراه منسوجا کنسج الثّوب من سلوک دقاق قد ألّف بعضه إلی بعض کتألیف الخیط إلی الخیط و الشّعره إلی الشّعره، ثمّ تری ذلک النّسج إذا مددته ینفتح قلیلا و لا ینشق لتداخله الرّیح فیقلّ الطّائر إذا طار، و تری فی وسط الرّیشه عمودا غلیظا معیّنا قد نسج علیه الذی هو مثل الشّعر لیمسکه بصلابته، و هو القصبه التی فی وسط الرّیشه، و هو مع ذلک أجوف لیخف علی الطّائر و لا یعوقه عن الطیران.

هل رأیت یا مفضّل هذا الطّایر الطّویل السّاقین و عرفت ما له من المنفعه فی طول ساقیه؟ فانّه أکثر ذلک فی ضحضاح(۱) من الماء، فتراه لساقین طویلین کانه ربیئه(۲) فوق یرقب و هو یتأمّل ما یدبّ فی الماء، فاذا رأی ممّا یتقوّت به خطا خطوات رقیقا حتّی یتناوله، و لو کان قصیر السّاقین و کان یخطو نحو الصّید لیأخذه تصیب بطنه الماء فیثور و یذعر منه فیتفرّق عنه، فخلق له ذلک العمودان لیدرک بهما حاجته و لا یفسد علیه مطلبه.

تأمّل ضروب التّدبیر فی خلق الطّایر فانّک تجد کلّ طایر طویل السّاقین طویل العنق، و ذلک لیتمکّن من تناول طعمه من الأرض، و لو کان طویل السّاقین قصیر العنق لما استطاع أن یتناول شیئا من الأرض، و ربما اعین مع تطول العنق بطول المناقیر لیزداد الأمر علیه سهوله له و إمکانا، أفلا تری أنّک لا تفتّش شیئا

۱- (۱) ماء ضحضاح قریب القعر (منه)

۲- (۲) الربیئه العین الذی ینظر للقوم لئلا یداهمهم عدوّ.

من الخلقه إلاّـ وجدته فى «على» غـايه الصّـواب و الحكمه؟ و إذا عرفت وجه التـدبير و الحكمه فى مطلق الطير فلنعـد إلى شـرح عجـائب خلقه الطـاوس على ما فصّـله الامام عليه السّـلام بقوله (و من أعجبها خلقا الطاوس الـذى أقامه) اللّه سـبحانه (فى أحكم تعـديل) أى أعطى كـلّ شـىء منه فى الخلق مـا يسـتحقّه و خلقه على وجه الكمال خاليا من نقص (و نضّـد) أى رتّب (ألوانه فى أحسن تنضيد) و ترتيب كما قال الشّاعر:

سبحان من من خلقه الطاوس طير على أشكاله رئيس

كأنّه فى نقشه عروس فى الرّيش منه ركّبت فلوس

تشرق فى داراته شموس فى الرّأس منه شجر مغروس

كأنّه بنفسج يميس أو هو رهو(۱) حرم ييبس

فقد رتّب تعالى ألوانه (بجناح أشـرج قصـبه) أى ركّب عروق جناحه و اصولها بعضـها فى بعض كما يشرج العيبه أى يداخل بين أشـراجها (و ذنب أطال مسـحبه) على وجه الأرض (و إذا) أراد السـفاد و (درج إلى الانثى نشـره) أى نشر ذنبه (من طيّه و سما به مطلّا) أى رفعه مشـرفا (على رأسـهكأنّه قلع دارى)شبّه عليه السّلام ذنبه بشراع السفينه من باب تشبيه المحسوس بالمحسوس، لأنه عند اراده السفاد يبسط ذنبه و ينشره ثمّ يرفعه و ينصبه فيسير كهيئه الشراع المرفوع.

و أوضـح وجه الشـبه بقوله(عنجه نوتيّه)و ذلك لأنّ الملاّح الذى يدبّر أمر السـفينه يعطف الشـراع و يصـرفه تاره بالجذب و تاره بالارخاء و تاره بتحويله يمينا و شـمالا بحسب انصرافه من بعض الجهات إلى بعض (يختال) أى يتكبّر و يعجب (بألوانه و يميس) أى يتبختر (بزيفانه) و التبختر بمشيته.

ثمّ وصـف عليه السّـلام هيئه جمـاعه بقـوله (يفضـى) و يسـفد (كافضـاء الـدّيكه و يـأرّ) أى يجـامع (بملاقـحه) مثـل (أرّ الفحول المغتلمه) و ذات الغلم و الشبق.

ثمّ أكّد كون سفاده مثلى سفاد الدّيك و الفحل بالات التناسل كساير أصناف

ص:۵۴

۱- (۱) بالفارسى شكوفه.

الحیوان تنبیها به علی ردّ من زعم أنّ سفاده بتطعم الدّمع فقال (احیلک من ذلک علی معاینه) أی مشاهده برأی العین (لا کمن یحیل علی ضعیف اسناده) و یزعم أن لقاحه بالتطعم اعتمادا علی سند ضعیف و إحاله علیه.

ثمّ دفع الاستبعاد عن ذلک الزعم الفاسد بقوله (و لو کان) الأمر (کزعم من یزعم أنّه یلقح) أی یحبل (بدمعه تسفحها) و تسکبها (مدامعه فتقف فی ضفّتی جفونه) و جانبیها (و أنّ انثاه تطعم ذلک ثمّ تبیض لا من لقاح فحل سوی الدّمع المتبجّس) المنفجر (لما کان ذلک بأعجب من مطاعمه الغراب) قال الشّارح المعتزلی: و اعلم أنّ قوما زعموا أنّ الطاوس الذّکر یدمع عینه فتقف الدّمعه بین أجفانه فتأتی الانثی فتطعمها فتلقح من تلک الدّمعه، و أمیر المؤمنین علیه السّلام لم یحل ذلک و لکنّه قال: لیس بأعجب من مطاعمه الغراب، و العرب تزعم أنّ الغراب لا یسفد، و من أمثالهم: أخفی من سفاد الغراب، فیزعمون أنّ اللّقاح من مطاعمه الذّکر و الانثی و انتقال جزء من الماء الذی فی قانصته إلیها من منقاره، و أمّا الحکماء فقلّ أن یصدقوا بذلک، علی أنّهم قد قالوا فی کتبهم ما یقرب من هذا؟ قال ابن سینا: و القبجه تحبلها ریح تهبّ من ناحیه الحجل الذّکر و من سماع صوته، انتهی.

أقول: أمّا کلام أمیر المؤمنین علیه السّلام فلا یخفی أنّ ظهوره فی کون سفاد الطاوس باللّقاح، حیث شبّهه بافضاء الدّیکه و بأرّ الفحول،و عبّر عن القول الاخر بالزّعم کظهوره فی کون سفاد الغراب بالمطاعمه، و أمّا المثل فلا یدلّ علی أنّ الغراب لا یسفد بل الظّاهر منه خلافه، علی أنّی قد شاهدت عیانا غیر مرّه سفاد الغراب الأبقع، فلا بدّ من حمل کلام أمیر المؤمنین علیه السّلام علی سایر أصناف الغراب و إن کان ظاهره الاطلاق و اللّه العالم بحقایق الخبیئات و أولیاؤه علیهم السّلام.

ثمّ أخذ علیه السّلام فی وصف اجنحه الطاوس فقال (تخال قصبه) أی عظام أجنحته (مداری من فضّه) فی الصّفاء و البیاض (و ما أنبتت علیها من عجیب داراته و شموسه) التی فی الرّیش (خالص العقیان) أی الذّهب فی الصّفره الفاقعه و الرّونق و البریق

و الجلا (و فلذ الزبرجد) فی الخضره و النّضاره.

(فـان شـبّهته بما أنبتت الأرض) من الأزهار و الأنوار (قلت جنیّ جنی من زهره کلّ ربیع) و نوره فی اختلاف ألوانه و أضـباعه (و إن ضاهیته) أی شاکلته و شـبّهته بالملابس (فهو کموشـیّ الحلل) المنقّشه بکلّ نقش فی البهجه و النضاره (أو) ک (مونق عصب الیمن) أی کبرد یمـانیّ مصـبوغ معجب (و ان شاکلته بالحلیّ فهو کفصوص ذات ألوان) مختلفه (قـد نطّقت باللّجین المکلّل) أی جعلت الفضّه کالنّطاق لها.

قـال الشـارح البحرانی: شـبّههبالفصوصالمختلفه الأـلوان المنطّقـه فی الفضه أی المرصّـعه فی صـفایح الفضّه والمکلّلالـذی جعل کالاکلیل بذلک الترصـیع، فیکون حاصل کلامه علیه السّـلام تشبیهه قصب ریشه بصـفایح من فضّه رصّـعت بالفصوص المختلفه الألوان، فهی کالاکلیل بذلک الترصیع، و لکنّ الأظهر أنّ المکلّل وصف للّجین فافهم.

ثمّ أخـذ فی وصـف مشـیه و ضـحکه فقـال علیه السّـلام (یمشـی مشـی المرح المختـال) أی کمشـی الفرحـان المعجب بنفسه (و یتصـفّح) أی یقلب جناحه و ذنبه (فیقهقه ضاحکا لجمال سـرباله) أی حسن قمیصه (و أصابیغ وشاحه) أی ألوان لباسه (فاذا رمی ببصـره نحو قوائمه) و رأی سـماحتها (زقا) و صاح (معولا بصوت) أی رافعا صوته بالبکاء و النّیاح(یکاد یبین)أی یظعن و یرتحل و هو کنایه عن الموت (عن استغاثته و یشهد) عویله (بصادق توجّعه) و یفصح عن شدّه تفجّعه و ذلک (لأنّ قوائمه حمش) دقاق (کقوائم الدّیکه الخلاسیّه) التی عرفت معناها (و قد نجمت) أی طلعت(من ظنبوب ساقه صیصیه)و هی فی الأصل شوکه الحائک التی یسوّی بها السّداه و اللّحمه، فاستعیرت لصیصیه الطائر الّتی فی رجله (خفیّه) لیست بجلیّه کما للدّیک.

ثمّ أخـذ فی وصف قنزعته بقوله:(و له فی موضع العرف)مسـتعار عن عرف الـدّابه و هو شـعر عنقه(قنزعه)و هی رویشـات یسـیره طوال فی مؤخّر رأسه بارزه

عن ريش رأسه استعاره عن قنزعه الصّبى و هى الخصله من الشّعر يترك على رأسه (خضراء موشاه).

ثمّ أخذ فى وصف عنقه بقوله:(و مخرج عنقه كالابريق) أى محلّ خروج عنقه كمحلّ خروج عنق الابريق فيشعر بأنّ عنقه كالابريق أو أنّ خروجه كخروج عنق الابريق على أنه مصدر فيكون الاشعار أقوى (و مغرزها) أى مثبت عنقه، و تأنيث الضمير على لغه أهل الحجاز (إلى حيث بطنه كصبغ الوسمه اليمانيّه) فى الخضره الشديده الضاربه إلى السواد (أو كحريره سوداء ملبسه مرآتا ذات صقال) فى لونها المخصوص و مخالفه بصيص المرآه لها (و كأنه متلفّع) أى مكتس (بمعجر أسحم) أى بثوب كالعصابه ذى سحم و سواد (إلاّ أنّه يخيّل لكثره مائه و شدّه بريقه أنّ الخضره النّاضره ممتزجه به).

ثمّ وصف الخطّ الأبيض عند محلّ سمعه فقال:(و مع فتق سمعه خطّ) دقيق (كمستدقّ القلم فى) لون مثل (لون الاقحوان) أى البابونج (أبيض يقق فهو) أى ذلك الخطّ (ببياضه فى سواد ما هنالك يأتلق) و يلمع.

ثمّ أجمل فى تعديد ألوانه فقال:(و قلّ صبغ إلاّ و قد أخذ منه بقسط) وافر (و علاه) أى زاد على الصبغ و غلب عليه (بكثره صقاله و بريقه) أى جلائه و لمعانه (و بصيص ديباجه و رونقه) أى حسنه و بهائه(فهو كالأزاهير المبثوثه)المتفرّقه (لم تربّها أمطار ربيع و لا شموس قيظ)لما كان من شأن الأزاهير أنّ تربيتها و كمالها بالشّمس و المطر، و شبّه عليه السّلام ألوان هذا الطائر بالأزاهير المبثوثه أتى بهذه الجمله تنبيها على أن تربيتها ليست بالشّموس و الأمطار و إنّما هى بتدبير الفاعل المختار ففيه من الدّلاله على عظمه الصانع تعالى و قدرته ما لا يخفى.

و الظاهر أنّ الجمع فى الأمطار باعتبار الدّفعات، و فى الشّموس بتعدّد الاشراق فى الأيام، أو باعتبار أنّ الشّمس الطالع فى كلّ يوم فرد على حده لاختلاف التّأثير فى تربيه الأزهار و النباتات باختلاف الحرّ و البرد و غير ذلك.

ثمّ بيّن له حاله اخرى هى محل الاعتبار فى حكمه الصّانع و قدرته فقال:

(و قد يتحسّر) و يتعرّى (من ريشه و يعرى من لباسه) و ذلك فى الخريف عند

سقوط أوراق الأشجار (فيسقط تترى) أى شيئا بعد شىء (و ينبت تباعا) بدون فتره بينهما (فينحت) أى يسقط (من قصبه انحتات أوراق الأغصان ثمّ يتلاحق ناميا) و ذلک فى الرّبيع إذا بدء طلوع الأوراق (حتّى يعود كهيئته قبل سقوطه لا يخالف) لون ريشه الثّانى (سالف ألوانه و لا يقع لون فى غير مكانه).

ثمّ أشار إلى ما هو ألطف و أدقّ مما مضى و أعظم فى الدّلاله على قدره الصّانع المتعال فقال:(و إذا تصفّحت شعره واحده من شعرات قصبه أرتک) تلک الشعره من شدّه بصيصها ألوانا مختلفه فتاره (حمره ورديّه و تاره) أخرى (خضره زبرجديّه و احيانا صفره عسجديّه).

ثمّ عقّب ذلک باستبعاد وصول الأذهان الثاقبه إلى وصفه و قال:(فكيف تصل إلى صفه هذا عمائق الفطن) أى الفطن العميقه التى من شأنها إدراک دقايق الأشياء و العلم بوجوه الامور على ما ينبغى (أو تبلغه قرائح العقول) أى تناله العقول بجوده الطّبيعه من قولهم لفلان قريحه جيّده يراد استنباط العلم بجوده الطبع (أو تستنظم وصفه أقوال الواصفين و) الحال أنّ (أقلّ أجزائه قد أعجز الأوهام أن تدركه و الألسنه أن تصفه) و لا ريب أنّ الشّعره أقلّ الأجزاء الّتى بها قوام الحيوان.

و المراد بيان عجزها عن ادراک علل هذه الألوان على اختلافها و اختصاص كلّ من مواضعها بلون غير الاخر و علل هيئاتها و ساير ما أشار إليه، أو إظهار عجزها عن إدراک جزئيّات الأوصاف المذكوره و تشريح الهيات الظاهره و الخصوصيات الخفيّه فى خلق ذلک الحيوان، فانّ ما ذكره عليه السّلام فى هذه الخطبه تشريحه و إن كان على غايه البلاغه و فوق كلّ بيان فى وصف حاله إلّا أنّ فيه وراء ذلک جزئيّات لم يستثبتها الوصف.

و هذا هو الأقرب و الأنسب بما عقّبه به من تنزيهه تعالى أعنى قوله:(فسبحان الّذى بهر العقول) و غلبها (عن وصف خلق جلاه للعيون فأدركته محدودا مكوّنا) أى موصوفا بالحدود و التكوين و (مؤلّفا) من الأجزاء (ملوّنا) بالألوان المختلفه

(و أعجز الألسن عن تلخيص صفته و قعد بها عن تأديه نعته) و الغرض الدّلاله على عجز العقول عن إدراك ذاته سبحانه، فانّها إذا عجزت عن إدراك مخلوق ظاهر للعيون على الأوصاف المذكوره فهى بالعجز عن إدراكه سبحانه و وصفه أحرى، و كذلك الألسن عن تلخيص صفته و تأديه نعته أعجز.

(و سبحان من أدمج) أى أحكم (قوائم الذّره) و هى صغار النّمل (و الهمجه) و هو صغير الذّباب (إلى ما فوقهما من خلق) البرّ و البحر من (الحيتان و الفيله) و نحوها (و وأى) أى وعد و ألزم (على نفسه ألاّ يضطرب شبح) و لا يتحرّك شخص (مما أولج) أى أدخل (فيه الرّوح إلاّ و جعل الحمام) و الموت (موعده و الفناء غايته).

تتميم فى نوادر وصف الطاوس

روى فى الكافى عن سليمان الجعفرى عن أبى الحسن الرّضا عليه السّلام قال:

الطاوس مسخ، كان رجلا جميلا فكابر امرئه رجل مؤمن تحبّه فوقع بها، ثمّ راسلته بعد، فمسخهما اللّه عزّ و جلّ طاوسين انثى و ذكرا فلا تأكل لحمه و لا بيضه.

و فى البحار من الخرائج عن محمّد بن إبراهيم الحرث التّميمى، عن الحسين عليه السّلام أنّه قال: إذا صاح الطاوس يقول: مولاى ظلمت نفسى و اغتررت بزينتى فاغفر لى.

قال الدّميرى فى حياه الحيوان: الطاوس طاير معروف و تصغيره طويس بعد حذف الزّوايد، و كنيته أبو الحسن و أبو الوشى، و هو فى الطير كالفرس فى الدّواب عزّا و حسنا و فى طبعه العفّه و حبّ الزّهو بنفسه و الخيلاء و الاعجاب بريشه، و عقده لذنبه كالطّاق لا سيّما إذا كانت الأنثى ناظره إليه، و الأنثى تبيض بعد أن يمضى لها من العمر ثلاث سنين، و فى ذلك الأوان يكمل ريش الذّكر و يتمّ لونه، و تبيض الانثى مرّه واحده فى السنه اثنتى عشره بيضه و أقلّ و أكثر، لا تبيض متتابعا، و يسفد فى أيّام الرّبيع، و يلقى ريشه فى الخريف كما يلقى الشّجر ورقه، فاذا بدأ طلوع الأوراق فى الشّجر طلع ريشه، و هو كثير العبث بالأنثى إذا حضنت، و ربّما كسر البيض و لهذه العلّه يحضن بيضه تحت الدّجاج و لا تقوى الدّجاجه على

حضن أكثر من بيضتين منه، و ينبغى أن تتعاهد الدّجاجه بجميع ما تحتاج إليه من الأكل و الشّرب مخافه أن تقوم عنه فيفسده الهواء، و الفرخ الذى يخرج من حضن الدّجاجه يكون قليل الحسن و ناقص الجثّه، و مدّه حضنه ثلاثون يوما، و فرخه يخرج من البيضه كالفروخ كاسيا كاسيا، و أعجب الأمور أنّه مع حسنه يتشأمّ به، و كان هذا و اللّه أعلم إنّه لما كان سببا لدخول إبليس الجنّه و خروج آدم عليه السّلام منها و سببا لخلوّ تلك الدّار من آدم مدّه دوام الدّنيا كرهت إقامته فى الدّور لذلك

الترجمه

از جمله خطب بلاغت نظام آن امام است كه ذكر مى فرمايد در آن عجايب و غرايب خلقت طاوس را باين مضامين.

اختراع كرد و آفريد خداى تعالى مخلوقات را آفريدنى عجيب از ذى روح و از غير ذى روح، و از ساكن و از صاحب حركت، و برپا داشت از علامات باهرات بر لطيف صنعت و عظيم قدرت خود شاهد صادقى را كه انقياد نمود مر او را عقلها در حالتى كه اعتراف كننده بودند باو، و گردن نهنده بودند بر او، و صدا كرد در گوشهاى ما دليلهاى او بر وحدانيّت و يگانگى او سبحانه، و دليلهاى آنچه كه آفريده از صورتهاى مختلفۀ مرغ هائى كه ساكن گردانيد آنها را در شكافهاى زمين، و در فرجه هاى واقعه در ميان كوههاى آن و در سرهاى كوههاى بلند از صاحبان بالهاى گوناگون، و هيئتهاى متباين در حالتى كه متقلبند در افسار تسخير، و گستراننده اند بالهاى خود را در شكافهاى هواى فسيح و فضاى وسيع.

ايجاد فرمود آنها را بعد از اين كه موجود نبودند در عجايب صورتهاى آشكار و تركيب داد آنها را در مجامع مفصلهائى كه پوشيده اند در تحت پردها، و منع فرمود بعض از مرغان را بجهه سنگينى و ضخامت جثّۀ آن از آنكه بلند شود بهوا بسرعت و خفّت، و گردانيد آن را كه مى پرد بر روى زمين پريدنى كه نزديك باشد بزمين تا بلند شود، و منظّم نمود مرغان را با اختلاف ايشان در رنگها با قدرت

لطيفهٔ خود و صنعت دقيقهٔ خود.

پس بعضـی از آنها غوطه و رشده در قالب يكرنگى كه أصـلا مخلوط نيست بان غير رنگى كه غوطه ور شده در آن، و بعضـى از آنها فرو برده شده در رنگى كه طوق گردن آن بخلاف رنگى است كه رنگ داده شده بان.

و از عجب ترين مرغان از حيثيت خلقت طاوس است كه برپا داشته او را حق تعالى در محكم ترين تعديل أجزاء، و ترتيب داده رنگهاى آن را در أحسن ترتيب با بالى كه درهم كرده قصبها و أصلهاى آن را، و با دمى كه دراز كرده جاى كشيدن آن را، وقتى كه بگذرد طاوس نر بر طاوس ماده پراكنده سازد آن دم را از پيچيدگى آن، و بلند مى كند آن را در حالتى كه مشرف باشد بر سر آن گويا كه آن دم بادبان كشتى است كه منسوبست بشهر دارين كه ميل داده است آنرا كشتيبان آن مى نازد برنگهاى مختلفهٔ خود، و مى خرامد بنازشهاى خود، مباشرت ميكند همچو مباشرت خروسان، و مجامعت مى كند با آلات تناسل مثل مجامعت نرهاى شديد الجماع، حواله مى كنم تو را از اين أمر مذكور بر ديدن رأى العين نه مانند كسى كه حواله مى كند بر سندهاى ضعيف خود، و اگر باشد اين امر مثل گمان كسى كه گمان ميكند كه طاوس آبستن مى سازد مادهٔ خود را با اشكى كه مى ريزد آن را كنجهاى چشم آن پس مى ايستد آن أشك در پلكهاى چشم او و آنكه ماده او مى ليسد آن را پس از آن تخم مى نهد نه از جماع طاوس نر غير از اشك بيرون آمدهٔ از چشم هر آينه نمى باشد اين گمان عجبتر از مطاعمه زاغها كه نر و ماده منقار بمنقار مى گذارند، و جزئى از آب كه در سنگدان نر است بدهن ماده مى رسد و از آن آبستن مى شود چنانچه اعتقاد عربها اينست، خيال مى كنى أصل پردهاى طاوس را شانه ها از نقره بيضا و آنچه رسته بر آن از دايره هاى عجيبه و شمسه هاى غريبهٔ آن طلاى خالص و پارهاى زبرجد.

پس اگر تشبيه كنى طاوس را بچيزى كه رويانيده است آنرا زمين گوئى كه گلهائيست چيده شده از شكوفه هر بهارى، و اگر تشبيه كنى آن را بلباسها

پس آن همچو حلّهای زینت داده شده است باطلاء یا همچو جامهای برد خوش آیندهٔ یمن است، و اگر تمثیل کنی آنرا بزیورها پس او مانند نگینهائیست صاحب رنگها که کشیده در أطراف آن، یعنی مدور شده مانند نطاق بنقره مزیّن بجواهر.

راه می رود طاوس مثل راه رفتن شادی کنندهٔ متکبّر خرامان، و می نگرد بنظر دقّت بدم و بال خود پس قهقهه می زند در حالتی که خندانست از جهه حسن پیراهن رنگین خود و رنگهای لباس خود، پس چون اندازد نظر خود را بسوی پایهای سیاه باریک خود بانگ کند در حالتی که گریه کننده باشد باو از بلند که نزدیک باشد روح از بدنش مفارقت نماید از شدّت فریاد خود، زیرا که پاهای او زشت است و باریک همچو پاهای خروسان خلاسی که متولّد می شوند میان مرغ هندی و فارسی در حالتی که برآمده است از طرف ساق او خاری که پنهانست چنانچه در پای خروسان می روید.

و مر او راست در موضع پس گردن کاکلی سبز مزیّن با نقش و نگار و موضع بیرون آمدن گردن او مانند ابریق است و جای فرو رفتن گردن آن تا که منتهی شود بشکم او مثل رنگ وسمهٔ یمانی است یا همچو حریر پوشیده شده بر آینه صاحب صیقل و جلا و گویا که طاوس پیچیده است بمقنعهٔ سیاه لکن خیال کرده می شود از جهه کثرت تر و تازگی او و شدت برّاقی او این که سبزی با طراوت آمیخته است بان.

و با شکاف گوش او است خطّی مثل باریکی سر قلم در رنگ گل بابونج که سفید است در غایت روشنی، پس آن خط بسفیدی خود در میان سیاهی آنچه که آن جاست می درخشد، و کم رنگی است از رنگها مگر این که اخذ نموده است از آن بنصیب کامل، و بلند برآمده و تفوّق پیدا کرده آن رنگ بر او به بسیاری روشنی و درخشیدن آن و برّاقی زیبای آن و خوبی آن.

پس طاوس مانند شکوفهائیست گسترانیده که تربیت نداده آنرا بارانهای بهاری و نه آفتابهای تابستانی، و گاهی هست که عاری می شود از پر خود و برهنه می شود

ص:۶۲

از لباس خود پس می افتد آن پرها پیاپی، و می روید روئیدنی، پس می ریزد آن پرها از قلم پر او همچو ریختن برگهای شاخهای درخت، بعد از آن متلاحق می شود در عقب یکدیگر در حالتی که نمو کننده است تا آنکه بر می گردد بهیئت و صورتی که پیش از ریختن داشت، مخالف نمی باشد رنگهای لاحق برنگهای سابق، و واقع نمی شود هیچ رنگی در غیر جای خود و چون نظر کنی بتأمّل در هر موئی از موهای قلم أو می نمایاند آن موی تو را سرخی که بلون گل سرخست و بار دیگر سبزی که برنگ زبرجد است و گاهی زردی برنگ طلای خالص.

پس چگونه می رسد بصفت این مرغ خوش رنگ فکرهای عمیقه، یا چگونه می رسد بکنه معرفت او عقلهای با ذکاوت، یا چگونه بنظم می آورد وصف آن را أقوال وصف کنندگان و حال آنکه کمترین جزئهای او عجز آورده است و همها را از ادراک آن و زبانها را از وصف آن.

پس پاکا پروردگاری که غالب شد بعقلها از وصف کردن مخلوقی که روشن و آشکار گردانید آن را به چشمها، پس ادراک کردند آن چشمها آن مخلوق را در حالتی که صاحب حدّ معینی بود آفریده شده و صاحب ترکیبی بود برنگهای گوناگون.

پس منزّه پروردگاری که محکم ساخت پاهای مورچه و پشهٔ کوچک را با آنچه فوق آنها است از خلق ماهیها و فیلها، و وعده کرده و لازم نموده بر نفس خود که نجنبد هیچ جنبندهٔ از موجوداتی که داخل فرموده روح را در آن مگر این که گردانیده مرگ را وعده گاه او، و فنا را پایان کار او.

ص:۶۳

الفصل الثانى منها فى صفه الجنه

اشاره

فلو رميت ببصر قلبك نحو ما يوصف لك منها، لعزفت نفسك من بدايع ما أخرج إلى الدّنيا من شهواتها و لذّاتها، و زخارف مناظرها و لذهلت بالفكر فى اصطفاق أشجار غيّبت عروقها فى كثبان المسك على سواحل أنهارها، فى تعليق كبائس اللّؤلؤ الرّطب فى عساليجها و أفنانها، و طلوع تلك الثّمار مختلفه فى غلف أكمامها، تجنى من غير تكلّف فتأتى على منيه مجتنيها، و يطاف على نزّالها فى أفنيه قصورها بالأعسال المصفّقه، و الخمور المروّقه، قوم لم تزل الكرامه تتمادى بهم حتّى حلوّا دار القرار، و أمنوا نقله الأسفار، فلو شغلت قلبك أيّها المستمع بالوصول إلى ما يهجم عليك من تلك المناظر المونقه، لزهقت نفسك شوقا إليها، و لتحمّلت من مجلسى هذا إلى مجاوره أهل القبور استعجالا بها، جعلنا اللّه و إيّاكم ممّن سعى بقلبه إلى منازل الأبرار برحمته. قال السيد (ره): قوله «كبائس اللّؤلؤ الرّطب» الكباسه العذق «و العساليج» الغصون واحدها عسلوج. «ج ۴»

ص:۶۴

اللغه

(عزفت) بالعين المهمله و الزّاء المعجمه أى زهدت و انصرفت و (اصطفاق) الأشجار اضطرابها من الصّفق و هو الضّرب يسمع له صوت يقال: صفق يده على يده صفقه أى ضربها عليها، و ذلک عند وجوب البيع، و فى بعض النسخ اصطفاف أشجار أى انتظامها صفّا، و فى بعضها اصطفاف أغصان بدل أشجار.

و (الكباسه) العذق التام بشماريخه و رطبه و (الاكمام) كالأكمه و الكمام جمع كم و كمامه بالكسر فيهما و هو وعاء الطّلع و غطاء النّور و (فناء) البيت ما اتّسع من أمامه و الجمع أفنيه و (التّصفيق) تحويل الشّراب من إناء إلى إناء ممزوجا ليصفو و (الرّواق) الصّافى من الماء و غيره و المعجب و (النّقله) بالضمّ الانتقال.

الاعراب

قوله: رميت ببصر قلبک، الباء زايده، و فى تعليق، عطف على قوله فى اصطفاق أشجار، و جمله تجنى منصوبه المحلّ حال من الثّمار، و قوم، خبر محذوف المبتدأ و جمله جعلنا اللّه، دعائيّه لا محلّ لها من الاعراب، و قوله: برحمته، متعلّق بقوله جعلنا أو بقوله: سعى.

المعنى

اشاره

اعلم أنّ هذا الفصل من الخطبه حسبما ذكره الرضىّ وارد فى صفه الجنّه دار النّعيم و الرّحمه قال عليه السّلام (فلو رميت ببصر قلبک) أى نظرت بعين بصيرتک (نحو ما يوصف لک منها) أى إلى جهه ما وصف اللّه لک و رسوله فى الكتاب و السنّه من نعيم الجنّه و ما أعدّ اللّه فيها لأوليائه المؤمنين (لعزفت نفسک) و اعرضت (عن بدايع ما أخرج إلى الدّنيا من شهواتها و لذّاتها و زخارف مناظرها) و لم تجد لشىء منها وقعا عندها (و لذهلت) مغموره (بالفكر فى) عظيم ما اعدّ فى دار الخلد من (اصطفاق أشجار) و اهتزازها بريح (غيّبت عروقها فى كثبان المسک) أى فى تلال من المسک بدل الرّمل (على سواحل أنهارها) و لذهلت بالفكر (فى تعليق

كبائس اللّؤلؤ الرّطب فى عساليجها و أفنانها) أى فروعها و اغصانها.

(و) فى (طلوع تلك الثمار) و ظهورها (مختلفه فى غلف أكمامها) يجوز أن يراد باختلاف الثمار اختلافها باعتبار اختلاف الأشجار بأن يحمل كلّ نوع من الشّجر نوعا من الثمر كما فى أشجار الدّنيا فيكون ذكر الاختلاف اشاره إلى عدم انحصار ثمر الجنّه بنوع أو نوعين، و أن يراد به اختلافها مع وحده الشّجره، فذكر الاختلاف للدّلاله على عظيم قدره المبدأ سبحانه.

و يدلّ على الاحتمال الأوّل ما فى البحار من تفسير الامام عليه السّلام فى قوله تعالى «وَ لا تَقْرَبا هذِهِ الشَّجَرَةَ » قال عليه السّلام: هى شجره تميّزت بين ساير أشجار الجنّه إنّ ساير أشجار الجنّه كان كلّ نوع منها يحمل نوعا من الثمار و المأكول و كانت هذه الشّجره و جنسها تحمل البرّ و العنب و التين و العنّاب و ساير أنواع الفواكه و الثمار و الأطعمه، فلذلك اختلف الحاكون بذكر الشجره فقال بعضهم: هى برّه و قال آخرون: هى عنبه، و قال آخرون: هى عنّابه.

و على الثانى ما فى الصّافى من العيون باسناده إلى عبد السّلام بن صالح الهروى قال: قلت للرّضا عليه السّلام يا ابن رسول اللّه أخبرنى عن الشّجره الّتى نهى منها آدم و حوّاء ما كانت؟ فقد اختلف النّاس فيها، فمنهم من يروى أنّها الحنطه، و منهم من يروى أنّها العنب، و منهم من يروى أنّها شجره الحسد، فقال عليه السّلام: كلّ ذلك حقّ، قلت: فما معنى هذه الوجوه على اختلافها؟ فقال عليه السّلام: يا أبا الصلت إنّ شجره الجنّه تحمل أنواعا، و كانت شجره الحنطه، و فيها عنب ليست كشجره الدّنيا فافهم.

(تجنى من غير تكلّف فتأتى على منيه مجتنيها) حسبما تشتهيه نفسه لا يترك له منيه أصلا كما قال سبحانه «وَ ذُلِّلَتْ قُطُوفُها تَذْلِيلًا » قال علىّ بن إبراهيم القمّى: قال: دليت عليهم ثمارها ينالها القائم و القاعد.

و فى الصافى من الكافى عن النبىّ «وَ ذُلِّلَتْ قُطُوفُها تَذْلِيلًا » من قربها منهم يتناول المؤمن من النوع الذى يشتهيه من الثمار و هو متّكىء.

ص:۶۶

و قـال تعـالى أيضـا «وَ جَنَى الْجَنَّتَيْنِ دانٍ » قال فى مجمع البيان: الجنى الثمر المجنىّ أى تـدنو الثمره حتّى يجنيها ولىّ اللّه إن شاء قائمـا و إن شـاء قاعـدا عن ابن عبـاس، و قيل أثمار الجنّتين دانيه إلى أفواه أربابها، فيتناولونها متّكئين، فاذا اضـطجعوا نزلت بازاء أفواههم فيتناولونها مضطجعين، لا يردّ أيديهم عنها بعد و لا شوك عن مجاهد.

(و يطاف على نزّالها فى أفنيه قصورها بالأعسال المصفقه) المصفاه (و الخمور المروّقه) المتّصفه بالصفاء.

كما أخبر به سبحانه فى كتابه العزيز بقوله «وَ يُطافُ عَلَيْهِمْ بِآنِيَهٍ مِنْ فِضَّهٍ وَ أَكْوابٍ كانَتْ قَوارِيرَا قَوارِيرَا مِنْ فِضَّهٍ قَدَّرُوها تَقْدِيراً وَ يُسْقَوْنَ فِيها كَأْساً كانَ مِزاجُها زَنْجَبِيلًا عَيْناً فِيها تُسَمّى سَلْسَبِيلًا ».

و قوله «يُطـافُ عَلَيْهِمْ بِكَأْسٍ مِنْ مَعِينٍ بَيْضاءَ لَذَّهٍ لِلشّارِبِينَ لا فِيها غَوْلٌ وَ لا هُمْ عَنْها يُنْزَفُونَ » أى يطوف عليهم ولـدان مخلّـدون بكـأس من خمر معين ظـاهر للعيون جـاريه فى أنهار ظاهره، و قيل شديـده الجرى، و وصـفها بكونها بيضاء لأنها فى نهايه الرقّه و الصـفاء و اللّطـافه النوريه الّتى بها لذيـذه للشاربين ليس فيها ما يعترى خمر الـدّنيا من المراره و الكراهه، لا فيها غول أى لا يغتال عقولهم فيـذهب بهـا، و لا ـ يصـيبهم منها وجع فى البطن و لا فى الرّأس و يقال للوجع غول لأنّه يؤدّى إلى الهلاك، و لا هم عنها ينزفون من نزف الرّجل فهو منزوف و نزيف إذا ذهب عقله بالسكر.

و لمـا وصف نعيم الجنه و ما منّ اللّه بها على نازليها أشار إلى نزّالها فقال عليه السّـلام (قوم) أى هم قوم (لم تزل الكرامه تتمادى بهم) أى متماديه بهم ممتدّه لهم متوسّعه فى حقّهم(حتّى حلّوا)و نزلوا(دار القرار و أمنوا نقله الأسفار)أى من انتقالها.

و هو كنايه عن خلاصـهم عن مكاره عوالم الموت و البرزخ و القيامه و شدايدها و أهوالها روى فى البحار من معانى الأخبار عن ابن عباس أنه قال: دار السلام الجنّه و أهلها.

لهم السـلامه من جميع الافـات و العاهـات و الأمراض و الأسـقام، و لهم السـلامه من الهرم و الموت و تغيّر الأحوال عليهم، و هم المكرّمون الّذين لا يهانون أبدا، و هم

الأعزّاء الّذين لا يذلّون أبدا، و هم الأغنياء الّذين لا يفقرون أبدا، و هم السعداء الّذين لا يشقون أبدا، و هم الفرحون المسروورون الّذين لا يغتمّون و لا يهتمون أبدا، و هم الأحياء الّذين لا يموتون أبدا فمنهم من فى قصور الدرّ و المرجان أبوابها مشرعه إلى عرش الرّحمان، و الملائكه يدخلون عليهم من كلّ باب سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدّار.

ثمّ أخذ فى تحضيض المخاطبين و تشويقهم إلى طلب الجنّه و القصد اليها بقوله (فلو شغلت قلبك أيّها المستمع بالوصول إلى ما يهجم عليك) أى يدخل عليك على غفله منك (من تلك المناظر المونقه) المعجبه(لزهقت نفسك)أى بطلت و هو كنايه عن الموت (شوقا إليها) و حرصا عليها (و لتحملت) و ارتحلت (من مجلسى هذا إلى مجاوره أهل القبور استعجالا بها) أى بتلك المناظر المونقه.

و محصّل المراد أنك لو تفكّرت فى درجات الجنان و ما أعدّ اللّه سبحانه فيها لأوليائه المقرّبين، و عباده الصالحين من جميع ما تشتهيه الأنفس و تلذّ الأعين لمتّ من فرط الشوق و الشعف و لازعجت بكلّيتك عن الدّنيا، و ساكنت المقابر و جاورت أهل القبور انتظارا للموت الممدّ اليها.

ثمّ دعا عليه السّلام له و لهم بقوله (جعلنا اللّه و إيّاكم ممن سعى إلى منازل الأبرار) و مساكن الأخيار (برحمته) و منّته إنّه ولىّ الاحسان و الكرم و الامتنان.

تبصره

آيات الكتاب العزيز و الاخبار المتضمّنتان لوصف الجنه و التشويق إليها فوق حدّ الاحصاء و لنورد بعض الاخبار المتضمّنه له و المشتمله على مناقب أمير المؤمنين عليه السّلام و بعض فضايل شيعته لعدم خلوّه عن مناسبه المقام فأقول:

روى الشارح المعتزلى عن الزمخشرى فى ربيع الأبرار قال: و مذهبه فى الاعتزال و نصره أصحابنا معلوم و كذا فى انحرافه عن الشيعه و تسخيفه لمقالاتهم إنّ رسول اللّه قال: لما اسرى بى أخذنى جبرئيل فأقعدنى على درنوك من درانيك الجنه ثمّ ناولنى سفرجله فبينما أنا أقلبها انفلقت فخرجت منها جاريه لم أر أحسن

منها فسلّمت فقلت من أنت؟ قال أنا الرّاضيه المرضيّه خلقنى الجبّار من ثلاثه أصناف أعلاى من عنبر و أوسطى من كافور و أسفلى من مسك ثمّ عجننى بماء الحيوان و قال لى كونى فكنت خلقنى لأخيك و ابن عمّك علىّ بن أبى طالب.

أقول و رواه فى غايه المرام من كتاب مناقب أمير المؤمنين عليه السّلام لموفق بن أحمد أخطب خوارزم مثله، و عن عيون الأخبار للصّدوق نحوه و من أمالى الصّدوق بتفاوت يسير و زياده قليله.

و روى فى البحار من كشف الغمّه عن موفّق بن أحمد الخوارزمى أيضا بسنده عن بكر بن أحمد عن محمّد بن علىّ عن فاطمه بنت الحسين عليه السّلام عن أبيها و عمّها الحسن بن علىّ عليهما السّلام قالا أخبرنا أمير المؤمنين علىّ بن أبى طالب عليه السّلام قال قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله لما أدخلت الجنّه رأيت الشجره تحمل الحلىّ و الحلل أسفلها خيل بلق، و أوسطها حور العين، و فى أعلاها الرّضوان قلت يا جبرئيل لمن هذه الشجره قال هذه لابن عمّك أمير المؤمنين علىّ بن أبى طالب إذا أمر اللّه الخليقه بالدّخول إلى الجنه يؤتى بشيعه علىّ عليه السّلام حتّى ينتهى بهم إلى هذه الشجره، فيلبسون الحلىّ و الحلل، و يركبون الخيل البلق و ينادى مناد: هؤلاء شيعه علىّ صبروا فى الدّنيا على الأذى فحبوا هذا اليوم.

و فى البحار من تفسير فرات بن إبراهيم عن الحسين بن سعيد معنعنا عن ابن عبّاس قال قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم إنّ فى الجنّه لشجره يقال لها طوبى ما فى الجنّه دار إلاّ فيها غصن من أغصانها أحلى من الشّهد و ألين من الزّبد أصلها فى دارى و فرعها فى دار علىّ بن أبى طالب.

و فيه منه أيضا عن إسماعيل بن إسحاق بن إبراهيم الفارسى معنعنا عن أبى جعفر محمّد بن علىّ عن آبائه عليهم السّلام قال قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله لما اسرى بى إلى السّماء فصرت فى سماء الدّنيا حتّى صرت فى السماء السّادسه فاذا أنا بشجره لم أر شجره أحسن منها فقلت لجبرئيل يا حبيبى ما هذه الشجره؟ قال هذه طوبى يا حبيبى، قال: قلت:

ما هذا الصوت العالی الجهوری؟ قال: هذا صوت طوبی قلت: أیّ شیء یقول؟ قال:

یقول وا شوقاه إلیک یا علیّ بن أبی طالب.

و فیه منه أیضا عن الحسین بن القاسم و الحسین بن محمّد بن مصعب و علیّ بن حمدون و زاد بعضهم الحرف و الحرفین و نقص بعضهم الحرف و الحرفین و المعنی واحد إنشاء اللّه.

قالوا حدّثنا عیسی بن مهران معنعنا عن أمیر المؤمنین علیّ بن أبی طالب علیه السّلام قال لمّا نزلت علی رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله «طُوبىٰ لَهُمْ وَ حُسْنُ مَآبٍ » قام مقداد بن الأسود الکندی إلی النبیّ صلّی اللّه علیه و آله و سلّم فقال یا رسول اللّه و ما طوبی؟ قال یا مقداد شجره فی الجنّه لو یسیر الرّاکب الجواد لسار فی ظلّها مأئه عام قبل أن یقطعها، ورقها و قشورها برد خضر و زهرها ریاش صفر، و أفنانها سندس و استبرق و ثمرها حلل خضر، و طعمها زنجبیل و عسل و بطحائها یاقوت أحمر و زمرّد أخضر و ترابها مسک و عنبر و حشیشها منیع و النجوج(۱) یتأجّج من غیر وقود، و یتفجّر من أصلها السلسبیل و الرّحیق و المعین و ظلّها مجلس من مجالس شیعه أمیر المؤمنین علیّ بن أبی طالب علیه السّلام یألفونه و یتحدّثون بجمعهم و بیناهم فی ظلّها یتحدّثون إذ جائتهم الملائکه یقودون نجباء جبلت من الیاقوت ثمّ نفخ الروح فیها مزمومه بسلاسل من ذهب کأنّ وجوهها المصابیح نضاره و حسنا و برّها حزّ أحمر و مزعزی(۲) أبیض مختلطتان لم ینظر الناظرون إلی مثله حسنا و بهاء و ذلّل من غیر مهله نجباء من غیر ریاضه علیها رحال ألواحها من الدّر و الیاقوت المفضّضه باللّؤلؤ و المرجان صفایحها من الذهب الأحمر ملبّسه بالعبقریّ و الارجوان فأناخوا تلک النجائب إلیهم.

ثمّ قالوا لهم: ربّکم یقرئکم السلام و یریکم و ینظر إلیکم و یحبّکم و تحبّونه و یزیدکم من فضله و رحمته فانّه ذو رحمه واسعه و فضل عظیم فیتحوّل کلّ رجل منهم علی راحلته فینطلقون صفا واحدا معتدلا و لا یمرّون بشجره من أشجار الجنّه إلّا أتحفتهم بثمارها و رحلت لهم عن طریقهم کراهیه أن یثلم بطریقتهم و أن یفرّق

۱- (۱) المنیع لم أر له معنی یناسب المقام و النجوج عود البخور (بحار)

۲- (۲) المزعزی و یمدّ اذا خفف و قد تفتح المیم فی الکلّ الزغب الذی تحت شعر العنز (بحار).

بين الرّجل و رفيقه.

فلما وقعوا إلى الجبّار جلّ جلاله قالوا ربّنا أنت السلام و لك يحقّ الجلال و الاكرام فيقول اللّه تعالى مرحبا بعبادى الّذين حفظوا وصيّتى فى أهل بيت نبيّى و رعوا حقّى و خافونى بالغيب و كانوا منّى على كلّ حال مشفقين قالوا و عزّتك و جلالك ما قدرناك حق قدرك، و ما أدّينا لك كلّ حقك فأذن لنا بالسجود قال لهم ربهم إنى وضعت عنكم مؤنه العباده و أرحت عليكم أبدانكم و طال ما نصبتم لى الأبدان، و عنتّم الوجوه فالان أفضيتم إلى روحى و رحمتى فاسئلونى ما شئتم، و تمنّوا علىّ اعطكم أمانيكم فانى لن اجزيكم اليوم بأعمالكم و لكن برحمتى و كرامتى و طولى و ارتفاع مكانى و عظيم شأنى و لحبكم بأهل بيت نبيّى.

فلا يزال يرفع أقدار محبّى علىّ بن أبى طالب فى العطايا و المواهب حتى انّ المقصر من شيعته ليتمنّى فى امنيته مثل جميع الدّنيا منذ خلقها اللّه إلى يوم فنائها فيقول لهم ربّهم لقد قصرتم فى أمانيكم و رضيتم بدون ما يحقّ لكم فانظروا إلى مواهب ربّكم.

فاذا بقباب و قصور فى أعلا علّيين من الياقوت الأحمر و الأخضر و الأصفر و الأبيض يزهو نورها فلو لا أنها مسخّره إذا للمعت(۱) الأبصار منها فما من تلك القصور من الياقوت الأحمر فهو مفروش بالعبقرى الأحمر و ما كان منها من الياقوت الأخضر فهو مفروش بالسندس الأخضر و ما كان منها من الياقوت الأبيض فهو مفروش بالحرير الأبيض و ما كان فيها من الياقوت الأصفر فهو مفروش بالرياش الأصفر(۲) مبثوثه مطرّزه بالزمرّد الأخضر، و الفضّه البيضاء و الذّهب الأحمر، قواعدها و أركانها من الجوهر يثور من أبوابها و أعراصها نور، شعاع الشمس عندها مثل الكوكب الدّرى فى النهار المضىء.

و إذا على باب كل قصر من تلك القصور جنّتان «مُدْهامَّتانِ »، «فِيهِما عَيْنانِ نَضّاخَتانِ »، و «فِيهِما مِنْ كُلِّ فاكِهَهٍ زَوْجانِ ».

۱- (۱) لمع بالشيء ذهب به (بحار).

۲- (۲) الرياش اللباس الفاخر بحار ().

فلمّا أرادوا أن ينصرفوا إلى منازلهم ركبوا على برازين من نور بأيدى ولدان مخلّدين، بيد كلّ واحد منهم حكمه(۱) برزون من تلك البرازين، لجمها و أعنّتها من الفضّه البيضاء، و أثفارها من الجوهر.

فلمّا دخلوا منازلهم وجدوا الملائكه يهنّؤنهم بكرامه ربّهم، حتّى إذا استقرّوا قرارهم، قيل لهم هل وجدتم ما وعدكم ربّكم حقّا قالوا نعم ربّنا رضينا فارض عنّا قال برضاى عنكم و بحبّكم أهل بيت نبيّى أحللتم دارى، و صافحتم الملائكه فهنيئا هنيئا غير محذور و ليس فيه تنغيص فعندها قالوا الحمد للّه الذى أذهب عنّا الحزن إنّ ربّنا لغفور شكور.

قال أبو موسى فحدّثت به أصحاب الحديث عن هؤلاء الثمانيه فقلت لهم أنا أبرأ اليكم من عهده هذا الحديث لأنّ فيه قوما مجهولين و لعلّهم لم يكونوا صادقين فرأيت ليلتى أو بعده كأنّه أتانى آت و معه كتاب فيه من مخول بن إبراهيم و الحسن بن الحسين، و يحيى بن الحسن بن فرات و علىّ بن القاسم الكندى، و لم ألق علىّ بن القاسم، و عدّه بعد لم أحفظ أساميهم كتبنا إليك من تحت شجره طوبى و قد انجز لنا ربّنا ما وعدنا فاستمسك بما عند الكتب، فانك لن تقرء منها كتابا إلّا أشرقت له الجنّه.

الترجمه

فصل ثانى از اين خطبه در فضل بهشت عنبر سرشت است مى فرمايد:

پس اگر بيندازى تو ديدهٔ قلب خود را بجانب چيزى كه وصف كرده مى شود از براى تو از بهشت هر اينه اعراض كند نفس تو از عجايب آنچه كه بيرون آورده بسوى دنيا از پردهٔ غيب از شهوات و لذات آن و زينتهاى منظره هاى آن و هر اينه غفلت كنى بسبب فكر كردن در آواز كردن و بهم خوردن درختانى كه غايب شده اند ريشه هاى آنها در تلّهاى مشك بر اطراف نهرهاى آن و در آويختن خوشه هاى مرواريد تر

۱- (۱) الحكمه محركه ما أحاط بحنكى الفرس من لجامه و فيها العذاران و الثفر بالتحريك و قد يسكن السير فى مؤخر السرج (بحار).

و تـازه در شاخهای بزرگ آنها و شاخهای کوچک آنها و در ظاهر شـدن آن میوه ها در حالتی که مختلفنـد در لون و طعم در غلافها و غنچه های آن میوه ها در حالتی که چیـده میشونـد بی زحمت و مشـقت پس می آینـد آن میوه ها بر خواهش چیننده هـای خود و طواف کرده می شونـد بر نازلاـن آن پیرامن قصـرهای آن بـا عسـلهای صـاف کرده شـده از کـدورات و خمرهای صافیه، ایشان جماعتی هسـتند که همیشه کرامت کشـیده می شود بایشان تا فرود آینـد بسـرای برقراری، و ایمن شونـد از انتقال جـائی بجائی پس اگر مشـغول گردانی قلب خود را ای گوش دهنـده برسـیدن بسوی آنچه هجوم آور می شود از آن منظرهای تعجب آورنـدۀ خوش آینـده هر آینه بر آیـد جـان تـو بجهه اشتیـاق بسـوی آن و هر آینه متـوجه می شـوی از این مجلس من بهمسایگی أهل قبرسـتان از جهه شـتافتن بان نعیم بی پایان، بگردانـد خـدای تعالی ما را و شـما را از کسانی که سـعی می کند بمنزلهای نیکوکاران برحمه بی نهایت و بخشش بی غایت خود.

و من خطبه له علیه السّلام و هی المأه و الخامسه

اشاره

و الستون من المختار فی باب الخطب

و الظاهر أنها ملتقطه من خطبه طویله قـدّمنا روایتها فی شـرح الخطبه السابعه و الثمانین من الکافی فلیراجع هناک و هذه متضـمّن لفصلین:

الفصل الاول

لیتأسّ صـغیرکم بکبیرکم، و لیرؤف کبیرکم بصغیرکم، و لا تکونوا کجفاه الجاهلیّه، لا فی الدّین تتفقّهون، و لا عن اللّه تعقلون، کقیض بیض فی أداح یکون کسرها وزرا، و یخرج حضانها شرّا.

ص:۷۳

الفصل الثانی منها

افترقوا بعد ألفتهم، و تشتّتوا عن أصلهم، فمنهم آخذ بغصن أینما مال مال معه، علی أنّ اللّه تعالی سیجمعهم لشرّ یوم لبنی أمیّه کما تجتمع قزع الخریف، یؤلّف اللّه بینهم ثمّ یجعلهم رکاما کرکام السّحاب، ثمّ یفتح اللّه لهم أبوابا یسیلون من مستثارهم کسیل الجنّتین حیث لم تسلم علیه قاره، و لم تثبت له أکمه، و لم یردّ سننه رصّ طود و لا حداب أرض، یذعذعهم اللّه فی بطون أودیته ثمّ یسلکهم ینابیع فی الأرض، یأخذ بهم من قوم حقوق قوم، و یمکّن لقوم فی دیار قوم. و أیم اللّه لیذوبنّ ما فی أیدیهم بعد العلوّ و التّمکین، کما تذوب الألیه علی النّار. یا أیّها النّاس لو لم تتخاذلوا عن نصر الحقّ، و لم تهنوا عن توهین الباطل، لم یطمع فیکم من لیس مثلکم، و لم یقو من قوی علیکم، تهتم متاه بنی إسرائیل، و لعمری لیضعّفنّ لکم التّیه، من بعدی أضعافا خلّفتم الحقّ وراء ظهورکم، و قطعتم الأدنی و وصلتم الأبعد، و اعلموا أنّکم إن اتّبعتم الدّاعی لکم، سلک بکم منهاج الرّسول صلّی اللّه علیه و آله،

و كفيتم مؤنه الاعتساف، و نبذتم الثّقل الفادح عن الأعناق.

اللغه

(تتفقّهون) و (تعقلون) فى بعض النسخ بصيغه الخطاب و فى بعضها بصيغه الغيبه و (قيض البيض) بالفتح قشره البيض العليا اليابسه و قيل الّتى خرج ما فيها من فرخ.

و قال الشارح البحرانى تبعا للشارح المعتزلى: قيض البيض، كسره تقول قضت البيضه كسرتها و (انقاضت) تصدّعت من غير كسر، و (تقيّضت) تكسّرت فلقا فعلى قولهما يكون القيض مصدرا و على ما ذكرناه اسما و هذا أظهر و أولى بقرينه قوله عليه السّلام يكون كسرها وزرا فافهم.

و (الأداح) مخفّف أداحى جمع اداحى بالضمّ مثل خرطوم و خراطيم، و عرقوب و عراقيب، و قد يكسر و هو الموضع الّذى تبيض فيه النّعامه و تفرخ، و هو افعول من دحوت لأنّها تدحوه برجلها أى تبسطه ثمّ تبيض فيه و ليس للنعام عشّ و (حضن) الطائر بيضه حضنا و حضانا بكسرهما ضمّه تحت جناحه فهى حاضن لأنّه وصف مختصّ و حكى (حاضنه) على الأصل و (القزع) القطع من السحاب المتفرّقه و الواحده قزعه مثل قصب و قصبه و (الركام) بالضمّ ما تراكم من السحاب و كثف منها و بالفتح جمع شىء فوق آخر و الموجود فى النسخ بالضمّ و (المستثار) موضع الثوران و الهيجان و (القاره) بالقاف الجبل الصّغير و (الحداب) بالكسر جمع حدبه و هى كالحدب محرّكه ما ارتفع من الأرض قال سبحانه: «وَ هُمْ مِنْ كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ » و (الأليه) بفتح الهمزه و جمعها أليات بالتحريك و التثنيه أليان بغير تاء و (المتاه) مصدر ميمىّ بمعنى التيه و (فدحه) الدّين أثقله.

الاعراب

الضمير فى كسرها راجع إلى القيض و التّانيث امّا لكونها بمعنى القشره أو

باعتبار کسبها التأنیث عن المضاف إلیه و هی قاعده مطّرده قال الشاعر کما شرقت صدر القناه من الدّم و حضانها بالضمّ فاعل یخرج و علی فی قوله «علی انّ اللّه» بمعنی مع کما فی قوله تعالی «وَ یُطْعِمُونَ الطَّعامَ عَلی حُبِّهِ » و قوله کقیض بیض بدل من قوله کجفاه الجاهلیّه و الباقی واضح.

المعنی

اشاره

اعلم أنّ مدار هذه الخطبه علی ما التقطها السید رحمه اللّه علی فصلین:

الفصل الاول

مسوق لنصح المخاطبین و هدایتهم علی ما فیه انتظام امورهم و صلاح عملهم من حیث الدّین و الدّنیا و هو قوله (لیتأسّ صغیرکم بکبیرکم) أمر الصغار بتأسّی الکبار لأنّ الکبیر أکثر تجربه و أکیس فهو ألیق بأن یتأسّی به (و لیرؤف کبیرکم بصغیرکم) أمر الکبار بالرّأفه علی الصغار لأنّ الصغیر مظنّه الضعف فهو أحقّ بأن یرحم علیه و یرأف.

قال الکیدری فی محکیّ کلامه أی لیتأسّ من صغر منزلته فی العلم و العمل بمن له متانه فیهما، و لیرحم کلّ من له جاه و منزله فی الدّنیا بالمال و القوّه کلّ من دونه(و لا تکونوا کجفاه الجاهلیّه)أی کأهل الجاهلیه الموصوفین بالجفاء و القسوه و الفظاظه و الغلظه(لا فی الدّین تتفقّهون، و لا عن اللّه تعقلون)أشار إلی وجه الشّبه الجامع بین الفرقتین و هو جهلهم بمعالم الدّین، و غفلتهم عن أحکام ربّ العالمین قال تعالی«صُمٌّ بُکْمٌ عُمْیٌ فَهُمْ لا یَعْقِلُونَ »و قوله:(کقیض بیض فی أداح یکون کسرها وزرا و یخرج حضانها شرّا)قال الشارح المعتزلی وجه الشبه أنها إن کسرها کاسر أثم لأنّه یظنّه بیض النعام و إن لم یکسر یخرج حضانها شرا اذ یخرج أفعیا قاتلا، و استعار لفظ الأداحی للاعشاش مجازا لأنّ الأداحی لا تکون إلاّ للنعام.

ص:۷۶

و قال الشارح البحرانى نهاهم عليه السّلام أن يشبهوا جفاه الجاهليّه فى عدم تفقّههم فى الدين، فيشبهون إذا بيض الأفاعى فى أعشاشها و وجه الشّبه أنه إن كسر كاسر أثم لتأذّى الحيوان به فكذلك هؤلاء إذا شبّهوا جفاه الجاهليّه لا يحلّ أذيهم لحرمه ظاهر الاسلام، و إن اهملوا و تركوا على الجهل خرجوا شياطين.

أقول: و ببيان أوضح إنّ بيض الأفاعى كما أنّ فى كسرها سلامه من شرّ ما يخرج منها لو أبقيت على حالها إلّا أنّ فيه وزرا على كاسرها و فى عدم كسرها لا يكون على أحد وزر إلّا أنّ ما يخرج منها تكون منشأ الشّرور و الأذى فكذلك هؤلاء إن اقيمت فيهم مراسم السّياسه المدنيّه بالتّأديب و التعزير و التّعذيب لاستقامت الامور و انتظمت وظايف الخلافه لكن فى اقامتها وزرا على المقيم لأنّ فيه مخالفه لأمر اللّه سبحانه أو نهيه كما قال عليه السّلام فى الكلام الثامن و السّتين: و انّى لعالم بما يصلحكم و يقيم أودكم و لكنّى لا أرى إصلاحكم بافساد نفسى، و إن تركوا على حالهم كانوا منشأ الشرور و المفاسد فيضلّون كثيرا و يضلّوا عن سواء السّبيل.

و الفصل الثانى منها

اشاره

اشاره إلى اختلاف شيعته و أصحابه من بعده و هو قوله (افترقوا بعد الفتهم) أى بعد ايتلافهم و اجتماعهم علىّ (و تشتّتوا عن أصلهم) أى تفرّقوا عن امام الحقّ الذى يحقّ الائتمام به، فصار بعضهم كيسانيّا و بعضهم زيديا و بعضهم فطحيّا و غيرها (فمنهم آخذ بغصن أينما مال مال معه).

قال الشّارح المعتزلى أى يكون منهم من يتمسّك بمن أخلفه من بعدى من ذرّيه الرّسول صلّى اللّه عليه و آله و سلّم أينما سلكوا سلكوا معهم و تقدير الكلام: و منهم من لا يكون هذه حاله لكنّه لم يذكره اكتفاء بذكر القسم الأوّل لأنّه دالّ على القسم الثّانى.

ثمّ أخبر عليه السّلام أنّ الفريقين يجتمعان فقال (على أنّ اللّه) سبحانه (سيجمعهم لشرّ يوم لبنى اميّه).

قال الشارح المعتزلى و كذا كان حال الشيعه الهاشميّه اجتمعت على إزاله

ملک بنی مروان من کان منهم ثابتا علی ولایه علیّ بن أبی طالب علیه السّلام و من حاد منهم عن ذلک، و ذلک فی أواخر أیّام مروان الحمار عند ظهور الدّعوه الهاشمیّه.

أقول: قد تقدّم فی شرح الخطبه السابعه و الثمانین، أنّ ما أخبر علیه السّلام به قد وقع فی سنه اثنین و ثلاثین و مأئه عند ظهور أبی مسلم المروزی الخراسانی صاحب الدّعوه، و فی هذه السنه ظهر السفّاح بالکوفه، و بویع له بالخلافه و کان استیصال بنی امیه بیده کما عرفت تفصیلا فی شرح الخطبه المأه و الرابعه.

و یعجبنی أن اورد هنا نادره لم یسبق ذکرها أوردها الدّمیری فی حیاه الحیوان قال لما قتل إبراهیم بن الولید بویع لمروان بن محمّد المنبوز بالحمار بالخلافه و فی أیّامه ظهر أبو مسلم الخراسانی، و ظهر السفّاح بالکوفه، و بویع له بالخلافه و جهّز عمّه عبد اللّه بن علیّ بن عبد اللّه بن عباس لقتال مروان بن محمّد، فالتقی الجمعان بالزاب زاب الموصل، و اقتتلوا قتالا شدیدا فانهزم مروان و قتل من عسکره و غرق ما لا یحصی و تبعه عبد اللّه إلی أن وصل إلی نهر الأرون فلقی جماعه من بنی امیه و کانوا نیّفا و ثمانین رجلا فقتلهم عن آخرهم.

ثمّ جهّز السفاح عمّه صالح بن علیّ علی طریق السماوه فلحق بأخیه عبد اللّه و قد نازل دمشق ففتحها عنوه و أباحها ثلاثه أیّام و نقض عبد اللّه ثورها حجرا حجرا و هرب مروان إلی مصر فتبعه صالح حتی وصل الی أبی صیر و هی قریه عند الفیوم، قال ما اسم هذه القریه قالوا أبو صیر قال فالی اللّه المصیر.

ثمّ دخل الکنیسه الّتی بها فبلغه أنّ خادما نمّ علیه فأمر به فقطع رأسه و سلّ لسانه و القی علی الأرض فجاءت هرّه فأکلته ثمّ بعد أیام هجم علی الکنیسه التی کان نازلا بها عامر بن إسماعیل فخرج مروان من باب الکنیسه و فی یده سیف و قد أحاطت به الجنود و خفقت حوله الطبول فتمثّل ببیت الحجّاج بن حکیم السلمی و هو:

متقلّدین صفایحا هندیه یترکن من ضربوا کأن لم یولد

ثمّ قاتل حتی قتل فأمر عامر برأسه فقطع فی ذلک المکان و سلّ لسانه و القی علی الأرض فجاءت تلک الهرّه بعینها فخطفته فأکلته فقال عامر لو لم یکن فی الدّنیا

عجب إلّا هذا لكان كافيا لسان مروان فى فم هرّه؟ و قال فى ذلك شاعرهم:

قد يسّر اللّه مصرا عنوه لكم و أهلك الكافر الجبار إذ ظلما

فلاك مقوله هرّ يجرجره و كان ربّك من ذى الظلم منتقما

قال الدّميرى و كان قتل مروان فى سنه ثلاث و ثلاثين و مأئه و هو آخر خلفاء بنى اميه و أوّلهم معاويه بن أبى سفيان و كانت مدّه خلافتهم نيّفا و ثمانين سنه و هى ألف شهر و بقتل مروان انقرضت دوله بنى أميه لعنهم اللّه قاطبه.

(كما تجتمع قزع الخريف) من ههنا و هناك(يؤلّف اللّه بينهم)و هو كنايه عن اتفاق آرائهم و كلمتهم على ازاله ملك بنى اميه (ثمّ يجعلهم ركاما كركام السحاب) أى يجعلهم متراكمين مشتركين مجتمعين منضما بعضهم إلى بعض كالمتراكم من السحاب (ثمّ يفتح اللّه لهم أبوابا).

قال الشارح البحرانى الأبواب إشاره إمّا إلى وجوه الاراء الّتى تكون أسباب الغلبه و الانبعاث على الاجتماع أو أعمّ منها كساير الأسباب للغلبه من إعانه بعضهم لبعض بالأنفس و الأموال و غير ذلك(يسيلون من مستثارهم)استعاره تبعيّه أى يخرجون من موضع ثورانهم و هيجانهم(كسيل الجنّتين)اللّتين أخبر اللّه بهما فى كتابه العزيز و ستعرف قصّتها تفصيلا و وجه الشّبه الشدّه فى الخروج و إفساد ما يأتون إليه كقوّه ذلك السيل (حيث لو تسلم عليه قاره و لم تثبت عليه اكمه) أى لم يقاوم له جبل و لا تلّ (و لم يردّ سننه) أى طريقه (رصّ طود) أى جبل مرصوص شديد الالتصاق (و لا حداب أرض) أى الرّوابى و النجا (و يذعذعهم اللّه فى بطون أوديته ثمّ يسلكهم ينابيع فى الأرض).

- قال سبحانه «أَ لَمْ تَرَ أَنَّ اللّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّماءِ ماءً فَسَلَكَهُ يَنابِيعَ فِي الْأَرْضِ » و المراد أنّ اللّه سبحانه كما ينزل من السّماء ماء فيكنّه فى أعماق الأرض ثمّ يظهر منها ينابيع إلى ظاهرها كذلك هؤلاء القوم يفرّقهم اللّه فى بطون الأوديه و غوامض الأرض ثمّ يظهرهم بعد الاختفاء أو كنايه عن إخفائهم بين النّاس فى البلاد ثمّ اظهارهم بالاعانه و التأييد (۴) ف (يأخذ بهم من قوم) ظالمين (حقوق قوم مظلومين)

و المراد بهم آل الرّسول صلّى اللّه عليه و آله (و يمكّن لقوم) من بنى هاشم (فى ديار قوم) من بنى اميّه.

ثمّ أقسم بالقسم البارّ فقال(و أيم اللّه ليذوبنّ ما فى أيديهم)أى أيدى بنى اميّه أو بنى العباس من الملك و السلطنه(كما يذوب الأليه على النّار)وجه الشبه الاضمحلال و الفناء.

ثمّ عاد إلى توبيخ المخاطبين فقال:(أيّها الناس لو لم تتخاذلوا عن نصر الحقّ) أراد به نفسه لأنّ الحقّ معه و هو مع الحقّ كما ورد فى صحيح الخبر (و لم تهنوا عن توهين الباطل) أراد به معاويه و أصحابه (لم يطمع فيكم) و فى بلادكم (من ليس مثلكم) فى البأس و القوّه (و لم يقومن قوى عليكم) و لم يشنّ الغارات على بلادكم و أصقاعكم و لكنّكم (تهتم متاه بنى إسرائيل) أى تحيّرتم مثل تحيّرهم و ستعرف تيههم إنشاء اللّه بعد الفراغ من شرح الخطبه (و لعمرى ليضعفنّ لكم التّيه) و الضلال (من بعدى أضعافا) و كذا كان لأنّ تيه بنى إسرائيل كان أربعين سنه و تيه هؤلاء جاوز الثمانين مدّه ملك بنى اميه بل زاد على ستّمأه مدّه ملك بنى العباس بل ممدّ إلى ظهور الدّوله القائميه بما (خلّفتم الحقّ وراء ظهوركم) و نكبتم عن الصراط المستقيم (و قطعتم الأدنى) أى الأقرب من رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله نسبا و صهرا و أراد به نفسه (و وصلتم الأبعد) أراد به معاويه أو من تقدّم عليه من المتخلّفين.

ثمّ أرشدهم إلى وجه الرّشاد و السداد فقال:(و اعلموا انّكم إن اتّبعتم الدّاعى لكم) أراد به نفسه أو القائم عليه السّلام و فى بعض النسخ الرّاعى بالراء و قد تقدّم فيما ذكرناه سابقا انّ الامام راع لرعيّته، و ظهر لك وجه المناسبه فى إطلاق الرّاعى عليه (سلك بكم منهاج الرسول) أى جادّه الشريعه (و كفيتم مؤنه الاعتساف) فى طرق الضلال (و نبذتم الثقل الفادح) أى الاثم و العذاب فى الاخره (عن الأعناق).

تنبيهان

:

الاول فى قصه قوم سبأ و سيل الجنتين

قال تعالى: «لَقَدْ كانَ لِسَبَإٍ فِى مَسْكَنِهِمْ آيَةٌ جَنَّتانِ عَنْ يَمِينٍ وَ شِمالٍ كُلُوا »

ص:٨٠

«مِنْ رِزْقِ رَبِّكَمْ وَ اشْكَرُوا لَهُ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَ رَبٌّ غَفُورٌ فَأَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ وَ بَدَّلْناهُمْ بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَواتَیْ أَكُلٍ خَمْطٍ وَ أَثْلٍ وَ شَیْ ءٍ مِنْ سِدْرٍ قَلِيلٍ ذلِكَ جَزَيْناهُمْ بِما كَفَرُوا وَ هَلْ نُجازِی إِلَّا الْكَفُورَ».

قال علیّ بن إبراهيم القمیّ قال إنّ بحرا كان فی اليمن و كان سليمان عليه السّلام أمر جنوده أن يجروا لهم خليجا من البحر العذب إلی بلاد هند، ففعلوا ذلک و عقدوا له عقده عظيمه من الصخر و الكلس حتّی تفيض علی بلادهم، و كانوا إذا أرادوا أن يرسلوا منه الماء أرسلوه بقدر ما يحتاجون إليه و كانت لهم جنّتان عن يمين و شمال عن مسيره عشره أيّام فيها يمرّ المارّ لا تقع عليه الشمس من التفافها.

فلمّا عملوا بالمعاصی و عتوا عن أمر ربّهم و نهاهم الصالحون فلم ينتهوا، بعث اللّه علی ذلک السدّ الجرذ و هی الفاره الكبيره فكانت تقلع الصّخره التی لا يستقلّها الرّجل و ترمی به فلمّا رأی ذلک قوم منهم هربوا و تركوا البلاد فما زال الجرذ تقلع الحجر حتّی خربوا ذلک السدّ فلم يشعروا حتّی غشيهم السّيل و خرب بلادهم و قلع أشجاهم.

و قال الطبرسی فی مجمع البيان فی تفسير الايه ثمّ أخبر سبحانه عن قصّه سبأ بما دلّ علی حسن عاقبه الشّكور و سوء عاقبه الكفور فقال - «لَقَدْ كانَ لِسَبَإٍ» - المراد بسبا هنا القبيله الّذينهم أولاد سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان - فی مسكنهم - أی فی بلدهم - آيه - أی حجّه علی وحدانيّه اللّه عزّ و جلّ و كمال قدرته و علامه علی سبوغ نعمته ثمّ فسّر سبحانه الايه فقال: - «جَنَّتانِ عَنْ يَمِينٍ وَ شِمالٍ» - أی بستانان عن يمين من أتاهما و شماله و قيل عن يمين البلد و شماله.

و قيل انّه لم يرد جنّتين اثنتين و المراد إنه كانت ديارهم علی وتيره واحده إذ كانت البساتين عن يمينهم و شمالهم متّصله بعضها ببعض و كانت من كثره النّعم أنّ المرأه تمشی و المكتل علی رأسها فيمتلئ بالفواكه من غير أن تمسّ بيدها شيئا.

و قيل الايه المذكوره هی أنّه لم يكن فی قريتهم بعوضه و لا ذباب و لا برغوث و لا عقرب و لا حيّه، و كان الغريب إذا دخل بلدهم و فی ثيابه قمّل و دوابّ ماتت

عن ابن زيد.

و قيل انّ المراد بالايه خروج الأزهار و الثّمار من الأشجار على اختلاف ألوانها و طعومها.

و قيل: انها كانت ثلاث عشره قريه فى كلّ قريه نبىّ يدعوهم إلى اللّه سبحانه يقولون لهم «كُلُوا مِنْ رِزْقِ رَبِّكُمْ وَ اشْكُرُوا لَهُ » أى كلوا ممّا رزقكم اللّه فى هذه الجنان و اشكروا له يزدكم من نعمه و استغفروه يغفر لكم «بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ » أى هذه بلده مخصّبه نزهه أرضها عذبه تخرج النّبات و ليست بسبخه و ليس فيها شىء من الهوامّ الموذيه.

و قيل أراد به صحّه هواها و عذوبه مائها و سلامه تربتها و أنّه ليس فيها حرّ يؤذى فى القيظ، و لا برد يؤذى فى الشتاء - و ربّ غفور - أى كثير المغفره للذّنوب - فأعرضوا - عن الحقّ و لم يشكروا اللّه سبحانه و لم يقبلوا ممّن دعاهم إلى اللّه من أنبيائه - «فَأَرْسَلْنا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ » - و ذلك أنّ الماء كان يأتى أرض سبأ من أوديه اليمن، و كان هناك جبلان يجتمع ماء المطر و السيول بينهما فسدّوا ما بين الجبلين فاذا احتاجوا إلى الماء نقبوا السدّ بقدر الحاجه فكانوا يسقون زروعهم و بساتينهم فلمّا كذّبوا رسلهم و تركوا أمر اللّه بعث اللّه جرذا نقب ذلك الرّدم و فاض الماء عليهم فأغرقهم عن وهب.

و قال البيضاوى سيل العرم أى سيل الأمر العرم أى الصّعب من عرم الرجل فهو عارم و عرم إذا شرس خلقه و صعب أو المطر الشديد أو الجرذ أضاف إليه لأنّه نقب عليهم سكرا ضربت لهم بلقيس، فحقنت به ماء الشجر و تركت فيه نقبا على مقدار ما يحتاجون إليه أو المسناه التى عقدت سكرا على أنّه جمع عرمه و هى الحجاره المركومه.

و قيل اسم واد جاء السيل من قبله و كان ذلك بين عيسى و محمّد - «وَ بَدَّلْناهُمْ بِجَنَّتَيْهِمْ » - اللّتين فيهما أنواع الفواكه و الخيرات - «جَنَّتَيْنِ » - أخراوين - «ذَواتَيْ أُكُلٍ خَمْطٍ » - مرّ بشع فانّ الخمط كلّ نبت أخذ طعما من مراره.

ص:۸۲

و قیل الاراک أو کلّ شجر له شوک - «وَ أَثْلٍ وَ شَیْ ءٍ مِنْ سِدْرٍ قَلِیلٍ » - و الأثل الطرفا، لا ثمر له، و وصف السدر بالقلّه فان جناه و هو النبق ممّا یطیب أکله و لذلک یغرس فی البساطین - «ذلِکَ جَزَیْناهُمْ بِما کَفَرُوا » - بکفرانهم النّعمه أو بکفرهم بالرّسل - «وَ هَلْ نُجازِی إِلاَّ الْکَفُورَ » - أی البلیغ فی الکفران أو الکفر.

الثانی فی قصه تیه بنی اسرائیل

قال تعالی حکایه عن موسی إذ قال لقومه «یا قَوْمِ ادْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَهَ الَّتِی کَتَبَ اللَّهُ لَکُمْ وَ لا تَرْتَدُّوا عَلی أَدْبارِکُمْ فَتَنْقَلِبُوا خاسِرِینَ قالُوا یا مُوسی إِنَّ فِیها قَوْماً جَبّارِینَ وَ إِنّا لَنْ نَدْخُلَها حَتّی یَخْرُجُوا مِنْها فَإِنْ یَخْرُجُوا مِنْها فَإِنّا داخِلُونَ قالَ رَجُلانِ مِنَ الَّذِینَ یَخافُونَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَیْهِمَا ادْخُلُوا عَلَیْهِمُ الْبابَ فَإِذا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّکُمْ غالِبُونَ وَ عَلَی اللّهِ فَتَوَکَّلُوا إِنْ کُنْتُمْ مُؤْمِنِینَ قالُوا یا مُوسی إِنّا لَنْ نَدْخُلَها أَبَداً ما دامُوا فِیها فَاذْهَبْ أَنْتَ وَ رَبُّکَ فَقاتِلا إِنّا هاهُنا قاعِدُونَ قالَ رَبِّ إِنِّی لا أَمْلِکُ إِلاّ نَفْسِی وَ أَخِی فَافْرُقْ بَیْنَنا وَ بَیْنَ الْقَوْمِ الْفاسِقِینَ قالَ فَإِنَّها مُحَرَّمَهٌ عَلَیْهِمْ أَرْبَعِینَ سَنَهً یَتِیهُونَ فِی الْأَرْضِ فَلا تَأْسَ عَلَی الْقَوْمِ الْفاسِقِینَ ».

روی فی الصّافی عن العیاشی، عن الباقر علیه السّلام قال قال رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و الّذی نفسی بیده لترکبنّ سنن من کان قبلکم حذو النعل بالنعل، و القذّه بالقذّه حتّی لا تخطاؤن طریقهم، و لا تخطأکم سنّه بنی إسرائیل.

ثمّ قال أبو جعفر علیه السّلام قال موسی لقومه یا قوم ادخلوا الأرض المقدّسه الّتی کتب اللّه لکم فردّوا علیه و کانوا ستّمأه ألف فقالوا یا موسی إنّ فیها قوما جبّارین الایات قال فعصی أربعون ألفا و سلم هارون و ابناه و یوشع بن نون و کالب بن یوحنّا فسمّاهم اللّه فاسقین فقال لا تأس علی القوم الفاسقین فتاهوا أربعین سنه لأنّهم عصوا فکانوا حذو النعل بالنعل أنّ رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله لما قبض لم یکن علی أمر اللّه إلاّ علیّ و الحسن و الحسین و سلمان و المقداد و أبو ذر فمکثوا أربعین حتّی قام علیّ فقاتل من خالفه.

و قال الطبرسى و غيره فى تفسير الايه ما ملخّصه: قوله حكايه عن خطاب موسى لقومه - «يا قَوْمِ ادْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ » - هى بيت المقدس و العياشى عن الباقر عليه السّلام يعنى الشام - «اَلَّتِی کَتَبَ اللّهُ لَکُمْ » - أن تكون مسكنا - «وَ لا تَرْتَدُّوا عَلی أَدْبارِکُمْ » - أى لا ترجعوا عن الأرض التى امرتم بدخولها - مدبرين «فَتَنْقَلِبُوا خاسِرِینَ » - عن ثواب الدارين - «قالُوا يا مُوسی إِنَّ فِيها قَوْماً جَبّارِينَ » - شديد البطش و البأس لا يتأتّى لنا مقاومتهم.

قال ابن عباس بلغ من جبريّه هؤلاء القوم أنّه لمّا بعث موسى من قومه اثنى عشر نقيبا ليخبروه خبرهم أهمّ رجل من الجبارين يقال له عوج فأخذهم فى كمّه مع فاكهه كلّها كان يحملها من بستانه و أتى بهم الملك فنثرهم بين يديه و قال للملك تعجّبا منهم هؤلاء يريدون قتالنا؟ فقال الملك ارجعوا إلى صاحبكم فأخبروه خبرنا.

قال و كان فاكهتهم لا يقدر على حمل عنقود منها خمسه رجال بالخشب، و يدخل فى قشر نصف رمانه خمسه رجال - «وَ إِنّا لَنْ نَدْخُلَها حَتّی يَخْرُجُوا مِنْها فَإِنْ يَخْرُجُوا مِنْها فَإِنّا داخِلُونَ قالَ رَجُلانِ » - هما يوشع بن نون و كالب بن يوحنا ابن عمّه كذا عن الباقر عليه السّلام - «مِنَ الَّذِينَ يَخافُونَ » اللّه و يتّقونه - «أَنْعَمَ اللّهُ عَلَيْهِمَا » - بالايمان و التثبت - «ادْخُلُوا عَلَيْهِمُ الْبابَ » - باب قريتهم - «فَإِذا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غالِبُونَ » - لتعسر الكم عليهم فى المضايق من عظم أجسامهم و لأنهم أجسام لا قلوب فيها - «وَ عَلَى اللّهِ فَتَوَكَّلُوا » - فى نصرته على الجبارين - «إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ » - به و مصدّقين لوعده.

- «قالُوا يا مُوسی إِنّا لَنْ نَدْخُلَها أَبَداً ما دامُوا فِيها فَاذْهَبْ أَنْتَ وَ رَبُّكَ فَقاتِلا إِنّا هاهُنا قاعِدُونَ » - قالوها استهانه باللّه و رسوله و عدم مبالاه بهما - «قالَ رَبِّ إِنِّی لا أَمْلِكُ إِلاّ نَفْسِی وَ أَخِی » - لأنه يجيبنى إذا دعوته - «فَافْرُقْ بَيْنَنا وَ بَيْنَ الْقَوْمِ الْفاسِقِينَ قالَ فَإِنَّها مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ » - لا يدخلونها و لا يملكونها بسبب عصيانهم - «أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِی الْأَرْضِ » - يسيرون فيها متحيّرين - «فَلا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْفاسِقِينَ » - لأنّهم أحقّاء بذلك لفسقهم.

ص:٨۴

قال الطبرسیّ قال المفسرون لما عبر موسی علیه السّلام و بنو إسرائیل البحر و هلک فرعون أمرهم اللّه سبحانه بدخول الأرض المقدّسه فلما نزلوا علی نهر الاردن خافوا عن الدخول فبعث من کلّ سبط رجلا و هم الذین ذکرهم اللّه تعالی فی قوله «وَ بَعَثْنا مِنْهُمُ اثْنَیْ عَشَرَ نَقِیباً » فعاینوا من عظم شأنهم و قوّتهم شیئا عجیبا فرجعوا إلی بنی إسرائیل فأخبروا موسی بذلک فأمرهم أن یکتموا فوفی اثنان منهم یوشع بن نون من سبط ابن یامین و قیل انه کان من سبط یوسف علیه السّلام و کالب بن یوحنا من سبط یهودا و عصی العشره و اخبروا بذلک.

و قیل کتم الخمسه منهم و أظهر الباقون و فشا الخبر فی الناس فقالوا إن دخلنا علیهم تکون نسائنا و أهالینا اغنمه لهم، و هموا بالانصراف إلی مصر و هموا بیوشع و کالب و أرادوا أن یرجموهما بالحجاره فاغتاظ لذلک موسی و قال «رَبِّ إِنِّی لا أَمْلِکُ إِلاّ نَفْسِی وَ أَخِی » فأوحی اللّه إلیه إنهم یتیهون فی الأرض أربعین سنه و إنما یخرج منهم من لم یعص اللّه فی ذلک فبقوا فی التیه أربعین سنه فی سته عشر فرسخا و قیل تسع فراسخ و هم ستمائه ألف مقاتل لا تتخرّق ثیابهم و تثبت معهم و ینزل علیهم المنّ و السلوی.

و قال الطبرسی فی تفسیر قوله «وَ أَنْزَلْنا عَلَیْکُمُ الْمَنَّ وَ السَّلْوی »: و کان السبب فی إنزال المنّ و السلوی علیهم أنه لما ابتلاهم اللّه بالتیه إذ قالوا لموسی «فَاذْهَبْ أَنْتَ وَ رَبُّکَ فَقاتِلا إِنّا هاهُنا قاعِدُونَ » حین أمرهم بالمسیر إلی بیت المقدس و حرب العمالقه فوقعوا فی التیه صاروا کلّما ساروا تاهوا فی قدر خمسه فراسخ أو ستّه فکلّما أصبحوا صاروا عادین فأمسوا فاذاهم فی مکانهم الذی ارتحلوا منه کذلک حتّی تمّت المدّه و بقوا فی التیه أربعین سنه.

و فی الصافی عن العیاشی عن الصادق علیه السّلام قال فحرّم اللّه علیهم - أی دخول الأرض المقدّسه - أربعین سنه و تیههم فکان إذا کان العشاء و أخذوا فی الرّحیل نادوا الرّحیل الرّحیل الوحا الوحا، فلم یزالوا کذلک حتّی تغیب الشمس حتّی إذا ارتحلوا و استوت بهم الأرض

قـال اللّه تعالى للأرض ديرى بهم، فلم يزالوا كـذلک حتّى إذا سـحروا، و قارب الصـبح قالوا إنّ هـذا الماء قـد أتيتموه فانزلوا فاذ اتيهم و منازلهم الّتى كانوا فيها بالأمس، فيقول بعضـهم لبعض يا قوم لقـد ضـللتم و أخطأتم الطريق فلم يزالوا كذلک حتى أذن لهم فدخلوها.

و فى الكافى عن النبىّ صـلّى اللّه عليه و آله إنّ موسـى كليم اللّه مات فى التيه فصاح صائح فى السماء مات موسى و أىّ نفس لا تموت؟.

قال الطبرسـى فلمّا حصلوا فى التّيه ندموا على ما فعلوا فألطف اللّه لهم بالغمام لمّا شكوا حرّ الشمس و أنزل عليهم المنّ و السلوى فكـان يسـقط عليهم المنّ من وقت طلوع الفجر إلى طلوع الشّـمس فكانوا يأخـذون منها ما يكفيه ليومهم و كان اللّه تعالى يبعث لهم السّـحاب بالنّهار فيدفع عنهم حرّ الشـمس و كان ينزل عليهم باللّيل من السّـماء عمودا من نور يضىء لهم مكان السّراج و إذا ولـد فيهم مولـود كـان عليه ثوب بطوله كالجلـد و يـأتى إنشـاء اللّه تفصـيل المنّ و السـلوى فى شـرح الخطبه المـأه و الحـاديه و التسعين.

و ماتت النقباء غير يوشع بن نون و كالب و مات أكثرهم و نشأ ذراريهم و خرجوا إلى حرب أريحا و فتحوها.

الترجمه

از جمله خطب شريفهٔ آن امام مبين و ولىّ مؤمنين است در نصيحت مخاطبين و إخبار از وقايع آتيهٔ روزگار مى فرمايد:

بايـد كه متـابعت نمايـد كوچكان شـما ببزرگان شـما، و بايـد كه مهربانى نمايـد بزرگان شـما بر كوچكان شـما، و نباشـيد مثل جفاكاران أيّام جاهليت كه نه در دين دانا شويد و نه از خداى تعالى كسب معرفت نمائيد، مانند پوست بيرون تخمها در مواضع بچه بيرون آوردن كه ميباشد شكستن آن تخمها وزر و وبال و بيرون مى آيد بچه هاى آنها شرارت و فساد.

و از جمله فقرات اين خطبه است مى فرمايد:

متفرّق میشوند بعد از ایتلاف ایشان و پراکنده می شوند از أصل خودشان، یعنی از امام مفترض الطاعه، پس بعضی از ایشان أخذ کننده باشد شاخه را از آن أصل که هر جا میل کند آن شاخه آن هم میل می کند با او با وجود این که بدرستی خدای تبارك و تعالی زود باشد که جمع کند ایشان را از برای بدترین روزی از برای بنی امیهٔ ملعونین چنانچه مجتمع می شود ابرهای متفرقه در فصل پائیز.

الفت می دهد خدای تعالی در میان ایشان پس می گرداند متراکم و بر هم نشسته مثل أبرهای متراکم پس از آن بگشاید خداوند عزّ و جلّ از برای ایشان درهائی که روان شوند از جای هیجان ایشان مانند سیل دوبستان شهر سبا، بحیثیتی که سلامت نماند بر آن سیل کوه کوچکی و ثابت نشود مر آن را تلّی و باز نگرداند راه آن را کوه محکمی و نه پشتهای زمینی، متفرّق می سازد ایشان را خدای تعالی در درونهای وادیهای خود، پس در برد ایشان را در چشمهای زمین و بگیرد بایشان از قومی حقهای قوم دیگر را و جای دهد قومی را در ممالك قومی، و سوگند بخدا هر آینه البته گداخته می شود آنچه که در دست بنی امیه است از ملك و سلطنت چنانچه گداخته شود دنبه بر آتش.

ای مردمان اگر خذلان نمی ورزیدید از نصرت حق و سستی نمی کردید از اهانت باطل، هر آینه طمع نمی کرد در شما کسانی که مثل شما نبودند، و قوت نمی یافت کسی که قوّت یافت بر شما، و لکن شما حیران و سرگردان شدید مثل حیرانی بنی إسرائیل، و قسم بزندگانی خودم هر آینه افزون کرده شود از برای شما حیرانی و سرگردانی بعد از من افزونی فراوان بسبب این که واپس گذاشتید حق را در پس پشتهای خود و بریدید نزدیکتر بسوی پیغمبر را و پیوند کردید دورتر از آن را.

و بدانید این که اگر شما تبعیت نمائید دعوت کنندهٔ خودتان را که منم ببرد شما را براه راست پیغمبر خدا و کفایت کرده شوید از مشقت کجروی، و می اندازید بار گران ثقیل را که عبارت است از وزر و عذاب آخرت از گردنهای خودتان.

ص:۸۷

قال الشّارح عفى اللّه عنه ليكن هـذا آخر هـذا المجلّد و هو المجلّد الرّابع من مجلّدات منهاج البراعه، فى شـرح نهج البلاغه و قد طال بنا شـرح ما تضـمّنه هـذا المجلّد حتّى بلغت مدّه الاشـتغال به ضـعفى مدّه الاشـتغال بساير المجلّدات لابتلائى بأمور تشـيب الوليـد، و تـذيب الحديـد، و تعجز الجليـد، و برزايا لم يكـد يشاهد مثلها على صـفايح الأيّام أو يثبت على الصّـحايف بالمخابر و الأقلام بل قلّما أن يؤثر نظيرها عن الامم الماضـيه أو ينقل قرينها عن القرون الخاليه و أعظم تلك المصائب الحسـد و الأذى من أقارب كالعقارب، و اجلابهم علىّ كتيبه و كتائب.

رمانى الدّهر بالارزاء حتّى فؤادى فى غشاء من نبال

فصرت إذا أصابتنى سهام تكسّرت النّصال على النّصال

إلى اللّه أشـكو من دهر إذا أسـاء أصـرّ على إسائته، و إذا أحسن نـدم من ساعته، و من معشـر جلّ بضاعتهم الأود و العناد، و كلّ صناعتهم اللّدد و الفساد، و من اللّه أسأل دفع كيد الخائنين و اصـلاح نفوس الحاسدين، و انقطاع ألسن المعاندين و أسئله التوفيق لشـرح المجلّدات الاتيه بجاه محمّـد صـلّى اللّه عليه و آله و عترته الطّاهره و قـد منّ اللّه علىّ بالفراغ من هذا المجلّد بعد الأياس لتفرّق الحواس صبيحه يوم الاثنين و هو الرّابع و العشـرون من شـهر جمادى الاخره من شـهور ثلاث عشـره و ثلاثمأه و ألف سنه من الهجره النبـويّه على مهاجرهـا ألـف صـلاه و سـلام و تحيّه و الحمـد للّه ربّ العـالمين و الصّـلاه و السّـلام على محمّـد و آله الأطيبين.

ص:۸۸

هذا هو المجلد الخامس من مجلدات منهاج البراعه فی شرح نهج البلاغه بسم اللّه الرّحمن الرّحیم الحمد للّه الّذی سلک بنا نهج البلاغه للاهتداء إلی مناهج البیان، و ألهمنا منهاج البراعه للارتقاء إلی معارج المعان، و الصّلوه و السّلام علی دوحه النّبوّه الّتی طابت فرعا و أصلا، و وشیجه الرّساله الّتی سمت رفعه و نبلا، عین السّیاده و الفخار، و خدین الشّرف الّذی أظهر الخیلاء فی مضر و نزار، محمّد المختار من سلاله عدنان، و أحمد المستأثر بمکرمات الفرقان، و آله الموصوفین بالعصمه و الطّهاره، و المهتوفین بالحکمه و الفخاره، و الموسومین بالخلافه و الإمامه، و المرسومین بالشّرافه و الکرامه، لا سیّما ابن عمّه و أخیه المنتجب و وزیره و وصیّه المنتخب، الحائز قصب السّبق فی مضمار العزّ و الشّرف، و البارع علی الأقران فی السّؤدد فما له عنه منصرف، المخصوص بإماره المؤمنین، و المنصوص بالإمامه من عند ربّ العالمین، علی رغم کلّ ناصب جاحد، و عمی عین کلّ منافق معاند.

ص:۸۹

يا آل طه الأكرمين أليّه بكم و ما دهرى يمين فجار

إنّى منحتكم المودّه راجيا نيلى المنى فى الخمسه الأشبار

فعليكم منّى السّلام فأنتم أقصى رجاى و منتهى ايثارى

أما بعد فهذا هو المجلّد الخامس من مجلّدات منهاج البراعه فى شرح نهج البلاغه املاء المفتاق إلى غفران ربّه الغنىّ حبيب اللّه بن محمّد بن هاشم الهاشمى العلوى الموسوى وفّقه اللّه سبحانه و أعانه على اتمامه و ختامه، ببداعه اسلوبه و نظامه و جعله ممحاه لذنوبه و آثامه، يوم حشره و قيامه، انّه لما يشاء قدير، و بالاجابه حقيق جدير.

فأقول: قال السيّد الرّضىّ رضى اللّه عنه:

و من خطبه له عليه السّلام و هى المأه و السادسه

اشاره

و الستون من المختار فى باب الخطب

و هى مرويه فى البحار من كامل ابن الاثير بيسير اختلاف و تغيير حسبما تطّلع عليه إنشاء اللّه.

إنّ اللّه سبحانه أنزل كتابا هاديا بيّن فيه الخير و الشّرّ، فخذوا نهج الخير تهتدوا، و اصدفوا عن سمت الشّرّ تقصدوا و الفرائض الفرائض أدّوها إلى اللّه تؤدّكم إلى الجنّه، إنّ اللّه حرّم حراما غير مجهول، و أحلّ حلالا غير مدخول، و فضّل حرمه المسلم على الحرم كلّها و شدّ بالإخلاص و التّوحيد حقوق المسلمين فى معاقدها، فالمسلم من سلم

المسلمون من لسانه و يده إلّا بالحقّ، و لا يحلّ أذى المسلم إلّا بما يجب، بادروا أمر العامّه و خاصّه أحدكم و هو الموت، فإنّ النّاس أمامكم و إنّ السّاعه تحدوكم، تخفّفوا تلحقوا، فإنّما ينتظر بأوّلكم اخركم، إتّقوا اللّه فى عباده و بلاده، فإنّكم مسئولون حتّى عن البقاع و البهائم أطيعوا اللّه و لا تعصوه و إذا رأيتم الخير فخذوا به و إذا رأيتم الشّرّ فاصدفوا عنه.

اللغه

(صدفت) عنه أصدف من باب ضرب أعرضت و (قصد) فى الأمر قصدا من باب ضرب أيضا توسّط و طلب الأسدّ و لم يجاوز الحدّ و هو على قصد أى رصد و طريق قصد أى سهل و (دخل) عليه بالبناء على المفعول إذا سبق وهمه إلى شيء فغلط فيه من حيث لا يشعر و (البقعه) من الأرض القطعه و تضمّ الباء فى الأكثر فتجمع على بقع مثل غرفه و غرف و تفتح فتجمع على بقاع بالكسر مثل كلبه و كلاب.

الاعراب

قوله و الفرائض الفرائض بالنصب على الاغراء، و الفاء فى قوله عليه السّلام فالمسلم فصيحه، و قوله خاصّه أحدكم عطف على أمر و الفاء فى قوله فانّ النّاس تعليل و كذا فى قوله فانكم مسؤلون.

المعنى

اشاره

اعلم أنّ هذه الخطبه الشريفه كما قاله السيّد «ره» و غيره خطب بها فى أوّل خلافته، و صدّر كلامه بالتنبيه على فضل الكتاب المجيد فقال (إنّ اللّه سبحانه أنزل) على نبيّه أشرف المرسلين (كتابا هاديا) إلى نهج الحقّ اليقين، كما قال

ص:٩١

عزّ من قائـل «لا رَيْبَ فِيهِ هُـدىً لِلْمُتَّقِينَ »(بيّن فيه الخير) المقرّب إلى رضوانه (و الشرّ) المبعّـد عن جنانه (فخـذوا نهـج الخير) ل (تهتـدوا) إلى الصـراط المسـتقيم المؤدّى إلى نضـره النعيم (و اصدفوا عن سـمت الشـرّ) أى أعرضوا عن طريقه ل (تقصدوا) أى تطلبوا السداد، و تسلكوا سبيل الرّشاد.

ثمّ حثّ على مواظبه الفرائض و الواجبـات و المراقبه عليهـا فى جميع الحالاـت فقال عليه السّـلام:(و الفرائض الفرائض أدّوها إلى اللّه تؤدّكم إلى الجنّه)أى أوصـلوها إليه سـبحانه لتوصـلكم إلى الجنّه، و هو من باب المشاكله إذ المراد بايصالها إلى اللّه التقرّب بها إليه و طلب الزّلفى بها لديه، و نسبه التأديه إلى الجنّه إليها من باب المجاز العقلى و الاسناد إلى السبب(إنّ اللّه حرّم) فى كتابه و سنّه نبيّه صلّى اللّه عليه و آله (حراما غير مجهول) و لا خفىّ بل هو واضح جلىّ فلا عذر لمن جهله (و أحلّ حلالا غير مدخول) أى ليس فيه عيب و لاـ ريب، فلاـ بأس على من تنـاوله (و فضّل حرمه المسـلم على الحرم كلّها) كما أفصـح عنه لسان النبوّه قال صلّى اللّه عليـه و آلـه: حرمه المسـلم فوق كـلّ حرمه دمه و مـاله و عرضه (و شـدّ بالاخلاـص و التوحيـد حقـوق المسـلمين فى معاقـدها) أى ربطهـا بهما فى مرابطها، فأوجب على المخلصـين الموحّـدين المحافظه على حقوق المسـلمين و مراعات مواضـعها هكذا قال الشارح البحرانى و العلاّمه المجلسـى «ره» و هو ظاهر الشارح المعتزلى، و يجوز أن يصوبه أنه سـبحانه شدّ حقّ المسلم فى معقده بسبب اخلاصه الوحدانيّه و توحيده للّه سبحانه(۱).

يعنى أنّ إسـلامه و توحيـده أوجب ترتيـب أحكـام الاسـلام عليه كمـا قـال الصـادق عليه السّـلام فى روايه المفضّـل المرويّه فى الكافى: الاسلام يحقن به الدّم و تؤدّى به الأمانه و تستحلّ به الفروج.

و فى روايه اخرى عن سماعه عن الصادق عليه السّلام قال: الاسلام شهاده أن لا إله إلاّ اللّه

۱- (۱) أقول: و الفرق بين ما ذكره العلاّمه المجلسىّ (ره) و الشارحان و بين ما ذكرناه أنّ الباء فى قوله (عليه السلام) بالاخلاص صله على قول هؤلاء و على ما ذكرناه فسـببيّه و أيضا الاخلاص و التوحيـد على على ما ذكرناه صـفه للمسـلمين و على ما ذكروه صفه للمحافظين على حقوقهم فافهم جيدا (منه).

و التصديق برسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم به حقنت الدماء و عليه جرت المناكح و المواريث هذا و لكن الأظهر ما ذكروه بقرينه التفريع بقوله (فالمسلم من سلم المسلمون من لسانه و يده إلاّ بالحقّ) و إن كان يمكن توجيهه على ما ذكرناه أيضا بنوع تكلّف فافهم هذا.

و قوله إلاّ بالحقّ تنبيه على أنّه لا يجب كفّ اليد و اللّسان عن المسلم إذا استحقّ عدمه و قد ورد نظير هذا الاستثناء فى الكتاب العزيز قال تعالى: «وَ لا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللّهُ إِلاّ بِالْحَقِّ » قال المفسّرون أى بإحدى ثلاث إمّا زنا بعد إحصان أو كفر بعد إيمان أو قتل المؤمن عمدا ظلما.

و قوله:(و لا يحلّ أذى المسلم إلاّ بما يجب) تأكيد لما سبق على أنّ الماء مصدريه أى لا يجوز أذاه إلاّ مع وجوبه، فيكون مساقه مساق قوله إلاّ بالحقّ، و يجوز أن يكون تأسيسا فانه لما دلّ الكلام السابق على جواز عدم الكفّ عنه عند الاستحقاق نبّه بهذا الكلام على أنه لا يجوز أذاه عند الاستحقاق أيضا إلاّ بما يجب من الأذى كما و كيفا فتكون ما موصوله و محصّله التنبيه على جواز أذيّته من باب الأمر بالمعروف و النهى عن المنكر بمقدار مخصوص يستحقّه أو كيفيّه خاصّه تستحقّها على ما تقرّر فى باب الحسبه هذا.

و قد تلخص مما ذكره عليه السّلام وجوب مراعات حرمه المسلم و المحافظه على حقوقه و قد اشير إليها فى أخبار أهل البيت عليهم السّلام:

ففى الوسائل عن الكلينىّ عن أبى المعزا عن أبى عبد اللّه عليه السّلام قال المسلم أخو المسلم لا يظلمه و لا يخذله و لا يخونه، و يحقّ على المسلمين الاجتهاد فى التواصل و التعاون على التعاطف، و المواساه لأهل الحاجه، و تعاطف بعضهم على بعض، حتى تكونوا كما أمركم اللّه عزّ و جلّ رحماء بينكم متراحمين مغتمين لما غاب عنكم من أمرهم، على ما مضى عليه معشر الأنصار على عهد رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم.

و عن معلّى بن خنيس عن أبى عبد اللّه عليه السّلام قال: قلت له: ما حقّ المسلم على المسلم؟ قال: له سبع حقوق واجبات ما منهنّ حقّ إلاّ و هو عليه واجب، إن

ضیع منها شیئا خرج من ولایه اللّه و طاعته، و لم یکن للّه فیه من نصیب قلت له:

جعلت فداک و ما هی؟ قال یا معلّی إنّی علیک شفیق أخاف أن تضیّع و لا تحفظ أو تعلم و لا تعمل قلت: لا قوّه إلاّ باللّه.

قال: أیسر حقّ منها أن تحبّ له ما تحبّ لنفسک، و تکره له ما تکره لنفسک و الحقّ الثانی أن تجتنب سخطه و تتّبع مرضاته و تطیع أمره.

و الحقّ الثالث أن تعینه بنفسک و مالک و لسانک و یدک و رجلک.

و الحقّ الرّابع أن تکون عینه و دلیله و مرآته.

و الحقّ الخامس أن لا تشبع و یجوع، و لا تروی و یظمأ، و لا تلبس و یعری.

و الحقّ السّادس أن یکون لک خادم و لیس لأخیک خادم فوجب أن تبعث خادمک فیغسّل ثیابه، و یصنع طعامه، و یمهّد فراشه.

و الحقّ السابع أن تبرّ قسمه، و تجیب دعوته، و تعود مریضه، و تشهد جنازته و إذا علمت أنّ له حاجه تبادره إلی قضائها و لا تلجئه إلی أن یسألکها و لکن تبادره مبادره فاذا فعلت ذلک وصلت ولایتک بولایته و ولایته بولایتک.

و فی الوسائل عن محمّد بن علیّ الکراجکی فی کنز الفوائد عن الحسین بن محمّد ابن علیّ الصّیرفی عن محمّد بن علیّ الجعابی عن القاسم بن محمّد بن جعفر العلوی عن أبیه عن آبائه عن علیّ علیه السّلام قال: قال رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم للمسلم علی أخیه ثلاثون حقّا لا براءه له منها إلاّ بالأداء أو العفو:

یغفر زلّته، و یرحم عبرته، و یستر عورته، و یقیل عثرته، و یقبل معذرته، و یردّ غیبته، و یدیم نصیحته، و یحفظ خلّته، و یرعی ذمّته، و یعود مرضته، و یشهد میتته، و یجیب دعوته، و یقبل هدیته، و یکافی صلته، و یشکر نعمته، و یحسن نصرته و یحفظ حلیلته، و یقضی حاجته، و یشفع مسئلته، و یسمّت عطسته، و یرشد ضالته و یردّ سلامه، و یطیب کلامه، و یبرّ إنعامه، و یصدّق أقسامه، و یوالی ولیّه، و یعادی عدوّه و ینصره ظالما و مظلوما فأمّا نصرته ظالما فیردّه عن ظلمه، و أمّا نصرته

ص:۹۴

مظلوما فيعينه على أخذ حقّه، و لا يسلمه و لا يخذله و يحبّ له من الخير ما يحبّ لنفسه، و يكره له من الشرّ ما يكره لنفسه.

ثمّ قال عليه السّلام سمعت رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله يقول: إنّ أحدكم ليدع من حقوق أخيه شيئا فيطالب به يوم القيامه فيقضى له و عليه.

ثمّ أمر عليه السّلام بالمبادره إلى الموت مؤيّدا به البدار إلى تهيّه أسبابه فقال:

(و بادروا أمر العامّه و خاصّه أحدكم و هو) أى ذلك الأمر (الموت).

قال الشّارح المعتزلى سمّاه المواقعه العامّه لأنّه يعمّ الحيوان كلّه ثمّ سمّاه خاصّه أحدكم لأنّه و إن كان عامّا إلاّ أنّ له مع كلّ انسان بعينه خصوصيّه زايده على ذلك العموم (فانّ الناس أمامكم) أى سبقوكم إلى الموت، و فى بعض النسخ فانّ الباس أمامكم بالباء الموحّده أى الفتنه (و إنّ الساعه تحدوكم) أى يسوقكم من خلفكم (تخفّفوا) بالقناعه من الدّنيا باليسير و ترك الحرص عليها و ارتكاب الماثم (تلحقوا) فانّ المسافر الخفيف أحرى بلحوق أصحابه و بالنجاه (فانّما ينتظر بأوّلكم آخركم) أى للبعث و النشور.

و قد مضى هذا الكلام بعينه فى الخطبه الحاديه و العشرين و تقدّم شرحه هناك بما لا مزيد عليه.

ثمّ أمرهم بالتقوى لأنّه الزّاد إلى المعاد فقال:(اتّقوا اللّه فى عباده) و رعايه ما يجب مراعاته من حقوقهم (و بلاده) بترك العلوّ و الفساد فيها قال اللّه تعالى «تِلْكَ الدّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُها لِلَّذِينَ لا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَ لا فَساداً وَ الْعاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ »(فانّكم مسؤلون) لقوله: «وَ لَتُسْئَلُنَّ عَمّا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ » و قوله: «وَ قِفُوهُمْ إِنَّهُمْ مَسْؤُلُونَ »(حتّى عن البقاع) فيقال لم استوطنتم هذه و تركتم هذه.

و قد ورد النّهى عن إقامه بلاد الشرك مع إمكان الخروج منها و اذا لم يتمكّن من القيام بوظائف الاسلام و كذا عن مجالسه أهل البدع و المعاصى كما مرّ فى

 (و البهائم) فيقال: لم ضربتم هذه و أوجعتم هذه فانّه تعالى قد جعل للبهائم حقّا على صاحبها.

روى فى الوسائل من عقاب الأعمال للصّدوق عن حفص بن البخترى عن أبى عبد اللّه عليه السّلام قال: إنّ امرأه عذبت فى هرّه ربطتها حتّى ماتت عطشا.

و من مكارم الأخلاق للحسن بن الفضل الطبرسى نقلا من كتاب المجالس عن الصّادق عليه السّلام قال أقذر الذّنوب قتل البهيمه، و حبس مهر المرأه، و منع الأجير أجره.

و فى الوسائل عن الصدوق باسناده عن السكونى باسناده أنّ النبىّ صلّى اللّه عليه و آله أبصر ناقه معقوله عليها جهازها فقال صلّى اللّه عليه و آله و سلّم: أين صاحبها مروه فليستعدّ غدا للخصومه.

و فيه عن محمّد بن محمّد المفيد فى الارشاد مسندا عن إبراهيم بن علىّ عن أبيه قال حججت مع علىّ بن الحسين عليهما السّلام فالتاثت عليه النّاقه فى سيرها فأشار إليها بالقضيب، ثمّ قال آه لولا القصاص و ردّ يده عنها.

و فيه عن الصّدوق قال: روى أنه يعنى أبا عبد اللّه عليه السّلام قال اضربوها على العثار و لا تضربوها على النفار، فانّها ترى ما لا ترون.

و فيه عن الصّدوق باسناده عن اسماعيل بن أبى زياد باسناده عن جعفر بن محمّد عن آبائه عليهم السّلام قال: قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله للدابّه على صاحبها خصال يبدء بعلفها اذا نزل، و يعرض عليها الماء اذا مرّ به، و لا يضرب وجهها فانّها تسبّح بحمد ربّها، و لا يقف فى ظهرها الاّ فى سبيل اللّه و لا يحمّلها فوق طاقتها و لا يكلّفها من المشى إلاّ ما تطيق.

و عن الصّدوق مرسلا عن أبى عبد اللّه عليه السّلام قال: قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله: لا تتورّكوا على الدوابّ و لا تتّخذوا ظهورها مجالس.

ثمّ أمرهم بالاطاعه و نهاهم عن المعصيه على سبيل الاجمال فقال:(أطيعوا اللّه و لا تعصوه و إذا رأيتم الخير فخذوا به) لأنّه ينفعكم فى العاجل و الاجل

(و إذا رأيتم الشرّ فأعرضوا عنه) لأنه يسوقكم الى الجحيم و يؤدّى إلى العذاب الأليم.

تكمله

روى فى مجلّد الفتن من البحار من كامل ابن الأثير هذه الخطبه باختلاف يسير قال: قال: و بويع عليه السّلام يوم الجمعه لخمس بقين من ذى الحجّه من سنه خمس و ثلاثين من الهجره و أوّل خطبه خطبها عليه السّلام حين استخلف حمد اللّه و أثنى عليه ثمّ قال عليه السّلام.

إنّ اللّه أنزل كتابا هاديا بيّن فيه الخير و الشرّ فخذوا الخير، و دعوا الشرّ الفرائض أدّوها إلى اللّه تؤدّكم إلى الجنّه إنّ اللّه حرّم حرمات غير مجهوله، و فضّل حرمه المسلم على الحرم كلّها، و شدّ بالاخلاص و التوحيد حقوق المسلمين فالمسلم من سلم المسلمون من لسانه و يده إلاّ بالحقّ و لا يحلّ دم امرء مسلم إلاّ بما يجب.

بادروا أمر العامّه و خاصّه أحدكم الموت، فانّ النّاس أمامكم و إنّما خلفكم السّاعه تحدوكم، تخفّفوا تلحقوا فانما ينتظر الناس باخركم.

اتّقوا اللّه عباد اللّه فى عباده و بلاده، إنّكم مسؤلون حتّى عن البقاع و البهائم و أطيعوا اللّه و لا تعصوه و إذا رأيتم الخير فخذوه و إذا رأيتم الشرّ فدعوه.

الترجمه

از جملهٔ خطب شريفهٔ آن بزرگوار و ولىّ كردگار است در اوّل خلافت خود فرموده:

بدرستى كه خداى عزّ و علا نازل فرموده كتابى كه هدايت كننده است بيان فرموده در آن نيك و بد را، پس أخذ نمائيد راه خير را تا هدايت يابيد، و اعراض كنيد از راه شر تا ميانه رو باشيد مواظبت نمائيد بفرائض مواظبت نمائيد بفرائض برسانيد آنها را بسوى پروردگار تا اين كه برساند آنها شما را بسوى

بهشت عنبر سرشت.

بدرستی که خداوند تبارک و تعالی حرام فرموده حرامی که مجهول نیست و حلال کرده حلالیرا که بی عیب است.، و تفضیل داده احترام مسلمان را بر جمیع حرمتها و بسته باخلاص و توحید حقهای مسلمانان را در مواضع بستن آنها، پس مرد مسلمان آن کسی است که سلامت باشند مسلمانان از زبان آن و از دست آن مگر بوجه حقانیت و حلال، نیست اذیت و آزار مسلمان مگر به آن چه که واجب باشد.

مبادرت نمائید بر کاری که عام است و شامل بهمهٔ عالمیان، و بر آنچه که مختص است بهر یکی از شما و آن مرگست پس بدرستی که مردم در پیش شمایند و بدرستی که ساعت میراند شما را از پس شما باخرت، سبکبار بشوید تا لاحق باشید بگذشتگان پس بدرستی که انتظار می کشد بسبب اوّل شما آخر شما.

بپرهیزید و بترسید از خدا در خصوص بندهای او، و شهرهای او، پس بتحقیق که شما مسئول خواهید شد از هر خوب و بد حتّی از بقعهای زمین و از چهار پایان.

اطاعت کنید خدا را و معصیت ننمائید و زمانی که به بینید خیر و خوبی را پس بگیرید آن را و أخذ نمائید و چون مشاهده کنید بد را پس اعراض کنید از آن و اجتناب نمائید.

و من كلام له عليه السّلام و هو المأه و السابع

اشاره

و الستون من المختار فى باب الخطب

بعد ما بويع بالخلافه و قد قال له قوم من الصّحابه لو عاقبت قوما ممّن أجلب على عثمان فقال عليه السّلام:

يا إخوتاه إنّى لست أجهل ما تعلمون و لكن كيف لى بقوّه و القوم المجلبون على حدّ شوكتهم يملكوننا و لا نملكهم و ها هم

هؤلاء قد ثارت معهم عبدانكم و التفّت إليهم أعرابكم و هم خلالكم يسومونكم ما شاءوا و هل ترون موضعا لقدره على شيء تريدونه و إنّ هذا الأمر أمر جاهليّه و إنّ لهؤلاء القوم مادّه إنّ النّاس من هذا الأمر إذا حرّك على أمور: فرقه ترى ما ترون، و فرقه ترى ما لا ترون، و فرقه لا ترى هذا، و لا هذا، فاصبروا حتّى يهدأ النّاس، و تقع القلوب مواقعها و تؤخذ الحقوق مسمحه فاهدّؤا عنّى و انظروا ما ذا يأتيكم به أمرى، و لا تفعلوا فعله تضعضع قوّه و تسقط منّه و تورث وهنا و ذلّه، و سامسك الأمر ما استمسك و إذ لم أجد بدّا فاخر الدّواء الكيّ.

اللغه

(أجلبوا) عليه أى تألّبوا و اجتمعوا (و الحدّ) منتهى الشيء، و من كلّ شيء حدّته، و فى بعض النسخ (على جدّ) بالجيم المكسوره اسم من جدّ فى الأمر من باب ضرب و قتل اذا اجتهد و سعى فيه، و منه يقال فلان محسن جدّا أى نهايه و مبالغه (و عبدان) بالكسر جمع عبد مثل جحش و جحشان و الضمّ أيضا مثل تمر و تمران و الأشهر فى جمعه أعبد و عبيد و عباد و (سام) فلانا الأمر إذا كلّفه إيّاه، أكثر ما يستعمل فى العذاب و الشرّ قال سبحانه «يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذابِ يُذَبِّحُونَ أَبْناءَكُمْ وَ يَسْتَحْيُونَ نِساءَكُمْ » و (هدأ) القوم و الصوت يهدأ من باب منع سكن و (سمح) سماحه جاد و أعطى أو وافق ما اريد منه و أسمح بالالف لغه و قال الأصمعى سمح ثلاثيا بماله و أسمح بقياده و (المنّه) بالضمّ كالقوّه لفظا و معنى.

ص:٩٩

جواب لو فى قوله لو عاقبت محذوف، بقرينه المقام و الهاء فى قوله يا إخوتاه للسّكت، قال نجم الأئمه الرّضى أمّا هاء السّكت فهى هاء تزاد فى آخر الكلمه الموقوف عليها إذا كان آخرها ألفا و الكلمه حرف أو اسم عريق فى البناء نحو لا ـ و ذا و هنا و ذلك لأنّ الألف حرف خفيّه فاريد بيانها فاذا جئت بعدها بهاء ساكنه – فلا بدّ من مدّ الألف إذا جئت بعدها و ذلك فى الوصل بحرف آخر – تبيّن النطق بها و إذا لم تأت بعدها بشىء و ذلك فى الوقف خفيت حتّى ظنّ أن آخر الكلمه مفتوحه فلذا وصلت ليبيّن جوهرها.

و اختاروا أن يكون ذلك الحرف هاء لمناسبتها بالخفاء لحرف اللّين فاذا جاءت ساكنه بعد الألف فلا بدّ من تمكين مدّ الألف ليقوم ذلك مقام الحركه فيمكن الجمع بين ساكنين، فيبقين الألف بذلك التمكين و المدّ.

و قال فى باب المنادى المندوب و إذا ندبت يا غلامى بسكون الياء فكذا تقول عند سيبويه يا غلامياه لأنّ أصلها الفتح عنده و أجاز المبرّد يا غلاماه بحذف الياء للساكنين قال ابن الحاجب و الحذف ليس بوجه و قال نحو وا غلاميه أوجه.

أقول: و قول أمير المؤمنين عليه السّلام مؤيّد لقول المبرّد و شاهد له.

قال نجم الأئمه إلحاق هاء السّكت بعد زياده الندبه(١) واوا كانت أو ياء أو ألفا جايز فى الوقف لا واجب و بعضهم يوجبها لئلّا يلتبس المندوب بالمضاف إلى ياء المتكلّم المقلوبه ألفا نحو يا غلاما، و ينبغى أن لا يجب عند هذا القائل مع واو لأنها يكفى فى الفرق بين الندبه و الندا، و ليس ما قال بوجه لأنّ الألف المنقلبه عن ياء المتكلّم قد يلحقها الهاء فى الوقف كما مرّ فاللبس إذا حاصل مع الهاء أيضا و الفارق هو القرينه.

أقول: و يكفى فى ردّ هذا القائل قوله عليه السّلام يا إخوتاه فانّ الألف فيه مقلوبه عن ياء المتكلّم و قد لحقها هاء السّكت كما قاله الرّضىّ.

١- (١) اى الزياده التى فى المنادى المندوب من الواو أو الياء أو الالف.

و قوله علیه السّـلام علی حـدّ شوکتهم ظرف مسـتقرّ حـال من ضـمیر المجلبون و إضـافه حـدّ إلی شوکتهم لاـمیّه علی روایه حدّ بالحاء و بمعنی فی علی روایته بالجیم کما هو غیر خفیّ.

و الهـاء فی قوله علیه السّـلام و ها هم هؤلاء للتّنبیه و هی تـدخل الجمل و تـدخل فی جمیع المفردات أسـماء الاشاره نحو هـذا و هاتـا و هؤلاـء و کثیرا مـا یفصـل بینهـا و بین اسم الاشاره بالقسم نحو ها اللّه ذا و بالضـمیر المرفوع المنفصل نحو ها أنتم اولاء و بغیرهما قلیلا نحو قولهم هذا لها ها و ذا لیا أی و هذا لیا.

و ذهب الخلیل إلی أنّ هاء المقـدّمه فی جمیع ذلک کانت متّصله باسم الاشاره أی کان القیاس اللّه هذا، و أنتم هؤلاء، و الدّلیل علی أنّه فصـل حرف التنبیه عن اسم الاشاره ما حکی أبو الخطاب عمّن یوثّق به هـذا أنا أفعل فی موضع ها أنا ذا أفعل، و حـدّث یونس هذا أنت تقول ذا.

و جوّز بعضـهم أن یکون هاء المقدّمه فی نحو ها أنت ذا تفعل غیر منویّ دخولها علی ذا استدلالا بقوله تعالی «ها أَنْتُمْ هؤُلاءِ » و لو کانت هی الّتی کانت مع اسم الاشاره لم تعد بعد أنتم.

قال نجم الأئمه و یجوز أن یعتـذر للخلیل بأنّ تلک الاعاده للبعد بینهما کما اعید فی «فلا تحسبنّهم» بعد قوله «فلا تحسـبنّ الّذین یبخلون» و أیضا قوله «ثمّ أنتم هؤلاء تقتلون» دلیل علی أنّ المقدّم «فی ها أنتم اولاء» هو الّذی کان مع اسم الاشاره، و لو کان فی صدر الجمله من الأصل لجاز من غیر اسم اشاره ها أنت زید.

و مـا حکی الزمخشـری من قولهم هـا أن زیـدا منطلق، و هـا أنـا أفعـل کـذا مما لم أعثر له علی شاهـد فالأولی أن نقول ها التنبیه مختصّ باسم الاشاره، و قد یفصل منه کما مرّ و لم یثبت دخوله فی غیره.

و قال نجم الأئمه أیضا و اعلم انّه لیس المراد من قولک ها أنا ذا أفعل أن تعرّف المخاطب نفسک و أن تعلمه أنت لست غیرک لأنّ هـذا محـال بل المعنی فیه و فی ها أنت ذا تقول و ها هو ذا یفعل اسـتغراب وقوع مضـمون ذلک الفعل المـذکور بعـد اسـم الاشاره

من المتكلّم أو المخاطب أو الغائب كأنّ معنى ها أنت ذا تقول أو يضربك زيد، أنت هذا الذى أرى من كنّا نتوقّع منه أن لا يقع منه أو عليه مثل هذا الغريب ثمّ بيّنت بقولك تقول و قولك يضربك زيد الّذى استغربته و لم تتوقّعه.

قال تعالى «ها أَنْتُمْ أُولاءِ تُحِبُّونَهُمْ » فالجمله بعد اسم الاشاره لازمه لبيان الحال المستغربه و لا محلّ لها إذ هى مستأنفه.

و قوله: و هم خلالكم يسومونكم جمله هم يسومون مبتدأ و خبر فى محلّ النّصب على الحال و خلالكم ظرف مستقرّ حال من مفعول يسومون قدّمت على ذيها للتوسّع.

المعنى

اعلم أنّ المستفاد من شرح المعتزلى أنّ هذا الكلام قاله عليه السّلام أوّل مسير طلحه و الزبير إلى البصره (بعد ما بويع بالخلافه و قد قال له قوم من الصحابه لو عاقبت قوما ممّن أجلب و أعان على) قتل (عثمان) لكان حسنا لما فيه من قطع عذر الناكثين اذ عمده متمسّكهم فى النكت كان المطالبه بدم عثمان (فقال عليه السّلام:) معتذرا عمّا اشير عليه (يا إخوتاه) إنّى على غزاره علمى (لست أجهل ما تعلمون) بل أعلم ما كان و ما هو كائن و ما يكون (و لكن كيف لى بقوّه) على القصاص و الانتقام (و القوم المجلبون) المجتمعون المتألّبون (على حدّ شوكتهم) أى على غايه شوكتهم أو مع كونهم مجدّين فى الشوكه مبالغين فى شدّه البأس (يملكوننا و لا نملكهم) أى هم مسلّطون علينا و لسنا مسلّطين عليهم و صدقه عليه السّلام فى هذا الجواب ظاهر لأنّ أكثر أهل المدينه كانوا من المجلبين عليه، و كان من أهل مصر و من الكوفه و غيرهم خلق عظيم، حضروا من بلادهم و قطعوا المسافه البعيده لذلك، و انضمّ إليه أعراب الباديه و عبيد المدينه، و ثاروا ثوره واحده فكانوا على غايه الشوكه و لذلك اعتذر عليه السّلام بعدم التمكّن و القوّه.

و قد روى أنّه عليه السّلام جمع النّاس و وعظهم ثمّ قال لتقم قتله عثمان فقام النّاس بأسرهم إلاّ القليل و كان ذلك الفعل استشهادا منه على صدق قوله، و نبّه أيضا على

ص:۱۰۲

صدقه علیه السّلام باحاله المشیرین علیه إحاله معاینه و باشاره حضوریّه إلی کثره المجلبین و شدّتهم فقال علیه السّلام:(و ها هم هؤلاء قد ثارت) و هاجت (معهم عبدانکم و التفّت) و انضمّت (إلیهم أعرابکم و هم خلالکم) أی بینکم غیر متباعدین عنکم (یسومونکم ما شاءوا) کیف شاءوا لیس لهم رادع و لا دافع (و هل ترون) و الحال هذه (موضعا لقدره علی شیء تریدونه).

ثمّ قال:(إنّ هذا الأمر) أی أمر المجلبین (أمر جاهلیّه) لأنّ قتلهم لعثمان کان عن عصبیّه و حمیّه لا لطاعه أمر اللّه و إن کان فی الواقع مطابقا له.

و یمکن أن یکون المراد به أنّ ما تریدون من معاقبه القوم أمر جاهلیّه نشأ عن تعصّبکم و حمیّتکم و أغراضکم الباطله و فیه إثاره للفتنه، و تهییج للشرّ، لکنّ الأوّل أنسب بسیاق الکلام إذ غرضه من إیراد تلک الوجوه إسکات الخصم و عدم تقویه شبه المخالفین الطالبین لدم عثمان.

و أکّد تأکید تضعیف رأیهم بقوله (و إنّ لهؤلاء القوم مادّه) أی مددا و معینین و (إنّ النّاس من هذا الأمر إذا حرّک) عن موضعه و ارید معاقبه المجلبین (علی امور) ثلاثه أشار إلیها بقوله (فرقه منهم تری ما ترون) و یحکمون بحسن العقاب (و فرقه تری ما لا ترون) و تزعم أنّ فی العقاب عدولا عن الصّواب (و فرقه) ثالثه (لا تری هذا و لا هذا) و لا یحکمون فیه بصواب و لا خطاء.

و لما بیّن اختلاف الاراء و تشتّت الأهواء فی التخطئه و التصویب و کان الاقتصاص و الانتقام مع وجود هذا الاختلاف مظنّه فتنه اخری کالاولی بل و أعظم منها و کان الأصوب فی التدبیر و الّذی یوجبه العقل و الشرع الصبر و إمساک النکیر إلی حین سکون الفتنه، و تفرّق تلک الشعوب من المدینه، لا جرم أمرهم بالصّبر فقال:

(فاصبروا حتّی یهدأ الناس) و یسکنوا (و تقع القلوب مواقعها) و تؤوب إلی الناس أحلامهم (و تؤخذ الحقوق مسمحه) منقاده بسهوله (فاهدءوا) متفرّقین (عنّی و انظروا ما ذا یأتیکم به أمری) و لا تستعجلوه و لا تسرعوا (و لا تفعلوا فعله) أی نوع فعل (تضعضع) و تهدم (قوّه و تسقط منّه و تورث وهنا و ذلّه) فانّ الامور مرهونه بأوقاتها و مجتنی

ص:۱۰۳

الثمره لغير وقت إيناعها لا تذوق إلّا مراره منها.

قال الشارح المعتزلی و كان علیه السّلام یؤمّل أن یطیعه معاویه و غیره و أن یحضر بنو عثمان عنده یطالبون بدم أبیهم و یعیّنون قوما بأعیانهم بعضهم للقتل و بعضهم للتسوّر كما جرت عاده المتظلّمین إلی الامام و القاضی فحینئذ یتمكّن من العمل بحكم اللّه فلم یقع الأمر بموجب ذلک و عصی معاویه و أهل الشّام و التجأ ورثه عثمان إلیه و فارقوا حوزه أمیر المؤمنین علیه السّلام و لم یطالبوا القصاص طلبا شرعیّا و إنّما طلبوه مغالبه و جعلها معاویه عصبیّه الجاهلیه و لم یأت أحد منهم الأمر من بابه.

و قبل ذلک ما كان من أمر طلحه و الزّبیر و نقضهما البیعه و نهبهما أموال المسلمین بالبصره و قتلهما الصّالحین من أهلها و جرت امور كلّها یمنع الامام عن التصدّی للقصاص و اعتماد ما یجب اعتماده لو كان الأمر وقع علی القاعده الصحیحه من المتطالبه بذلک علی وجه السكوت و الحكومه.

و قد قال هو علیه السّلام لمعاویه و أما طلبک قتله عثمان فادخل فی الطاعه و حاكم القوم إلیّ أحملک و إیّاهم علی كتاب اللّه و سنّه رسوله صلّی اللّه علیه و آله هذا.

و أمّا قوله علیه السّلام (و سأمسک الأمر ما استمسک و إذا لم أجد بدّا فاخر الدّواء الكیّ) هكذا فی نسخه الشارحین البحرانی و المعتزلی، قال ثانیهما و هو مثل مشهور و یقال آخر الطبّ و یغلط فیه العامّه فیقول: آخر الدّاء، و الكیّ لیس من الدّاء لیكون آخره.

و فی نسخه البحار: آخر الدّاء قال العلاّمه المجلسیّ (ره) هكذا فی أكثر النسخ المصحّحه و لعلّ المعنی بعد الدّاء الكیّ إذا اشتدّ الداء و لم یزل بأنواع المعالجات فیزول بالكیّ و ینتهی أمره إلیه.

ثمّ قال الشارح المعتزلی و لیس معناه و سأصبر عن معاقبه هؤلاء ما أمكن الصبر فاذا لم أجد بدّا عاقبتهم و لكنّه كلام قاله أوّل مسیر طلحه و الزّبیر إلی البصره فانّه حینئذ أشار علیه قوم بمعاقبه المجلبین فاعتذر بما قد ذكر.

ثمّ قال و سأمسک الأمر ما استمسک أی أمسک نفسی عن محاربه هؤلاء

ص:۱۰۴

النّاكثين للبيعه ما أمكن و أدفع الأيّام بمراسلتهم و تخويفهم و إنذارهم و أجتهد فى ردّهم الى الطاعه بالترغيب و الترهيب، فاذا لم أجد بدّا من الحرب فاخر الدواء الكىّ أى الحرب لأنّها الغايه التى ينتهى أمر العصاه إليها.

قال العلاّمه المجلسىّ «ره» بعد حكايه ما حكيناه عن الشارح أقول: و يحتمل أن يكون ذلك توريه منه عليه السّلام ليفهم بعض المخاطبين المعنى الأوّل و مراده المعنى الثانى.

أقول: قد تقدّم فى شرح الكلام الثّلاثين تفصيلا أنّه عليه السّلام كان بنائه على إبهام المرام، و استعمال التوريه فى الكلام، فى أمر عثمان لمصالح قاضيه بذلك مانعه عن الابانه و التصريح فليراجع ثمّه.

الترجمه

از جملهٔ کلام بلاغت نظام آن امام است عليه الصّلاه و السّلام بعد از اين كه بيعت كرده شد بخلافت در حالتى كه گفتند او را گروهى از صحابه اگر عقاب بفرمائى قومى را از آن كسانى كه جمعيت نمودند بر قتل عثمان خوب مى شود.

پس فرمود آن حضرت در جواب ايشان: اى برادران من بدرستى كه من نيستم كه ندانم چيزى را كه شما مى دانيد و ليكن چگونه مرا قوّت باشد در انتقام و حال آنكه قومى كه جمعيت كردند بر غايت شوكت ايشان مسلّط و مالك هستند و ما بر ايشان تسلّط نداريم، و بدانيد كه ايشان اين جماعت اند كه هيجان آمده اند با ايشان بندگان شما و پيوسته اند بايشان أعراب باديه نشينان شما و حال آنكه ايشان در ميان شما تكليف مى كنند بشما آنچه دلشان بخواهد، و آيا مى بينيد با وجود اين حالت محلى از براى قدرت بر چيزى كه مى خواهيد؟ بدرستى كه اين كار كار جاهليت است و بدرستى كه از براى آن قوم است ماده بسيار از أعوان و أنصار.

بدرستى كه مردمان در اين كار هر گاه حركت داده شود بر چند أمر مى باشند طايفه رأى ايشان مطابق رأى شما خواهد شد و طايفه ديگر ايشان مخالف رأى شما

میباشد و طایفهٔ سوّم رأیشان نه اینست و نه آن، پس صبر و تحمّل نمائید تا آرام گیرند مردمان و واقع شود قلبها در مواضع وقوع خود و گرفته شود حقّها بسهولت و آسانی، پس آرام گیرید و کنار شوید از من و نظر کنید به آن چیزی که بیاید بشما فرمان من بان و نکنید کاری را که ویران کند قوّت و قدرت را، و بیندازد طاقت و توانائی را و باعث بشود بسستی و ذلّت و البته نگاهداری میکنم این امر را مادامی که نگاه داشته شود و چون چارهٔ نیابم پس آخر دوا داغ است یعنی غیر از محاربه علاجی نیابم لا بدّ باید محاربه کنم.

و من خطبه له علیه السّلام و هی المأه و الثامنه

اشاره

و الستون من المختار فی باب الخطب

عند مسیر أصحاب الجمل إلی البصره:

إنّ اللّه بعث رسولا هادیا بکتاب ناطق و أمر قائم، لا یهلک عنه إلّا هالک و إنّ المبتدعات المشبّهات هنّ المهلکات إلّا ما حفظ اللّه منها و إنّ فی سلطان اللّه عصمه لأمرکم فأعطوه طاعتکم غیر ملومه، و لا مستکره بها و اللّه لتفعلنّ أو لینقلنّ اللّه عنکم سلطان الإسلام ثمّ لا ینقله إلیکم أبدا حتّی یأرز الأمر إلی غیرکم إنّ هؤلاء قد تمالئوا علی سخطه إمارتی و سأصبر ما لم أخف علی جماعتکم فإنّهم إن تمّموا علی فیاله هذا الرّأی انقطع نظام المسلمین و إنّما طلبوا هذه الدّنیا حسدا

لمن أفائها اللّه عليه فأرادوا ردّ الامور على أدبارها و لكم علينا العمل بكتاب اللّه و سنّه رسوله صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و القيام بحقّه و النّعش لسنّته.

اللغه

(المشبّهات) فى بعض النسخ بصيغه المفعول و فى بعضها بصيغه الفاعل و فى بعضها (المشتبهات) بدلها يقال شبّهت الشىء بالشىء أى جعلته شبيها به فهو مشبّه بالفتح و شبّهته عليه تشبيها مثل لبّسته تلبيسا وزنا و معنى فأنا مشبّه بالكسر و اشتبهت الامور و تشابهت التبست فلم تتميّز و لم تظهر قال سبحانه: «إِنَّ الْبَقَرَ تَشابَهَ عَلَيْنا » و قال: «وَ ما قَتَلُوهُ وَ ما صَلَبُوهُ وَ لكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ ».

و (غير ملومه) فى بعض النسخ بالتخفيف من لام يلوم و فى بعضها بالتّضعيف للمبالغه، و فى بعضها (ملويّه) بدلها أى غير معوّجه من لوّيت العود إذا عطفته و (أرز) يأرز من باب ضرب انقبض و اجتمع و أرزت الحيّه أى لاذت بجحرها و رجعت إليه قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله إنّ الاسلام ليأرز إلى المدينه كما يأرز الحيّه على جحرها و (و تمالئوا) على الأمر تعاونوا.

و قال ابن السكيت اجتمعوا و (فال) رأيه يفيل فيلوله و فيله أخطأ و ضعف كتفيّل و رجل فيل الرّأى بالكسر و الفتح ككيس و فاله وفاء له و فاءل من غير اضافه ضعيفه جمعه أفيال و فى روايه بدل فياله (فيوله).

الاعراب

الباء فى قوله بكتاب للمصاحبه كما فى دخلت عليه بثياب السفر، و غير ملومه بالنصب حال من الطاعه و السين فى قوله و سأصبر ليست لتخليص المضارع للاستقبال كما هو غالب موارد استعمالها و انما هى لتأكيد وقوع الصبر كما نبّه به الزّمخشرى حيث قال انها إذا دخلت على فعل محبوب أو مكروه أفادت أنه واقع لا محاله.

ص:۱۰۷

و قال فی تفسیر قوله: «فَسَیَکْفِیکَهُمُ اللّهُ » معنی السین أنّ ذلک کاین لا محاله و إن تأخر إلی حین، و فی تفسیر «أَولئِکَ سَیَرْحَمُهُمُ اللّهُ » السین مفیده وجود الرحمه لا محاله و هی تؤکّد الوعد کما تؤکّد الوعید إذا قلت سأنتقم منک، و حسدا منصوب علی المفعول لأجله.

المعنی

اعلم أنّ هذه الخطبه حسبما ذکره الرضیّ خطبها عند مسیر أصحاب الجمل إلی البصره و الغرض منها التنبیه علی ضلال الناکثین و الکشف عن فساد نیّتهم و سوء عقیدتهم و أنّ مقصودهم فی الخروج و البغی علیه علیه السّلام هو الدّنیا لا الدّین و صدّرها بامور نفعها عامّ تذکیرا للمخاطبین و انقاذا لهم من الضّلاله و ایقاظا من رقده الجهاله.

فقال علیه السّلام:(إنّ اللّه بعث رسولا هادیا) إلی شرایع الدّین و معالم الشرع المبین (بکتاب ناطق) بالحقّ لهج بالصّدق (و أمر قائم) مستقیم لیس بذی عوج أو باق حکمه بین الأمّه مستمرّا إلی یوم القیامه (لا یهلک) معرضا (عنه إلاّ هالک) أی من بلغ الغایه فی الهلاک فالتنکیر لقصد النوع کما فی قوله تعالی: «إِنْ نَظُنُّ إِلاّ ظَنًّا ».

قال العلاّمه التفتازانی أی ظنّا حقیرا ضعیفا اذ الظنّ ممّا یقبل الشدّه و الضّعف فالمفعول المطلق هنا للنوعیه لا للتأکید و بهذا الاعتبار صحّ وقوعه بعد الاستثناء مفرّغا مع امتناع ما ضربته إلاّ ضربا علی أن یکون المصدر للتأکید لأنّ مصدر ضربته لا یحتمل غیر الضرب و المستثنی منه یجب أن یکون متعدّدا یحتمل المستثنی و غیره (و إنّ المبتدعات المشبّهات) أی البدعات المحدثات فی الاسلام بعد رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم المشبّهات بالسّنن و لیس منها و الملبّسات الأمر علی الناس أو الملتبسات علیهم علی اختلاف روایات المتن حسبما تقدّم (هنّ المهلکات) فی الاخره لخروجها عن الکتاب و السنّه و قوله:(إلاّ ما حفظ اللّه منها) استثناء من بعض متعلّقات المهلکات أی إنّها مهلکه فی جمیع الأحوال إلاّ حال حفظ اللّه منها بالعصمه عن ارتکابها أو انّ ما بمعنی من أی مهلکه لکلّ أحد إلاّ من حفظه اللّه سبحانه

ص:۱۰۸

ثمّ قال:(و إنّ فى سلطان اللّه) أى سلطان دين اللّه و هو سلطان الاسلام الذى سيصرّح به أو أراد به السلطنه الالهيّه الّتى قوامها به لكونه خليفه اللّه فى عباده و بلاده و ولىّ أمره فى أرضه فالاضافه من باب التشريف و الاعتزاز (عصمه لأمركم) و حفظا له عن التزلزل و الاختلال (فأعطوه طاعتكم غير ملومه) صاحبها (و لا مستكره بها) أى أطيعوه طوعا و بالاخلاص عن صميم القلب لا كرها و جبرا ينسب صاحبها الى الرّياء و النفاق فيستحقّ اللؤم و الملام (و اللّه لتفعلنّ) و لتطيعنّ (أو لينقلنّ اللّه عنكم سلطان الاسلام) أى الخلافه (ثمّ لا ينقله إليكم أبدا حتّى يأرز الأمر) أى ينقبض و يرجع (إلى غيركم).

فان قيل كيف قال عليه السّلام لا ينقله إليكم أبدا و قد عاد إليهم بالدّوله العبّاسيه قلنا قد أجيب عنه بوجوه:

أولها، ما قاله الشّارح المعتزلى و هو أنّ الشرط لم يقع و هو عدم الطاعه، فانّ أكثرهم أطاعوه غير ملومه و لا مستكره بها و اذا لم يتحقّق الشرط لم يتحقّق المشروط.

الثانى انه خاطب به الشيعه الطالبيّه فقال إن لم تعطونى الطاعه المحضه نقل الخلافه عن هذا البيت حتّى يأرز و ينضمّ إلى بيت آخر و هكذا وقع فانها انضمّت إلى بيت آخر من بنى هاشم.

الثالث أنه أراد بقوله أبدا المبالغه كما تقول: احبس هذا الغريم أبدا و المراد بالقوم الّذين يأرز إليهم بنو اميّه كأنّه قال إن لم تفعلوا نقل اللّه الخلافه عنكم حتّى يجعلها فى قوم آخرين و هم أعدائكم من أهل الشّام و بنى اميّه و لا يعيدها إليكم إلى مدّه طويله و هكذا وقع.

الرابع انه قيد بالغايه فقال لا يصير اليهم حتّى يصير فى قوم آخرين و ظاهر أنّه كذلك بانتقاله إلى بنى اميّه.

و الخامس أنّ القوم الّذين خاطبهم من أصحابه بهذا الخطاب لم ترجع الدّوله اليهم أبدا فانّ اولئك بعد انقضاء دوله بنى اميّه لم يبق منهم ثمّ لم يرجع

إلى أحد من أولادهم أصلا.

أقول و أحسنها الوجه الثالث و الرّابع و أحسنهما ثانيهما كما هو غير خفيّ على النّاقد الزكيّ.

ثمّ نبه على ضلال طلحه و الزّبير و عائشه و إيّاهم أراد بقوله (إنّ هؤلاء القوم قد تمالئوا) أى تعاونوا و تساعدوا و اجتمعوا (على سخطه إمارتى) و كراهيّتها سخيمه و مقتا (و سأصبر) على بغيهم و خروجهم (ما لم أخف على) حوزه (جماعتكم) و على انفصام حبل الاسلام (فانهم إن تمّموا) ما أرادوه و بلّغوه أجله مستقرّين (على فياله هذا الرّأى) يعنى أنهم إن أتمّوا ما تصدّوه فى مسيرهم و مخالفتهم و بقوا على هذا الرّأى الضعيف (انقطع نظام المسلمين) و انفصم حبل الدّين، و تضعضع سوارى المتقين.

ثمّ بيّن علّه سخطهم لامارته بقوله (و إنما طلبوا هذه الدّنيا) يعنى أنّ عله تمالؤهم علىّ ليست ما أظهروه من الطلب بدم عثمان و إنما هى تنافسهم فى الدّنيا و طلبهم لها (حسدا لمن أفائها اللّه عليه) و ردّها إليه.

قال الشارح المعتزلى بعد تفسير الفىء بمعنى الرجوع و هذا الكلام لا يشعر بأنه عليه السّلام كان يقتصد أنّ الأمر له و أنه غلب عليه ثمّ رجع إليه و لكنه محمول على أنه من رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم بمنزله الجزء من الكلّ و أنهما من جوهر واحد فلما كان الوالى قديما هو و رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم ثمّ تخلل بين ولايتهما و لا يات غريبه سمّى ولايته فيئا و رجوعا لأنها رجعت الى الدّوحه الهاشميّه انتهى.

و أنت خبير بأنّ كلامه عليه السّلام صريح فى ما ذكره الشارح أوّلا و انكار الشارح للإشعار عجيب و الحمل الذى تمحّله غريب، و كم له عليه السّلام فى هذا الكتاب من كلام صريح فى اغتصاب الخلافه، و انتهاب الوراثه، و كفى بذلك شهيدا الخطبه الثالثه، و الكلام السادس، و الخطبه السادسه و العشرين، فضلا عن غيرها.

بل قد ادّعى الشارح نفسه فى شرح الخطبه المأه و الاحدى و السبعين تواتر الأخبار الوارده عنه عليه السّلام فى هذا المعنى و هو كذلك و سنحكى كلامه إذا بلغ الشرح

محلّه و ما أدرى ما ذا أعدّه الشّارح للجواب يوم الحساب، مع علمه بالأخبار المتواتره فى هذا الباب، لو لم يكن ما يمحّله من التكلّفات و التأويلات، تقيّه من ذوى الأذناب، و اللّه عالم بالسرائر خبير بالضمائر هذا.

و قوله (فأرادوا ردّ الامور على أدبارها) أى أرادوا انتزاع أمر الخلافه منه عليه السّلام بعد إقباله إليه كما انتزعت أوّلا أسوه بما وقع من قبل ثمّ أخبر بما لهم عليه إن قاموا بوظايف الطاعه فقال (و لكم علينا العمل بكتاب اللّه تعالى و سيره رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و القيام بحقه) أى بحق الرّسول صلّى اللّه عليه و آله الواجب علينا القيام به (و النعش لسنّته) أى الرفع لشريعته و الاعلاء لكلمته صلواه اللّه و سلامه عليه و آله.

الترجمه

از جمله خطب فصيحهٔ آن ولىّ مؤمنين و وصىّ خاتم النبيّين است نزد رفتن أصحاب جمل بسوى بصره مى فرمايد:

بدرستى كه خداى تعالى مبعوث فرمود پيغمبر را كه هدايت كننده بود بطريق نجاه با كتابى كه ناطق بود بحقّ، و با شريعتى كه باقى بود تا قيامت، هلاك نمى شود از آن مگر كسى كه بالغ شود بمنتهاى هلاكت، آگاه باشيد و بدرستى كه بدعتهائى كه تشبيه شده اند بسنت آنهايند هلاك كنندها مگر آنچه كه خدا حفظ فرمايد از آن.

و بدرستى كه حجت خدا نگه داشتن است مر كار شما را، پس ببخشيد بأو اطاعت خودتان را در حالتى كه ملامت كرده نشده است و بكراهت داشته نشده بان و بخدا سوگند البته بايد اطاعت آن را نمائيد و الاّ هر آينه محققا نقل ميكند خداى تعالى از شما سلطنت اسلام را، پس از آن نقل نمى كند آن را بسوى شما هرگز تا اين كه پناه ببرد آن أمر خلافت بسوى غير شما.

ص:١١١

و بـدرستی که این قوم جمل اجتماع کرده اند و معین همدیگر شده اند بر غضب و بغض إمارت و خلافت من، و البته صبر می کنم بر این حرکت ایشـان مـادامی که نترسم بر جمـاعت شـما پس بـدرستی که ایشـان اگر بانجام برساننـد مقصود خودشان را بالاـی آن رأی ضـعیف که دارنـد، بریـده شود نظـام مسـلمانان و غیر از این نیست که ایشان طلب کرده انـد این دنیا را از روی حسد بردن بر کسـی که برگردانده حق تعالی آنرا بأو، پس اراده کردند باز گردانیدن کارها را بر پشتهای آن، و مر شما راست بر ذمه مـا عمـل نمودن بکتـاب إلهی و طریقـهٔ حضـرت رسـالت پنـاهی و قائم شـدن بحقّ آن بزرگوار، و بلنـد کردن سـنّت آن برگزیدهٔ پروردگار.

و من كلام له عليه السّلام و هو المأه و التاسع

اشاره

و الستّون من المختار فی باب الخطب

كلّم به بعض العرب و قـد أرسـله قوم من أهـل البصـره لمّا قرب منها ليعلم لهم منه عليه السّـلام حقيقه حاله مع أصـحاب الجمل لتزول الشـبهه من نفوسـهم، فبين له من أمره معهم مـا علم به انّه على الحقّ ثمّ قال عليه السّـلام له: بايع فقال: إنّى رسول قوم و لا احدث حدثا حتّى أرجع إليهم فقال:

أ رأيت لـو أنّ الّـذين وراءك بعثوك رائـدا تبتغى لهم مساقـط الغيث فرجعت إليهم فـأخبرتهم عن الكلاـء و المـاء فخـالفوا إلى المعـاطش و المجـادب مـا كنت صانعا؟ فقال كنت تاركهم و مخالفهم إلى الكلاء و الماء، فقال عليه السّـلام: فامـدد إذا يـدك، فقال الرّجل: واللّه ما استطعت أن أمتنع عند قيام الحجّه علىّ فبايعته. و الرّجل يعرف بكليب الجرمى.

ص:۱۱۲

اللغه

(الرائد) المرسل فى طلب الكلاء (و الكلاء) بالهمز العشب رطبا كان أو يابسا نقله الفيّومى عن ابن فارس و غيره و الجمع أكلاء مثل سبب و أسباب.

و قال الشارح المعتزلى الكلاء النبت إذا طال و أمكن أن يرعى و أوّل ما يظهر يسمّى الرّطب فاذا طال قليلا فهو الخلاء فاذا طال شيئا آخر فهو الكلاء فاذا يبس فهو الحشيش (و الجرمى) منسوب إلى الجرم بالفتح و هو ابن زبان بطن فى قضاعه.

قال الشّارح المعتزلى: منسوب إلى بنى جرم بن زبان و هو علاف بن حلوان ابن عمران ابن الحافى بن قضاعه من حمير.

الاعراب

الهمزه فى قوله أرأيت للتقرير و جمله تبتغى فى محلّ النصب صفه لرائدا جيئت بها للايضاح و جمله ما كنت صانعا جواب لو، و قوله فامدد إذا يدك قال ابن هشام و الصّحيح أنّ نونها أى نون إذن تبدل عند الوقف عليها الفا و قيل يوقف عليها بالنّون لأنّها كنون ان و لن روى عن المازنى و المبرّد، و الجمهور يكتبونها بالألف و كذا رسّمت فى المصاحف و المازنى و المبرّد.

المعنى

اعلم أنّ هذا الكلام كما ذكره الرّضى (كلّم عليه السّلام به بعض العرب) و هو الكليب الجرمى الذى صرّح الرّضى به آخرها (و قد أرسله قوم من أهل البصره) إلى حضره أمير المؤمنين (لمّا قرب عليه السّلام منها ليعلم لهم منه عليه السّلام حقيقه حاله مع أصحاب الجمل لتزول الشبهه من نفوسهم) أى نفوس أهل البصره (فبيّن عليه السّلام) للرجل المرسل (من أمره معهم) أى مع أهل الجمل (ما) أى برهانا وافيا و دليلا شافيا (علم به) أى علم الرجل بذلك البيان و البرهان (أنه عليه السّلام على الحقّ) و أنّ أصحاب الجمل على الباطل (ثمّ قال عليه السّلام له بايع ف) اعتذر الرّجل و (قال إنّى

رسول قوم و لا) ينبغى أن (أحدث حدثا حتّى أرجع إليهم) و اخبرهم بما جرى بينى و بينك.

فلما سمع عذره أراد دفعه بحجّه لا محيص عنها و ضرب مثلا هو ألطف المثال و أوضحها و أحسنها فى مقام الاحتجاج (فقال أرأيت) أى أخبرنى ما ذا رأيك (لو أنّ الّذين ورائك) أى خلفك (بعثوك رائدا تبتغى لهم مساقط الغيث) و المرعى (فرجعت إليهم فأخبرتهم عن الكلاء و الماء فخالفو) ك و ظعنوا (إلى المعاطش و المجادب) أى مواضع العطش و الجدب (ما كنت صانعا) أ تتركهم و تخالفهم و تطلب ما شاهدت و رأيت الماء و الكلاء أم تذهب معهم إلى المجادب و المعاطش؟(فقال) الرّجل (كنت تاركهم و مخالفهم) متوجّها (إلى الكلاء و الماء، فقال عليه السّلام فامدد إذا يدك) لأنّك إذا كنت تارك أصحابك و مفارقهم عند وجدان الكلاء و الماء اللّذين بهما غذاء الأبدان و مادّه حياه الأجسام فتركك إيّاهم و مفارقتك منهم عند وجدان نور العلم و المعرفه و الهدايه الذى هو مادّه حياه الأرواح و النفوس أحرى و أولى،(فقال الرّجل: و اللّه ما استطعت أن أمتنع) من البيعه (عند قيام الحجّه علىّ فبايعته).

أقول: هكذا يؤثر الموعظه لأهلها و يهدى اللّه لنوره من يشاء، و يضرب اللّه الأمثال، و مثل اهتداء هذا الرّجل رسول أهل البصره بنور الولايه اهتداء رسول عايشه و اهتداء رجل آخر من بنى عبد قيس رسول الزّبير و طلحه و استبصارهما بعد ما قامت عليهما الحجه.

أمّا رسول عائشه فقد روى فى مجلّد الفتن من البحار و فى كتاب مدينه المعاجز تأليف السيّد المحدّث السيّد الهاشم البحرانى جميعا عن محمّد بن الحسن الصفّار فى البصائر عن أحمد بن محمّد الحسن بن علىّ بن النعمان عن أبيه عن محمّد بن سنان رفعه قال:

إنّ عايشه قالت التمسوا لى رجلا شديد العداوه لهذا الرجل حتّى أبعثه إليه قال فأتيت به فمثل بين يديها فرفعت إليه رأسها فقالت له ما بلغت من عداوتك لهذا الرّجل؟ فقال كثيرا ما أتمنّى على ربّى أنّه و أصحابه فى وسطى فضربت ضربه بالسيف يسبق «يصبغ خ ل» السّيف الدّم قالت فأنت له، اذهب بكتابى هذا فادفعه إليه

ظاعنا رأيته أو مقيما أما أنّك إن رأيته ظاعنا رأيته راكبا على بغله رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم متنكّبا قوسه معلّقا كنانته على قربوس سرجه، و أصحابه خلفه كأنهم طير صوافّ فتعطيه كتابى هذا و إن عرض عليك طعامه و شرابه فلا تناولنّ منه شيئا فانّ فيه السّحر.

قال: فاستقبلته راكبا فناولته الكتاب ففضّ خاتمه ثمّ قرأه فقال: تبلغ إلى منازلنا فتصيب من طعامنا و شرابنا، فنكتب جواب كتابك، فقال: هذا و اللّه ما لا يكون قال: فسارّ خلفه و أحدق به أصحابه ثمّ قال له: أسألك؟ قال: نعم، و تجيبنى؟ قال: نعم.

قال: فنشدتک اللّه هل قالت: التمسوا لی رجلا شديد العداوه لهذا الرّجل فأتيت بک؟ فقالت لک ما بلغ من عداوتک لهذا الرّجل فقلت كثيرا ما أتمنّى على ربّی أنّه و أصحابه فی وسطی و انّی ضربت ضربه سبق «صبغ خ ل» السّيف الدّم؟ قال: اللّهمّ نعم.

قال: فنشدتک اللّه أقالت لک: اذهب بكتابی هذا فادفعه إليه ظاعنا كان أو مقيما أما إنک إن رأيته راكبا رأيته على بغله رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم متنكّبا قوسه معلّقا كنانته بقربوس سرجه و أصحابه خلفه كأنهم طير صواف قال: اللّهمّ نعم.

قال عليه السّلام: فنشدتک اللّه هل قالت لک إن عرض عليك طعامه و شرابه فلا تناولنّ منه شيئا فانّ فيه السحر؟ قال: اللّهمّ نعم.

قال: فتبلغ أنت عنی؟ فقال: اللّهمّ نعم فانی قد أتيتک و ما فی الأرض خلق أبغض إلیّ منک و أنا الساعه ما فی الأرض خلق أحبّ إلیّ منک فمر بی بما شئت.

قال عليه السّلام: ارجع اليها بكتابی هذا، و قل لها ما أطعت اللّه و لا رسوله حيث أمرک اللّه بلزوم بيتک فخرجت تردّدين فی العسكر، و قل لهما(۱) ما أنصفتما اللّه و رسوله، حيث خلفتم حلائلكم فی بيوتكم و أخرجتم حليله رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم.

قال: فجاء بكتابه فطرحه إليها و أبلغها مقالته ثمّ رجع إليه فاصيب بصفّين، فقالت ما نبعث إليه بأحد إلّا أفسده علينا.

۱- (۱) أی طلحه و الزبير.

و أمّا رسول طلحه و الزّبير ففى الكافى عن محمّد بن يعقوب الكلينىّ عن علىّ ابن ابراهيم بن هاشم، عن أبيه، عن ابن محبوب، عن سلاّم بن عبد اللّه، و محمّد بن الحسن، و علىّ بن سهل بن زياد، و أبو علىّ الأشعرى، عن محمّد بن حسان جميعا، عن محمّد بن علىّ عن علىّ بن أسباط عن سلام بن عبد اللّه الهاشمىّ قال محمّد بن علىّ:

و قد سمعته منه عن أبى عبد اللّه عليه السّلام قال:

بعث طلحه و الزّبير رجلا من عبد القيس يقال له خداش إلى أمير المؤمنين عليه السّلام و قالا له: إنّا نبعثك إلى رجل طال ما نعرفه و أهل بيته بالسّحر و الكهانه و أنت أوثق من بحضرتنا من أنفسنا من أن تمتنع من ذلك و أن تحاجّه لنا حتّى تقفه على أمر معلوم.

و اعلم أنّه أعظم النّاس دعوى فلا يكسرنّك ذلك عنه، و من الأبواب التى يخدع بها النّاس الطعام و الشراب و العسل و الدّهن و أن يخالى الرجل فلا تأكل له طعاما، و لا تشرب له شرابا، و لا تمسّ له عسلا و لا دهنا، و لا تخل معه، و احذر هذا كلّه منه و انطلق على بركه اللّه.

فاذا رأيته فاقرأ آيه السخره(۱) و تعوّذ باللّه من كيده و كيد الشّيطان، فاذا جلست إليه فلا تمكّنه من بصرك كلّه و لا تستأنس به ثمّ قل له إنّ أخويك فى الدّين و ابنى عمّك فى القرابه يناشدانك القطيعه، و يقولان لك أما تعلم أنا تركنا الناس لك، و خالفنا عشائرنا فيك منذ قبض اللّه عزّ و جلّ محمّدا صلّى اللّه عليه و آله فلمّا نلت أدنى مناك ضيّعت حرمتنا، و قطعت رجائنا.

ثمّ قد رأيت أفعالنا فيك، و قدرتنا على الناس عنك، و سعه البلاد دونك، و انّ من كان يصرفك عنا و عن صلتنا كان أقلّ لك نفعا و أضعف عنك دفعا منّا، و قد وضح الصبح لذى عينين.

۱- (۱) السخره بالضم التسخير و أما بالفتح فهو الاستهزاء (كفعمى ره) و الايه هى قوله تعالى «إِنَّ رَبَّكُمُ اللّهُ الَّذِى خَلَقَ السَّماواتِ وَ الْأَرْضَ» - الى قوله - «رَبُّ الْعالَمِينَ» من قرئها حفظ من شياطين الجنّ و الانس (صالح المازندرانى) و فى الكفعمى الى قوله «قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ» (منه ره).

و قد بلغنا انتهاک لنا و دعاء علینا فما الّذی یحملک علی ذلک؟ فقد کنّا نری أنک أشجع فرسان العرب أتتّخذ اللّعن دینا و تری أنّ ذلک یکسرنا عنک؟.

فلما أتی خداش إلی أمیر المؤمنین علیه السّلام صنع ما أمراه فلمّا نظر إلیه علیّ علیه السّلام و هو یناجی نفسه ضحک و قال علیه السّلام: ههنا یا أخا عبد قیس و أشار له إلی مجلس قریب منه، فقال: ما أوسع المکان ارید أن اؤدّی إلیک رساله قال علیه السّلام بل تطعم و تشرب و تحل «تخلی خ ل» ثیابک و تدّهن، ثمّ تؤدّی رسالتک، قم یا قنبر فأنزله.

قال ما بی إلی شیء مما ذکرت حاجه قال فأخلو بک قال کلّ سرّ لی علانیه قال فانشدک باللّه الذی هو أقرب إلیک من نفسک، الحائل بینک و بین قلبک، الّذی یعلم خائنه الأعین و ما تخفی الصدور، أتقدّم علیک الزبیر بما عرضت علیک؟ قال:

اللهمّ نعم.

قال: لو کتمت بعد ما سألتک ما ارتدّ إلیک طرفک فأنشدک اللّه هل علّمک کلاما تقوله إذا أتیتنی؟ قال: اللهمّ نعم، قال علیه السّلام آیه السخره؟ قال نعم.

قال: فاقرأها فقرأها و جعل علیّ علیه السّلام یکرّرها و یردّدها و یصحّح علیه إذا أخطأ حتّی إذا قرئها سبعین مرّه.

قال الرّجل ما یری أمیر المؤمنین علیه السّلام بتردّدها سبعین مرّه، قال له: أتجد قلبک اطمأنّ؟ قال: أی و الّذی نفسی بیده قال: فما قالا لک؟ فأخبره، فقال: قل لهما کفی بمنطقکما حجّه علیکما و لکنّ اللّه لا یهدی القوم الظالمین زعمتما أنکما أخوای فی الدّین و ابنا عمّی فی النسب فأمّا النسب فلا أنکره و إن کان النسب مقطوعا إلاّ ما وصله اللّه بالاسلام و أمّا قولکما أنکما أخوای فی الدّین، فان کنتما صادقین فقد فارقتما کتاب اللّه عزّ و جلّ، و عصیتما أمره بأفعالکما فی أخیکما فی الدّین، و إلاّ فقد کذبتما و افتریتما بادّعائکما أنکما أخوای فی الدّین.

و أمّا مفارقتکما الناس منذ قبض اللّه محمّدا صلّی اللّه علیه و آله و سلّم فان کنتما فارقتماهم بحقّ فقد نقضتما ذلک الحقّ بفراقکما إیّای أخیرا و إن فارقتماهم بباطل فقد وقع إثم ذلک الباطل علیکما مع الحدث الّذی أحدثتما.

مع أنّ صفتكما بمفارقتكما الناس لم يكن إلّا لطمع الدّنيا، زعمتما و ذلک قولكما فقطعت رجائنا، لا تعيبان بحمد اللّه من دينى شيئا.

و أمّا الّذى صرفنى عن صلتكما فالّذى صرفكما عن الحقّ و حملكما على خلعه من رقابكما كما يخلع الحرون لجامه، و هو اللّه ربّى لا اشرک به شيئا فلا تقولا أقلّ نفعا و أضعف دفعا فتستحقّا اسم الشرک مع النفاق.

و أمّا قولكما إنّى أشجع فرسان العرب و هربكما من لعنى و دعائى، فانّ لكلّ موقف عملا و اذا اختلفت الأسنّه و ماجت لبود الخيل و ملأ سحرا كما أجوافكما فثمّ يكفينى اللّه بكمال القلب.

و أمّا اذا أبيتما بأنى أدعو اللّه فلا تجزعا من أن يدعو عليكما رجل ساحر من قوم سحره زعمتما.

اللّهم أقعص(۱) الزبير بشرّ قتله، و اسفک دمه على ضلاله، و عرّف طلحه المذلّه و ادّخر لهما فى الاخره شرا من ذلک ان كانا ظلمانى و افتريا علىّ و كتما شهادتهما و عصياک و عصيا رسولک فىّ، قل آمين قال خداش: آمين.

ثمّ قال خداش لنفسه ما رأيت لحيه قطّ أبين خطأ منک حامل حجّه ينقض بعضها بعضا لم يجعل اللّه لها مساکا(۲) أنا أبرء إلى اللّه منهما.

قال علىّ عليه السّلام ارجع إليهما و أعلمهما ما قلت قال: لا و اللّه حتّى تسئل اللّه أن يردّنى إليک عاجلا و ان يوفّقنى لرضاه فيک، ففعل فلم يلبث أن انصرف و قتل معه يوم الجمل رحمه اللّه.

الترجمه

از جملۀ كلام آن حضرتست كه تكلّم فرموده بان با بعض عرب كه كليب جرمى بود وقتى كه فرستاده بود او را قومى از اهل بصره زمانى كه آن حضرت نزديک بصره بود تا بداند از براى ايشان از راى آن حضرت حقيقت حال او را با أصحاب جمل تا زايل شود شبهه از نفوس ايشان.

ص:۱۱۸

۱- (۱) اقعصه إذا قتله قتلا ضريعا (م)

۲- (۲) المساک ما يمسک بعضها بعضا من الروابط (م)

پس بیان فرمود بأو از کار خود با ایشان آن چیزی را که دانست او بان چیز این که آن حضرت بحق است و ایشان بباطل بعد از آن فرمود باو که بیعت کن پس گفت باو که من ایلچی قومی هستم کاری نمیکنم بی مشورت ایشان تا برگردم بطرف ایشان پس فرمود آن حضرت:

خبر ده مرا اگر کسانی که در پس توأند بفرستند ترا در حالتی که طلب کننده آب و گیاه باشی که طلب نمائی از برای ایشان مواضع افتادن باران را پس برگردی بسوی ایشان و خبر دهی ایشان را از آب و گیاه پس مخالفت نمایند، و متوجه شوند بمکانهای بی آب و علف، چه کار خواهی کرد در این صورت؟.

عرض کرد که می باشم ترک کننده ایشان و مخالف ایشان، و می روم بسوی آب و گیاه، پس فرمود حالا که این طور است دراز کن دست خود را یعنی بیعت نما، پس گفت آن مرد قسم بحق خدا نتوانستم خود داری کنم نزد تمام شدن حجّت بر من پس بیعت نمودم با آن حضرت.

و من خطبه له علیه السّلام و هی المأه و السبعون

اشاره

من المختار فی باب الخطب

و ذلک فی الیوم الرّابع من الوقعه سابع شهر صفر من سنه سبع و ثلاثین علی ما یأتی فی روایه نصر بن مزاحم و رویته عنه باختلاف تطلع علیه.

أللّهمّ ربّ السّقف المرفوع، و الجوّ المکفوف، الّذی جعلته مغیضا للّیل و النّهار، و مجری للشّمس و القمر، و مختلفا للنّجوم السّیّاره، و جعلت سکانه سبطا من ملائکتک لا یسأمون من عبادتک. و ربّ هذه الأرض الّتی جعلته قرارا للأنام، و مدرجا للهوامّ و

الأنعام، و ما لا يحصى ممّا يرى و ما لا يرى.

و ربّ الجبال الرّواسى الّتى جعلتها للأرض أوتادا، و للخلق اعتمادا إن أظهرتنا على عـدوّنا فجنّبنا عن البغى و سدّدنا للحقّ، و إن أظهرتهم علينا فارزقنا الشّهاده، و اعصمنا من الفتنه.

أين المانع للذّمار، و الغائر عند نزول الحقائق من أهل الحفاظ العار (النّار خ ل) وراءكم و الجنّه أمامكم.

اللغه

(غـاض) الماء يغيض غيضا و مغاضا قلّ و نقص قال سبحانه «وَ غِيضَ الْماءُ » و قال «وَ ما تَغِيضُ الْأَرْحامُ » أى ما تنقص من تسعه أشهر و الغيضه الأجمه و مجتمع الشجر و (الذّمار) ما يلزمك حفظه من الأهل و المال و الولد و (غار) على امرأته و هى عليه تغار غيره و غيرا و غارا و غيارا فهو غائر و غيران و هى غيرى.

الاعراب

جمله لا يسأمون فى محلّ النّصب صفه لقوله سبطا أو حال لأنّه نكره غير محضه، فيجوز فى الجمله التاليه لها الوجهان كما صرّح به علماء الأدبيّه و لو وقعت بعد النكره المحضه فوصف فقطّ و بعد المعرفه المحضه فحال لا غير.

المعنى

اشاره

اعلم أنّ اللاّزم على العبد أن يكون توجّهه فى جميع حالاته من الشدّه و الرّخاء، و السرّاء، و الضرّاء، و الضيق و السعه، إلى معبوده لا سيّما حاله البؤس

ص:١٢٠

و الشـدّه لأنّ دفع الضّـرر الموجود و المتوقّع واجب عقلا و نقلا مع القـدره، و الدّعاء محصّل لذلک و هو مقدور فيجب المصـير إليه.

أمّـا مقـدوريّته فلاـ غبـار عليه، و أمّـا أنه محصّـل لـذلک فلمـا دلّت عليه الأـدلّه النقليّه من الکتاب و السـنّه من أنّه يـدفع به البلاء الحاصل، و يکشف به السوء النازل.

قال سبحانه: «وَ ادْعُوهُ خَوْفاً وَ طَمَعاً » و قال: «أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذا دَعاهُ وَ يَکْشِفُ السُّوءَ ».

و قال الکاظم عليه السّـلام عليکم بالـدّعاء فانّ الدعاء و الطّلب إلى اللّه يردّ البلاء و قد قدّر و قضـى فلم يبق إلّا إمضاؤه فاذا دعى اللّه و سئل صرفه صرفه.

و روى زراره عن أبى جعفر عليه السّـلام قال: ألا أدلّکم على شـىء لم يستثن فيه رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله قلت: بلى، قال: الدّعاء يردّ القضاء و قد ابرم إبراما و ضمّ أصابعه.

و عن سيّد العابدين عليه السّلام إنّ الدّعاء و البلاء ليتواقفان إلى يوم القيامه إنّ الدّعاء ليردّ البلاء و قد ابرم إبراما.

و عنه عليه السّلام الدّعاء يدفع البلاء النازل، و ما لم ينزل.

و قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم: ألا أدلّکم على سلاح ينجيکم من أعدائکم و يدرّ أرزاقکم؟ قالوا بلى يا رسول اللّه، قال: تدعون ربّکم باللّيل و النهار و قال: سلاح المؤمن الدّعاء.

و قال أمير المؤمنين عليه السّلام الدّعاء ترس المؤمن، و متى تکثر قرع الباب يفتح لک.

و قال الصّادق عليه السّلام الدّعاء أنفذ من السنان الحديد.

هذا کلّه مضافا إلى ما تقدّمت فى شرح الکلام السّادس و الأربعين من الأدلّه الوارده فى الحثّ و الترغيب عليه.

إذا عرفت ذلـک فـأقول: لمـا کـان مقـام الحرب و الجـدال، و لقـاء الشـجعان و الأبطـال أحـقّ المواقع الّتى يتوسـل فيهـا إلى اللّه بالتخلّص إليه، و التوجّه له، و کان الدّعاء

إليه بمقتضى الأدلّه السّابقه أفضل ما يتوقّى به من الدّواهى و المكاره، و ترس من الأعداء و جنّه لا شىء أوقى منه، و أنفذ عليهم من السّنان الحديد، و أشدّ تأثيرا من الضرب بالمشرفىّ و المهنّد و الطعن بالخطى و القنى المسدّد لا جرم توجّه أمير المؤمنين عليه السّلام إليه سبحانه بالدّعاء لما عزم لقاء القوم بصفّين (۱)فقال:

(أللّهمّ ربّ السقف المرفوع) أى السّماء الّتى رفعها بغير عمد ترونها، و إطلاق السقف عليها إمّا حقيقه أو من باب الاستعاره تشبيها لها بسقف البيت فى الارتفاع و الاحاطه (و الجوّ المكفوف) أى الفضاء الذى كفّها بقدرته و جعله محلاّ لسماواته و أرضه.

قال الشّارح البحرانى بعد تفسير السقف المرفوع بالسّماء و كذلك الجوّ المكفوف قال الشارح المعتزلى الجوّ المكفوف السّماء أيضا كفّه أى جمعه و ضمّ بعضه إلى بعض، و يمرّ فى كلامه عليه السّلام نحو هذا و أنّ السّماء هواء جامد أو ماء جامد انتهى.

و فيه نظر لما قد دلّت عليه الفصل الثامن من الخطبه الاولى صريحا أنّ الجوّ غير السّماء و أنّه محلّ لها حيث قال عليه السّلام هناك:

ثمّ أنشأ سبحانه فتق الأجواء و شقّ الأرجاء و سكائك الهواء -إلى أن قال:- فرفعه فى هواء منفتق، و جوّ منفهق فسوّى منه سبع سماوات. فانظر ما ذا ترى، هذا.

مضافا إلى أنّ كون الجوّ بمعنى السماء لم يذكره أحد من اللّغويّين و غيرهم فيما رأيتهم بل هم بين مفسّر له بالهواء و بين مفسّر بالفضاء و بعضهم بما بين السّماء و الأرض اللّهمّ إلاّ أن يوجّه ما ذكره الشارحان بأنّه اريد منه فى خصوص هذا المقام السّماء مجازا بعلاقه الحال و المحل أو المجاوره بقرينه قوله(الذى جعلته

۱- (۱) فى الكافى عن علىّ بن ابراهيم عن أبيه عن النوفلى عن السكونى عن أبى عبد اللّه (عليه السلام) قال قال أمير المؤمنين (عليه السلام) اغتنموا الدعاء عند أربع: عند قراءه القرآن، و عند الاذان، و عند نزول الغيث، و عند التقاء الصفّين للشهاده (منه).

مغيضا للّيل و النهار)مع المعطوفات عليه التاليه له فانّ هذه كلّها من أوصاف السّماء فلا بدّ من ارتكاب المجاز حتّى يصحّ الوصف بها إذ على إراده الحقيقه امتنع جعلها صفاتا له و احتمال كونها صفاتا للسقف المرفوع مدفوع باستلزامه الفصل بين التابع و المتبوع بالأجنبيّ و هو خلاف القواعد الأدبيّه فافهم.

و كيف كان فمعنى كونه مغيضا للّيل و النهار أنّه محلّ لنقصان كلّ منهما مع زياده الاخر و ذلك لأنّ حصول اللّيل إنّما هو بحركه الشّمس عن فوق الأرض إلى ما تحتها، و حصول النّهار بحركتها عن تحتها إلى ما فوقها، و بكيفيّه حركتها فى الفلك يختلفان زياده و نقصانا.

فكلّما قرب الشمس إلى المعدّل يطول النهار و يقصر اللّيل و كلّما بعدت يكون بالعكس قال سبحانه فى سوره لقمان: «أَ لَمْ تَرَ أَنَّ اللّهَ يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهارِ وَ يُولِجُ النَّهارَ فِي اللَّيْلِ » و فى الزّمر «يُكَوِّرُ اللَّيْلَ عَلَى النَّهارِ وَ يُكَوِّرُ النَّهارَ عَلَى اللَّيْلِ » و لذلك ترى كلّ بلد يكون عرضه الشمالى أكثر يكون أيّامه الصّيفيّه أطول و لياليه الصّيفيه أقصر و أيّامه و لياليه الشتويه بالضدّ من ذلك.

فلما كان ظلام اللّيل و ضوء النّهار و اختلافهما فى الطول و القصر و الزياده و النقصان باختلاف حركه الشّمس، و كان محلّ الحركه هو السّماء صحّ بذلك الاعتبار جعله مغيضا لهما. و يقرب ممّا ذكرته ما قالهالشارح البحرانى فانّه بعد تفسيره المغيض بالمغيب قال: لأنّ الفلك بحركته المستلزمه لحركه الشمس إلى وجه الأرض يكون سببا لغيبوبه الليل و استلزام حركته لحركتها عن وجه الأرض يكون سببا لغيبوبه النهار فكان كالمغيض لهما فاستعار له لفظ المغيض.

و أمّا ما قاله الشارح المعتزلى من أنّ معناه أنّه جعله غيضه لهما و هى فى الأصل الأجمه يجتمع إليها الماء و ينبت فيها الشجر كأنّه جعل الفلك كالغيضه و اللّيل و النّهار كالشجر النابت فيها، و وجه المشاركه تولّد الشجر من الغيضه و تولّد اللّيل و النهار من جريان الفلك فليس بشيء كما لا يخفى هذا.

و قوله:(و مجرى للشمس و القمر) أى محلّا لجريانهما قد ظهر تفصيل الكلام

ص:١٢٣

فیه فی شرح الفصل الثامن من الخطبه الاولی کما تقدّم تفصیلا و الکلام فی قوله (و مختلفا للنجوم السیّاره) أی محلّا لاختلافها فی السّیر بالسرعه و البطؤ و الحرکه المخصوصه لکلّ منها فی شرح الفصل المذکور أیضا و کذا فی شرح الفصل الرابع من الخطبه التسعین فلیراجع المقامین (و جعلت سکّانه سبطا) أی قبیلا (من ملائکتک لا یسأمون من «عن خ» عبادتک) و قد عرفت أیضا شرح حال الملائکه و اختلاف فرقها و عدم ملالهم من عباده الربّ سبحانه فی شرح الفصل التاسع من الخطبه الأولی و الفصل الخامس من الخطبه التسعین.

(و ربّ هذه الأرض الّتی جعلتها قرارا للأنام و مدرجا للهوامّ) و الحشرات (و الأنعام) و البهایم (و ما لا یحصی) من المصنوعات العجیبه و المخلوقات الغریبه (ممّا یری و ممّا لا یری) و تقدّم الکلام فی عجائب خلقه الأرض و دحوها علی الماء و المنافع التی للنّاس فیها فی شرح الفصل السادس من الخطبه التسعین.

قال الشّارح البحرانی قال بعض العلماء من أراد أن یعرف حقیقه قوله ما یری و ما لا یری فلیوقد نارا صغیره فی فلاه فی لیله صیفیّه و ینظر ما یجتمع علیها من غرائب أنواع الحیوان العجیبه الخلق لم یشاهدها هو و لا غیره قال الشارح و أقول:

و یحتمل أن یرید بقوله و ما لا یری ما لیس من شأنه أن یری إمّا لصغره أو لشفّافیّته (و ربّ الجبال الرّواسی) أی الثابتات (الّتی جعلتها للأرض أوتادا) کما عرفت فی شرح الفصل الثّالث من الخطبه الاولی (و للخلق اعتمادا) لأنّ فیها ینابیع المعادن و معادن الینابیع و فیها المرابض و المراتع، یرعون فیها الأنعام و یسرحون فیها الأغنام، و قد جعل فیها أکنانا و کهوفا و غیرانا یأوون فیها فی الصّیف و الشتاء و یتوقّون بها فی شدّه الحرّ و صباره القرّ.

و یزرعون فیها الزراعات الدّیمیّه، و ینالون منها برکات کثیره فصحّ بذلک کونها اعتمادا للخلایق و کون اتّکالهم علیها بما لهم فیها من المعایش و المرافق هذا و لما نادی الربّ المتعال بما تدلّ علی اتّصافه بالقدره و العظمه و الجلال

تخلّص الى ما دعاه لأجله(۱) فقال:(إن أظهرتنا) و نصرتنا (على عدوّنا فجنّبنا عن) الظلم و (البغى و سدّدنا ل) لصواب و ا (لحقّ) و لا تجعلنا كساير المحاربين من الملوک و السلاطين يحاربون الأعداء للدّنيا لا للدّين فاذا غلبوا أعداءهم يظلمون و عن البغى و الطغيان لا يمسكون (و إن أظهرتهم) و جعلتهم غالبين (علينا فارزقنا) عظيم الزلفى و (الشهاده و اعصمنا من) الضلال و (الفتنه).

ثمّ أخذ فى تحريض أصحابه على القتال بلفظ مهيج لهم على ايقاد نار الحرب و إضرامها فقال:(أين المانع للذّمار) اللّام للجنس و الاستفهام للالهاب (و الغائر عند نزول الحقائق من أهل الحفاظ) أى صاحب الغيره و الحميّه من أهل المحافظه عند نزول الشدائد و النوازل الثابته (العار وراءكم) و فى بعض النسخ النار بدل العار (و الجنّه أمامكم) يعنى فى الهرب و الادبار من الحرب عار فى الأعقاب و نار يوم الحساب و فى الاقبال و التقدم عليه الجنّه و حسن الماب، فمن تولّى عنه خسر و خاب و من سعى إليه نال عظيم الثواب.

تذييل

روى العلّامه المجلسىّ (ره) فى البحار هذا الكلام له عليه السّلام من كتاب صفّين لنصر بن مزاحم قال: قال نصر حدّثنا عمر بن سعد عن عبد الرّحمان بن جندب عن أبيه قال: لما كان غداه الخميس لسبع خلون من صفر سنه سبع و ثلاثين و صلّى علىّ عليه السّلام الغداه فغلّس ما رأيت عليّا عليه السّلام غلّس بالغداه أشدّ من تغليسه يومئذ و خرج بالناس إلى أهل الشّام فزحف نحوهم و كان هو يبدئهم و يسير إليهم فاذا رأوه قد زحف استقبلوه بزحوفهم.

و عن عمر بن سعد عن مالک بن أعين عن زيد بن وهب قال لمّا خرج علىّ عليه السّلام

ص:۱۲۵

۱- (۱) و ذلک لأنّ من آداب الدعاء و شرايط الاستجابه التمجيد و الثناء قبله كما قال أبو عبد اللّه عليه السّلام فى روايه الكافى اذا طلب أحدكم الحاجه فليثن على ربه و ليمدحه فانّ الرجل اذا طلب الحاجه من السلطان هيأ له من الكلام أحسن ما يقدر عليه فاذا طلبتم الحاجه فمجّدوا اللّه العزيز الجبار و امدحوه و أثنوا عليه. الحديث (منه ره).

إليهم غداه ذلک اليوم فاستقبلوه رفع يديه إلى السماء فقال:

اللّهمّ ربّ هـذا السـقف المحفـوظ المكفوف، الـذى جعلته مغيضـا للّيـل و النّهـار و جعلت فيه مجرى الشـمس و القمر، و منـازل الكواكب و النجوم، و جعلت سكّانه من الملائكه لا يسأمون العباده.

و ربّ هذه الأرض التى جعلتها قرارا للأنام و الهوامّ و الأنعام، و ما لا يحصى ممّا يرى و ممّا لا يرى من خلقک العظيم.

و ربّ الفلک الّتى تجرى فى البحر بما ينفع النّاس، و ربّ السّحاب المسـخّر بين السّماء و الأرض و ربّ البحر المسجور المحيط بالعالمين و ربّ الجبال الرّواسـى الّتى جعلها للأرض أوتادا و للخلق متاعا إن أظهرتنا على عدوّنا فجنّبنا البغى و سدّدنا للحقّ و إن أظهرتهم علينا فارزقنا الشّهاده و اعصم بقيّه أصحابى من الفتنه.

قال: فلمّا رأوه قـد أقبل تقـدّموا إليه بزحوفهم و كان على ميمنته يومئذ عبد اللّه بن بديل و النّاس على راياتهم و مراكزهم و علىّ عليه السّلام فى القلب فى أهل المدينه جمهورهم الأنصار و معه من خزاعه و كنانه عدد حسن.

قال نصـر: و رفع معاويه قبّه عظيمه و ألقى عليه الكرابيس و جلس تحتها و كان لهم قبل هذا اليوم ثلاثه أيّام و هو اليوم الرّابع من صفر، فخرج فى هـذا اليوم محمّـد ابن الحنفيّه فى جمع من أهل العراق فأخرج إليه معاويه عبيد اللّه بن عمر بن الخطاب فى جمع من أهل الشام فاقتتلوا فطلب عبيد اللّه محمّدا إلى المبارزه فلمّا خرج إليه دعاه علىّ عليه السّـلام و خرج بنفسه راجلا بيده سيفه و قال أنا أبارزک فهلمّ فقال عبيد اللّه لا حاجه بى إلى مبارزتک فرجع عليه السّلام إلى صفّه هذا.

و قد تقدّم جمل وقايع صفين فى شرح الكلام الخامس و السّتّين و غيره ممّا نبّهناک عليه هناک.

الترجمه

از جملـۀ كلاـم بلاـغت نظـام آن امـام أنـام است در حينى كه عزم فرمود بملاقـات نمودن با قوم شام در جنگ صـفّين كه بأين مضامين دعا نمود:

بار إلها ای پروردگار سقف برافراشته و آسمان باز داشته، چنان آسمانی که گردانیدی آنرا محلّ نقصان از برای شب و روز، و محلّ جریان از برای مهر و ماه و محلّ اختلاف از برای ستارهای سیر کننده، و گردانیدی ساکنان آن را قبیلهٔ از فرشتگان خود در حالتی که ملال نمی آورند از عبادت تو.

و ای پروردگار این زمین که گردانیدی آن را قرار گاه از برای مردمان و محلّ رفتار حشرات زمین و چهارپایان و آنچه که شمرده نمی شود از مخلوقاتی که دیده می شود، و از مخلوقاتی که دیده نمی شود.

و ای پروردگار کوههای ثابت استوار که گردانیدی آنها را از برای زمین میخها و از برای خلق تکیه گاه اگر غالب گردانی ما را بر دشمنان ما پس کنار گردان ما را از تعدّی و ستم، و راست دار ما را از برای حقّ، و اگر غالب گردانی ایشان را بر ما پس روزی کن بما شهادت را، و حفظ کن ما را از ضلالت و فتنه.

کجا است منع کننده چیزی که لازم است بر جوانمرد حفظ کردن آن؟ و کجا است صاحب غیرت هنگام نازل شدن شداید امور که کاشف است از حقایق کار از أهل حمیّت و فتوّت؟ عار و سرزنش در پشت شما است اگر رو گردان باشید از محاربه، و بهشت عنبر سرشت در پیش شما است اگر اقدام نمائید بر مقاتله.

و من خطبه له علیه السّلام و هی المأه و الحادیه

اشاره

و السّبعون من المختار فی باب الخطب

و الظاهر أنّها ملتقطه من الخطبه الطویله الّتی قدمنا روایتها فی شرح الفصل الثّالث من الخطبه السادسه و العشرین إلّا أنّ صدرها المتضمّن للحمد علی اللّه سبحانه لیس فیها.

الحمد للّه الّذی لا تواری عنه سماء سماء، و لا أرض أرضا.

منها: و قـد قال لى قائل إنّک یا بن أبى طالب على هـذا الأمر لحريص فقلت بل أنتم و اللّه أحرص و أبعد و أنا أخصّ و أقرب و إنّما طلبت حقّا هو لى، و أنتم تحولون بينى و بينه، و تضربون وجهى دونه، فلمّا قرعته بالحجّه فى الملاء الحاضرين هبّ (بهت خ ل) كـأنّه لا ـ يـدرى مـا يجيبنى به. اللّهمّ إنّى أسـتعديک على قريش و من أعانهم، فإنّهم قطعوا رحمى و صـغّروا عظيم منزلتى، و أجمعوا على منازعتى أمرا هو لى، ثمّ قالوا ألا إنّ فى الحقّ أن نأخذه، و فى الحقّ أن تتركه. و منها فى ذكر أصحاب الجمل:

فخرجوا يجرّون حرمه رسول اللّه صـلّى اللّه عليه و آله كمـا تجرّ الأـمه عنـد شـرائها متوجّهين بهـا إلى البصـره فحبسا نسائهما فى بيوتهما و أبرزا حبيس رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله لهما و لغيرهما فى جيش ما منهم رجل إلّا و قد أعطانى الطّاعه و سمح لى بـالبيعه طائعـا غير مكره فقـدموا على عاملى بها، و خزّان بيت مال المسـلمين و غيرهـم من أهلها و قتلوا طائفه صبرا و طائفه غـدرا فواللّه لو لم يصـيبوا من المسـلمين إلّا رجلا واحـدا معتمـدين لقتله بلا جرم جرّه، لحلّ لى قتل ذلک الجيش كلّه إذ حضـروه فلم ينكروا و لم يدفعوا بلسان و لا يد،

دع ما أنّهم قد قتلوا من المسلمين مثل العدّه الّتى دخلوا بها عليهم.

اللغه

(الملاء) وزان جبل وجوه النّاس و أشرافهم الّذين يرجع إليهم لامتلائهم بالرأى و التدبير و (هبّ) من النوم انتبه و تنبّه و (سمح) الرّجل من باب منع سماحا و سماحه جاد و كرم.

الاعراب

فى نسخه الشّارح المعتزلى: فو اللّه أن لو لم يصيبوا. قال الشّارح فأن زايده و يجوز أن يكون مخفّفه من الثّقيله، و جمله لحلّ لى جواب للقسم استغنى به عن جواب الشرط لقيامه مقامه كما فى قوله تعالى: «وَ لَوْ أَنَّهُمْ آمَنُوا وَ اتَّقَوْا لَمَثُوبَةٌ مِنْ عِنْدِ اللّهِ خَيْرٌ » و قولك و اللّه لو جئتنى لجئتك، فاللاّم جواب القسم لا جواب لو قال نجم الأئمه إذا تقدّم القسم أوّل الكلام ظاهرا أو مقدّرا و بعده كلمه الشرط سواء كانت أن أو لو أو لولا أو اسم الشرط فالأكثر و الأولى اعتبار القسم دون الشرط فيجعل الجواب للقسم، و ما فى قوله دع ما أنّهم زايده كما فى قوله تعالى: «فَبِما رَحْمَةٍ مِنَ اللّهِ » و «مِمّا خَطِيئاتِهِمْ » و «مِثْلَ ما أَنَّكُمْ تَنْطِقُونَ » و قيل: إنّها نكره و المجرور بدل منها.

المعنى

اشاره

اعلم أنّ ما أورده السيّد «ره» من خطبته عليه السّلام فى المتن يدور على فصول ثلاثه.

الفصل الاول

افتتح كلامه بحمد اللّه سبحانه باعتبار احاطه علمه بالسّماوات و الأرضين فقال:

(الحمد للّه الذى لا توارى) أى لا تحجب و لا تستر عنه (سماء سماء و لا أرض أرضا) لكونه منزّها عن وصف المخلوقين الذين فى إدراكهم لبعض الأجرام السماويّه

و الأرضيه محجوبون عمّا ورائها و ذلک لقصور ذاتهم و قصور قوّتهم المدرکه و أمّا الربّ تعالی فلکمال ذاته فله العلم بکلّ ما سواء کما قد عرفت فی شرح الفصل السّادس و الفصل السّابع من الخطبه الاولی و فی شرح الخطبه التاسعه و الأربعین و غیرهما.

و أقول هنا مضافا إلی ما سبق روی فی الکافی عن ابن اذینه عن أبی عبد اللّه علیه السّلام «ما یَکُونُ مِنْ نَجْوی ثَلاثَهٍ إِلّا هُوَ رابِعُهُمْ وَ لا خَمْسَهٍ إِلّا هُوَ سادِسُهُمْ » فقال علیه السّلام:

هو واحدیّ الذات باین من خلقه، و بذلک وصف نفسه و هو بکلّ شیء محیط بالأشراف و الاحاطه و القدره لا یعزب عنه مثقال ذرّه فی السّماوات و لا فی الأرض و لا أصغر من ذلک و لا أکبر بالاحاطه و العلم لا بالذّات لأنّ الأماکن محدوده تحویها حدود أربعه فاذا کان بالذات لزمته.

یعنی أنّه سبحانه لوحدانیّه ذاته و مباینته من خلقه کما وصف به نفسه فی کتابه العزیز حیث قال: «لَیْسَ کَمِثْلِهِ شَیْ ءٌ » فهو بکلّ شیء محیط» لأنّ غیره من المخلوقات لکونه مکانیا یلزمه أنّ حصوله فی مکان و حضوره عند جماعه یستلزم خلوّ سایر الأمکنه عنه و غیبته عن جماعه اخری کما هو شأن المکانیّات و هو لیس کذلک بل حصوله هاهنا و حضوره لهؤلاء النفس حصوله هناک و حضوره لاولئک.

و قوله لا بالذّات یعنی أنّه لیست بالذّات لانّ الأماکن محدوده بحدود أربعه و هی:

القدّام، و الخلف، و الیمین، و الشّمال، لعدم تحیّزها إلّا بالاعتبار عدّ الجمیع حدّین و الفوق و التّحت حدّین فصارت أربعه فلو کانت إحاطته بالذّات بأن کانت بالدّخول فی الأمکنه لزم کونه محاطا بالمکان کالمتمکّن و إن کانت بالانطباق لزم کونه محیطا بالتمکن کالمکان و کلاهما باطل هذا.

و قوله: و لا أرض أرضا قال الشارح المعتزلی هذا الکلام یدلّ علی اثبات أرضین بعضها فوق بعض کما أنّ السماوات کذلک و لم یأت فی الکتاب العزیز ما یدلّ علی هذا إلّا قوله تعالی: «اَللّهُ الَّذِی خَلَقَ سَبْعَ سَماواتٍ وَ مِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ » و هو قول کثیر من المسلمین و قد تأوّل ذلک أرباب المذاهب الاخر القائلون بأنها

أرض واحده فقالوا إنها سبعه أقاليم فالمثليّه من هذا الوجه هى لا من تعدّد الأرضين فى ذاته.

و يمكن أن يتأوّل مثل ذلك كلام أمير المؤمنين عليه السّلام فيقال إنها و إن كانت أرضا واحده لكنها أقاليم و أقطار مختلفه، و هى كريه الشكل فمن على حدبه الكره لا يرى من تحته و من تحته لا يراه و من على أحد جانبيها لا يرى من على الجانب الاخر و اللّه يدرك ذلك كلّه أجمع لا يحجب عنه بشىء منها شىء منها انتهى.

و نحو ذلك قال الطبرسىّ فى تفسير الايه حيث قال: أى و فى الأرض خلق مثلهنّ فى العدد لا فى الكيفيه لأنّ كيفيّه السماء مخالفه لكيفيّه الأرض و ليس فى القرآن آيه تدلّ على أنّ الارضين سبع مثل السماوات إلّا هذه الايه و لا خلاف فى السماوات أنها سماء فوق سماء و أما الأرضون فقال قوم إنها سبع أرضين طباقا بعضها فوق بعض كالسماوات لأنها لو كانت مصمته لكانت أرضا واحده و فى كلّ أرض خلق خلقهم اللّه كيف شاء.

و روى أبو صالح عن ابن عباس أنها سبع أرضين ليس بعضها فوق بعض يفرق بينهنّ البحار و تظلّل جميعهنّ السّماء و اللّه سبحانه أعلم بصحّه ما استأثر بعلمه و اشتبه على خلقه.

و قال الفخر الرّازىّ: قال الكلبىّ: خلق سبع سماوات بعض فوق بعض كالقبّه و من الأرض مثلهنّ فى كونها طبقات متلاصقه كما هو المشهور أنّ الأرض ثلاث طبقات طبقه أرضيه محضه، و طبقه طينّيه و هى غير محضه و طبقه منكشفه بعضها فى البرّ و بعضها فى البحر، و هى كالمعموره و لا يبعد من قوله و من الأرض مثلهنّ كونها سبعه أقاليم على سبع سماوات و سبعه كواكب فيها، و هى السياره، فانّ لكلّ واحد من هذه الكواكب خواصّ تظهر آثار تلك الخواصّ فى كلّ أقاليم الأرض فتصير سبعه بهذا الاعتبار.

الفصل الثانى منها

فى ذكر ما جرى له يوم الشورى

بعد مقتل عمر (و قد قال لى قائل إنّك

ص:١٣١

یا بن أبی طالب علی هـذا الأمر لحریص) أی علی أمر الخلافه قال الشارح المعتزلی و الّذی قال له ذلک سعد بن أبی وقاص مع روایته فیه أنت منّی بمنزله هارون من موسی و هذا عجب فأجاب علیه السّلام بقوله (فقلت بل أنتم و اللّه أحرص و أبعد و أنا أخصّ و أقرب) فلیس للبعید التعریض علی القریب و التعییر بکثره الحرص و أراد بکونه أخصّ و أقرب مزید اختصاصه برسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم و شدّه قربه منه (و إنما طلبت حقا هو لی) بنصّ الرّسول صلّی اللّه علیه و آله(و أنتم تحولون بینی و بینه و تضربون وجهی دونه)کنایه عن منعهم منه و دفعهم له عنه (فلمّا قرعته) أی صدمته (بالحجّه فی الملأ الحاضرین) (هبّ) أی انتبه و استیقظ عن غفلته (کأنّه بهت) هکذا فی نسخه الشارح المعتزلی بزیاده بهت بعد لفظه کأنّه أی صار مبهوتا متحیّرا (لا یدری ما یجیبنی) به.

ثمّ إنّه شکی بثّه إلی اللّه سبحانه و استمدّ منه فقال:(اللّهمّ إنّی أستعدیک علی قریش) أی أستغیثک و أستنصر منک علیهم (و) علی (من أعانهم) من غیرهم (فانّهم قطعوا رحمی) و لم یراعوا قربی من رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم (و صغّروا عظیم منزلتی) حیث جعلونی قرینا للادغال و الطغام و السفله الأرذال (و أجمعوا علی منازعتی أمرا هو لی) أی فی أمر الخلافه الذی هو حقّ لی و مختصّ بی بالنصوص المستفیضه بل المتواتره الوارده فیه لا ـ بمجرّد الأفضلیّه فقطّ کما زعمه الشّارح المعتزلی وفاقا لسایر المعتزله.

(ثمّ) إنّهم لم یقتصروا علی أخذ حقّی ساکتین عن الدّعوی بل (قالوا ألا إنّ فی الحقّ أن نأخذه و فی الحقّ أن تترکه) أی ادّعوا أنّ الحق لهم و أنّ الواجب علیّ أن أترک المنازعه فیه معهم فلیتهم أخذوه مذعنین بأنه حقّی فکانت المصیبه أهون و التحمّل بها أسهل.

قال الشارح البحرانی: و روی نأخذه و نترکه بالنون فی الکلمتین، و علیه نسخه الرّضی و المراد أنا نتصرّف فیه کما نشاء بالأخذ و الترک دونک.

الفصل الثالث منها

اشاره

فی ذکر أصحاب الجمل و التنبیه علی ضلالهم

(فخرجوا یجرّون حرمه

ص:۱۳۲

رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله) أى حرمه و هو فى الأصل ما لا- يحلّ انتهاكه، و كنّى به هنا عن زوجته عايشه (كما تجرّ الأمه عند شرائها) أى بيعها و وجه الشبه أنّ بايع الأمه يجرّها من بلد إلى بلد و يديرها فى الأسواق و يعرضها على المشترين، فكذلك هؤلاء أخرجوها و أداروها فى البلدان و شهّروها فى الأصقاع لينالوا بذلك إلى ما راموه (متوجّهين بها إلى البصره فحبسا) أى طلحه و الزبير (نسائهما فى بيوتهما و أبرزا حبيس رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم) و هو أيضا كنايه عنها و فى ذلك أيضا من الدّلاله على فرط ضلالهما و خطائهما ما لا يخفى لأنّ الرّسول صلّى اللّه عليه و آله أمرها بالاحتباس فى بيتها بمقتضى قوله تعالى: «وَ قَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَ لا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجاهِلِيَّةِ الْأُولى » فهؤلاء مضافا إلى عدم رعايتهم لحرمه رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و حمايتهم عن عرضه و مخالفتهم لأمره خالفوا أمر اللّه سبحانه و نبذوا كتابه وراء ظهورهم حيث أبرزاها (لهما و لغيرهما) من الناس (فى جيش ما منهم رجل إلاّ و قد أعطانى الطاعه و سمح) أى جاد (لى بالبيعه) و هذا إشاره إلى وجه ثان لضلالهم، و هو نقضهم للعهد بعد التوكيد و نكثهم للطاعه بعد البيعه.

و قوله:(طائعا غير مكره) من باب الاحتراس الّذى مرّ ذكره فى ضمن المحسنات البديعيه فى ديباجه الشرح و الغرض إبطال توهّم كون بيعتهم على وجه الاكراه كما ادّعاه طلحه و الزبير حسبما عرّفه فى شرح الكلام الثامن و غيره (فقدموا على عاملى بها) و هو عثمان بن حنيف الانصارى كان عامله يومئذ بالبصره (و خزّان بيت مال المسلمين) و هم سبعون رجلا أو أربعمائه رجل كما فى روايه أبى مخنف الاتيه (و غيرهم من أهلها فقتلوا طائفه) منهم (صبرا).

قال شيخنا فى الجواهر بعد قول المحقّق و يكره قتله أى الكافر صبرا لا أجد فيه خلافا لما فى صحيح الحلبى عن الصّادق عليه السّلام لم يقتل رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم رجلا صبرا غير عقبه بن ابى معيط و طعن ابن ابى خلف فمات بعد ذلك ضروره إشعاره بمرجوحيّته الّتى لا- ينافيها وقوعه من رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله المحتمل رجحانه لمقارنه أمر آخر على أنّ الحكم ممّا يتسامح فى مثله.

ص:۱۳۳

قال: و المراد بالقتل صبرا أن يقيّد يداه و رجلاه مثلا حال قتله و حينئذ فاذا اريد عدم الكراهه أطلقه و قتله و لعلّ هذا هو المراد ممّا فسّره به غير واحد بل نسبه بعض إلى المشهور من أنه الحبس للقتل.

و فى القاموس: و صبر الانسان و غيره على القتل أن يحبس و يرمى حتّى يموت.

و أمّا ما قيل من أنّه التعذيب حتّى يموت أو القتل جهرا بين الناس أو التهديد بالقتل ثمّ القتل أو القتل و ينظر إليه آخر أو لا يطعم و لا يسقى حتّى يموت بالعطش و الجوع فلم أجد ما يشهد لها بل الأخير منها مناف لما سمعته من وجوب الاطعام و السقى.

و كيف كان فقد ظهر بذلك أنّ فى قوله عليه السّلام فقتلوا طائفه صبرا من الدّلاله على عظم خطيئتهم ما لا يخفى لأنه إذا كان قتل الكفّار المحاربين بهذه الكيفيه المخصوصه مكروها أو حراما على اختلاف تفسير الصّبر(١) فكيف بالمؤمنين مضافا إلى أنّهم لم يقنعوا بذلك بل (و) قتلوا (طائفه) اخرى (غدرا) و قد قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله يجىء كلّ غادر بامام يوم القيامه مائلا شدقه حتّى يدخل النّار.

و قال أمير المؤمنين عليه السّلام فى حديث اصبغ بن نباته و هو يخطب على منبر الكوفه أيّها النّاس لولا كراهه الغدر لكنت من أدهى الناس الا إنّ لكلّ غدره فجره، و لكلّ فجره كفره الا و إنّ الغدر و الفجور و الخيانه فى النّار هذا و سنقصّ عليك قتلهم طائفه صبرا و طائفه غدرا فى ثانى التنبيهين الاتيين إنشاء اللّه.

ثمّ إنّه عليه السّلام لما أبدى العذر فى قتالهم و وجوب قتلهم بثلاث كباير موبقه إحداها إخراجهم لحبيس رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و هتكهم لناموسه، و ثانيتها نكثهم البيعه بعد سماحهم للطاعه، و ثالثها قتلهم للمسلمين صبرا و غدرا أقسم بالقسم البارّ بحلّيه قتلهم ازاحه للشبهه عمّن كان فى قلبه مرض فقال:

(فو اللّه لو لم يصيبوا من المسلمين إلاّ رجلا واحدا معتمدين لقتله) أى

١- (١) فعلى التفسير الاخير يكون حراما و على غيره يكون مكروها كما هو ظاهر (منه ره)

معتمدين له (بلا جرم جرّه) أى بدون استحقاقه للقتل بجرم اجتراه (لحلّ لى قتل ذلك الجيش كلّه) هذا الكلام بظاهره يدلّ على جواز قتل جميع الجيش بقتل واحد من المسلمين معلّلا بقوله (إذ حضروه فلم ينكروا و لم يدفعوا عنه بلسان و لا يد) فيستفاد منه جواز قتل من ترك النهى عن المنكر مع التمكّن من إنكاره و دفعه.

فان قلت: أ فتحكمون بجواز ذلك حسبما يدلّ عليه ذلك الكلام؟ قلت: نعم لأنّ الأمر بالمعروف و النهى عن المنكر واجبان شرعا فالتارك لهما تارك للواجب و عامل للمنكر، فيجوز للامام عليه السّلام ردعه عنه بأىّ وجه أمكن كساير من ترك الواجبات و أتى بالمحرّمات فاذا علم من أوّل الأمر أنه لا يجدى فى الرّدع إلاّ القتل لجاز ذلك للامام اتّفاقا و ان اختلف الأصحاب فى جواز ذلك أى القتل الذى هو آخر مراتب الأمر بالمعروف و النهى عن المنكر لغيره عليه السّلام من دون اذنه و يدلّ على ما ذكرته من أنّ فى ترك إنكار المنكر إخلال بالواجب و إقدام على المنكر ما رواه الصدوق (ره) فى عقاب الأعمال مسندا عن مسعده بن صدقه عن جعفر بن محمّد عن أبيه عليهما السّلام قال قال علىّ عليه السّلام: أيها الناس إنّ اللّه عزّ و جلّ لا يعذّب العامّه بذنب الخاصّه إذا عملت الخاصّه بالمنكر سرّا من غير أن تعلم العامّه، فاذا عملت الخاصّه بالمنكر جهارا فلم يغيّر ذلك العامّه استوجب الفريقان العقوبه من اللّه عزّ و جلّ.

و قال عليه السّلام: لا يحضرنّ أحدكم رجلا يضربه سلطان جائر ظلما و عدوانا و لا مقتولا و لا مظلوما إذا لم ينصره لأنّ نصره المؤمن فريضه واجبه، فاذا هو حضره و العافيه أوسع ما لم يلزمك الحجّه الحاضره.

قال: و لما وقع التقصير فى بنى إسرائيل جعل الرّجل منهم يرى أخاه على الذنب فينهاه فلا ينتهى فلا يمنعه ذلك أن يكون أكيله و جليسه و شريبه حتّى ضرب اللّه عزّ و جلّ قلوب بعضهم ببعض و نزل فيهم القرآن حيث يقول عزّ و جلّ «لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرائِيلَ عَلى لِسانِ داوُدَ وَ عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذلِكَ بِما عَصَوْا وَ كانُوا »

ص:۱۳۵

«يَعْتَدُونَ كانُوا لا يَتَناهَوْنَ عَنْ مُنكَرٍ فَعَلُوهُ » الايه.

و يدلّ على جواز قتل فاعل المنكر ما يأتى فى أواخر الكتاب فى ضمن كلماته القصار من قوله أيّها المؤمنون إنّه من رأى عدوانا يعمل به و منكرا يدعى إليه فأنكره بقلبه فقد سلم و برء، و من أنكره بلسانه فقد أجر و هو أفضل من صاحبه و من أنكره بالسّيف لتكون كلمه اللّه هى العليا و كلمه الظالمين السّفلى فذلك الّذى أصاب سبيل الهدى، و قام على الطريق و نوّر فى قلبه اليقين و رواه فى الوسايل من روضه الواعظين مرسلا و يدلّ عليه أخبار اخر لا حاجه بنا إلى روايتها.

فقد ظهر بذلك كلّه أنّ تعليله عليه السّلام حلّ قتل الجيش بحضورهم قتل المسلم من دون إنكار له و دفع عنه موافق بظاهره لاصول المذهب و لقواعد الشرع و لا حاجه إلى التوجيه و تمحّل التأويلات الّتى تكلّفها شراح النهج كالشارح المعتزلى و القطب الراوندى و الشارح البحرانى و لا بأس بالاشاره إلى ملخّص كلامهم و التنبيه على ما يتوجّه عليهم فاقول:

قال الشارح المعتزلى و يسئل عن قوله عليه السّلام لو لم يصيبوا إلّا رجلا واحدا لحلّ لى قتل ذلك الجيش بأسره لأنّهم حضروه فلم ينكروا فيقال أ يجوز قتل من لم ينكر المنكر مع تمكّنه من إنكاره.

و الجواب أنّه يجوز قتلهم لأنّهم اعتقدوا ذلك القتل مباحا فانّهم إذا اعتقدوا إباحته فقد اعتقدوا إباحه ما حرّم اللّه فيكون حالهم حال من اعتقد أنّ الزّنا مباح و أنّ شرب الخمر مباح.

و اعترض عليه الشارح البحرانى بأنّ القتل و إن وجب على من اعتقد إباحه ما علم تحريمه من الدّين ضروره كشرب الخمر و الزّنا فلم قلت أنّه يجب على من اعتقد إباحه ما علم تحريمه من الدّين بالتأويل كقتل هؤلاء القوم لمن قتلوا، و خروجهم لما خرجوا له؟ فانّ جميع ما فعلوه كان بتأويل لهم و ان كان معلوم الفساد فظهر الفرق بين اعتقاد حلّ الخمر و الزّنا و بين اعتقاد هؤلاء لاباحه ما فعلوه انتهى أقول: و أنت خبير بما فى هذا الجواب و الاعتراض كليهما من الضعف

و الفساد:

أما الجواب فلأنّ اعتقاد إباحه ما علم حرمته من الدّين ضروره كقتل المسلم عمدا و إن كان مجوّزا للقتل البتّه إلّا أنّه عليه السّلام لم يعلّل جوازه بـذلك، بل علّله بالحضور على قتل المسلم و عـدم الانكار، و هو أعمّ من اعتقاد الاباحه و عدمه، و قد ظهر لك أنّ مجرّد ذلـك كـاف فى جواز القتل من باب الأمر بالمعروف و النهى عن المنكر و لا حاجه إلى التقييـد أو التخصـيص بصوره الاعتقاد مع عدم الداعى اليهما و كونهما خلاف الأصل.

و أما الاعتراض فلأنّ ملخّص كلام المعترض أنّ خروج الناكثين و قتلهم للمسـلمين إنّما نشاء من زعمهم جواز ذلك و اعتقادهم حلّه لشبهه سنحت لهم و ان كان زعما فاسدا و اعتقادا كاسدا.

و فيه أوّلا ـ منع كون خروجهم عن وجه الشبهه و التأويـل و انمـا كـان خروج خوارج النهروان بالتأويـل و زعمهم الباطـل حقّا و لـذلك قـال عليه السّـلام فى الكلام السّتين «لا تقتلوا الخوارج بعـدى فليس من طلب الحقّ فأخطأه كمن طلب الباطل فأدركه» و ثانيا هب أنّ خروجهم كان بالتأويل و شـبهه مطالبه دم عثمان ظاهرا و أمّا قتلهم للمسـلمين فأىّ تأويل يتصوّر فيه مع أنّ المقتولين لم يكونوا قاتلى عثمان و لا من الحاضـرين لقتله و لا ناصـرين لقاتليه، و لم يقع بعـد حرب الجمل عنـد قتلهم طائفه صبرا و طائفه غـدرا فلم يكن قتلهم لهؤلاء إلّا عن محض البغى و العـدوان و التعـدّى و الطغيان، و متعمّـدين فيه، فجاز قتلهم لذلك كما يجوز قتل معتقد حلّ الخمر و الزّنا.

اللّهمّ إلاّ ـ أن يقال: إنّ التأويل المتصوّر فى قتلهم هو أنّهم لما زعموا أنّ أمير المؤمنين عليه السّـلام بحمايته عن قتله عثمان خلافته خلافـه بـاطله و إمامته إمامه جور و بيعه إمام الجور و متابعته باطله لا جرم زعموا إباحه قتل خزّان بيت المال و من حـذا حـذوهم باعتبـار كونهم من مبايعيه و متابعيه، مسـتحفظين لبيت المال لأجله عليه السّـلام و حفظ بيت المال لأجل الامام الجائر إعانه الاثم على زعمهم الباطل فافهم جدّا.

ص:١٣٧

و بعد الغضّ عن جميع ذلک أقول: إنّ التأويل إذا کان معلوم الفساد حسبما اعترف به الشارح نفسه لم يبق موقع للتأمّل فی جواز القتل، و لذلک أمر سبحانه بقتلهم و قتالهم مطلقا فی قوله: «وَ إِنْ طائِفَتانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُما فَإِنْ بَغَتْ إِحْداهُما عَلَى الْأُخْرى فَقاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتّى تَفِيءَ إِلى أَمْرِ اللّهِ ».

و قال القطب الرّاوندی إن حلّ قتلهم لدخولهم فی عموم قوله تعالی: «إِنَّما جَزاءُ الَّذِينَ يُحارِبُونَ اللّهَ وَ رَسُولَهُ وَ يَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَساداً أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا » الايه.

و اعترض عليه الشارح المعتزلی بأنّه عليه السّلام علّل استحلال قتلهم بأنّهم لم ينكروا المنکر و لم يعلّل بعموم الايه.

و أورد عليه الشارح البحرانی بأنّ له أن يقول إنّ قتل المسلم الذی لا ذنب له عمدا إذا صدر من بعض الجيش و لم ينکر الباقون مع تمکّنهم و حضورهم کان ذلک قرينه دالّه على الرضا من جميعهم و الراضی بالقتل شريک القاتل خصوصا إذا کان معروفا بصحبته و الاتّحاد به کاتّحاد بعض الجيش ببعض فکان خروج ذلک الجيش على الامام العادل محاربه للّه و رسوله، و قتلهم لعامله و خزّان بيت مال المسلمين و تفريق کلمه أهل المصر و فساد نظامهم سعی فی الأرض بالفساد و ذلک عين مقتضى الايه.

أقول: أمّا ما قاله الراوندی فلا غبار عليه و أمّا اعتراض الشارح المعتزلی فلا وجه له لأنّه عليه السّلام و إن علّل استحلال القتل بالحضور و عدم الانکار و لم يعلّله لعموم الايه إلاّ أنّ مال العلّتين واحد، و مقصود الراوندی التنبيه على أنّ مرجع العلّه المذکوره فی کلامه إلى عموم الايه ففی الحقيقه التعليل بتلک العلّه تعليل بذلک العموم.

و هذا مما لا ريب فيه لظهور أنّ قتل خزّان بيت المال و إتلاف ما فيه من الأموال لم يکن إلاّ من أجل نصبهم العداوه لأمير المؤمنين عليه السّلام و کونهم فی مقام المحاربه معه، فيدخلون فی عموم الايه.

لأنّ المراد بمحاربه اللّه و رسوله فيها هو محاربه المسلمين، جعل محاربتهم

محاربه لهما تعظيما للفعل و تكريما للمسلم، فيجوز حينئذ قتلهم بحكم الايه.

بل و لو لم يكن المقتول منهم إلّا واحدا كما فرضه عليه السّلام فى كلامه لجاز أيضا قتل جميع الجيش كلّهم لأنّ المفروض أنّ قتل ذلك الواحد إنّما كان محادّه للّه و رسوله و محاربه لولىّ المؤمنين و لمن ائتمّ به من المسلمين فحيث إنّ الباقين حضروا ذلك القتل و لم ينكروه و لم يدفعوا عنه مع تمكّنهم منه يكون ذلك كاشفا عن كونهم فى مقام المحاربه أيضا.

و لعلّ هذا هو مراد الشارح البحرانى بالايراد الّذى أورده على الشارح المعتزلى و إن كانت عبارته قاصره عن تأديه المراد لظهور أنّ صدور قتل المسلم عن بعض الجيش مع حضور الاخرين و عدم إنكار منهم و إن كان قرينه على رضا الجميع بالقتل إلّا أنّ ذلك بمجرّده لا يكفى فى جواز قتل الرّاضين حتّى ينضمّ إليه المقدّمه الاخرى أعنى كون صدور القتل عن وجه المحاربه، و كون رضاهم بذلك كاشفا عن كونهم محاربين جميعا كما قلناه.

و على هذا فان كان مراده بقوله و الراضى بالقتل شريك القاتل هو ما ذكرناه فنعم الوفاق و إلّا فيتوجّه عليه أنّه إن أراد المشاركه فى الاثم فهو مسلّم لما ورد فى غير واحد من الرّوايات من أنّ الراضى بفعل قوم كالداخل فيهم، و أنّ العامل بالظلم و الراضى به و المعين به شركاء ثلاثه و أنّ من رضى أمرا فقد دخل فيه و من سخطه فقد خرج منه إلّا أنّ هذه المشاركه لا تنفعه فى دفع الاعتراض.

و إن أراد المشاركه فى جواز قتل الرّاضى كما يجوز قتل القاتل فهو على إطلاقه ممنوع لأنّ قتل القاتل بعنوان القصاص جايز دون الراضى.

نعم يجوز قتله من باب الحسبه على ما قلنا و من أجل كونه فى مقام المحاربه حسبما قاله الراوندى كما يجوز قتل القاتل بهذين الوجهين أيضا فافهم جيّدا هذا و لما نبّه عليه السّلام على جواز قتل الجيش جميعا بقتل واحد من المسلمين أردف ذلك بالتنبيه على مزيد استحقاقهم له من حيث إقدامهم على جمع كثير منهم فقال:(دع ما أنّهم قد قتلوا من المسلمين مثل العدّه الّتى دخلوا بها عليهم).

تنبیهان

الاول

: قال الشّارح المعتزلی بعد الفراغ من شرح الفصل الثّانی من هذه الخطبه ما هذه عبارته و اعلم أنّه قد تواترت الأخبار عنه علیه السّلام بنحو من هذا القول نحو قوله علیه السّلام ما زلت مظلوما منذ قبض اللّه رسوله صلّی اللّه علیه و آله حتّی یوم الناس هذا و قوله علیه السّلام أللّهمّ اجز قریشا فانّها منعتنی حقّی و غصبتنی أمری.

و قوله علیه السّلام فجزت قریشا عنّی الجوازی فانّهم ظلمونی حقّی و اغتصبونی سلطان ابن امّی.

و قوله علیه السّلام و قد سمع صارخا ینادی أنا مظلوم فقال علیه السّلام هلّم فلنصرخ معا فانّی ما زلت مظلوما.

و قوله علیه السّلام و إنّه لیعلم أنّ محلّی منها محلّ القطب من الرّحی و قوله علیه السّلام أری تراثی نهبا و قوله: اصفیا بانائنا و حملا الناس علی رقابنا.

و قوله علیه السّلام: إنّ لنا حقّا إن نعطه نأخذه و ان نمنعه نرکب أعجاز الابل و إن طال السری.

و قوله علیه السّلام: ما زلت مستأثرا علیّ مدفوعا عمّا أستحقّه و أستوجبه.

قال الشارح و أصحابنا یحملون ذلک کلّه علی ادّعائه الأمر بالأفضلیّه و الأحقیّه و هو الحقّ و الصّواب فانّ حمله علی الاستحقاق تکفیر و تفسیق لوجوه المهاجرین و الأنصار لکنّ الامامیّه و الزیدیّه حملوا هذه الأقوال علی ظواهرها و ارتکبوا بها مرکبا صعبا و لعمری إنّ هذه الألفاظ موهمه مغلبه علی الظنّ ما یقوله القوم لکن تصفّح الأقوال یبطل ذلک الظنّ و یدرء ذلک الوهم فوجب أن یجری مجری الایات المتشابهات الموهمه ما لا یجوز علی الباری فانّه لا نعمل بها و لا نعوّل علی ظواهرها لأنّا لما تصفّحنا أدلّه العقول اقتضت العدول عن ظاهر اللّفظ و أن نحمل علی التأویلات المذکوره فی الکتب.

قال الشارح و حدّثنی یحیی بن سعید بن علیّ الحنبلی المعروف بابن عالیه ساکن قطفثا بالجانب الغربی من بغداد واحد الشهود المعدلین بها قال کنت

ص:۱۴۰

حاضرا عند الفخر إسماعيل بن علىّ الحنبلى الفقيه المعروف بغلام ابن المنى و كان الفخر إسماعيل هذا مقدّم الحنابله ببغداد فى الفقه و الخلاف و يشتغل بشىء فى علم المنطق و قد كان حلو العباره و قد رأيته أنا و حضرت عنده و سمعت كلامه و توفّى سنه عشره و ستّمأه.

قال ابن عاليه و نحن عنده نتحدّث إذ دخل شخص من الحنابله قد كان له دين على بعض أهل الكوفه فانحدر إليه يطالبه به و اتّفق أن حضره زياره يوم الغدير و الحنبلىّ المذكور بالكوفه و هذه الزياره هى اليوم الثامن عشر من شهر ذى الحجّه و يجتمع بمشهد أمير المؤمنين عليه السّلام من الخلايق جموع عظيمه يتجاوز حدّ الاحصاء.

قال ابن عاليه: فجعل الشيخ الفخر يسائل ذلك الشّخص ما فعلت ما رأيت؟ هل وصل مالك إليك؟ هل بقى منه بقيّه عند غريمك؟ و ذلك الشخص يجاوبه حتّى قال له يا سيّدى لو شاهدت يوم الزياره يوم الغدير و ما يجرى عند قبر علىّ بن أبى طالب عليه السّلام من الفضايح و الأقوال الشّنيعه و سبّ الصحابه جهارا بأصوات مرتفعه من غير مراقبه و لا خيفه.

فقال إسماعيل أىّ ذنب لهم و اللّه ما جراهم على ذلك و لا فتح لهم هذا الباب إلّا صاحب ذلك القبر، فقال ذلك الشخص: و من صاحب القبر قال: علىّ بن أبى طالب عليه السّلام قال: يا سيّدى هو الّذى سنّ لهم ذلك و علّمهم إيّاه و طرقهم إليه؟ قال نعم و اللّه.

قال: يا سيّدى فان كان محقّا فما لنا نتولّى فلانا و فلانا و إن كان مبطلا فما لنا نتولّاه ينبغى أن نبرء إمّا منه أو منهما، قال ابن عاليه فقام اسماعيل مسرعا و قال: لعن اللّه اسماعيل الفاعل ابن الفاعل إن كان يعرف جواب هذه المسأله و دخل دار حرمه و قمنا نحن فانصرفنا انتهى كلام الشارح.

أقول: قد مرّ فى تضاعيف الشرح لا سيّما مقدّمات الخطبه الثالثه المعروفه بالشقشقيّه النّصوص الدالّه على خلافته عليه السّلام و بطلان خلافه غيره مضافا إلى الأدلّه العقليّه.

و العجب من الشارح المعتزلى أنّه بعد اعترافه بتواتر الأخبار الظاهره فى

ص:۱۴۱

اغتصـاب الخلافه و التظلّم و الشـكوى من أئمه الجور كيف يصـرفها عن ظواهرهـا من غير دليـل و أىّ داع له الى الانحراف عن قصـد السّبيل و لو كان هناك أقلّ دليل لتمسّک به مقـدّم الحنابله اسـماعيل، و لم يعى عن الجواب، و لم يقم من مجلسه مسـرعا إلى الذهاب، فحيث عجز عن جواب القائل ضاق به الخناق إلاّ لعن نفسه بالفاعل ابن الفاعل.

ثمّ العجب من الشّـارح أنه يعلّـل ذلـک تـاره بـأنّ حملهـا على ظواهرهـا يوجب تكفير وجوه الصّـحابه و تفسـيقها و هو كما ترى مصـادره على المـدّعى، و اخرى بـأنّ تصـفّح الأـقوال يبطـل الظنّ الحاصل منها و ليت شـعرى أىّ قول أوجب الخروج عن تلک الظواهر.

فـان أراد قول أهل السـنّه فليس له اعتبار و لا وقع له عنـد اولى الأبصار و إن أراد قول من يعوّل على قوله من النبىّ المختار و آله الأطهار فعليه البيان و علينا التسـليم و الاذعان، مع أنّا قـد تصـفّحنا كتب التواريخ و السّـير و الأخبار و الأثر فما ظفرنا بعد إلى الان على خبر واحد معتبر و لا حديث صـحيح يؤثر بل الأحاديث الصحيحه النبويّه و غير النبويّه العاميّه و الخاصيّه على بطلان دعويهم متظافره و إبطال خلافه الخلفاء متواتره متظاهره.

و قياس ظواهر تلک الرّوايات على الايات المتشابهات قياس مع الفارق لا يقيسها إلاّ كلّ بايد ناهق، لقيام الأدلّه القاطعه من العقل و النقل على وجوب تأويل هذه الايات و قيامها على لزوم تعويل ظواهر تلک الروايات.

و كفى بـذلک شـهيدا فضـلا عن غيره ممّـا تقـدّم و يـأتى و حـديث الثقلين و خـبر الحقّ مع علىّ و علىّ مع الحقّ المعروف بين الفريقين و روايه ورود الامّه على النبىّ صـلّى اللّه عليه و آله على خمس رايات و افتراق الامّه على ثلاث و سـبعين فرقه كلّها فى النار غير واحده.

و نعم ما قيل:

إذا افترقت فى الدّين سبعين فرقه و نيفا كما قد جاء فى واضح النقل

و لم يك منهم ناجيا غير واحد فبيّن لنا يا ذا النباهه و الفضل

أ فى الفرقه الهلّاك آل محمّد أم الفرقه الناجون أيّهما قل لى

فان قلت هلّاكا كفرت و إن نجوا فلما ذا قدّم الغير بالفضل

التنبيه الثانى

فى ذكر خروج عائشه و طلحه و الزبير الى البصره، و قتلهم طائفه من المسلمين فيها صبرا و طائفه غدرا توضيحا لما أشار عليه السّلام إليه فى كلامه و تفصيلا لما أجمله.

فأقول: روى الشارح المعتزلى عن أبى مخنف أنّه قال: حدّثنا إسماعيل بن خالد عن قيس بن أبى حازم و روى الكلبىّ عن أبى صالح عن ابن عبّاس و روى جرير ابن يزيد عن عامر الشعبى، و روى محمّد بن إسحاق عن حبيب بن عمير قالوا جميعا لمّا خرجت عائشه و طلحه و الزّبير من مكّه إلى البصره طرقت ماء الحوأب(۱) و هو ماء لبنى عامر بن صعصعه فنبحهم الكلاب فنفرت صعاب إبلهم فقال قائل لعن اللّه الحوأب ما أكثر كلابها.

فلمّا سمعت عائشه ذكر الحوأب قالت: أ هذا ماء الحوأب؟ قالوا نعم، فقالت:

ردّونى ردّونى، فسألوها ما شأنها؟ ما بدا لها؟ فقالت: إنّى سمعت رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم يقول: كأنّى بكلاب ماء يدعا الحوأب قد نبحت بعض نسائى ثمّ قال صلّى اللّه عليه و آله لى:

يا حميراء إيّاك أن تكونيها.

فقال لها الزبير مهلا يرحمك اللّه فانا قد جزنا ماء الحوأب بفراسخ كثيره، فقالت: أ عندك من يشهد أنّ هذه الكلاب النابحه ليست على ماء الحوأب فلفق لها الزبير و طلحه خمسين أعرابيا جعلا ـ لهم جعلا ـ فحلفوا لها و شهدوا أنّ هذا الماء ليس بماء الحوأب فكانت هذه أوّل شهاده زور فى الاسلام.

أقول: بل أوّل شهاده الزور فى الاسلام ما وقعت يوم السقيفه حيث شهد منافقوا - قريش لأبى بكر بأنهم سمعوا من رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله أنه يقول: إنّ اللّه لم يكن ليجمع

۱- (۱) و هو ماء نسبت الى الحوأب بنت كليب بن وبره قاله فى المناقب منه ()

لنا أهل البيت النبوّه و الخلافه حسبما تقدّم فى المقدّمه الثالثه من مقدّمات الخطبه الشقشقيّه من غايه المرام من كتاب سليم بن قيس الهلالى.

قال أبو مخنف: و حدّثنا عصام بن قدامه عن عكرمه عن ابن عبّاس أنّ رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله قال يوما لنسائه و هنّ عنده جميعا ليت شعرى أيّتكن صاحبه الجمل الأدبب تنبحها كلاب الحوأب يقتل عن يمينها و شمالها قتلى كثير كلّهم فى النّار و تنجو بعد ما كادت.

قال الشارح المعتزلى: قلت: أصحابنا المعتزله يحملون قوله و تنجو على نجاتها من النار و الاماميّه يحملون ذلك على نجاتها من القتل و محملنا أرجح لأنّ لفظه فى النار أقرب إليه من لفظه القتلى و القرب معتبر فى هذا الباب ألا ترى أنّ نحاه البصريين أعملوا أقرب العاملين نظرا إلى القرب.

أقول: لا أدرى ما ذا يريد الشّارح من ذكر الاختلاف فى محمل الحديث و ترجيح محمل المعتزله على محمل الاماميه؟ فان كان مقصوده بذلك الردّ على الاماميه لتمسّكهم به على كون عايشه فى النار حيث حملوا النجاه فيه على النجاه من القتل دون النّار ففيه أنّ الاماميّه لم يتمسّكوا به أبدا على كونها فيها لأنّ قوله صلّى اللّه عليه و آله كلّهم فى النّار راجع الى المقتولين عن اليمين و الشمال لا ربط له بها بوجه حتّى يتمسّكوا به بل دليلهم على ذلك مضافا الى أخبارهم الكثيره هو خروجها و بغيها على الامام العادل، و الخوارج و البغاه كلّهم فى النار و عليه أيضا بناء المعتزله كما صرّح به الشارح فى ديباجه شرحه و إن توهّموا خروجها مع طلحه و الزبير من هذه الكلّيه لدليل فاسد.

و إن كان مقصوده به اثبات نجاه عائشه من النار ففيه أنّه لا ينهض لاثباتها لأنّ قوله صلّى اللّه عليه و آله «تنجو بعد ما كادت» يحتاج إلى إضمار المتعلّق و لفظه فى النار و إن كانت أقرب إليه لكنّ القرب اللّفظى لا يكفى فى جعل متعلّقه النّار بل المدار فى أمثال المقام على القرب الاعتبارى، و غير خفىّ على المنصف الخبير بأساليب «ج ٩»

ص:۱۴۴

الکلام أنّ المتبادر من اطلاق العباره هو أنّ المتعلّق لفظه من القتل، و سوق الکلام أیضا یفید ذلک.

و ذلک لأنّه لمّا أخبر بأنه علیه السّلام یقتل عن یمینها و شمالها قتلی کثیر و کان هناک مظنّه إصابه القتل إلیها لقربه منها و إشرافها علیه، استدرک بقوله و تنجو بعد ما کادت، و هذا بخلاف قوله کلّهم فی النّار فانّه لم یکن موهما لشمولها حتّی یحتاج إلی الاستدراک.

فانقدح من ذلک أنّ الظاهر من مساق الکلام مضافا إلی التبادر عرفا هو أنّ المراد منه النجاه من القتل لا النجاه من النار کما یقوله المعتزله.

و علی التنزّل و المماشاه أقول: غایه الأمر أنّ اللّفظ مجمل محتمل للأمرین فلا یکافؤ الأدلّه القاطعه المسلّمه عند أصحابنا و المعتزله علی کون البغاه جمیعهم فی النار، و لا یجوز رفع الید عن عموم تلک الأدلّه و تخصیصها بهذا اللّفظ المجمل و العجب من الشارح أنه یستدلّ علی مسأله اصولیه کلامیّه بمسأله نحویه مع أنّ المسأله النحویّه أیضا غیر مسلّمه عند علماء الأدبیّه و البصریّون و إن أعملوا أقرب العاملین نظرا إلی القرب لکنّ الکوفیّین اعملوا الأوّل منهما نظرا إلی السبق قال ابن مالک:

إن عاملان اقتضیا فی اسم عمل قبل فللواحد منهما العمل

فالثانی أولی عند أهل البصره و اختار عکسا غیرهم ذا أسره

هذا کلّه علی ما یقتضیه النظر الجلیّ، و أمّا ما یقتضیه النظر الدّقیق فهو حمل الحدیث علی ما یقوله أصحابنا الامامیه و بطلان محمل المعتزله، و ذلک لأنّ قوله علیه السّلام «و تنجو بعد ما کادت» یفید نجاتها بعد قربها، فان ارید بها النجاه من القتل بعد القرب منه کما یقوله الامامیّه فلا غبار علیه، و إن ارید النجاه من النّار فلا یصحّ لأنّ نجاتها منها علی زعم المعتزله کانت بسبب التوبه و لازم ذلک أنّها قبل التوبه کانت هالکه واقعه فی النار أعنی الاستحقاق بالفعل لها، و وقوعها فیها غیر قربها منها، کما هو مفاد قوله: بعد ما کادت.

ص:۱۴۵

و الحاصل أنّ القرب من النار كما هو مضمون الروايه على قول المعتزله ينافى الكون فيها على ما هو لازم محملهم فافهم جيّدا.

هـذا كلّه على تسـليم صـحّه متن الحـديث و إلاّ فأقول: الظاهر أنّه وقع فيه سـقط من الرواه عمدا أو سـهوا أو من النساخ كما يدلّ عليه ما فى البحار عن المناقب لابن شهر آشوب قال:

ذكر ابن الأعثم فى الفتوح، و الماوردى فى أعلام النبوّه، و شيرويه فى الفردوس، و أبو يعلى فى المسند، و ابن مردويه فى فضايل أمير المؤمنين، و الموفّق فى الأربعين، و شعبه و الشعبى و سالم بن أبى الجعد فى أحاديثهم و البلاذرى و الطبرى فى تاريخهما أنّ عايشه لمّا سمعت نباح الكلاب قالت أىّ ماء هـذا؟ فقالوا الحوأب قالت إنّا للّه و إنّا إليه راجعون إنّى لهيه قد سمعت رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و عنده نساؤه يقول: ليت شعرى أيّتكنّ تنبحها كلاب الحوأب.

و فى روايه الماوردى أيتكنّ صاحبه الجمل الأدبب تخرج فتنبحها كلاب الحوأب يقتل من يمينها و يسارها قتلى كثير و تنجو بعد ما كادت تقتل و هذه الرّوايه كما ترى صريحه فى أنّ نجاتها من القتل.

و بعد هذا كلّه فغير خفىّ عليك أنّ ما تكلّفه الشارح فى إنجائها من النار فانّما يجرى فى حقّها فقط، و ليت شعرى ما ذا يقول فى حقّ طلحه و الزبير فانّ مذهبه وفاقا لأصحابه المعتزله نجاتهما أيضا مثلها مع أنّ الروايه كما ترى مصرّحه بأنّ كلّهم فى النّار و لا شكّ فى شمول هذه القضيه الكلّيه للرّجلين فان زعم استثنائهما أيضا من هذه الكلّيه بدليل منفصل مثل حديث العشره أو ما دلّ على توبتهما فقد علمت فى شرح بعض الخطب السابقه المتقدّمه فساده بما لا مزيد عليه، هذا فلنرجع إلى ما كنا فيه.

قال أبو مخنف حدّثنى الكلبى عن أبى صباح عن ابن عبّاس أنّ طلحه و الزبير أغذا السّير لعايشه حتّى انتهوا إلى حفر أبى موسى الأشعرى و هو قريب من البصره و كتبا إلى عثمان بن حنيف الأنصارى و هو عامل علىّ عليه السّلام على البصره أن اخل لنا

دار الاماره.

فلمّا وصل كتابهما إليه بعث إلى الأحنف بن قيس فقال له: إنّ هؤلاء القوم قدموا علينا و معهم زوجه رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و النّاس إليها سراع كما ترى، فقال الأحنف إنّهم جاؤك بها للطلب بدم عثمان و هم الّذين ألبّوا على عثمان الناس و سفكوا دمه و أراهم و اللّه لا يزالونا حتّى يلقوا العداوه بيننا و يسفكوا دمائنا و أظنّهم و اللّه سيركبون منك خاصّه ما لا قبل لك به و إن لم تتأهّب لهم بالنّهوض إليهم فيمن معك من أهل البصره فانّك اليوم الوالى عليهم و أنت فيهم مطاع فسر إليهم بالناس و بادرهم قبل أن يكونوا معك فى دار واحده فيكون الناس أطوع منهم لك.

فقال عثمان بن حنيف: الرأى ما رأيت لكنّنى أكره أن أبدهم به و أرجو العافيه و السّلامه إلى أن يأتينى كتاب أمير المؤمنين عليه السّلام و رأيه فأعمل به.

ثمّ أتاه بعد الأحنف حكيم بن جبله العبدى فأقرأه كتاب طلحه و الزبير فقال له مثل قول الأحنف و أجابه عثمان مثل جوابه للأحنف فقال له حكيم: فأذن لى حتّى أسير اليهم بالنّاس فان دخلوا فى طاعه أمير المؤمنين عليه السّلام و إلاّ فانابذهم على سواء.

فقال عثمان: لو كان ذلك رأى لسرت إليهم بنفسى قال حكيم: أما و اللّه إن دخلوا عليك هذا المصر لتنقلنّ قلوب كثير من النّاس إليه و يزيلنّك عن مجلسك هذا و أنت أعلم، فأبى عليه عثمان.

قال: و كتب علىّ إلى عثمان لمّا بلغه مشارفه القوم البصره: من عبد اللّه علىّ أمير المؤمنين إلى عثمان بن حنيف فأمّا بعد: فانّ البغاه عاهدوا اللّه ثمّ نكثوا و توجّهوا إلى مصرك و ساقهم الشيطان لطلب ما لا يرضى اللّه به و اللّه أشدّ باسا و أشدّ تنكيلا فاذا قدموا عليك فادعهم إلى الطاعه و الرجوع إلى الوفاء بالعهد و الميثاق الّذى فارقونا عليه فان أجابوا فأحسن جوارهم ما داموا عندك و إن أبوا إلاّ التمسّك بحبل النكث و الخلاف فناجزهم حتّى يحكم اللّه بينك و بينهم و هو خير الحاكمين و كتبت كتابى هذا إليك من الرّبذه و أنا معجّل المسير اليك إنشاء اللّه و كتب عبيد اللّه بن أبى رافع فى سنه ستّ و ثلاثين.

ص:۱۴۷

قال: فلمّا وصل كتاب عليّ عليه السّلام إلى عثمان أرسل إلى أبى الأسود الدّئلى و عمران بن الحصين الخزاعى فأمرهما أن يسيرا حتّى يأتياه بعلم القوم و ما الّذى أقدمهم.

فانطلقا حتّى اذا أتيا حفر أبى موسى و به معسكر القوم فدخلا على عايشه فسألاها و وعظاها و أذكراها و ناشداها اللّه فقالت لهما ألقيا طلحه و الزبير.

فقاما من عندها و لقيا الزّبير فكلّماه فقال لهما: إنّا جئنا للطلب بدم عثمان و ندعو النّاس الى أن يردّوا أمر الخلافه شورى ليختار النّاس لأنفسهم فقالا له: إنّ عثمان لم يقتل بالبصره ليطلب دمه فيها و أنت تعلم قتله عثمان من هم و أين هم و أنّك و صاحبك و عايشه كنتم أشدّ الناس عليه و أعظمهم إغراء بدمه فأقيدوا من أنفسكم و أمّا إعاده أمر الخلافه شورى فكيف و قد بايعتم عليّا عليه السّلام طائعين غير مكرهين و أنت يا أبا عبد اللّه لم تبعد العهد لقيامك دون هذا الرّجل يوم مات رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و أنت آخذ قائم سيفك تقول ما أحد أحقّ بالخلافه منه و لا أولى بها منه، و امتنعت من بيعه أبى بكر فأين ذلك الفعل من هذا القول؟ فقال لهما: اذهبا فألقيا طلحه.

فقاما إلى طلحه فوجداه خشن الملمس شديد العريكه قوىّ العزم فى إثاره الفتنه و إضرام نار الحرب، فانصرفا إلى عثمان بن حنيف فأخبراه و قال له أبو الأسود:

يا بن حنيف قد أتيت فانفر و طاعن القوم و جالد و اصبر

و ابرز لها مستلهما و شمّر

فقال ابن حنيف: اى و ربّ الحرمين لأفعلنّ و أمر مناديه فنادى فى الناس السلاح السلاح، فاجتمعوا إليه.

قال أبو مخنف: و أقبل القوم فلما انتهوا إلى المربد قام رجل من بنى جشم فقال أيها الناس أنا فلان الجشمى و قد أتاكم هؤلاء القوم فان كانوا أتوكم خائفين لقد أتوكم من المكان الّذى يأمن فيه الطير و الوحش و السباع و إن كانوا انما أتوكم للطلب بدم عثمان فغيرنا ولى قتله فأطيعونى أيها الناس و ردّوهم من حيث أقبلوا فانكم إن لم تفعلوا لم تسلموا من الحرب الضروس و الفتنه الصماء الّتى لا تبقى و لا تذر، قال: فحصبه ناس من

أهل البصره فأمسک.

قال: و اجتمع أهل البصره إلى المربد حتّى ملاؤه مشاه و رکبانا فقام طلحه و أشار إلى الناس بالسکوت لیخطب فسکتوا بعد جهد فخطب خطبه ذکر فیها قتل عثمان و حرّض الناس على الطلب بدمه، و على جعل أمر الخلافه شورى.

ثمّ قام الزبیر فتکلّم بمثل کلام طلحه فقام إلیهما ناس من أهل البصره فقالوا لهما: ألم تبایعا علیّا علیه السّلام فیمن بایعه؟ ففیم بایعتما ثمّ نکثتما؟ فقالا، ما بایعناه و لا لأحد فی أعناقنا بیعه و إنّما استکرهنا على بیعته.

فقال ناس: قد صدقا و أحسنا القول و قطعنا بالصواب، و قال ناس ما صدقا و لا أصابا فی القول حتّى ارتفعت الأصوات.

قال: ثمّ أقبلت عایشه على جملها فنادت بصوت مرتفع: أیّها الناس أقلّوا الکلام و اسکتوا: فأسکت الناس لها فقالت فی جمله کلام تحرّضهم فیه على القتال و الاجلاب على قتله عثمان: ألا إنّ عثمان قتل مظلوما فاطلبوا قتلته فاذا ظفرتم بهم فاقتلوهم ثمّ اجعلوا الأمر شورى بین الرّهط الّذین اختارهم عمر بن الخطّاب و لا یدخل فیهم من شرک فی دم عثمان.

قال: فماج الناس و اختلطوا فمن قائل یقول القول ما قالت و من قائل یقول و ما هی و هذا الأمر إنّما هی امرأه مأموره بلزوم بیتها، و ارتفعت الأصوات و کثر اللغط حتى تضاربوا بالنعال و تراموا بالحصى.

ثمّ إنّ النّاس تمایزوا فصاروا فریقین فریق مع عثمان بن حنیف و فریق مع عایشه و أصحابها.

قال أبو مخنف: حدّثنا الأشعث عن محمّد بن سیرین عن أبی الجلیل قال: لمّا نزل طلحه و الزّبیر المربد أتیتهما فوجدتهما مجتمعین فقلت لهما ناشدتکما اللّه و صحبه رسول اللّه صلّى اللّه علیه و آله ما الّذی أقدمکما أرضنا هذه؟ فلم یتکلّما فأعدت علیهما فقالا بلغنا أنّ بأرضکم هذه دنیا فجئنا نطلبها.

قال الشارح المعتزلی: و قد روى قاضی القضاه فی کتاب المغنی عن وهب بن

جرير قال: قال رجل من أهل البصره لطلحه و الزّبير، إنّ لكما فضلا و صحبه فأخبرانى عن مسيركما هذا و قتالكما أ شىء أمركما به رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم أم رأى رأيتماه؟ فأمّا طلحه فسكت فجعل ينكت الأرض، و أمّا الزبير فقال: ويحك حدّثنا أنّ ههنا دراهم كثيره فجئنا لنأخذ منها.

قال الشارح: و جعل قاضى القضاه هذا الخبر حجّه فى أنّ طلحه تاب و إنّ الزّبير لم يكن مصرّا على الحرب.

قال: و الاحتجاج بهذا الخبر على هذا المعنى ضعيف و إن صحّ هو و ما قبله إنّه لدليل على حمق شديد، و ضعف عظيم و نقص ظاهر، و ليت شعرى ما الّذى أخرجهما إلى هذا القول و إذا كان هذا فى أنفسهما فهلّا كتماه.

أقول: أمّا اعتبار الخبرين فلا غبار عليه لاعتضادهما بأخبار اخر فى هذا المعنى، و أمّا دلالتهما على حمق الرّجلين كما قاله الشارح فلا خفاء فيه، و أمّا سكوت طلحه و نكته الأرض فلأنّه لما رأى أنّ السائل لا يبقى و لا يذر و لم يكن له عن الجواب محيص و لا مفرّ فبهت الذى كفر، و أمّا الزبير فأعمى اللّه قلبه و أجرى مكنون خاطره على لسانه إبانه عن انحطاط مقامه، و دناءه شأنه.

قال أبو مخنف: فلمّا أقبل طلحه و الزّبير المربد يريدان عثمان بن حنيف فوجداه و أصحابه قد أخذوا بأفواه السّكك فمضوا حتّى انتهوا إلى موضع الدّباغين فاستقبلهم أصحاب ابن حنيف فشجرهم طلحه و الزبير و أصحابهما بالرّماح فحمل عليهم حكيم بن جبله فلم يزل و أصحابه يقاتلونهم حتّى أخرجوهم من جميع السكك و رماهم النساء من فوق البيوت بالحجاره.

فأخذوا إلى مقبره ابن بنى مازن فوقفوا بها مليّا حتّى ثابت إليهم خيلهم ثمّ أخذوا على مسناه البصره حتّى انتهوا إلى الرابوقه ثم أتوا سبخه دار البرزق فنزلوها.

قال: و أتاهما عبد اللّه بن حكيم لما نزلا السبخه بكتب كانا كتباها إليه فقال:

لطلحه: يا با محمّد أما هذه كتبك؟ قال: بلى، قال: فكتبت أمس تدعونا إلى خلع عثمان و قتله حتّى إذا قتلته أتيتنا ثائرا بدمه فلعمرى ما هذا رأيك لا تريد إلّا هذه الدّنيا

ص: ۱۵۰

مهلا إذا كان هذا رأيك فلم قبلت من عليّ عليه السّلام ما عرض عليك من البيعه فبايعته طائعا راضيا ثمّ نكثت بيعتك ثمّ جئت لتدخلنا فى فتنتك.

فقال: إنّ عليّا دعانى إلى البيعه بعد ما بايع فعلمت أنّى لو لم أقبل ما عرضه عليّ لم يتمّ لى ثمّ يغرى لى من معه.

قال: ثمّ أصبحا من غد فصفّا للحرب و خرج عثمان بن حنيف إليهما فى أصحابه فناشدهما اللّه و الاسلام و أذكرهما بيعتهما عليّا عليه السّلام فقالا- نحن نطلب بدم عثمان فقال لهما و ما أنتما و ذاك اين بنوه اين بنو عمّه الّذينهم أحقّ به منكم كلّا و اللّه و لكنكما حسدتماه حيث اجتمع النّاس عليه و كنتما ترجوان هذا الأمر و تعملان له و هل كان أحد أشدّ على عثمان قولا منكما.

فشتماه شتما قبيحا و ذكرا امّه فقال للزّبير: أما و اللّه لو لا صفيّه و مكانها من رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم فانها أدنتك إلى الظلّ و إنّ الأمر بينى و بينك يا بن الصبغه يعنى طلحه أعظم من القول لأعلمتكما من أمركما ما يسوءكما اللهمّ إنّى قد أعذرت إلى هذين الرجلين.

ثمّ حمل عليهم و اقتتل النّاس قتالا شديدا ثمّ تحاجزوا و اصطلحوا على أن يكتب بينهم كتاب صلح فكتب:

هذا ما اصطلح عليه عثمان بن حنيف الأنصارى و من معه من المؤمنين من شيعه أمير المؤمنين عليّ بن أبى طالب عليه السّلام و طلحه و الزبير و من معهما من المؤمنين و المسلمين من شيعتهما انّ لعثمان بن حنيف دار الاماره و الرحبه و المسجد و بيت المال و المنبر و إنّ لطلحه و الزّبير و من معهما ان ينزلوا حيث شاءوا من البصره لا- يضارّ بعضهم بعضا فى طريق و لا فرضه(۱) و لا سوق و لا شريعه حتّى يقدم أمير المؤمنين عليّ بن أبى طالب عليه السّلام فان أحبّوا دخلوا فيما دخلت فيه الامّه، و إن أحبّوا الحق كلّ قوم بهواهم و ما أحبّوا: من قتال أو سلم، و خروج أو إقامه، و على الفريقين بما كتبوا عهد اللّه

۱- (۱) الفرضه بالضم ثلمه من النهر يستقى منها، و من البحر محطّ السفن.

و میثاقه و أشدّ ما أخذه علی نبیّ من أنبیائه من عهد و ذمّه، و ختم الکتاب.

و رجع عثمان بن حنیف حتّی دخل دار الاماره و قال لأصحابه: الحقوا رحمکم اللّه بأهلکم وضعوا سلاحکم و داووا جرحاکم، فمکثوا کذلک أیّاما.

ثمّ إنّ طلحه و الزّبیر قالا: إن قدم علیّ و نحن علی هذه الحال من القلّه و الضعف لیأخذنّ بأعناقنا، فأجمعا علی مراسله القبایل، و استماله العرب فأرسلوا إلی وجوه النّاس و أهل الرّیاسه و الشرف، یدعوهم إلی الطلب بدم عثمان و خلع علیّ علیه السّلام و إخراج ابن حنیف من البصره.

فبایعهم علی ذلک الأزد و ضبّه و قیس عیلان کلّها إلاّ الرّجل و الرّجلین من القبیله کرهوا أمرهم فتواروا عنهم.

و أرسلوا إلی هلال بن وکیع التمیمی فلم یأتهم فجاءه طلحه و الزبیر إلی داره فتواری عنهما فقالت امّه ما رأیت مثلک أتاک شیخا قریش فتواریت عنهما فلم تزل به حتّی ظهر لهما و بایعهما و معه بنو عمرو بن تمیم کلّهم و بنو حنظله إلاّ بنی یربوع فانّ عامتهم کانوا شیعه لعلیّ علیه السّلام و بایعهم بنو دارم کلّهم إلاّ نفرا من بنی مجاشع ذوی دین و فضل.

فلمّا استوثق بطلحه و الزبیر أمرهما خرجا فی لیله مظلمه ذات ریح و مطر و معهما أصحابهما قد ألبسوهم الدروع و ظاهروا فوقها بالثیاب فانتهوا إلی المسجد وقت صلاه الفجر و قد سبقهم عثمان بن حنیف إلیه و اقیمت الصّلاه فتقدّم عثمان لیصلّی بهم فأخّره أصحاب طلحه و الزّبیر و قدّموا الزّبیر فجاءت السّیابجه(۱) و هم الشرط حرس بیت المال فأخّروا الزّبیر و قدّموا عثمان فغلبهم أصحاب الزّبیر فقدّموه و أخّروا عثمان.

فلم یزالوا کذلک حتّی کادت الشمس تطلع و صاح بهم أهل المسجد ألا تتّقون أصحاب محمّد و قد طلعت الشّمس فغلب الزّبیر فصلّی بالنّاس فلمّا انصرف من صلاته

۱- (۱) السیابجه لفظه معربه قد ذکرها الجوهری فی کتاب الصحاح قال هم قوم من السند کانوا بالبصره جلاوزه و حراس السجن، ابن ابی الحدید.

صاح بأصحابه المستسلحين أن خذوا عثمان بن حنيف، فأخذوه بعد أن تضارب هو و مروان بن الحكم بسيفهما.

فلمّا اسر ضرب ضرب الموت و نتف حاجباه و أشفار عينيه و كلّ شعره فى وجهه و رأسه و أخذوا السيابجه و هم سبعون رجلا فانطلقوا بهم و بعثمان بن حنيف إلى عايشه.

فقالت لأبان بن عثمان اخرج إليه فاضرب عنقه فانّ الأنصار قتلت أباك و أعان على قتله فنادى عثمان يا عايشه و يا طلحه و يا زبير إنّ أخى سهل بن حنيف خليفه علىّ بن أبى طالب عليه السّلام على المدينه و اقسم باللّه إن قتلتمونى ليضعنّ السيف فى بنى أبيكم و أهليكم و رهطكم فلا يبقى منكم أحدا.

فكفّوا عنه و خافوا أن يوقع سهل بن حنيف بعيالاتهم و أهلهم بالمدينه فتركوه و أرسلت عايشه إلى الزبير أن اقتل السيابجه فانّه قد بلغنى الّذى صنعوا بك.

قال: فذبحهم و اللّه الزبير كما يذبح الغنم ولى ذلك منهم عبد اللّه ابنه و هم سبعون رجلا و بقيت منهم طائفه مستمسكين ببيت المال قالوا لا ندفعه إليكم حتّى يقدم أمير المؤمنين عليه السّلام فسارت إليهم الزبير فى جيش ليلا فأوقع بهم و أخذ منهم خمسين أسيرا فقتلهم صبرا.

قال أبو مخنف: و حدّثنا الصقعب بن زهير قال كانت السيابجه القتلى يومئذ أربعمائه رجل قال: فكان غدر طلحه و الزبير بعثمان بن حنيف أوّل غدر فى الاسلام و كان السيابجه أوّل قوم ضربت أعناقهم من المسلمين صبرا.

قال: و خيّروا عثمان بن حنيف بين أن يقيم أو يلحق بعلىّ عليه السّلام فاختار الرّحيل فخلّوا سبيله فلحق بعلىّ عليه السّلام فلما رآه بكى و قال له فارقتك شيخا و جئتك أمرد فقال علىّ عليه السّلام: إنّا للّه و إنّا اليه راجعون قالها ثلاثا.

قال أبو مخنف: فلمّا صفت البصره لطلحه و الزبير اختلفا فى الصّلاه فاراد كلّ منهما أن يؤمّ بالناس و خاف أن يكون صلاته خلف صاحبه تسليما و رضى بتقدّمه فأصلحت بينهما عايشه بأن جعلت عبد اللّه بن زبير و محمّد بن طلحه يصلّيان الناس هذا

یوما و هذا یوما.

قال أبو مخنف: ثمّ دخلا بیت مال البصره فلمّا رأوا ما فیه من الأموال قال الزّبیر: «وَعَدَكُمُ اللّٰهُ مَغانِمَ كَثِيرَةً تَأْخُذُونَها فَعَجَّلَ لَكُمْ هٰذِهِ » فنحن أحقّ بها من أهل البصره فأخذا ذلک المال کلّه فلمّا غلب علیّ علیه السّلام ردّ تلک الأموال إلی بیت المال و قسّمها فی المسلمین هذا.

و قد تقدّم فی شرح کلام له علیه السّلام و هو ثامن المختار من الخطب کیفیّه وقعه الجمل و مقتل الزّبیر فارّا عن الحرب و تقدّم نوادر تلک الوقعه فی شرح سایر الخطب و الکلمات فی مواقعها اللّاحقه فلتطلب من مظانّها.

الترجمه

از جملۀ خطب شریفۀ آن امام انام و وصیّ والا مقام است مشتمل بر سه فصل:

فصل اول متضمن حمد و ثنا است مر حق تعالی را می فرماید: شکر و سپاس خداوندی را سزاست که نمی پوشد از او آسمانی آسمان دیگر را و نه زمینی زمین دیگر را.

فصل دوم متضمّن شکایتست از اهل شوری و غاصبان خلافت، می فرماید:

و گفت بمن گویندۀ که سعد وقاص ملعون بود ای پسر ابو طالب بدرستی که تو بأمر خلافت بسیار حریصی، پس گفتم من بلکه شما بحقّ خدا حریص ترید و دورتر و من اختصاصم بیشتر است و نزدیکیم زیادتر، و جز این نیست که طلب میکنم حقی را که مختصّ است بمن و شما حایل و حاجب می شوید میان من و میان آن، و دست ردّ می زنید بروی من نزد آن، پس زمانی که کوفتم آن گوینده را با حجت و دلیل در میان جماعت حاضران بیدار شد از خواب غفلت گوئیا که او نمی داند چه جواب بدهد بمن.

بار خدایا بدرستی که من طلب اعانت میکنم از تو بر طایفۀ قریش و بر کسانی که اعانت کردند ایشان را پس بدرستی که ایشان بریدند خویشی مرا و حقیر شمردند

ص:۱۵۴

بزرگی مرتبهٔ مرا و اتفاق کردند بمنازعهٔ من در کاری که آن اختصاص بمن داشت پس از آن گفتند بدان که در حق است أخذ کردن ما آن را و در حقّ است ترک کردن تو آن را.

فصل سوم در ذکر اصحاب جمل است می فرماید: پس خروج کردند در حالتی که می کشیدند حرم پیغمبر خدا را یعنی عایشهٔ خاطئه را چنانچه کشیده می شود کنیز هنگام فروختن او در حالتی که متوجّه شدند با او بسوی بصره، پس حبس کردند و نگه داشتند طلحه و زبیر زنان خودشان را در خانه خود، و بیرون آوردند زن محبوس شدهٔ حضرت رسالتماب را از برای خودشان و از برای غیر خودشان، در لشکری که نبود از ایشان هیچ مردی مگر این که عطا کرده بود بمن اطاعت خود را، و بخشیده بود بمن بیعت خود را، در حالتی که بیعتشان از روی طوع و رغبت بود نه با جبر و اکراه.

پس آمدند بر حاکم من که در بصره بود و بر خازنان بیت المال مسلمانان و بر غیر ایشان از اهل بصره پس کشتند طائفه را با صبر و اسیری، و طائفه را با مکر و حیله، پس قسم بخدا اگر نمی رسیدند از مسلمانان مگر به یک نفر مرد در حالتی که متعمّد بودند در قتل آن بدون گناه و تقصیری که کسب نموده آن را هر آینه حلال بود مرا کشتن جمیع این لشکر از جهه این که حاضر شدند بکشتن او و انکار نکردند و دفع نکردند از او کشتن را با زبانی و نه با دستی بگذار که ایشان بقتل آوردند از مسلمانان مثل عددی را که داخل شده بودند با ایشان بر ایشان.

و من خطبه له علیه السّلام و هی المأه و الثانیه

اشاره

و السبعون من المختار فی باب الخطب

أمین وحیه، و خاتم رسله، و بشیر رحمته، و نذیر نقمته، أیّها النّاس إنّ أحقّ النّاس بهذا الأمر أقوایهم علیه و أعلمهم بأمر اللّه فیه فإن شغب شاغب أستعتب و إن أبی قوتل و لعمری لئن کانت الإمامه لا تنعقد حتّی تحضرها عامّه النّاس ما إلی ذلک سبیل و لکن أهلها یحکمون علی من غاب عنها ثمّ لیس للشاهد أن یرجع و لا للغائب أن یختار. ألا و إنّی أقاتل رجلین: رجلا ادّعی ما لیس له و آخر منع الّذی علیه. أوصیکم عباد اللّه بتقوی اللّه فإنّها خیر ما تواصی العباد به، و خیر عواقب الأمور عند اللّه، و قد فتح باب الحرب بینکم و بین أهل القبله و لا یحمل هذا العلم إلاّ أهل البصر و الصّبر، و العلم بمواقع الحقّ، فامضوا لما تؤمرون به، و قفوا عند ما تنهون عنه، و لا تعجلوا فی أمر حتّی تتبیّنوا فإنّ لنا مع کلّ أمر تنکرونه غیرا. ألا و إنّ هذه الدّنیا الّتی أصبحتم تتمنّونها و ترغبون فیها و أصبحت تغضبکم و ترضیکم، لیست بدارکم و لا منزلکم الّذی خلقتم له، و لا

ص:۱۵۶

الّذى دعيتم إليه، ألا ـ و إنّها ليست بباقيه لكم، و لا تبقون عليها، و هى و إن غرّتكم منها فقد حذّرتكم شرّها. فدعوا غرورها لتحذيرها، و إطماعها لتخويفها، و سابقوا فيها إلى الدّار الّتى دعيتم إليها، و انصرفوا بقلوبكم عنها و لا يحنّن أحدكم حنين الأمه على ما زوى عنه منها، و استتمّوا نعمه اللّه عليكم بالصّبر على طاعه اللّه، و المحافظه على ما استحفظكم من كتابه. ألا و إنّه لا يضرّكم شىء من دنياكم بعد حفظكم قائمه دينكم. ألا و إنّه لا ينفعكم بعد تضييع دينكم شىء حافظتم عليه من أمر دنياكم. أخذ اللّه بقلوبنا و قلوبكم إلى الحقّ، و ألهمنا و إيّاكم الصّبر.

اللغه

(خاتم رسله) بفتح التاء و كسرها و (أطمعه) إطماعا أوقعه فى الطمع و (حنّ) يحنّ حنينا استطرب و الحنين الشّوق و شدّه البكاء و الطرب أو صوت الطرب عن حزن أو فرح، و فى بعض النسخ بالخاء المعجمه قال فى القاموس و الحنين كالبكاء أو الضحك فى الأنف و قد خنّ يخنّ، و قال علم الهدى فى كتاب الغرر و الدّرر فى قول ابن أراكه الثقفى:

فقلت لعبد اللّه إذ حنّ باكيا تعزّ و ماء العين منهمر يجرى

تبين فان كان البكاء ردّ هالكا على أحد فاجهد بكاك على عمرو

ص:۱۵۷

قوله: حنّ باكيا رفع صوته بالبكاء و قال: قال قوم الخنين بالخاء المعجمه من الأنف و الحنين من الصّدر، و هو صوت يخرج من كلّ واحد منهما و (زوى) الشيء زيّا و زويّا جمعه و قبضه.

الاعراب

الضمير فى قوله زوى عنه راجع إلى أحدكم و فى بعض النسخ بدله عنها فيرجع إلى الامّه و الأوّل أظهر، و إضافه قائمه إلى دينكم لاميّه و تحتمل أن تكون بيانيّه كما نشير اليه فى شرح معناه.

المعنى

اشاره

اعلم أنّ مدار هذه الخطبه الشريفه على فصول:

الفصل الاول فى نبذ من مادح الرّسول صلّى اللّه عليه و آله و سلّم

و هو (أمين وحيه) أى مأمون على ما اوحى إليه من الكتاب الكريم و شرايع الدّين القويم من التحريف و التبديل فيما امر بتبليغه لمكان العصمه الموجوده فيه صلوات اللّه و سلامه عليه و آله (و خاتم رسله) أى آخرهم ليس بعده رسول كما قال سبحانه: «ما كانَ مُحَمَّدٌ أَبا أَحَدٍ مِنْ رِجالِكُمْ وَ لكِنْ رَسُولَ اللّهِ وَ خاتَمَ النَّبِيِّينَ » قال فى الصّافى: آخرهم الذى ختمهم أو ختموا به على اختلاف القرائتين.

و فى مجمع البحرين: و محمّد خاتم النّبيّين يجوز فيه فتح التاء و كسرها فالفتح بمعنى الزينه مأخوذ من الخاتم الذى هو زينه للابسه و بالكسر اسم فاعل بمعنى الاخر (و بشير رحمته و نذير نقمته) أى مبشّر برحمته الواسعه، و الثواب الجزيل و مخوّف من عقوبته الدّائمه و العذاب الوبيل كما قال عزّ من قائل:

«إِنّا أَرْسَلْناكَ بِالْحَقِّ بَشِيراً وَ نَذِيراً ».

الفصل الثانى فى الاشاره إلى بعض وظايف الخلافه

و هو قوله عليه السّلام (أيّها

ص:۱۵۸

النّاس إنّ أحقّ النّاس بهذا الأمر) أى أمر الخلافه و الامامه (أقواهم عليه) أى أكملهم قدره و قوّه على السياسه المدنيّه و على كيفيّه تدبير الحرب (و أعلمهم بأمر اللّه فيه) أى أكثرهم علما بأحكامه سبحانه فى هذا الأمر و فى بعض النّسخ «و أعملهم بأمر اللّه» بدله هذا و يدلّ على ذلك أعنى كون الأقوى و الأعلم أحقّ بالرياسه من غيره صريحا قوله سبحانه «أَ لَمْ تَرَ إِلَى الْمَلَإِ مِنْ بَنِي إِسْرائِيلَ مِنْ بَعْدِ مُوسى إِذْ قالُوا لِنَبِيٍّ لَهُمُ ابْعَثْ لَنا مَلِكاً نُقاتِلْ فِي سَبِيلِ اللّهِ » و «قالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طالُوتَ مَلِكاً قالُوا أَنّى يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنا وَ نَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ وَ لَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِنَ الْمالِ قالَ إِنَّ اللّهَ اصْطَفاهُ عَلَيْكُمْ وَ زادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَ الْجِسْمِ وَ اللّهُ يُؤْتِي مُلْكَهُ مَنْ يَشاءُ وَ اللّهُ واسِعٌ عَلِيمٌ » فقد ردّ استبعادهم لتملّكه بفقره بأنّ العمده فى ذلك اصطفاء اللّه و قد اختاره عليكم و هو أعلم بالمصالح و بأنّ الشرط فيه وفور العلم ليتمكّن به من معرفه الامور السياسيه، و جسامه البدن، ليكون أعظم وقعا فى القلوب و أقوى على مقاومه العدوّ و مكايده الحروب، لا ما ذكرتم.

و كيف كان فقد دلّت هذه الايه الشريفه كقول الامام عليه السّلام على بطلان ملك المفضول و خلافته مضافين إلى قوله تعالى: «أَ فَمَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ أَمَّنْ لا يَهِدِّي إِلاّ أَنْ يُهْدى » و قوله: «قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَ الَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ ».

فانقدح من ذلك فساد ما توهّمه الشارح المعتزلى من أنّ قوله عليه السّلام لا يدلّ على بطلان امامه المفضول لأنّه عليه السّلام ما قال إنّ امامه غير الأقوى فاسده و لكنه قال إنّ الأقوى أحقّ و أصحابنا لا ينكرون أنه عليه السّلام أحقّ ممن تقدّمه بالامامه مع قولهم بصحّه امامه المتقدّمين لأنه لا منافاه بين كونه أحقّ و بين صحّه إمامه غيره.

وجه انقداح الفساد أنّ أحقّيته و إن كانت لا تنافى بحسب الوضع اللّغوى حقيقيّه غيره كما هو مقتضى وضع أفعل التفضيل إلاّ أنّ الظاهر عدم إراده الأفضليّه هنا بل نفس الفضل كما فى قوله: «وَ أُولُوا الْأَرْحامِ بَعْضُهُمْ أَوْلى بِبَعْضٍ » حيث يستدلّون به

على حجب الأقرب للأبعد و كذلك فى قوله «أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ » و إلّا لما استحقّ متبعو غير الأحقّ بالتوبيخ و الملام المستفاد من ظاهر الاستفهام، مضافا إلى تشديد التقريع بقوله عقيب الايه «فَما لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ».

فان قلت: حمل أفعل على غير معناه اللّغوى مجاز لا يصار إليه إلّا بقرينه تدلّ عليه فما القرينه عليه؟ قلت: القراين المنفصله من العقل و النقل فوق حدّ الاحصاء و أمّا القرينه المتّصله فهى قوله:(فان شغب شاغب) أى أثار الشرّ و الفساد (استعتب) و طلب عتباه و رجوعه إلى الحقّ (فان أبى قوتل) فانّ جواز قتال الابى و قتله ليس إلّا لعدم جواز عدوله عن الأحقّ إلى غيره فيعلم منه أنّ غيره غير حقيق للقيام بالأمر كما لا يخفى، فافهم و تدبّر هذا.

و لما كان معاويه و أهل الشّام و أكثر من عدل عنه عليه السّلام و نكث عن بيعته قادحين فى خلافته طاعنين فى امامته بأنّه لم يكن عقد بيعته برضا العامّه و حضورها أشار إلى بطلان زعمهم و فساده بقوله:(و لعمرى لئن كانت الامامه لا تنعقد حتّى تحضرها عامّه النّاس) كما يزعمه هؤلاء و يحتجّون به علىّ (ما) كان (إلى ذلك سبيل) لتعذّر اجتماع المسلمين على كثرتهم و انتشارهم فى مشارق الأرض و مغاربها (و لكن أهلها) أى أهل الامامه أو البيعه الحاضرون من أهل الحلّ و العقد يعقدون البيعه و (يحكمون على من غاب عنها ثمّ ليس للشاهد أن يرجع) عن بيعته كما رجع زبير و طلحه (و لا للغائب) كمعاويه و أتباعه (أن يختار) أى يكون لهم اختيار بين التسليم و الامتناع.

قال الشّارح المعتزلى و هذا الكلام أعنى قوله عليه السّلام و لعمرى إلى آخره تصريح بمذهب أصحابنا من أنّ الاختيار طريق إلى الامامه و مبطل لما يقوله الاماميه من دعوى النّص عليه و من قولهم لا طريق الى الامامه سوى النصّ أو المعجز انتهى.

و فيه نظر أمّا أوّلا فلأنّه عليه السّلام إنّما احتجّ عليهم بالاجماع إلزاما لهم لاتّفاقهم على العمل به فى خلافه أبى بكر و أخويه و عدم تمسّكه عليه السّلام بالنصّ لعلمه بعدم «ج ۱۰»

ص:۱۶۰

التفاتهم إليه كيف و قد أعرضوا عنه فى أوّل الأمر مع قرب العهد بالرسول صلّى اللّه عليه و آله و سماعهم منه عليه السّلام و أمّا ثانيا فلأنّه عليه السّلام لم يتعرّض للنصّ نفيا و لا إثباتا فكيف يكون مبطلا لما ادّعاه الاماميّه من النصّ.

و العجب أنّه جعل هذا تصريحا بكون الاختيار طريقا إلى الامامه و نفى الدلاله فى قوله عليه السّلام: إنّ أحقّ النّاس بهذا الأمر اه، على نفى إمامه المفضول مع أنّه لم يصرّح بأنّ الامامه تنعقد بالاختيار بل قال لا يشترط فى انعقاد الامامه حضور العامه و لا ريب فى ذلك نعم يدلّ بمفهومه على ذلك و هذا تقيّه منه عليه السّلام.

و لا يخفى على من تتبع سيره أنّه لم يكن يمكنه إنكار خلافتهم و القدح فيها صريحا فى المحافل فلذا عبّر بكلام موهم لذلك و قوله عليه السّلام: و أهلها يحكمون و إن كان موهما له أيضا لكن يمكن أن يكون المراد بالأهل الأحقّاء بالامامه و يكون الضمير فيه راجعا إليهم.

و لا يخفى أنّ ما مهدّه عليه السّلام أولا بقوله: إنّ أحقّ النّاس أقواهم يشعر بأنّ عدم صحّه رجوع الشاهد و اختيار الغايب إنّما هو فى صوره الاتفاق على الأحقّ دون غيره فتأمل.

ثمّ ذكر من يسوغ له عليه السّلام قتاله فقال:(ألا و إنّى اقاتل رجلين رجلا ادّعى ما ليس له و آخر منع الّذى عليه) يحتمل أن يكون الأوّل إشاره إلى أصحاب الجمل و الثانى إلى معاويه و أتباعه و يحتمل العكس.

فعلى الأوّل فالمراد من ادّعائهم ما ليس لهم الخلافه أو المطالبه بدم عثمان فانه لم يكن لهم ذلك و إنما كان ذلك حقّا لوارثه و من منعهم بما وجب عليهم هو البيعه و بذل الطاعه.

و على الثانى فالمراد من ما ليس له أيضا الخلافه أو دعوى الولايه لدم عثمان و المطالبه به و من منع ما وجب عليه هو المضىّ على البيعه و الاستمرار عليه أو ساير الحقوق الواجبه عليهم.

الفصل الثالث فى الوصيّه بما لا يزال يوصى به و الاشاره إلى أحكام البغاه

إجمالاـ و هو قوله عليه السّلام (اوصيكم عباد اللّه بتقوى اللّه) الّتى هى الزاد و بها المعاد (فانّها خير ما تواصى العباد به و خير عواقب الامور عند اللّه) يعنى أنّها خير أواخر الامور لكونها خير ما ختم به العمل فى دار الدّنيا أو أنّ عاقبتها خير العواقب (و قد فتح باب الحرب بينكم و بين أهل القبله) أى الاخذين بظاهر الاسلام (و لا يحمل هذا العلم) أى العلم بوجوب قتال أهل القبله و بشرايطه و فى بعض النّسخ هذا العلم محرّكه فيكون إشاره إلى حرب أهل القبله و القيام به أى لا يحمل علم الحرب و لا يحارب (إلاّـ أهل البصر و الصبر) أى أهل البصيره و العقل و أهل الصّبر و التحمّل على المكاره (و العلم بمواقع الحقّ) و ذلك لأنّ المسلمين كانوا يستعظمون حرب أهل القبله و من أقدم منهم عليه أقدم على خوف و حذر، فقال عليه السّلام إنّ هذا العلم ليس يدركه كلّ أحد و إنّما له قوم مخصّصون.

قال الشّافعى: لولا علىّ عليه السّلام لما علم شيء من أحكام أهل البغى و هو كما قال (فامضوا لما تؤمرون به و قفوا عند ما تنهون عنه و لا تعجلوا فى أمر) و لا تسرعوا فى إنكاره و ردّه إذا استبعدتموه بأوهامكم (حتّى تتبيّنوا) و تثبّتوا و تسألوا عن فايدته و علّته (فانّ لنا مع كلّ أمر تنكرونه) و تستبعدونه (غيرا).

قال الشّارح المعتزلى أى لست كعثمان اصرّ على ارتكاب ما أنهى عنه بل أغير كلّ ما ينكره المسلمون و يقتضى الحال و الشرع تغييره.

و قال الشارح البحرانى: أى إنّ لنا مع كلّ أمر تنكرونه قوّه على التغيير إن لم يكن فى ذلك الأمر مصلحه فى نفس الأمر فلا تسرعوا إلى إنكار أمر لفعله حتى تسألوا عن فائدته فانه يمكن أن يكون انكاركم لعدم علمكم بوجهه.

قال العلاّمه المجلسىّ «ره» و يمكن أن يكون المعنى أنّ لنا مع كلّ أمر تنكرونه تغييرا أى ما يغيّر إنكاركم، و يمنعكم عنه من البراهين السّاطعه أو الأعم منها و من السّيوف القاطعه إن لم ينفعكم البراهين.

أقول: و ذلك مثل ما وقع منه فى أمر الخوارج فانّهم لمّا نقموا عليه ما نقموا روّعهم عن الانكار عليه بالبيانات الشافيه و الحجج الوافيه حتّى ارتدع منهم ثمانيه

ص:۱۶۲

آلاف و كانوا اثنى عشر ألفا و لمّا أصرّ الباقون و هم أربعه آلاف على اللّجاج، و لم ينفعهم الاحتجاج، قطع دابرهم بسيف يفلق الهام، و يطيح السواعد و الأقدام.

تذر الجماجم ضاحيا هاماتها بله الأكفّ. كأنّها لم تخلق

حسب ما عرفته تفصيلا فى شرح الخطبه السادسه و الثلاثين و غيرها.

ثمّ أخذ فى التنفير عن الدّنيا و التّزهيد فيها بقوله (ألا و إنّ هذه الدّنيا) الاتيان باسم الاشاره للتحقير كما فى قوله تعالى: «أَ هذَا الَّذِي يَذْكُرُ آلِهَتَكُمْ »، و فى الاتيان بالموصول أعنى قوله:(الّتى أصبحتم تتمنّونها و ترغبون فيها و أصبحت تغضبكم و ترضيكم) تنبيه على خطاء المخاطبين، و توبيخ لهم بأنّهم يرغبون فى شيء يخلصون المحبّه له و هو لا يراعى حقّهم بل يغضبهم تاره، و يرضيهم اخرى و نظير هذا الموصول المسوق للتنبيه على الخطاء ما فى قوله:

إنّ الّذين ترونهم إخوانكم يشفى غليل صدورهم أن تصرعوا

يعنى أنّ هذه الدّنيا مع تمنّيكم لها و فرط رغبتكم فيها و مع عدم إخلاصها المحبّه لكم (ليست بداركم) الّتى يحقّ أن تسكنوا فيها (و لا منزلكم الذى خلقتم له) و للاقامه فيه (و لا الّذى دعيتم إليه) و إلى التوطن فيه (ألا و إنّها ليست بباقيه لكم و لا تبقون عليها) و إلى هذا ينظر قوله عليه السّلام:

أرى الدّنيا ستؤذن بانطلاق مشمّره على قدم و ساق

فلا الدّنيا بباقيه لحىّ و لا حىّ على الدّنيا بباق

يعنى أنّها دار فناء لا تدوم لأحد و لا يدوم أحد فيها (و هى و إن غرّتكم منها) بما زينتكم من زخارفها و إغفالكم عن فنائها (فقد حذّرتكم شرّها) بما أرتكم من آفاتها و فنائها و ما ابتليتم فيها من فراق الأحبّه و الأولاد و نحوها (فدعوا غرورها) اليسير (لتحذيرها) الكثير (و أطماعها) الكاذب (لتخويفها) الصّادق.

(و سابقوا فيها) بالخيرات و الأعمال الصّالحات (إلى الدّار الّتى دعيتم إليها) و هى الجنّه الّتى عرضها الأرض و السّماوات (و انصرفوا بقلوبكم عنها) إلى ما لم يخطر على قلب بشر ممّا تشتهيه الأنفس و تلذّ الأعين و جميع الامتيّات(و لا يحنن أحدكم حنين الأمه على ما زوى)و صرف(عنه منها)و هو نهى عن الأسف على الدّنيا

و الحزن و البكاء على ما فاته منها، و قبض عنه من قيناتها و زخارفها.

و التشبيه بحنين الأمه لأنّ الاماء كثيرا ما يضربن و يبكين و يسمع الحنين منهنّ و الحرائر يأنفن من البكاء و الحنين (و استتمّوا نعمه اللّه عليكم بالصّبر على طاعه اللّه) أى بالصبر و التحمّل على مشاقّ العبادات أو بالصبر على المصائب و البلايا طاعه له سبحانه، و على أىّ حال فهو من الشكر الموجب للمزيد (و) به يطلب تمام النعمه فى الدنيا و الاخره كما قال عز من قائل: «إِنَّما يُوَفَّى الصّٰابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسٰابٍ » كما يطلب تمامها ب (المحافظه على ما استحفظكم من كتابه) أى بالمواظبه على ما طلب منكم حفظه و المواظبه عليه من التكاليف الشرعيّه الوارده فى كتابه العزيز لأنّ المواظبه على التكاليف و الطاعات سبب عظيم لافاضه النعماء و الخيرات.

و أكّد الأمر بالمحافظه بقوله (ألا و إنّه لا يضرّكم تضييع شيء من دنياكم بعد حفظكم قائمه دينكم) لعلّ المراد بقائمه الدّين اصوله و ما يقرب منها و على كون الاضافه بيانيّه فالمراد بقائمته نفس الدّين إذ به قوام أمر الدّنيا و الاخره.

ثمّ نبّه على عدم المنفعه فى الدّنيا مع فوات الدّين فقال:(ألا و إنّه لا ينفعكم بعد تضييع دينكم شيء حافظتم عليه من أمر دنياكم) و ذلك واضح لأنّ أمور الدّنياويّه مع تضييع الدّين لا تنتفع بشيء منها فى الاخره البته.

و ختم الكلام بالدّعاء لنفسه و لهم و قال:(أخذ اللّه بقلوبنا و قلوبكم إلى الحقّ) و هدانا إلى سلوك سبيله (و ألهمنا و إيّاكم الصبر) على مصيبته و طاعته و معصيته لأنّ من صبر عند المصيبه حتى يردّها بحسن عزائها كتب اللّه له ثلاثمأه درجه ما بين الدّرجه الى الدّرجه كما بين السماء و الأرض، و من صبر على الطاعه كتب اللّه له ستمائه درجه ما بين الدّرجه الى الدّرجه كما بين تخوم الأرض إلى العرش، و من صبر عن المعصيه كتب اللّه له تسعمائه درجه ما بين الدّرجه إلى الدّرجه كما بين تخوم الأرض إلى منتهى العرش.

رواه فى الوسائل من الكافى عن أمير المؤمنين عليه السّلام عن النبىّ صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و قد تقدّم روايته مع أخبار اخر فى فضل الصبر فى شرح الخطبه الخامسه و السّبعين و وعدنا هناك إشباع الكلام فيه أى فى الصبر و فضله و أقسامه فها نحن الان نفى بما وعدناك بتوفيق من اللّه سبحانه و من منّه.

ص:۱۶۴

فاقول: إنّ الصبر على ما عرفت فيما تقدّم عباره عن ملكه راسخه فى النفس يقتدر معها على تحمّل المكاره و قد أكثر اللّه سبحانه من مدحه فى كتابه العزيز، و بشّر الصّابرين و ذكّرهم فى آيات تنيف على سبعين قال سبحانه: «إِنَّما يُوَفَّى الصّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسابٍ »، و قال: «وَ بَشِّرِ الصّابِرِينَ اَلَّذِينَ إِذا أَصابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قالُوا إِنّا لِلّهِ وَ إِنّا إِلَيْهِ راجِعُونَ »، و قال: «وَ جَعَلْنا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنا لَمّا صَبَرُوا »، و قال:

«وَ جَزاهُمْ بِما صَبَرُوا جَنَّةً وَ حَرِيراً »، إلى غير هذه مما لا نطيل بذكرها.

و أما الأخبار فى فضله و فضل الصّابرين فهى فوق حدّ الاحصاء منها ما فى الكافى عن العلاء بن الفضيل عن أبى عبد اللّه عليه السّلام قال: الصّبر من الايمان بمنزله الرأس من الجسد فاذا ذهب الرأس ذهب الجسد كذلك إذا ذهب الصّبر ذهب الايمان.

و عن أبى بصير قال: سمعت أبا عبد اللّه عليه السّلام يقول إنّ الحرّ حرّ على جميع أحواله إن نابته نائبه صبر لها و إن تداكّت عليه المصائب لم يكسره و إن اسر و قهر و استبدل باليسر عسرا كما كان يوسف الصديق الأمين عليه السّلام لم يضرره حريّته أن استعبد و قهر و اسر و لم يضرره ظلمه الجبّ و وحشته و ما ناله أن منّ اللّه جلّ و عزّ عليه فجعل الجبّار العاتى له عبدا بعد إذ كان مالكا فأرسله و رحم به اللّه و كذلك الصّبر يعقّب خيرا فاصبروا و وطّنوا أنفسكم على الصّبر توجروا.

و عن حمزه بن حمران عن أبى جعفر عليه السّلام قال: الجنّه محفوفه بالمكاره و الصّبر، فمن صبر على المكاره فى الدّنيا دخل الجنّه، و جهنّم محفوفه باللّذات و الشهوات فمن أعطى نفسه لذّتها و شهوتها دخل النّار.

و عن سماعه بن مهران عن أبى الحسن عليه السّلام قال: قال لى: ما حبسك عن الحجّ؟ قال: قلت: جعلت فداك وقع علىّ دين كثير و ذهب مالى، و دينى الّذى قد لزمنى هو أعظم من ذهاب مالى فلولا أنّ رجلا من أصحابى أخرجنى ما قدرت أن أخرج فقال عليه السّلام: إن تصبر تغتبط و إلاّ تصبر ينفذ اللّه مقاديرها راضيا كنت أم كارها.

و عن أبى حمزه الثمالى قال: قال لى أبو عبد اللّه عليه السّلام من ابتلى من المؤمنين ببلاء فصبر عليه كان له مثل أجر ألف شهيد.

و عن محمّد بن عجلان قال: كنت عند أبى عبد اللّه عليه السّلام فشكى إليه رجل الحاجه

فقال: اصبر فانّ اللّه سيجعل لك فرجا قال: ثمّ سكت ساعه ثمّ أقبل على الرجل فقال: أخبرنى عن سجن الكوفه كيف هو؟ فقال: أصلحك اللّه ضيّق منتن و أهله بأسوء حال، قال عليه السّلام: فانّما أنت فى السجن فتريد أن تكون فيه فى سعه أما علمت أنّ الدّنيا سجن المؤمن، إلى غير هذه ممّا لا نطيل بذكرها.

فان قلت: ما معنى قوله فى الحديث الأوّل الصّبر من الايمان بمنزله الرّأس من الجسد؟ قلت: لما كان قوام الجسد و تمامه و كماله إنّما هو بالرأس و به يتمّ تصرّفاته و يتمكّن من الاثار المترتّبه عليه لا جرم شبّه عليه السّلام الصّبر بالرّأس و الايمان بالجسد لأنّ كمال الايمان و تمامه إنما هو به، أمّا على القول بأنّ الايمان عباره عن مجموع العقائد الحقّه و الأعمال فواضح، و أمّا على القول بأنّ العمل ليس جزء منه بل هو شرط الكمال فلأنّ الجسد إنّما يكمل بالرأس كما أنه يوجد بوجوه، فوجه الشّبه هو وصف الكمال فقط و لا يجب فى تشبيه شيء بشيء وجود جميع أوصاف المشبّه به فى المشبّه.

و لكنّ الظاهر من قوله: كذلك إذا ذهب الصبر ذهب الايمان هو كون العمل هو جزء من الايمان المستلزم ذهابه لذهابه الاّ أن يراد منه الايمان بالكمال و قد تقدّم تحقيق الكلام فيه فيما سبق.

و مما ذكرنا أيضا ظهر وجه ما روى عن النبيّ صلّى اللّه عليه و آله من أنّ الصبر نصف الايمان و ذلك لأنّ الايمان إذا كان عباره عن مجموع المعارف اليقينيّه الحقّه و عن العمل بمقتضى تلك المعارف، فيكون حينئذ مركبا منهما، و معلوم أنّ العمل أعنى المواظبه على الطاعات و الكفّ عن المعاصى لا يحصل إلاّ بالصبر على مشاقّ الطاعه لليقين بكونها نافعه، و ترك لذائذ المعصيه لليقين بكونها ضارّه فعلى هذا الاعتبار يصحّ كونه نصف الايمان.

و ذكر الغزالى له وجها آخر محصّله أن يجعل المراد من الايمان الأحوال المشمئزه للأعمال و جميع ما يلاقى العبد ينقسم إلى ما ينفعه فى الدّنيا و الاخره أو يضرّه فيهما، و له بالاضافه إلى ما يضرّه حال الصبر، و بالاضافه إلى ما ينفعه حال الشكر، فيكون الصبر أحد شطرى الايمان كما أنّ الشكر شطره الاخر و لذلك

روى عن النبىّ صلّى اللّه عليه و آله مرفوعا الايمان نصفان: نصف صبر، و نصف شكر.

ثم ان الصبر تختلف أساميه باختلاف موارده و بالاضافه إلى ما يصبر عنه من مشتهيات الطبع و مقتضيات الهوى، و ما يصبر عليه مما ينفرّ عنه الطبع من المكاره و الاذى.

فان كان صبرا عن شهوه الفرج و البطن، سمّى عفه، و إن كان فى مصيبه اقتصر على اسم الصّبر و تضادّه حاله تسمى الجزع، و إن كان فى احتمال الغنى سمّى ضبط النفس و يضادّه البطر، و إن كان فى حرب و مقاتله سمّى شجاعه و يضادّه الجبن و إن كان فى كظم الغيظ و الغضب سمّى حلما و يضادّه التذمّر و السفه و إن كان فى نائبه من نوائب الزّمان سمّى سعه الصّدر و يضادّه الضجر و ضيق الصّدر، و إن كان فى إخفاء كلام سمّى كتمان السرّ و إن كان عن فضول العيش سمّى زهدا، و يضادّه الحرص و إن كان على قدر يسير من الحظوظ سمّى قناعه و يضادّه الشّره.

و بالجمله فأكثر مكارم الايمان داخل فى الصّبر و لأجل ذلك لمّا سئل النبىّ صلّى اللّه عليه و آله مرّه عن الايمان فقال: هو الصّبر لأنه اكثر أعماله و أعزّها هذا.

و أما أقسامه فقد فصّلها أبو حامد الغزالى فى كتاب احياء العلوم و ملخّصها أنّ جميع ما يلقى العبد فى هذه الحياه لا يخلو من نوعين أحدهما هو الّذى يوافق هواه و الاخر هو الّذى يخالفه، و هو محتاج إلى الصبر فى كلّ منهما فهو إذا لا يستغنى قطّ عن الصّبر.

النوع الاول ما يوافق الهوى و هو الصّحه و السلامه و المال و الجاه و كثره العشيره و اتساع الاسباب و كثره الأتباع و الأنصار و جميع ملاذّ الدّنيا و ما أحوج العبد إلى الصبر على هذه الامور فانه إن لم يضبط نفسه عن الرّكون إليها و الانهماك فى ملاذّها المباحه أخرجه ذلك إلى البطر و الطغيان، فانّ الانسان ليطغى أن رآه استغنى.

النوع الثانى ما لا يوافق الهوى و هو على ثلاثه أقسام لأنه إمّا أن يرتبط باختيار العبد كالطاعات و المعاصى، و إمّا أن لا يرتبط باختياره كالالام و المصائب و إمّا أن لا يرتبط باختياره و لكن له اختيار فى إزالته كالتشفّى من المؤذى بالانتقام منه.

أما القسم الاول و هو ما يرتبط باختيار العبد فعلى ضربين.

الضرب الأول الطاعات و العبد يحتاج إلى الصبر عليها، و التحمّل عن مشاقّها

لأنّ النفس بالطبع تنفرّ عن العبوديّه و تشتهى الرّبوبيّه، و لذلك قال بعض العارفين ما من نفس إلّا و هى مضمره ما أظهره فرعون من قوله «أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلى‌» و لكن فرعون وجد له مجالا و قبولا من قومه، فأظهره و أطاعوه و ما من أحد إلّا و يدعى ذلك مع عبده و خادمه و أتباعه و كلّ من هو تحت قهره و طاعته و إن كان ممتنعا من إظهاره.

ثمّ نفره النّفس عن العباده إمّا بسبب الكسل كالصّلاه و إمّا بسبب البخل كالزكاه أو بسببهما كالحجّ و الجهاد و العبد محتاج إلى الصّبر فى جميعها.

الضرب الثانى المعاصى و تركها و الكفّ عنها أصعب عن النفس لرغبتها بالطبع إليها فيحتاج إلى الصبر عنها و أشدّ أنواع الصبر عن المعاصى الصبر على المعاصى المألوفه المعتاده كحصائد الألسنه من الكذب و الغيبه و البهتان و نحوها فمن لم يتمكن من الصّبر عنها فيجب عليه العزله و الانفراد لأنّ الصّبر على الانفراد أهون من الصّبر على السكوت مع المخالطه، و تختلف شدّه الصّبر فى آحاد المعاصى باختلاف دواعى المعصيه قوّه و ضعفا.

و أما القسم الثانى و هو ما لا يرتبط باختيار العبد أصلا فكالمصائب و البلايا و الالام و الأسقام من فقد الأحبّه و موت الأعزّه و ذهاب المال و تبدّل الصحّه بالمرض و الغنى بالفقر، و البصر بالعمى، و غيرها و الصّبر على هذه هو الذى بشّر الموصوفون به فى الايه الكريمه بقوله سبحانه: «وَ لَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْ‌ءٍ مِنَ الْخَوْفِ وَ الْجُوعِ وَ نَقْصٍ مِنَ الْأَمْوالِ وَ الْأَنْفُسِ وَ الثَّمَراتِ وَ بَشِّرِ الصّابِرِينَ اَلَّذِينَ إِذا أَصابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قالُوا إِنّا لِلّهِ وَ إِنّا إِلَيْهِ راجِعُونَ‌» و أوحى سبحانه إلى داود عليه السّلام يا داود: تريد و اريد و إنّما يكون ما اريد فان سلّمت لما اريد كفيتك ما تريد و إن لم تسلم لما اريد أتعبتك فيما تريد ثمّ لا يكون إلّا ما اريد.

و أما القسم الثالث و هو ما لا يرتبط هجومه باختياره و له اختيار فى دفعه كما لو اوذى بفعل أو قول و جنى عليه فى نفسه أو ماله أو نحو ذلك فالصّبر على ذلك بترك المكافاه، و الانتقام تاره يكون واجبا و تاره يكون مندوبا قال تعالى:

«وَ إِنْ عاقَبْتُمْ فَعاقِبُوا بِمِثْلِ ما عُوقِبْتُمْ بِهِ وَ لَئِنْ صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصّابِرِينَ‌».

و عن الانجيل قال عيسى بن مريم عليه السّلام: لقد قيل لكم من قبل إنّ السنّ

بـالسنّ و الأنـف بالأنف و أنا أقول لكم لا تقاوموا الشـرّ بالشرّ بل من ضـرب خـدّك الأيمن فحوّل إليه الخـدّ الأيسـر و من أخذ رداءك فأعطه إزارك و من سخّرك لتسير معه ميلا فسر معه ميلين، و كلّ ذلك أمر بالصّبر على الأذى.

و فی الكافی عن حفص بن غياث قال: قال أبو عبد اللّه عليه السّلام يا حفص: إنّ من صبر صبر قليلا و إنّ من جزع جزع قليلا. ثمّ قال: عليك بالصّبر فی جميع اموركك فانّ اللّه عزّ و جلّ بعث محمّدا صلّى اللّه عليه و آله فأمره بالصبر و الرفق فقال: «وَ اصْبِرْ عَلى ما يَقُولُونَ وَ اهْجُرْهُمْ هَجْراً جَمِيلاً وَ ذَرْنِی وَ الْمُكَذِّبِينَ أُولِی النَّعْمَهِ» و قـال تبـارك و تعـالى: «اِدْفَعْ بِالَّتِی هِیَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِی بَيْنَكَ وَ بَيْنَهُ عَداوَهٌ كَأَنَّهُ وَلِیٌّ حَمِيمٌ وَ ما يُلَقّاها إِلاَّ الَّذِينَ صَبَرُوا وَ ما يُلَقّاها إِلاّ ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ».

فصبر رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله حتّى نالوه بالعظائم و رموه بها فضاق صـدره فأنزل اللّه جلّ و عزّ «وَ لَقَـدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِـيقُ صَدْرُكَ بِما يَقُولُونَ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَ كُنْ مِنَ السّاجِدِينَ».

ثمّ كـذّبوه و رموه فحزن لـذلك صلّى اللّه عليه و آله و سلّم فـأنزل اللّه عزّ و جـلّ: «قَـدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ لَيَحْزُنُكَ الَّذِی يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لا يُكَذِّبُونَكَ وَ لكِنَّ الظّالِمِينَ بِآياتِ اللّهِ يَجْحَدُونَ وَ لَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ فَصَبَرُوا عَلى ما كُذِّبُوا وَ أُوذُوا حَتّى أَتاهُمْ نَصْـرُنا» فألزم النبیّ صلّى اللّه عليه و آله و سلّم نفسه الصّبر فتعـدّوا، فذكروا اللّه عزّ و جلّ و كذبوه فقال: قد صبرت فی نفسـی و أهلی و عرضی و لا صبر لی على ذكر إلهی فأنزل اللّه عزّ و جلّ:

«وَ لَقَدْ خَلَقْنَا السَّماواتِ وَ الْأَرْضَ وَ ما بَيْنَهُما فِی سِتَّهِ أَيّامٍ وَ ما مَسَّنا مِنْ لُغُوبٍ فَاصْبِرْ عَلى ما يَقُولُونَ» فصبر صلّى اللّه عليه و آله و سلّم فی جميع أحواله.

ثمّ بشّر فی عترته بالأئمه و وصفوا بالصّبر فقال جلّ ثناؤه «وَ جَعَلْنا مِنْهُمْ أَئِمَّهً يَهْدُونَ بِأَمْرِنا لَمّا صَبَرُوا وَ كانُوا بِآياتِنا يُوقِنُونَ» فعند ذلـك قـال النّبیّ صلّى اللّه عليه و آله الصبر من الايمـان كالرأس من الجسـد، فشـكر اللّه عزّ و جلّ له فأنزل اللّه: «وَ تَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ الْحُسْـنى عَلى بَنِی إِسْـرائِيلَ بِما صَبَرُوا وَ دَمَّرْنا ما كانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَ قَوْمُهُ وَ ما كانُوا يَعْرِشُونَ» فقال النبیّ صلّى اللّه عليه و آله إنّه بشرى و انتقام.

فأباح اللّه عزّ و جلّ قتال المشركين فأنزل: «فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَ خُذُوهُمْ وَ احْصُرُوهُمْ وَ اقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ » و «اُقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ » فقتلهم اللّه على يدى رسوله صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و أحبائه و جعل له ثواب صبره «و عجّل اللّه الثواب خ» مع ما ادّخر له فى الاخره فمن صبر و احتسب لم يخرج من الدّنيا حتّى يقرّ اللّه جلّ و عزّ عينه فى أعدائه مع ما يدّخر له في الاخره.

اللّهمّ اجعلنا صابرين على بلائک، راضين بقضائک، شاكرين على نعمائک، متمسّكين بالعروه الوثقى و الحبل المتين من ولايه أوليائک محمّد و عترته الطّاهرين صلواتک عليهم أجمعين.

الترجمه

از جمله خطب شريفه آن ولى ربّ العالمين و وصىّ خاتم النبيّين است متضمّن مدايح حضرت رسالت صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و مبيّن بعض وظايف امامت و مشتمل بر فضيلت تقوى و پرهيزكارى و مذمّت بيوفائى دنياى فانى مى فرمايد:

پيغمبر خدا صلّى اللّه عليه و آله امين وحى پروردگار است، و ختم كنندۀ پيغمبران حضرت آفريدگار، و مژده دهنده است برحمت او، و ترساننده است از عقوبت آن، اى مردمان بدرستى قابل و لايق مردمان باين أمر خلافت قوى ترين ايشان است بر او و داناترين ايشان است بأوامر خدا در آن، پس اگر كسى مهيّج شرّ و فساد بشود طلب مى شود رجوع او بسوى حق، و اگر امتناع نمايد بايد مقاتله بشود.

قسم بزندگانى خودم اگر باشد امامت اين كه منعقد نباشد تا اين كه حاضر بشود عموم خلايق نيست بسوى او هيچ طريق، و ليكن أهل امامت حكم ميكنند بهر كس كه غايب بشود در مجلس بيعت پس از آن نيست حاضر را اين كه رجوع نمايد از بيعتى كه نموده و نه غايب را اين كه صاحب اختيار باشد.

آگاه باشيد كه بدرستى كه من مقاتله ميكنم با دو كس يكى آنكه ادّعا نمايد چيزى را كه حقّ او نيست و ديگرى آنكه منع نمايد حقّى را كه بر ذمۀ او است.

ص:١٧٠

وصیّت میکنم من شما را ای بندگان خدا بتقوی و پرهیزکاری خدا پس بدرستی که آن تقوی بهترین چیزیست که وصیت کرده اند بندگان بان، و بهترین عواقب اموراتست نزد خدا، و بتحقیق مفتوح شد باب جنگ در میان شما و در میان أهل قبله، و حامل نمی شود این علم بوجوب قتال أهل قبله را مگر أهل بصیرت و صبر، و مگر صاحب علم بمواضع حق پس امضاء بکنید هر چیزی را که مأمور می شوید بان و توقف نمائید نزد چیزی که نهی کرده می شوید از آن، و تعجیل نکنید در کاری تا این که درست بفهمید حقیقت آن را پس بدرستی که ما راست با هر چیزی که شما انکار نمائید آن را تغییر و تبدیلی.

آگاه باشید بدرستی که این دنیا که صباح کردید شما در حالتی که آرزو می کنید آنرا و رغبت می نمائید در آن، و صباح کرد آن در حالتی که شما را گاهی بغضب می آورد و گاهی خوشنود می نماید، نیست آن خانه شما و نه منزل شما که خلق شده اید از برای آن منزل، و نه جائی که خوانده شده اید بسوی آن.

آگاه باشید که آن دنیا باقی نخواهد ماند از برای شما، و نه شما باقی خواهید ماند بر آن، و آن اگر چه مغرور ساخته است شما را از طرف خود، پس بتحقیق که ترساننده است شما را از شرّ خود، پس ترک نمائید فریفتن آنرا از برای ترساندن آن، و طمع آوردن او را از برای تخویف آن، و سبقت نمائید در آن بسوی خانه که دعوت شده اید بسوی آن و رجوع نمائید با قلبهای خودتان از آن دنیا.

و البته باید ناله نکند هیچ یک از شما مثل ناله کردن کنیز به آن چه که بر چیده شده است از او از دنیا، و طلب نمائید تمامیّت نعمت خدا را بر خودتان با صبر کردن بر طاعت خدا و با محافظت کردن بر چیزی که خدا طلب کرده است از شما محافظت آنرا در کتاب عزیز خود.

آگاه باشید بدرستی که ضرر نمی رساند بشما ضایع نمودن چیزی از دنیای خودتان بعد از این که شما حفظ نموده باشید ستون دین خود را، آگاه باشید که بدرستی که منفعت نمی بخشد بشما بعد از ضایع کردن دین خود چیزی که محافظت

نمائید بان از أمر دنیای خود.

فرا گیرد خدای تبارک و تعالی قلبهای ما و قلبهای شما را بسوی حق و إلهام فرماید بما و شما صبر و بردباری را.

و من خطبه له علیه السّلام فی معنی طلحه بن عبید اللّه

اشاره

و هی المأه و الثالثه و السبعون من المختار فی باب الخطب

قد کنت و ما أهدّد بالحرب، و لا أرهّب بالضّرب، و أنا علی ما وعدنی ربّی من النّصر، و اللّه ما استعجل متجرّدا للطّلب بدم عثمان إلّا خوفا من أن یطالب بدمه، لأنّه مظنّته، و لم یکن فی القوم أحرص علیه منه، فأراد أن یغالط بما أجلب فیه لیلبّس الأمر، و یقع الشّکّ، و و اللّه ما صنع فی أمر عثمان واحده من ثلاث: لئن کان ابن عفان ظالما کما کان یزعم لقد کان ینبغی له أن یوازر قاتلیه و أن ینابذ ناصریه، و لئن کان مظلوما کان ینبغی له أن یکون من المنهنهین عنه، و المعذرین فیه، و لئن کان فی شکّ من الخصلتین لقد کان ینبغی له أن یعتزله و یرکد جانبا و یدع النّاس معه فما فعل واحده من الثّلاث، و جاء بأمر لم یعرف بابه و لم تسلم معاذیره.

اللغه

(تجرّد) زيـد لأمره جدّ فيه و (مظنّه) الشيء بكسر الظّاء الموضع الّذى يظنّ فيه وجوده (و أجلب) فيه قال ابن الأثير فى محكيّ النّهايه فى حديث علىّ عليه السّلام أراد أن يغالط بما أجلب فيه يقال أجلبوا عليه إذا تجمّعوا و تألّبوا و أجلبه أى أعانه و أجلب عليه إذا صاحه و استحثّه (و لبس) عليه الأمر يلبسه من باب حسب خلطه و ألبسه غطاه و أمر ملبس و ملتبس بالأمر مشتبه و (نهنهه) عن الأمر كفّه و زجره و (عذرته) فيما صنع أى رفعت عنه اللّوم فهو معذور أى غير ملوم و أعذرته لغه.

و قال الشّارح البحرانى المعذرين بالتّخفيف المعتذرين عنه و بالتّشديد المظهرين للعذر مع أنّه لا عذر.

الاعراب

قوله عليه السّلام: قد كنت قال الشارح المعتزلى كان هنا تامّه أى خلقت و وجدت و أنا بهذه الصفه و يجوز أن تكون الواو زايده و يكون كان ناقصه و خبرها ما اهدّد كما فى المثل «لقد كنت و ما أخشى الذئب» و جمله و أنا على ما وعدنى يحتمل الحال و الاستيناف.

المعنى

قال الشارح البحرانى و هذا الفصل من كلام قاله عليه السّلام حين بلغه خروج طلحه و الزبير إلى البصره و تهديدهم له عليه السّلام بالحرب.

أقول: و قد مضى فى شرح الخطبه الثانيه و العشرين ما ينفعك ذكره فى هذا المقام إذ الخطبتان مسوقتان لغرض واحد، و متطابقتان فى بعض الفقرات، فليراجع ثمّه.

إذا عرفت ذلك ظهر لك أنّ قوله عليه السّلام (قد كنت و ما اهدّد بالحرب و لا أرهّب بالضرب) جواب عن تهديدهم له و ترهيبهم إيّاه، فقد بعثوا إليه عليه السّلام أن أبرز للطعان و اصبر للجلاد فأجاب عليه السّلام بأنّ التهديد و الترهيب إنّما هو فى حقّ الجبان

ص:۱۷۳

الضعيف الجاش لا فى حقّ الشجعان ذوى النّجده و المراس و حاله عليه السّلام فى الشجاعه كان أمرا قد اشتهر، و بان و ظهر، و تضمّنته الأخبار و السّير فاستوى فى العلم به البعيد و القريب، و اتّفق على الاقرار به البغيض و الحبيب. و من كان هذا شأنه فلا يليق له التخويف و الترغيب.

و أكّد الجواب بقوله (و أنا على ما وعدنى ربّى من النّصر) يعنى أنّى على يقين بما وعدنى ربّى من النصره و الغلبه، و من كان قاطعا بذلك فلا يحذر و لا يخاف البته.

ثمّ أشار إلى نكته خروج طلحه إلى البصره بقوله (و اللّه ما استعجل متجرّدا للطلب بدم عثمان) أى مجدّا فيه (إلّا خوفا من أن يطالب بدمه) يعنى أنّ علّه خروجه و استعجاله فى طلب الدّم و تجرّده له ليست ما شهره بين الناس من أنّ عثمان قتل مظلوما و يجب الانتصار للمظلوم من الظالم حسبه، و إنّما علّته هو الخوف على نفسه من أن يطالب من دمه (لأنّه) كان (مظنّته و لم يكن فى القوم أحرص عليه) أى على دم عثمان (منه) لما قد عرفت فى شرح الخطبه الثانيه و العشرين و شرح الكلام الثلاثين أنّه كان أوّل من ألّب الناس على عثمان و أغرى بدمه و أشدّهم إجلابا عليه.

و أقول: هنا مضافا إلى ما سبق أنّه قال الشارح المعتزلى قد كان طلحه أجهد نفسه فى أمر عثمان و الاجلاب عليه و الحصر له و الاغراء به، و منّته نفسه الخلافه، بل تلبّس بها و تسلّم بيوت الأموال و أخذ مفاتيحها و قابل الناس و أحدقوا به و لم يبق إلّا أن يصفق بالخلافه على يده.

قال الشارح و روى المداينى فى كتاب مقتل عثمان أنّ طلحه منع من دفنه ثلاثه أيّام و أنّ عليا عليه السّلام لم يبايع الناس إلّا بعد قتل عثمان بخمسه أيّام و أنّ حكيم ابن حزام و جبير بن مطعم استنجدا بعلىّ عليه السّلام على دفنه فأقعد طلحه لهم فى الطريق ناسا بالحجاره فخرج به نفر يسير من اهله و هم يريدون به حايطا بالمدينه تعرف بحشّ كوكب، كانت اليهود يدفن فيه موتاهم فلما صار هنا رجم سريره و همّوا بطرحه

فأرسل علىّ عليه السّلام إلى الناس يعزم عليهم لتكفّوا عنه فكفّوا، فانطلقوا به حتّى دفنوه فى حش كوكب.

قال و روى الواقدى قال لما قتل عثمان تكلّموا فى دفنه فقال طلحه: يدفن بدير سلع يعنى مقابر اليهود.

و بالجمله فهو كما قال عليه السّلام لم يكن فى القوم أحرص على قتل عثمان منه لكنه أراد أن يشبه على الناس (فأراد أن يغالط) أى يوقع فى الغلط (بما أجلب فيه) أى بسبب اعانته فى دمه و حثّه على قتله (ليلبس الأمر) و يخلطه و فى نسخه البحرانى ليلتبس الأمر أى يشتبه (و يقع الشكّ) فى دخوله فى قتله ثمّ احتجّ عليه السّلام و أبطل عذره فى الخروج و الطلب بدمه بقضيّه شرطيّه منفصله محصّلها أنّ عثمان عنده و على زعمه إمّا أن يكون ظالما أو مظلوما و إمّا أن يكون مجهول الحال، و على كلّ من التقادير الثلاثه كان اللاّزم عليه القيام بما يقتضيه مع أنه لم يقم به كما يفصح عنه قوله عليه السّلام مؤكّدا بالقسم البارّ (و و اللّه ما صنع فى أمر عثمان) خصله (واحده من) خصال (ثلاث) هى مقتضيات التقادير الثلاثه الّتى اشرنا إليها إجمالا و أشار إلى تفصيلها بقوله (لئن كان ابن عفّان ظالما) ظلما يوجب حلّ دمه (كما كان يزعم) ذلك حين قتله (لقد كان ينبغى له) و يجب عليه (أن يوازر قاتليه) أى يساعدهم و يحامى عنهم بعد قتل عثمان (و أن ينابذ ناصريه) و يعاندهم و يتركهم بوجوب الانكار على فاعل المنكر مع أنّه قد عكس الأمر لأنّه نابذ قاتليه و وازر ناصريه، و ثار معهم فى طلب دمه (و لئن كان مظلوما) محرّم القتل كما يقوله الان و يشهّره بين النّاس لقد (كان ينبغى له أن يكون من المنهنهين عنه و المعذرين فيه و لئن كان فى شكّ من الخصلتين لقد كان ينبغى له أن يعتزله و يركد) أى ليكن (جانبا) أى يتباعد عنه و لا يأمر بقتله و لا ينهى عنه (و يدع الناس معه) يفعلون ما يشاءون مع أنّه لم يفعل ذلك أيضا بل أضرم نار الفتنه و صلى بها و أصلاها غيره (فما فعل واحده من الثلاث و جاء بأمر لم يعرف بابه و لم تسلم معاذيره) أى أتى بأمر لم يعرف وجهه و اعتذر فى نكثه و خروجه بمعاذير لم تكن سالمه إذ قد عرفت فى تضاعيف الشرح

أنّ عمده معذرته في البغي و الخروج هو المطالبه بدم عثمان و أنّه قتل مظلوما و قد أبطل عليه السّلام اعتذاره بذلك هنا بما عرفت.

الترجمه

از جملهٔ خطب شریفهٔ آن بزرگوار است که توجیه خطاب در آن بسوی طلحه ابن عبید اللّه خذله اللّه است می فرماید:

بتحقیق که موجود بودم در حالتی که تهدید کرده نشده ام بجنگ و تخویف کرده نشده ام بزدن، و من ثابت هستم بر چیزی که وعده داده است مرا پروردگار من از نصرت و یاری، و بحقّ خدا تعجیل نکرد طلحه در حالتی که مجدّ و مصرّ بود از برای مطالبهٔ خون عثمان مگر از برای ترس از این که مطالبه کرده شود بخون او، از جهت این که او مورد تهمت آن خون بود، و نبود در میان قوم حریص تر بر قتل عثمان از طلحه، پس خواست او که مردم را بغلط افکند بسبب اعانت و جمع آوری او در قتل آن تا این که بپوشد و خلط نماید امر را بر مردمان، و واقع شود شک.

و بحق خدا ننمود طلحه در کار عثمان یکی از سه خصلت را اگر بود پسر عفان ظالم و ستم کار چنانچه طلحه گمان می برد هر آینه بود سزاوار او را آنکه حمایت بکند قاتلین آن را، یا دشمنی آشکارا نماید با ناصرین آن، و اگر بود مظلوم و ستم رسیده هر آینه بود سزاوار از برای او آنکه باشد از باز دارندگان مردم از کشتن او و از عذر آورند کان در حق او، و اگر بود در شک از این دو خصلت یعنی در ظالمیّت و مظلومیّت عثمان هر آینه بود سزاوار مر او را آنکه اعتزال ورزد و بایستد در کنار و بگذارد مردمان را با عثمان بحال خودشان، پس نکرد هیچ یک از این سه کار را و آورد کاری را که شناخته نشد در آن و بسلامت نماند عذر خواهی های او.

ص:۱۷۶

و من خطبه له عليه السّلام و هى المأه و الرابعه

اشاره

و السبعون من المختار فى باب الخطب

أيّها الغافلون غير المغفول عنهم، و التّاركون المأخوذ منهم، ما لى أريكم من اللّه ذاهبين، و إلى غيره راغبين، كأنّكم نعم أراح بها سائم إلى مرعى وبىّ، و مشرب دوىّ، إنّما هى كالمعلوفه للمدى لا- تعرف ما ذا يراد بها إذا أحسن إليها، تحسب يومها دهرها، و شبعها أمرها، و اللّه لو شئت أن أخبر كلّ رجل منكم بمخرجه و مولجه و جميع شأنه لفعلت، و لكن أخاف أن تكفروا فىّ برسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم ألا و إنّى مفضيه إلى الخاصّه ممّن يؤمن ذلك منه، و الّذى بعثه بالحقّ و اصطفاه على الخلق ما أنطق إلّا صادقا، و لقد عهد إلىّ بذلك كلّه و بمهلك من يهلك و منجى من ينجو و مال هذا الأمر، و ما أبقى شيئا يمرّ على رأسى إلّا- أفرغه فى أذنىّ، و أفضى به إلىّ، أيّها النّاس و اللّه ما أحثّكم على طاعه إلّا و أسبقكم إليها، و لا أنهيكم عن معصيه إلّا و أتناهى قبلكم عنها.

اللغه

(النعم) بالتحريك جمع لا واحد له من لفظه و أكثر اطلاقه على الابل

ص:۱۷۷

و (أراح) الابـل ردّهـا إلى المراح و هـو بـالضمّ مـأوى الماشـيه باللّيـل و بالفتـح الموضع الّـذى يروح منه القوم أو يروحون إليه و (سامت) الماشـيه سوما رعت بنفسـها فهى سائمه و تتعـدّى بالهمزه فيقال أسامها راعيها أى أرعيها و (الوبىّ) بالتشديد ذو الوباء و المرض و أصـله الهمزه و (الـدّوى) ذو الـداء و الأصل فى الـدوىّ دوى بالتخفيف و لكنّه شدّد للازدواج قال الجوهرى: رجل دو بكسر الواو أى فاسد الجوف من داء و (المدى) بالضمّ جمع مديه و هى السكين و (الشبع) وزان عنب ضدّ الجوع.

الاعراب

غير المغفول صـفه للغافلون و صـحّه كون غير صفه للمعرفه مع توغّله فى النكاره و عدم قبوله للتعريف و لو اضيف إلى المعارف من حيث إنّه لم يرد بالغافلين طائفه معيّنه فكان فيه شائبه الابهام و صحّ بذلك وصفه بالنكره كما فى قوله: «صِراطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ » على قول من يجعل غير وصـفا للّذين لا بدلا منه، و الاسـتفهام فى قوله: ما لى أراكم، للتعجّب كما فى قوله: «ما لِيَ لا أَرَى الْهُدْهُدَ » و سائم فاعل أراح كما يستفاد من شـرح البحرانى، أو صـفه للفاعل المحذوف كما يستفاد من شرح المعتزلى و العلاّمه المجلسىّ «ره».

و قوله: تحسب يومها دهرها و شـبعها أمرها، الظاهر أنّ يومها ثانى مفعول تحسب و كـذلك شـبعها و التقـديم على الأوّل لقصـد الحصر.

المعنى

اشاره

اعلم أنّ مدار هذه الخطبه الشريفه على فصلين:

الفصل الاول

فى ايقاظ الغافلين و تنبيه الجاهلين من رقده الغفله و الجهاله

و هو قوله:

(أيّها الغافلون غير المغفول عنهم) الظاهر أنّ الخطاب لكلّ من اتّصف

بالغفله من المكلّفين أى الّذين غفلوا عمّا اريد منهم من المعارف الحقّه و التكاليف الشرعيه و لم يغفل عنهم و عمّا فعلوا، لكون أعمالهم مكتوبه محفوظه فى اللّوح المحفوظ و صحائف الأعمال و كلّ ما فعلوه فى الزبر و كلّ صغير و كبير مستطر (و التاركون) لما امروا به من الفرائض و الواجبات (المأخوذ منهم) ما اغترّوا به من الأهل و المال و الزخارف و القينات(ما لى أراكم عن اللّه ذاهبين)كنايه عن اعراضهم عن اللّه سبحانه و التفاتهم إلى غيره تعالى (و إلى غيره راغبين) إشاره إلى رغبتهم فى زهره الحياه الدّنيا و إعجابهم بها.

(كأنّكم نعم أراح بها سائم إلى مرعى وبىّ و مشرب دوىّ) شبّههم بأنعام ذهب بها سائم إلى مرعى و مشرب وصفهما ما ذكر و المرادبالسائمحيوان يسوم و يرعى و هو المستفاد من الشارح المعتزلى حيث قال: شبّههم بالنّعم الّتى تتبع نعما اخرى سائمه أى راعيه، و إنما قال ذلك لأنّها إذا تبعت أمثالها كان أبلغ فى ضرب المثل بجهلها من الابل الّتى يسميها راعيها، انتهى.

و فسّره الشارح البحرانى بالراعى أى الّذى يراعى النعم و يحفظها و يواظب عليها من الرعايه و هو المراعاه و الملاحظه قال: شبّههم بالنّعم الّتى أراح بها راعيها إلى مرعى كثير الوباء و الدّاء، و وجه الشبه أنهم لغفلتهم كالنّعم و نفوسهم الأمّاره القائده لهم إلى المعاصى كالراعى القائد إلى المرعى الوبىّ و لذات الدّنيا و مشتهياتها و كون تلك اللّذات و المشتهيات محلّ الاثام الّتى هى مظنّه الهلاك الاخروى و الداء الدّوىّ تشبه المرعى الوبىّ و المشرب الدوىّ انتهى.

أقول: و هذا أقرب لفظا و ما قاله الشارح المعتزلى أقرب معنى، و ذلك لأنّ لفظ السائم على قول المعتزلى بمعنى الراعى من الرعى و هذا لا غبار عليه من حيث المعنى إلاّ أنه يحتاج حينئذ إلى حذف الموصوف أى حيوان سائم و نحوه و هو خلاف الأصل، و أمّا على قول البحرانى فلا حاجه إلى الحذف إلاّ أنّ كون السائم بمعنى الراعى من الرعايه مما لم يقل به أحد، و كيف كان فالمقصود تشبيههم بأنعام اشتغلت بالماء و الكلاء و غفلت عمّا فى باطنهما من السمّ الناقع و دوى الدّاء.

ص:۱۷۹

(إنما هى كالمعلوفه للمدى) و السكاكين (لا تعرف ما ذا يراد بها إذا احسن إليها) أى تزعم و تظنّ أنّ العلف إحسان إليها على الحقيقه و لا تعرف أنّ الغرض من ذلك هو الذبح و الهلاك (تحسب يومها دهرها) يعنى أنها لكثره إعجابها لعلفها فى يومها تظنّ أنّ دهرها مقصور على ذلك اليوم ليس لها وراءه يوم آخر، و قيل معناه أنها تظنّ أنّ ذلك العلف و الاطعام كما هو حاصل لها ذلك اليوم يكون حاصلا لها أبدا.

(و شبعها أمرها) أى تظنّ انحصار أمرها و شأنها فى الشبع مع أنّ غرض صاحبها من إطعامها و إشباعها أمر آخر.

الفصل الثانى

اشاره

فى الاشاره إلى بعض مناقبه الجميله و مقاماته الجليله

و هو قوله:

(و اللّه لو شئت أن اخبر كلّ رجل منكم بمخرجه و مولجه و جميع شأنه لفعلت) اى لو أشاء لأخبر كلّ واحد منكم بأنّه من اين خرج و أين دخل و كيفيّه خروجه و ولوجه و اخبر بجميع شأنه و شغله من أفعاله و أقواله و مطعمه و مشربه و ما أكله و ما ادّخره فى بيته و غير ذلك مما أضمروه فى قلوبهم و أسرّوه فى ضمائرهم كما قال المسيح عليه السّلام: «أُنَبِّئُكُمْ بِما تَأْكُلُونَ وَ ما تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ ».

(و لكن أخاف أن تكفروا فىّ برسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم) قال الشارح المعتزلى:

أى أخاف عليكم الغلوّ فى أمرى و أن تفضّلونى على رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله، بل أخاف عليكم أن تدّعوا فىّ الإلهيّه كما ادّعت النصارى ذلك فى المسيح لمّا أخبرهم بامور الغايبه و مع أنّه قد كتم ما علمه حذرا من أن يكفروا فيه برسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله فقد كفر كثير منهم و ادّعوا فيه النبوّه و ادّعوا فيه أنّه شريك الرّسول فى الرّساله و ادّعوا فيه أنّه هو كان الرسول و لكن الملك غلط فيه و ادّعوا أنّه الّذى بعث محمّدا صلّى اللّه عليه و آله الى النّاس و ادّعوا فيه الحلول و ادّعوا فيه الاتّحاد و لم يتركوا نوعا من أنواع الضلاله فيه إلاّ و قالوه و اعتقدوه.

ص:۱۸۰

أقول: و يحتمل أن يكون مراده عليه السّلام بكفرهم فيه كفرهم باسناد التقصير إلى النبىّ صلّى اللّه عليه و آله فى إظهار جلالته عليه السّلام و علوّ شأنه و سموّ مقامه، و من ذلك أنّ النبىّ صلّى اللّه عليه و آله لما أفصح عن بعض فضايله عليه السّلام نسبه المنافقون إلى الضلال و إلى أنّه ينطق عن الهوى حتّى كذّبهم اللّه تعالى فقال: «وَ ما يَنْطِقُ عَنِ الْهَوى إِنْ هُوَ إِلاّ وَحْيٌ يُوحى ».

روى فى الصّافى من المجالس عن ابن عباس قال: صلّينا العشاء الاخره ذات ليله مع رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم فلمّا سلّم أقبل علينا بوجهه ثمّ قال: إنه سينقض كوكب من السّماء مع طلوع الفجر فيسقط فى دار أحدكم فمن سقط ذلك الكوكب فى داره فهو وصيّى و خليفتى و الامام بعدى، فلما كان قرب الفجر جلس كلّ واحد منّا فى داره ينتظر سقوط الكوكب فى داره و كان أطمع القوم فى ذلك أبى العبّاس بن عبد المطلب، فلما طلع الفجر انقضّ الكوكب من الهوا فسقط فى دار علىّ بن أبى طالب عليه السّلام، فقال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله لعلىّ عليه السّلام: يا علىّ و الّذى بعثنى بالنبوّه لقد وجبت لك الوصيّه و الامامه و الخلافه بعدى، فقال المنافقون عبد اللّه بن أبىّ و أصحابه لقد ضلّ محمّد فى محبّه ابن عمّه و غوى و ما ينطق فى شأنه إلاّ بالهوى، فأنزل اللّه تبارك و تعالى: «وَ النَّجْمِ إِذا هَوى » يقول عزّ و جلّ و خالق النّجم إذا هوى «ما ضَلَّ صاحِبُكُمْ » يعنى فى محبّه علىّ بن أبى طالب عليه السّلام «وَ ما غَوى وَ ما يَنْطِقُ عَنِ الْهَوى » يعنى فى شأنه «إِنْ هُوَ إِلاّ وَحْيٌ يُوحى ».

و من هذا الباب أيضا ما فى الكافى عن أبى بصير قال: بينا رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله جالس إذ أقبل أمير المؤمنين عليه السّلام فقال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم: إنّ فيك شبها من عيسى بن مريم عليه السّلام لو لا أن يقول فيك طوايف من امّتى ما قالت النصارى فى عيسى بن مريم عليه السّلام لقلت فيك قولا لا تمرّ بملاء من النّاس إلاّ أخذوا التراب من تحت قدمك، قال:

فغضب الاعرابيّان و المغيره بن شعبه و عدّه من قريش معهم فقالوا: ما رضى أن يضرب لابن عمّه مثلا إلاّ عيسى بن مريم، فأنزل اللّه على نبيّه «وَ لَمّا ضُرِبَ ابْنُ مَرْيَمَ مَثَلاً إِذا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ وَ قالُوا أَ آلِهَتُنا خَيْرٌ أَمْ هُوَ ما ضَرَبُوهُ لَكَ إِلاّ جَدَلاً بَلْ هُمْ قَوْمٌ »

«خَصِمُونَ إِنْ هُوَ إِلاّ عَبْدٌ أَنْعَمْنا عَلَيْهِ وَ جَعَلْناهُ مَثَلاً لِبَنِي إِسْرائِيلَ وَ لَوْ نَشاءُ لَجَعَلْنا مِنْكُمْ » يعنى من بنى هاشم «مَلائِكَةً فِي الْأَرْضِ يَخْلُفُونَ » قال: فغضب الحارث بن عمرو الفهرى فقال: «اَللّهُمَّ إِنْ كانَ هذا هُوَ الْحَقَّ مِنْ عِنْدِكَ » إنّ بنى هاشم يتوارثون هرقلا بعد هرقل(١) «فَأَمْطِرْ عَلَيْنا حِجارَةً مِنَ السَّماءِ أَوِ ائْتِنا بِعَذابٍ أَلِيمٍ » فأنزل اللّه عليه مقاله الحارث و نزلت هذه الايه «وَ ما كانَ اللّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَ أَنْتَ فِيهِمْ وَ ما كانَ اللّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ » ثمّ قال عليه السّلام له يا بن عمرو إمّا تبت و إمّا رحلت، فدعى براحلته فركبها فلما صار بظهر المدينه أتته جندله فرضّت هامته فقال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله لمن حوله من المنافقين: انطلقوا إلى صاحبكم فقد أتانا استفتح، قال اللّه عزّ و جل «وَ اسْتَفْتَحُوا وَ خابَ كُلُّ جَبّارٍ عَنِيدٍ » هذا.

و لما ذكر أنّ إخباره ببعض المغيبات مؤدّ إلى الكفر و الضلال لقصور الاستعداد و القابليّه لاكثر النفوس البشريّه عن تحمّل الأسرار الغيبيّه استدرك ذلك بقوله (إلا و انّى مفضيه) أى مفض به و موصل له و مؤدّ إياه (إلى الخاصّه) أى إلى خواصّ أصحابى (ممّن يؤمن ذلك) أى الغلوّ و الكفر (منه) بما له من الاستعداد (و الّذى بعثه) أى رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله (بالحقّ و اصطفاه على الخلق ما انطق إلاّ صادقا و لقد عهد إليّ) رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم (بذلك كلّه) أى بجميع ما اخبر به (و بمهلك من يهلك و منجى من ينجو) أى بهلاك الهالكين و نجاه النّاجين أو بمكان هلاكهم و مكان نجاتهم أو زمانهما.

و المراد بالهلاك إمّا الهلاك الدّنيوى أى الموت أو القتل أو الهلاك الاخروى أعنى الضلال و الشقاء و كذلك النجاه (و) ب (مال هذا الأمر) أى أمر الخلافه أو الدّين و ملك الاسلام و ماله انتهائه بظهور القائم و ما يكون فى آخر الزمان (و ما أبقى) أى الرّسول صلّى اللّه عليه و آله و سلّم (شيئا يمرّ على رأسى) من اغتصاب الخلافه و خروج النّاكثين و القاسطين و المارقين و قتالهم و من الشهاده بضربه ابن ملجم المرادى لعنه اللّه و غير ذلك مما جرى عليه بعده (إلاّ أفرغه) أى صبّه (فى اذنى و أفضى

١- (١) أى ملكا بعد ملك و الهرقل ملك الروم منه ()

به) أی أوصله و ألقاه (إلیّ) و أعلمنی به و أسرّه إلیّ.

ثمّ قال:(أیها النّاس و اللّه ما أحثّکم علی طاعه إلاّ أسبقکم إلیها و لا أنهاکم عن معصیه إلاّ و أتناهی قبلکم عنها) لأنّ الأمر بالمعروف بعد الاتیان به و النّهی عن المنکر بعد التّناهی عنه أقوی تأثّرا و أکثر ثمرا کما مرّ فی شرح الفصل الثانی من الخطبه المأه و الرّابعه، و قد لعن الامرین بالمعروف التارکین له و الناهین عن المنکر العاملین به فی الخطبه المأه و التاسعه و العشرین.

تبصره

ما تضمّنه ذیل هذه الخطبه من علمه علیه السّلام بالغیب قد مرّ تحقیق الکلام فیه فی شرح الفصل الثانی من الخطبه المأه و الثّامنه و العشرین و أوردنا ثمّه بعض اخباره الغیبیّه و قدّمنا فصلا مشبعا من اخباره عن الغیوب فی شرح الکلام السادس و الخمسین و شرح الخطبه الثانیه و التسعین، و أحببت أن أورد طرفا صالحا منها هنا مما یناسب المقام نقلا من کتاب مدینه المعاجز تألیف السّیّد السند الشارح المحدّث السیّد هاشم البحرانی قدّس سرّه فأقول:

منها ما رواه عن ابن شهر آشوب بسنده عن إسماعیل بن أبی زیاد قال: إنّ علیّا علیه السّلام قال للبراء بن عازب: یا براء یقتل ابنی الحسین علیه السّلام و أنت حیّ لا تنصره، فلما قتل الحسین علیه السّلام کان البراء یقول: صدق و اللّه أمیر المؤمنین علیه السّلام و جعل یتلهّف و منها ما رواه عن ابن شهر آشوب عن سفیان بن عیینه عن طاوس الیمانی أنّه قال علیّ علیه السّلام لحجر البدری: یا حجر إذا وقعت علی منبر صنعاء و امرت بسبّی و البراءه منّی قال: فقلت: أعوذ باللّه من ذلک، قال علیه السّلام و اللّه إنّه لکائن، فاذا کان کذلک فسبّنی و لا تتبرّء منّی فانه من تبرّء منّی فی الدّنیا تبرّأت منه فی الاخره.

قال طاوس فأخذه الحجّاج علی أن یسبّ علیّا علیه السّلام فصعد المنبر و قال:

أیّها النّاس إنّ أمیرکم هذا أمرنی أن ألعن علیّا فالعنوه لعنه اللّه.

ص:۱۸۳

و منها ما رواه عن ابن شهر آشوب عن عبد اللّه بن أبى رافع قال: حضرت أمير المؤمنين عليه السّلام و قد وجّه أبا موسى الأشعرى فقال له احكم بكتاب اللّه و لا تجاوزه، فلما أدبر قال عليه السّلام و كأنّى به و قد خدع، قلت: يا أمير المؤمنين فلم توجهه و أنت تعلم أنّه مخدوع؟ فقال عليه السّلام: يا بنىّ لو عمل اللّه فى خلقه بعلمه ما احتجّ عليهم بالرّسل.

و منها ما رواه عن ابن شهر آشوب أنه عليه السّلام أخبر بقتل جماعه منهم حجر بن عدىّ و رشيد الهجرى و كميل بن زياد و ميثم التّمار و محمّد بن اكثم و خالد بن مسعود و حبيب بن المظاهر و حويرثه و عمرو بن الحمق و مزرع و غيرهم، و وصف قاتلهم و كيفيّه قتلهم. عبد العزيز بن صهيب عن أبى العاليه قال: حدّثنى مزرع بن عبد اللّه قال: سمعت أمير المؤمنين عليه السّلام يقول أما و اللّه ليقبلنّ جيش حتى إذا كان بالبيداء خسف بهم فقلت: هذا علم غيب، قال: و اللّه ليكونّ ما أخبرنى به أمير المؤمنين عليه السّلام و ليأخذنّ رجل فليقتلنّ و ليصلبنّ بين شرفتين من شرف هذا المسجد، فقلت:

هذا ثان، قال حدّثنى الثقه المأمون علىّ بن أبى طالب عليه السّلام قال أبو العاليه فما أتت علينا جمعه حتى اخذ مزرع و صلب بين الشرفتين.

و منها ما رواه عن البرسى عن محمّد بن سنان و ساق الحديث قال: سمعت أمير المؤمنين عليه السّلام يقول لعمر(۱): يا عمر يا مغرور إنى أراك فى الدّنيا قتيلا بجراحه من عبد امّ معمر تحكم عليه جورا فيقتلك توقيعا يدخل بذلك الجنّه على رغم منك.

و منها ما رواه عن ثاقب المناقب عن إبراهيم بن محمّد الأشعرى عمّن رواه قال إنّ أمير المؤمنين عليه السّلام أراد أن يبعث بمال إلى البصره فعلم ذلك رجل من أصحابه فقال لو أتيته فسألته أن يبعث معى بهذا المال فاذا دفعه إلىّ أخذت طريق المكرجه فذهبت به، فأتاه عليه السّلام و قال: بلغنى أنك تريد أن تبعث بمال إلى البصره، قال: نعم قال: فادفعه إلىّ فابلغه تجعل لى ما تجعل لمن تبعثه فقد عرفت صحبتى قال: فقال

۱- (۱) أى عمر بن الخطاب.

له أمير المؤمنين عليه السّلام: خذ طريق المكرجه.

و منها ما رواه عن الخصيبى فى هدايته باسناده عن فضيل بن الزبير قال:

مرّ ميثم التمار على فرس له فاستقبل حبيب بن مظاهر عند مجلس بنى أسد فتحدّثا حتّى التقت أعناق فرسيهما، ثمّ قال حبيب: لكأنّى برجل أصلع ضخم البطن يبيع البطيخ عند دار الرّزق و قد صلب فى حبّ أهل بيت رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و يبقر بطنه على الخشبه، فقال ميثم: و إنّى لأعرف رجلا أحمر له ضفيرتان يخرج لنصره ابن بنت نبيّه فيقتل و يجال برأسه بالكوفه و اجيز الّذى جاء به ثمّ افترقا، فقال أهل المجلس: ما رأينا أعجب من أصحاب أبى تراب يقولون إنّ عليا عليه السّلام أعلمهم بالغيب، فلم يفترق أهل المجلس حتّى أقبل رشيد الهجرى ليطلبهما فسأل أهل المجلس عنهما فقالوا قد افترقا و سمعناهما يقولان كذا و كذا، قال رشيد لهم: رحم اللّه ميثما و حبيبا قد نسى أنّه يزاد فى عطاء الّذى يجىء برأسه مأئه درهم، ثمّ ولّى، فقال أهل المجلس: هذا و اللّه أكذبهم، فما مرّت الأيّام حتّى رأى أصحاب المجلس ميثما مصلوبا على باب عمرو بن حريث، و جىء برأس حبيب بن مظاهر من كربلا و قد قتل مع الحسين بن علىّ عليهما السّلام إلى عبيد اللّه بن زياد لعنه اللّه، و زيد فى عطاء الذى حمل رأس حبيب مأئه درهم كما ذكر و رؤى كلّما قاله أصحاب أمير المؤمنين عليه السّلام أخبرهم به أمير المؤمنين عليه السّلام.

و منها ما رواه عن الخصيبى مسندا عن أبى حمزه الثّمالى عن جابر بن عبد اللّه الأنصارى قال: أرسل رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم سريه فقال: تصلون ساعه كذا و كذا من اللّيل أرضا لا تهتدون فيها سيرا فاذا وصلتم إليها فخذوا ذات الشمال فانكم تمرّون برجل فاضل خيّر فتسترشدونه فيأبى أن يرشدكم حتّى تأكلوا من طعامه و يذبح لكم كبشا فيطعمكم ثمّ يقوم معكم فيرشدكم على الطريق فاقرءوه منّى السّلام و أعلموه أنّى قد ظهرت فى المدينه.

فمضوا فلمّا وصلوا إلى الموضع فى الوقت ضلّوا، فقال قائل منهم: ألم يقل لكم رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله خذوا ذات الشمال، ففعلوا فمرّوا بالرجل الّذى وصفه رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله فاسترشدوه الطريق فقال: إنّى لا ارشدكم حتّى تأكلوا من طعامى فذبح لهم كبشا فأكلوا من طعامه و قام معهم فأرشدهم الطريق فقال: أظهر النبىّ صلوات اللّه عليه و آله

بالمدينه؟ فقالوا: نعم، فأبلغوه سلامه فخلّف فى شأنه من خلّف و مضى إلى رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم، و هو عمرو بن الحمق الخزاعى ابن الكاهن بن حبيب بن عمرو بن القين بن درّاج بن عمرو بن سعد بن كعب، فلبث معه عليه السّلام ما شاء اللّه.

ثمّ قال له رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله ارجع إلى الموضع الذى هاجرت إلىّ منه فاذا نزل أخى أمير المؤمنين عليه السّلام الكوفه و جعلها دار هجرته فاته.

فانصرف عمرو بن الحمق إلى شأنه حتّى إذا نزل أمير المؤمنين عليه السّلام أتاه فأقام معه فى الكوفه.

فبينا أمير المؤمنين عليه السّلام جالس و عمرو بين يديه فقال له يا عمرو ألك دار؟ قال: نعم، قال: بعها و اجعلها فى الأزد فانى غدا لو قد غبت عنكم لطلبت فتتبعك الأزد حتّى تخرج من الكوفه متوجّها نحو الموصل.

فتمرّ برجل نصرانىّ فتقعد عنده فتستسقيه الماء فيسقيكه و يسألك عن شأنك فتخبره و ستصادفه مقعدا فادعه إلى الاسلام فانّه يسلم فاذا أسلم فامرر بيدك على ركبتيه فانّه ينهض صحيحا سليما، و يتبعك.

و تمرّ برجل محجوب جالس على الجادّه فتستسقيه الماء فيسقيك و يسألك عن قصّتك و ما الّذى أخافك و ممّن تتوقع فحدّثه بأنّ معاويه طلبك ليقتلك و يمثل بك لايمانك باللّه و رسوله صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و طاعتك لى و إخلاصك فى ولايتى و نصحك للّه تعالى فى دينك فادعه إلى الاسلام فانّه يسلم، فامرر يدك على عينيه فانه يرجع بصيرا باذن اللّه فيتّبعانك و يكونان معك و هما اللّذان يواريان جثّتك فى الأرض.

ثمّ تصير إلى الدّير على نهر يدعى بالدّجله فانّ فيه صديقا عنده من علم المسيح عليه السّلام ما تجده لك أعون الأعوان على سرّك و ما ذاك إلّا ليهديه اللّه لك فاذا أحسّت بك شرطه ابن امّ الحكم و هو خليفه معاويه بالجزيره و يكون مسكنه بالموصل فاقصد إلى الصّديق الذى فى الدّير فى أعلى الموصل فناده فانه يمتنع عليك فاذكر اسم اللّه الذى علّمتك إيّاه فانّ الدّير يتواضع لك حتّى تصير فى ذروته فاذا رآك ذلك الراهب الصديق قال لتلميذ معه ليس هذا أوان المسيح هذا شخص كريم و محمّد قد

توفاه اللّه و وصيّه قد استشهد بالكوفه و هذا من حواريه ثمّ يأتيک ذليلا خاشعا فيقول لک أيّها الشخص العظيم قد أهلتنى لما لم استحقّه فبم تأمرنى؟ فتقول استر تلميذى هذين عندک و تشرف على ديرک هذا فانظر ما ذا ترى، فاذا قال لک إنّى أرى خيلا غامره نحونا.

فخلّف تلميذيک عنده و انزل و ارکب فرسک و اقصد نحو غار على شاطىء الدّجله تستتر فيه فانّه لا بدّ من أن يسترک و فيه فسقه من الجنّ و الانس، فاذا استترت فيه عرفک فاسق من مرده الجنّ يظهر لک بصوره تنّين فينهشک نهشا يبالغ فى اضعافک فينفر فرسک فتبدر بک الخيل فيقولون هذا فرس عمرو و يقفون اثره.

فاذا أحسست بهم دون الغار فابرز إليهم بين دجله و الجادّه فقف لهم فى تلک البقعه فانّ اللّه جعلها حفرتک و حرمک فالقهم بسيفک فاقتل منهم ما استطعت حتّى يأتيک أمر اللّه فاذا غلبوک حزّوا رأسک و شهروه على قناه إلى معاويه و رأسک أوّل رأس يشهر فى الاسلام من بلد إلى بلد.

ثمّ بکى أمير المؤمنين عليه السّلام و قال: بنفسى ريحانه رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و ثمره فؤاده و قرّه عينه ابنى الحسين فانّى رأيته يسير و ذراريه بعدک يا عمرو من کربلا بغربى الفرات إلى يزيد بن معاويه عليهما لعنه اللّه.

ثمّ ينزل صاحبک المحجوب و المقعد فيواريان جسدک فى موضع مصرعک و هو من الدير و الموصل على مأئه و خمسين خطوه من الدّير.

إلى غير هذه مما لا نطيل برواياتها، و قد وضح و اتّضح لک مما أوردناه من الاخبار تصديق ما ذکره عليه السّلام فى هذه الخطبه من علمه عليه السّلام بالغيب و أنه يعلم أعمال الناس و أفعالهم و يطلع على ما أعلنوه و ما أسرّوه، و يعرف مهلک من يهلک و منجى من ينجو، و يخبر من ذلک ما يتحمّل على من يتحمّل من خواصّه و بطانته سلام اللّه عليه و آله و شيعته.

الترجمه

از جملهٔ خطب شريفه آن برگزيده پروردگار و وصىّ رسول مختار است

در نصیحت مخاطبین و اظهار بعض مناقب خود می فرماید.

ای غافلانی که غفلت کرده نشده از رفتار و کردار ایشان، و ای ترک کنندگان تکالیف خود که أخذ خواهد شد از ایشان آنچه بایشان داده اند از متاع دنیا، چیست مرا که می بینم شما از خداوند تبارک و تعالی کنار روندگانید و بسوی غیر او رغبت کنندگان، گویا که شما چهار پایانید که برده باشد شبانگاه آنها را بسوی چراگاه و با آرنده و شرابگاه بیمار کننده جز این نیست که آن چهار پایان مثل حیوانی می باشند که علف داده شده از برای کاردها یعنی از برای کشتن که نمی شناسند چه چیز اراده می شود به آنها چون احسان می شود به آنها، گمان میکنند که روزگار ایشان همین روز ایشان است و بس، و می پندارند که کار ایشان منحصر بسیر بودن آنها است، قسم بخدا اگر بخواهم که خبر دهم هر مردی را از شما بمکان خروج و محلّ دخول آن و بهمه شغل و شأن آن هر اینه ممکن است بمن این کار، و لکن می ترسم که کافر شوید در حق من برسول مختار صلّی اللّه علیه و آله آگاه باشید بدرستی که من رساننده ام این اخبار غیبی را بخواص أصحاب خود از آن اشخاصی که أیمنی شده باشد این کفر از ایشان.

و قسم بذاتی که مبعوث فرموده پیغمبر را براستی و برگزیده او را بجمیع خلق سخن نمی گویم مگر در حالت راستی و صدق و بتحقیق که عهد فرموده حضرت رسالت صلّی اللّه علیه و آله و سلّم بسوی من بهمهٔ این اخبار و بهلاکت کسی که هلاك می شود و بنجات یافتن کسی که نجات خواهد یافت، و به عاقبت این امر خلافت و باقی نگذاشت چیزی را که خواهد گذشت بر سر من از حوادث روزگار مگر این که ریخت آنرا در گوشهای من و رسانید آن را بمن، أی مردمان بحق خدا تحریص نمی کنم شما را بر طاعتی مگر این که سبقت می نمایم بشما بسوی آن طاعت، و نهی نمیکنم شما را از معصیتی مگر این که خود داری میکنم پیش از شما از آن معصیت.

و من خطبه له عليه السّلام و هى المأه و الخامسه

اشاره

و السبعون من المختار فى باب الخطب

قال الشارح البحراني: روى انّ هذه الخطبه من أوائل الخطب التى خطب بها أيّام بويع بعد قتل عثمان، و شرحها فى فصلين:

الفصل الاول

اشاره

انتفعوا ببيان اللّه، و اتّعظوا بمواعظ اللّه، و اقبلوا نصيحه اللّه فإنّ اللّه قد أعذر إليكم بالجليّه، و اتّخذ عليكم بالحجّه، و بيّن لكم محابّه من الأعمال و مكارهه منها لتتّبعوا هذه و تجتنبوا هذه، فإنّ رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم كان يقول: إنّ الجنّه حفّت بالمكاره و إنّ النّار حفّت بالشّهوات. و اعلموا أنّه ما من طاعه اللّه شىء إلاّ يأتى فى كره، و ما من معصيه اللّه شىء إلاّ يأتى فى شهوه، فرحم اللّه رجلا نزع عن شهوته، و قمع هوى نفسه، فإنّ هذه النّفس أبعد شىء منزعا، و إنّها لا تزال تنزع إلى معصيه فى هوى. و اعلموا عباد اللّه أنّ المؤمن لا يصبح و لا يمسى إلاّ و نفسه ظنون عنده، فلا يزال زاريا عليها و مستزيدا لها، فكونوا كالسّابقين قبلكم،

و الماضين أمامكم، قوّضوا من الدّنيا تقويض الرّاحل، و طووها طىّ المنازل. و اعلموا أنّ هذا القرآن هو النّاصح الّذى لا يغشّ، و الهادى الّذى لا يضلّ، و المحدّث الّذى لا يكذب، و ما جالس هذا القرآن أحد إلّا قام عنه بزياده أو نقصان، زياده فى هدى، و نقصان من عمى. و اعلموا أنّه ليس على أحد بعد القرآن من فاقه، و لا لأحد قبل القرآن من غنى، فاستشفوه من أدوائكم، و استعينوا به على لاوائكم، فإنّ فيه شفاء من أكبر الدّاء و هو الكفر و النّفاق و الغىّ و الضّلال، فاسئلوا اللّه به، و توجّهوا إليه بحبّه، و لا تسئلوا به خلقه، إنّه ما توجّه العباد بمثله إلى اللّه. و اعلموا أنه شافع مشفّع، و قائل مصدّق، و أنّه من شفع له يوم القيمه شفّع فيه، و من محل به القرآن يوم القيمه صدّق عليه، فإنّه ينادى مناد يوم القيمه: ألا و إنّ كلّ حارث مبتلى فى حرثه و عاقبه عمله، غير حرثه القرآن فكونوا من حرثته و أتباعه، و استدلّوه على ربّكم، و استنصحوه على أنفسكم، و اتّهموا عليه آرائكم، و استغشّوا فيه أهواءكم.

ص:۱۹۰

العمل العمل، ثمّ النّهايه النّهايه، و الاستقامه الاستقامه، ثمّ الصّبر الصّبر، و الورع الورع، إنّ لكم نهايه فانتهوا إلى نهايتكم، و إنّ لكم علما فاهتدوا بعلمكم، و إنّ للإسلام غايه فانتهوا إلى غايته، و اخرجوا إلى اللّه ممّا افترض عليكم من حقّه، و بيّن لكم من وظائفه، أنا شاهد لكم، و حجيج يوم القيمه عنكم، ألا و إنّ القدر السّابق قد وقع، و القضاء الماضى قد تورّد، و إنّى متكلّم بعده اللّه و حجّته، قال اللّه تعالى: «إِنَّ الَّذِينَ قالُوا رَبُّنَا اللّهُ ثُمَّ اسْتَقامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلائِكَهُ أَلّا تَخافُوا وَ لا تَحْزَنُوا وَ أَبْشِرُوا بِالْجَنَّهِ الَّتِى كُنْتُمْ تُوعَدُونَ »، و قد قلتم: ربّنا اللّه، فاستقيموا على كتابه، و على منهاج أمره، و على الطّريقه الصّالحه من عبادته، ثمّ لا تمرقوا منها، و لا تبتدعوا فيها، و لا تخالفوا عنها، فإنّ أهل المروق منقطع بهم عند اللّه يوم القيامه.

اللغه

(نزع) عن المعاصى نزوعا انتهى عنها و نزع عن الشىء نزوعا كفّ و قلع عنه و المنزع يحتمل المصدر و المكان و نزع الى أهله نزاعه و نزاعا اشتاق إليه، و نازعتنى نفسى إلى كذا اشتاقت إليه قال فى مجمع البحرين: فى الحديث النّفس الأمّاره أبعد شىء منزعا، أى رجوعا عن المعصيه اذ هى مجبوله على محبّه الباطل، و أمّا تفسير الشارح المعتزلى منزعا بمذهبا فلا يخفى بعده.

ص:۱۹۱

و (الظنون) و زان صبور إمّا مبالغه من الظنّه بالكسر بمعنى التهمه يقال:

ظننت فلانا أى اتّهمته فلا يحتاج حينئذ إلى الخبر أو بمعنى الضعيف و قليل الحيله و جعل الشارح المعتزلى الظنون بمعنى البئر لا يدرى فيها ماء أم لا غير مناسب للمقام و إن كان أحد معانيه.

و (قاض) البناء و قوضه أى هدمه أو التقويض نقض من غير هدم أو هو نقض الأعواد و الأطناب و (غشّه) يغشّه كمدّ يمدّ غشّا خلاف نصحه و (اللّأواء) و زان صحراء الشدّه و ضيق المعيشه و فى مجمع البحرين فى الحديث و من (محل به) القرآن يوم القيامه صدق أى سعى به يقال محل بفلان اذا قال عليه قولا يوقعه فى مكروه و (تورد) الخيل البلد دخله قليلا قليلا.

الاعراب

جمله قوّضوا استيناف بيانى لا محلّ لها من الاعراب، و أو فى قوله بزياده أو نقصان بمعنى الواو كما فى قوله: لنفسى تقاها أو عليها فجورها.

و يؤيّده قوله زياده فى هدى، و نقصان بالواو، أو أنّ الترديد لمنع الخلوّ و الفاء فى قوله: فاستشفوه فصيحه، و فى قوله: فانّ فيه شفاء للتعليل و قوله: العمل العمل و ما يتلوه من المنصوبات المكرّره انتصابها جميعا على الاغراء أو عامل النصب محذوف أى ألزموا العمل فحذف العامل و ناب أوّل اللّفظين المكرّرين منابه.

المعنى

اعلم أنّ مدار هذا الفصل من الخطبه الشريفه على الموعظه و النصيحه و ترغيب المخاطبين فى الطّاعات و تحذيرهم عن السّيئات و التنبيه على جمله من فضايل كتاب الكريم و خصايص الذكر الحكيم، و صدّر الفعل بالأمر بالانتفاع بأفضل البيانات و الاتّعاظ بأحسن المواعظ و القبول لأكمل النصايح فقال: «ج ۱۲»

(انتفعوا ببيان اللّه) أی بما بیّنه فی کتابه و علی لسان نبیّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم فانّه لقول فصل و ما هو بالهزل، و فیه تذکره و ذکری لاولی الألباب و هدی و بشری بحسن الماب فمنفعته أتمّ المنافع، و فایدته أعظم الفواید.

(و اتّعظوا بمواعظ اللّه) لتفوزوا جنّه النعیم و الفوز العظیم، و تنجوا من نار الجحیم و العذاب الألیم (و اقبلوا نصیحه اللّه) فانّها مؤدّیه إلی درجات الجنات منجیه من درکات الهلکات، و الاتیان بلفظ الجلاله و التصریح باسمه سبحانه فی جمیع الجملات مع اقتضاء ظاهر المقام للاتیان بالضمیر لایهام الاستلذاذ و لإدخال الرّوع فی ضمیر المخاطبین و تربیه المهابه و تقویه داعی المأمورین لامتثال المأمور به، و قول الشارح البحرانی بأنّ ذلک أی تعدیه الاسم صریحا للتعظیم فلیس بشیء.

و لما أمر بالاتّعاظ و الانتصاح علله (فانّ اللّه قد أعذر إلیکم بالجلیّه) یعنی أنّه سبحانه قد أبدی العذر الیکم فی عقاب العاصین منکم بالاعذار الجلیّه و البراهین الواضحه من الایات الکریمه لأنّه لا یکلّف نفسا إلّا ما اتیها لیهلک من هلک عن بیّنه و یحیی من حیّ عن بیّنه.

(و اتّخذ علیکم الحجّه) بارسال الرّسول و إنزال الکتاب یعنی أنّه أتمّ الحجّه علی المکلّفین بما اتاهم و عرّفهم حتی لا یکون لهم عذر فی ترک التکالیف و لا یکون للنّاس علیه حجّه بعد الرّسل قال عزّ من قائل: «وَ ما كُنّا مُعَذِّبِينَ حَتّى نَبْعَثَ رَسُولاً » (و بیّن لکم محابّه من الأعمال و مکارهه منها) أی بیّن فی کتاب العزیز الفرائض و الواجبات من الحجّ و الجهاد و الصوم و الصّلاه و غیرها من الأعمال الصّالحات المطلوبه له و المحبوبه عنده، و المحظورات من الکذب و الغیبه و النمیمه و السعایه و غیرها من الأفعال القبیحه المبغوضه له المکروهه لدیه.

و انّما بیّنها (لتتّبعوا هذه) أی محابّ الأعمال (و تجتنبوا هذه) أی مکارهها (فانّ رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله) تعلیل لوجوب اتّباع المحابّ و وجوب اجتناب المکاره (کان یقول: إنّ الجنّه حفّت بالمکاره و إن النّار حفّت بالشهوات) یعنی أنّ الجنّه محفوفه بالصبر علی مشاقّ الطاعات و الکفّ عن لذائذ السیّئات و کلاهما مکروه للنّفس،

ص:۱۹۳

فمن صبر على ذلک المکروه یکون مصیره إلی الجنّه و کذلک النار محفوفه باطلاق عنان النفس و ارتکاب ما تشتهیها و تتمناها من الشهوات و المحرّمات، فمن أقدم علیها و أتی بها یکون عاقبته إلی النار و کفی بالجنّه ثوابا و نوالا فی تسهیل تحمّل تلک المکاره، و کفی بالنار عقابا و وبالا فی التنفیر عن هذه الشهوات.

ثمّ بعد تسهیل المکاره التی یشتمل علیها الطاعات یکون غایتها أشرف الغایات و تحقیر الشهوات الّتی یرید التنفیر عنها یکون غایتها أخسّ الغایات نبّه علی أنّه لا تأتی طاعته إلاّ فی کره و لا معصیته إلاّ فی شهوه، و هو قوله (و اعلموا أنه ما من طاعه اللّه شیء إلاّ یأتی فی کره و ما من معصیه اللّه شیء إلاّ یأتی فی شهوه) لأنّ النّفس للقوّه الشهویّه أطوع من القوّه العاقله خصوصا فیما هو أقرب إلیها من اللّذات المحسوسه الّتی یلحقها العقاب علیها.

(فرحم اللّه رجلا نزع) و کفّ (عن شهوته و قمع) أی قلع (هوی نفسه فان هذه النفس) الأمّاره بالسوء (أبعد شیء منزعا) أی کفا و انتهاء عن شهوه و معصیه (و أنها لا تزال تنزع) أی تشتاق و تمیل (إلی معصیه فی هوی) نبّه علی وصف المؤمنین و کیفیّه معاملتهم مع نفوسهم جذبا للسامعین إلی التأسّی بهم و تحریصا لهم علی اقتفاء آثارهم و هو قوله:

(و اعلموا عباد اللّه أنّ المؤمن لا یصبح و لا یمسی إلاّ و نفسه ظنون) أی متّهمه (عنده) أی أنها ضعیفه قلیله الحیله لا تقدر علی أن تحتال و تعالج فی أن تغره و تورده موارد الهلکه بل هو غالب علیها فی کلّ حال (فلا یزال زاریا) أی عایبا (علیها) فی کلّ حین (و مستزیدا لها) أی مراقبا لأحوالها طالبا للزیاده لها من الأعمال الصالحه فی جمیع الأوقات.

(فکونوا کالسابقین قبلکم) إلی الجنّه (و الماضین أمامکم) من المؤمنین الزاهدین فی الدّنیا و الرّاغبین فی الاخره (قوّضوا من الدّنیا تقویض الرّاحل) یعنی أنهم قطعوا علایق الدّنیا و ارتحلوا إلی الاخره کما أنّ الرّاحل إذا أراد الارتحال یقوّض متاعه و ینقض خیمته و یهدم بناءه (و طووها طیّ المنازل) أی طووا أیام

الدّنيا و مدّه عمرهم كما يطوى المسافر منازل طريقه.

و محصّل الجملتين أنّ السابقين الأوّلين من المقرّبين و أصحاب اليمين لما عرفوا بعين بصائرهم أنّ الدّنيا ليست لهم بدار و أن الاخره دار قرار لا جرم كانت همّتهم مقصوره فى الوصول إليها، فجعلوا أنفسهم فى الدّنيا بمنزله المسافر، و جعلوها عندهم بمنزله المنازل فاخذوا من ممرّهم ما يبلغهم إلى مقرّهم فلما ارتحلوا عنها لم يبق لهم علاقه فيها كما أنّ المسافر إذا ارتحل من منزل لا يبقى له شىء فيه فأمر المخاطبين بأن يكونوا مثل هؤلاء فى الزّهد فى الدّنيا و ترك العلايق و الامنيّات و الرغبه فى العقبى و الجنّات العاليات و هى أحسن منزلا و مقيلا.

ثمّ شرع فى ذكر فضل القرآن و بيان ممادحه ترغيبا فى الاهتداء به و الاقتباس من ضياء أنواره فقال عليه السّلام (و اعلموا أنّ هذا القرآن هو الناصح) المشفق (الّذى لا يغشّ) فى إرشاده إلى وجوه المصالح كما أنّ الناصح الصديق شأنه ذلك (و الهادى الّذى لا يضلّ) من اهتدى به.

روى فى الكافى عن طلحه بن زيد عن أبى عبد اللّه عليه السّلام قال: إنّ هذا القرآن فيه منار الهدى و مصابيح الدّجى، فليجل جال بصره و يفتح للضياء نظره، فانّ التفكّر حياه قلب البصير كما يمشى المستنير فى الظّلمات بالنور.

(و المحدّث الّذى لا يكذب) فى قصصه و أحاديثه و أخباره قال أبو عبد اللّه عليه السّلام فيما روى فى الكافى عن سماعه بن مهران عنه عليه السّلام انّ العزيز الجبّار أنزل عليكم كتابه و هو الصّادق البارّ فيه خبركم و خبر من قبلكم و خبر من بعدكم و خبر السماء و الأرض و لو أتاكم من يخبركم لذلك تعجّبتم.

(و ما جالس هذا القرآن أحد) استعار لفظ المجالسه لمصاحبته و ملازمته و قراءته و التدبّر فى ألفاظه و معانيه (إلّا قام عنه) استعار لفظ القيام لترك قراءته و الفراغ عنها و لا يخفى ما فى مقابله الجلوس بالقيام من اللّطف و الحسن فانّ المقابله بين الفعلين فى معنييهما الحقيقين و المجازين كليهما على حدّ قوله تعالى:«أَ وَ مَنْ كانَ مَيْتاً فَأَحْيَيْناهُ »

ص:۱۹۵

أى ضالا فهديناه، فانّ الموت و الأحياء متقابلان كتقابل الضلاله و الهدايه و ما ذكرناه أظهر و أولى مما قاله الشارح البحرانى من أنه كنّى بمجالسه القرآن عن مجالسه حملته و قرائه لاستماعه منهم و تدبّره عنهم، لاحتياجه إلى الحذف و التكلّف الّذى لا حاجه إليه.

و كيف كان فالمراد أنّ من قام عن القرآن بعد قضاء وطره منه فانما يقوم (بزياده أو نقصان زياده فى هدى و نقصان من عمى) اذ فيه من الايات البيّنات و البراهين الباهرات ما يزيد فى بصيره المستبصر، و ينقص من جهاله الجاهل.

(و اعلموا أنه ليس لأحد بعد القرآن من) فقر و (فاقه و لا ـ لأحد قبل القرآن من غنى) و ثروه الظاهر أنّ المراد به أنّ من قرء القرآن و عرف ما فيه و تدبّر فى معانيه و عمل بأحكامه يتمّ له الحكمه النظريّه و العمليّه و لا يبقى له بعده إلى شىء حاجه و لا فقر و لا فاقه و من لم يكن كذلك فهو أحوج المحتاجين.

روى فى الكافى عن معاويه بن عمار قال: قال لى أبو عبد اللّه عليه السّلام من قرء القرآن فهو غنىّ و لا فقر بعده و إلاّ ما به غنى.

قال الشاحر البحرانى فى شرح ذلك: نبّههم على أنّه ليس بعده على أحد فقر أى ليس بعد نزوله للنّاس و بيانه الواضح حاجه بالنّاس إلى بيان حكم فى إصلاح معاشهم و معادهم، و لا لأحد قبله من غنى أى قبل نزوله لا غنى عنه للنّفوس الجاهله انتهى، و الأظهر ما قلناه.

(فاستشفوه من أدوائكم) أى من أمراضكم الظاهره و الباطنه و الرّوحانيه و الجسمانيّه، فانّ فيه شفاء من كلّ ذلك قال سبحانه: «وَ نُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ ما هُوَ شِفاءٌ وَ رَحْمَةٌ ».

و روى فى الكافى عن السّكونى عن أبى عبد اللّه عن آبائه عليهم السّلام قال: شكى رجل إلى النبىّ صلّى اللّه عليه و آله و سلّم وجعا فى صدره فقال: استشف بالقرآن فانّ اللّه عزّ و جلّ يقول: «وَ شِفاءٌ لِما فِى الصُّدُورِ ».

(و استعينوا به من لأوائكم) أى من شدائد الدّهر و محن الزمان و طوارق

البلايا و الحدثان.

روى فى الكافى عن أحمد المنقرى قال: سمعت أبا إبراهيم عليه السّلام يقول من استكفى بايه من القرآن من المشرق إلى المغرب كفى إذا كان بيقين.

و فيه عن الأصبغ بن نباته عن أمير المؤمنين عليه السّلام أنّه قال: و الّذى بعث محمّدا صلّى اللّه عليه و آله بالحقّ و أكرم أهل بيته ما من شىء تطلبونه من حرز من حرق أو غرق أو سرق أو إفلات دابّه من صاحبها أو ضالّه أو آبق إلّا و هو فى القرآن فمن أراد ذلك فليسألنى عنه الحديث.

و أنت إذا لاحظت الروايات الوارده فى خواصّ السّور و الايات تجد أنها كنز لا يفنى و بحر لا ينفد، و أنّ فيها ما به نجاه من كلّ همّ و نجاه من كلّ غمّ و عوذه من كلّ لمم و سلامه من كل ألم و خلاص من كلّ شدّه و مناص من كلّ داهيه و مصيبه و فرج من ضيق المعيشه و مخرج إلى سعه العيشه إلى غير هذه مما هو خارج عن حدّ الاحصاء و متجاوز عن طور الاستقصاء، فلا شىء أفضل منه للاستشفاء من الأسقام و الأدواء و لا للاستعانه من الشدائد و اللأواء.

(و انّ فيه شفاء من أكبر الدّاء و هو الكفر و النّفاق و الغىّ و الضلال) قال أبو عبد اللّه عليه السّلام فى الحديث المروىّ فى الكافى مرفوعا لا ـ و اللّه لا يرجع الأمر و الخلافه إلى آل أبى بكر و عمر و لا إلى بنى اميّه أبدا و لا فى ولد طلحه و الزبير أبدا و ذلك إنهم نبذوا القرآن و أبطلوا السّنن و عطّلوا الأحكام.

و قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم القرآن هدى من الضلاله و تبيان من العمى و استقاله من العثره و نور من الظلمه و ضياء من الأحداث و عصمه من الهلكه و رشد من الغوايه و بيان من الفتن و بلاغ من الدّنيا إلى الاخره، و فيه كمال دينكم و ما عدل أحد عن القرآن إلّا إلى النار.

(فاسألوا اللّه به و توجّهوا إليه بحبّه) يحتمل أن يكون المراد به جعله وسيله إليه سبحانه فى نيل المسائل لكونه أقوى الوسائل، و أن يتوجّه إليه بحبّه أى بحبّ السائل المتوجّه له أو بكونه محبوبا للّه تعالى فى انجاح السؤلات و قضاء

الحاجات، و أن يكون المراد به اعداد النفوس و إكمالها بما اشتمل عليه الكتاب العزيز من الكمالات النفسانيّه ثمّ يطلب الحاجات و يستنزل الخيرات بعد حصول الكمال لها، و على هذا فالمقصود من التوجّه إليه بحبّه تأكيد الاستكمال اذ من أحبّه استكمل بما فيه فحسن توجّهه إليه تعالى و الأظهر هو الاحتمال الأوّل بقرينه قوله (و لا تسألوا به خلقه) لظهوره فى أنّ المراد به هو النهى عن جعله وسيله للمسأله إلى الخلق.

قال أبو عبد اللّه عليه السّلام فى روايه الكافى عن يعقوب الأحمر عنه عليه السّلام: إنّ من الناس من يقرأ القرآن ليقال فلان قارئ، و منهم من يقرأ القرآن ليطلب به الدّنيا و لا خير فى ذلك، و منهم من يقرأ القرآن لينتفع به فى صلاته و ليله و نهاره.

و فيه أيضا عن أبى عبد اللّه عليه السّلام قال: قرّاء القرآن ثلاثه: رجل قرء القرآن فاتّخذه بضاعه و استدرّ به الملوك و استطال به على النّاس، و رجل قرء القرآن فحفظ حروفه و ضيّع حدوده و أقامه إقامه القدح فلا كثر اللّه هؤلاء من حمله القرآن. و رجل قرء القرآن فوضع دواء القرآن على داء قلبه فأسهر به ليله و أظمأ به نهاره و قام به فى مساجده و تجافى به عن فراشه فباولئک يدفع اللّه العزيز الجبّار البلاء، و بأولئک يديل اللّه عزّ و جلّ من الأعداء، و بأولئک ينزل اللّه تبارک و تعالى الغيث من السماء فو اللّه لهؤلاء فى قرّاء القرآن أعزّ من الكبريت الأحمر.

و علّل الأمر بسؤال اللّه به بأنه (ما توجّه العباد إلى اللّه بمثله) لأنّ له كرامه عند اللّه سبحانه و مقاما يغبطه به الأوّلون و الاخرون حسبما تعرفه فى الأخبار الاتيه فهو أفضل الوسائل للسائل فى انجاح المقاصد و المسائل الدنيويّه و الأخرويّه، فالمتوجّه به إليه سبحانه لا يردّ دعاؤه و لا يخيب رجاؤه.

(و اعلموا أنّه شافع مشفّع و قائل مصدّق) يعنى أنه يشفع لقرّائه و العاملين به الحاملين له يوم القيامه فيقبل شفاعته فى حقّهم، و يقول و يشهد فى حقّ هؤلاء بخير و فى حقّ التاركين له و النابذين به وراء ظهورهم بشرّ فيصدق فيهما كما أشار إليه بقوله:

(و أنه من شفع له القرآن يوم القيامه شفع فيه) أى قبلت شفاعته (و من محل به القرآن) أى سعى به إلى اللّه تعالى و قال فى حقّه قولا يضرّه و يوقعه فى المكروه (يوم القيامه صدّق عليه).

قال الشارح البحرانى استعار عليه السّلام لفظى الشافع و المشفع و وجه الاستعاره كون تدبّره و العمل بما فيه ماحيا لما يعرض للنفس من الهيات الرديّه من المعاصى، و ذلك مستلزم لمحو غضب اللّه كما يمحو الشفيع المشفّع أثر الذنب عن قلب المشفوع إليه و كذلك لفظ القائل المصدّق و وجه الاستعاره كونه ذا ألفاظ إذا نطق بها لا يمكن تكذيبها كالقائل الصادق، ثمّ أعاد معنى كونه شافعا مشفّعا يوم القيامه ثمّ استعار لفظ المحل للقرآن و وجه الاستعاره أنّ لسان حال القرآن شاهد فى علم اللّه و حضره ربوبيّته على من أعرض عنه بعدم اتباعه و مخالفته لما اشتمل عليه فبالواجب أن يصدّق فأشبه السّاعى إلى السّلطان فى حقّ غيره بما يضرّه انتهى.

أقول: و الانصاف أنّ حمل الكلام على المجاز مع التمكّن من إراده الحقيقه لا معنى له كما قلناه فى شرح الفصل السادس من الخطبه الثانيه و الثمانين، و الحمل على الحقيقه هنا ممكن بل متعيّن لدلاله غير واحد من الرّوايات على أنّه يأتى يوم القيامه بصورت إنسان فى أحسن صوره و يشفع فى حقّ قرّائه العاملين به، و يسعى فى حقّ المعرضين عنه، و على هذا فلا وجه لحمل لفظ الشفاعه و القول و المحل على معناها المجازى و لا بأس بالاشاره إلى بعض ما يدلّ على ذلك فأقول:

روى ثقه الاسلام الكلينى فى الكافى عن علىّ بن محمّد عن علىّ بن العباس عن الحسين بن عبد الرّحمان عن صفوان الحريرى عن أبيه عن سعد الخفاف عن أبى جعفر عليه السّلام قال: يا سعد تعلّموا القرآن فانّ القرآن يأتى يوم القيامه فى أحسن صوره نظر إليها الخلق و النّاس صفوف عشرون و مأئه ألف صفّ ثمانون ألف صفّ من امّه محمّد صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و أربعون ألف صفّ من ساير الامم فيأتى على صفّ المسلمين فى صوره رجل فيسلم فينظرون إليه ثمّ يقولون لا إله إلاّ اللّه الحليم الكريم إنّ هذا الرّجل من المسلمين نعرفه بنعته و صفته غير أنه كان أشدّ اجتهادا منّا فى القرآن فمن هناك اعطى من

البهاء و الجمال و النور ما لم نعطه.

ثمّ يجوز حتّى يـأتى على صفّ الشـهداء فينظر إليه الشـهداء ثم يقولون: لاـ إله إلاّـ اللّه الرّبّ الرحيم إنّ هـذا الرّجل من الشـهداء نعرفه بسمته و صفته غير أنه من شهداء البحر فمن هناك اعطى من البهاء و الفضل ما لم نعطه.

قال فيجاوز حتّى يأتى صفّ شهداء البحر فينظر إليه شهداء البحر فيكثر تعجّبهم و يقولون: إنّ هذا من شهداء البحر نعرفه بسمته و صفته غير أنّ الجزيره التى أصـيب فيهـا كـانت أعظم هولاـ من الجزيره التى أصـبنا فيهـا فمن هنـاك أعطى من البهاء و الجمال و النور ما لم نعطه.

ثمّ يجاوز حتّى يأتى صفّ النبيّين و المرسلين فى صوره نبىّ مرسل فينظر النّبيّون و المرسلون إليه فيشتدّ لذلك تعجّبهم و يقولون: لا إله إلاّ اللّه الحليم الكريم إنّ هذا النبىّ «لنبىّ خ» مرسل نعرفه بصـفته و سـمته غير أنه أعطى فضـلا كثيرا قال: فيجتمعون فيأتون رسول اللّه صـلّى اللّه عليه و آله و سـلّم فيسـألونه و يقولون: يا محمّـد من هـذا؟ فيقول صـلّى اللّه عليه و آله لهم: أو ما تعرفونه؟! فيقولون ما نعرفه هذا من لم يغضب اللّه عزّ و جلّ عليه، فيقول رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله: هذا حجّه اللّه على خلقه فيسلم.

ثمّ يجـاوز حتّى يأتى على صفّ الملائكه فى صوره ملك مقرّب فينظر إليه الملائكه فيشـتدّ تعجّبهم و يكبر ذلك عليهم لما رأوا من فضله و يقولون: تعالى ربّنا و تقدّس إنّ هذا العبد من الملائكه نعرفه بسمته و صفته غير أنه كان أقرب الملائكه إلى اللّه عز و جلّ مقاما فمن هناك البس من النّور و الجمال ما لم نلبس.

ثمّ يجـاوز حتّى ينتهى إلى ربّ العزّه تبـارك و تعـالى فيخرّ تحت العرش فينـاديه تبـارك و تعالى يا حجّتى فى الأرض و كلامى الصّادق و الناطق ارفع رأسك سل تعط و اشفع تشفّع، فيرفع رأسه فيقول اللّه تبارك و تعالى: كيف رأيت عبادى؟ فيقول:

يا ربّ منهم من صاننى و حافظ علىّ و لم يضـيّع شـيئا، و منهم من ضيّعنى و استخفّ بحقّى و كذّب بى و أنا حجّتك على جميع خلقك، فيقول اللّه تبارك و تعالى: و عزّتى و جلالى و ارتفاع مكانى لاثيبنّ عليك اليوم أحسن الثواب، و لاعاقبنّ عليك اليوم

ألیم العقاب.

قال: فیرفع القرآن رأسه فی صوره اخری قال: فقلت له علیه السّلام یا أبا جعفر فی أیّ صوره یرجع؟ قال: فی صوره رجل شاحب متغیّر یبصره «ینکره خ» أهل الجمع فیأتی الرّجل من شیعتنا الذی کان یعرفه و یجادل به أهل الخلاف فیقوم بین یدیه فیقول ما تعرفنی؟ فینظر إلیه الرجل فیقول: ما أعرفک یا عبد اللّه.

قال: فیرجع فی صورته الّتی کانت فی الخلق الأوّل فیقول: ما تعرفنی؟ فیقول نعم، فیقول القرآن: أنا الّذی أسهرت لیلک و أنصبت عینک و سمعت فیّ الأذی و رجمت بالقول فیّ ألا و إنّ کلّ تاجر قد استوفی تجارته و أنا وراءک الیوم، قال فینطلق به إلی ربّ العزّه تبارک و تعالی فیقول: یا ربّ عبدک و أنت أعلم به قد کان نصبا بی مواظبا علیّ یعادی بسببی و یحبّ فیّ و یبغض، فیقول اللّه عزّ و جلّ ادخلوا عبدی جنّتی و اکسوه حلّه من حلل الجنّه، و توّجوه بتاج.

فاذا فعل به ذلک عرض علی القرآن فیقال له: هل رضیت بما فعل بولیّک فیقول: یا ربّ أستقلّ هذا له فزده مزید الخیر کلّه، فیقول عزّ و جلّ: و عزّتی و جلالی و علوّی و ارتفاع مکانی لأنحلنّ له الیوم خمسه أشیاء مع المزید له و لمن کان بمنزلته: ألا إنهم شباب لا یهرمون، و أصحّاء لا یسقمون، و أغنیاء لا یفتقرون، و فرحون لا یحزنون، و أحیاء لا یموتون، ثمّ تلی علیه السّلام هذه الایه: «لا یَذُوقُونَ فِیهَا الْمَوْتَ إِلاَّ الْمَوْتَهَ الْأُولی ».

قال قلت یا با جعفر و هل یتکلّم القرآن؟ فتبسّم علیه السّلام ثمّ قال: رحم اللّه الضعفاء من شیعتنا إنّهم أهل تسلیم، ثمّ قال: نعم یا أبا سعد و الصّلاه تتکلّم و لها صوره و خلق تأمر و تنهی، قال سعد: فتغیّر لذلک لونی و قلت: هذا شیء لا أستطیع التکلّم به فی النّاس، فقال أبو جعفر علیه السّلام: و هل النّاس إلاّ شیعتنا فمن لم یعرف الصّلاه فقد أنکر حقنا.

ثمّ قال: یا سعد اسمعک کلام القرآن؟ قال سعد: فقلت: بلی فقال علیه السّلام «إِنَّ الصَّلاهَ تَنْهی عَنِ الْفَحْشاءِ وَ الْمُنْکَرِ وَ لَذِکْرُ اللّهِ أَکْبَرُ »، فالنّهی کلام و الفحشاء و المنکر

ص:۲۰۱

رجال و نحن ذكر اللّه و نحن أكبر.

و فيه بسنده عن يونس بن عمّار قال: قال أبو عبد اللّه عليه السّلام إنّ الدّواوين يوم القيامه ثلاثه: ديوان فيه النعم، و ديوان فيه الحسنات، و ديوان فيه السيئات، فيقابل بين ديوان النعم و ديوان الحسنات، فيستغرق النعم عامّه الحسنات، و يبقى ديوان السيئات فيدعى بابن آدم المؤمن للحسنات «للحساب خ» فيتقدّم القرآن أمامه فى أحسن صوره فيقول: يا ربّ أنا القرآن و هذا عبدك المؤمن قد كان يتعب نفسه بتلاوتى و يطيل ليله بترتيلى و تفيض عيناه إذا تهجّد، فارضه كما أرضانى قال: فيقول العزيز الجبّار: عبدى ابسط يمينك، فيملوها من رضوان اللّه العزيز الجبّار، و يملأ شماله من رحمه اللّه، ثمّ يقال: هذه الجنّه مباحه لك فاقرء و اصعد فاذا قرء آيه صعد درجه.

و فيه مسندا عن إسحاق بن غالب قال: قال أبو عبد اللّه عليه السّلام: إذا جمع اللّه عزّ و جلّ الأوّلين و الاخرين إذا هم بشخص قد أقبل لم ير قط أحسن صوره منه، فاذا نظر إليه المؤمنون و هو القرآن قالوا هذا منّا هذا أحسن شىء رأينا، فاذا انتهى إليهم جازهم، ثمّ ينظر إليه الشهداء حتّى إذا انتهى إلى آخرهم جازهم فيقولون هذا القرآن فيجوزهم كلّهم حتّى إذا انتهى إلى المرسلين فيقولون هذا القرآن فيجوزهم حتّى ينتهى إلى الملائكه فيقولون هذا القرآن فيجوزهم ثمّ ينتهى حتّى يقف عن يمين العرش، فيقول الجبّار و عزّتى و جلالى و ارتفاع مكانى لاكرمنّ اليوم من أكرمك و لاهيننّ من أهانك.

و فيه عن الفضيل بن يسار باسناده عن أبى عبد اللّه عليه السّلام قال: قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم: تعلّموا القرآن فانّه يأتى يوم القيامه صاحبه فى صوره شاب جميل شاحب اللّون فيقول له: أنا القرآن الّذى كنت أسهرت ليلك و أظمأت هواجرك و أجففت ريقك و أسلت دمعتك أؤل معك حيث ما الت، و كلّ تاجر من وراء تجارته و أنا اليوم لك من وراء تجاره كلّ تاجر، و سيأتيك كرامه من اللّه عزّ و جلّ فابشر.

فيؤتى بتاج فيوضع على رأسه و يعطى الأمان بيمينه و الخلد فى الجنان بيساره

و یکسی حلّتین ثمّ یقال له: اقرء و ارق، کلّما قرء آیه صعد درجه و یکسی أبواه حلّتین إن کانا مؤمنین ثمّ یقال لهما: هذا لما علّمتماه القرآن.

إلی غیره مما لا نطیل بروایتها فقد ظهر منهم أنّه یجیء یوم القیامه فی صوره انسان و له لسان یشهد للناس و علیهم و یقبل شهادته نفعا و ضرّا و شفاعته فی حقّ المراقبین له و ینتفع به الاخذون له و العاملون به.

(فانه ینادی مناد یوم القیامه) الظاهر أنّ المنادی من الملائکه من عند ربّ العزّه، و قول الشارحین انه لسان حال الأعمال تأویل لا داعی إلیه (ألا) و (إنّ کلّ حارث) أصل الحرث إثاره الأرض للزراعه و المراد هنا مطلق الکسب و التّجاره (مبتلی فی حرثه و عاقبه عمله غیر حرثه القرآن).

قال الشارح البحرانی: الحرث کلّ عمل تطلب به غایه و تستخرج منه ثمره و الابتلاء ههنا ما یلحق النفس علی الأعمال و عواقبها من العذاب بقدر الخروج فیها عن طاعه اللّه. و ظاهر أنّ حرث القرآن و البحث عن مقاصده لغایه الاستکمال به بریء من لواحق العقوبات انتهی.

أقول: و فیه أنّ کلّ عمل کان فیه الخروج عن طاعه اللّه فعامله معذّب و مبتلی سواء کان ذلک العمل مما لا یتعلّق بالقرآن أو کان متعلّقا به کقرائته و البحث عن مقاصده و الحفظ له و نحو ذلک و إذا کان علی وجه الریاء أو تحصیل حطام الدّنیا و کلّ عمل ارید به وجه اللّه و کان الغایه منه الاستکمال فعامله مأجور و مثاب من دون فرق فیه أیضا بین القرآن و غیره، و بعباره اخری کلّ حارث سواء کان حارث القرآن أو غیره إن لم یقصد بحرثه الخلوص فمبتلی، و إلاّ فلا، فتعلیل عدم ابتلاء حرثه القرآن بأنّ حرثهم للاستکمال به و ابتلاء الاخرین بأنّ فی حرثهم خروجا من الطاعه شطط من الکلام کما لا یخفی.

و الّذی عندی أن یراد بقوله علیه السّلام: کلّ حارث من کان حرثه للدّنیا فهو مبتلی أی ممتحن فی حرثه لأنه إن کان من حلال ففیه حساب و إن کان من حرام ففیه عقاب و أما حارث القرآن لأجل أنه قرآن و کلام اللّه عزّ و جلّ فلا ابتلاء له لأنّ حرثه

على ذلک إنّما هو للاخره قال اللّه تعالى: «مَنْ كانَ يُرِيدُ حَرْثَ اَلْآخِرَهِ نَزِدْ لَهُ فِي حَرْثِهِ وَ مَنْ كانَ يُرِيدُ حَرْثَ اَلدُّنْيا نُؤْتِهِ مِنْها وَ ما لَهُ فِي اَلْآخِرَهِ مِنْ نَصِيبٍ » فتأمّل.

و لما نبّه علیه السّلام على عدم ابتلاء حرثه القرآن أمر بحرثه بقوله (فكونوا من حرثته و أتباعه) و أردفه بقوله (و استدلوه على ربكم) أى اجعلوه دليلا عليه سبحانه و قائدا إليه تعالى لاشتماله على جميع صفات الجمال و الجلال و أوصاف الكبرياء و العظمه و الكمال (و استنصحوه على أنفسكم) أى اتّخذوه ناصحا لكم رادعا لأنفسكم الأمّاره عن السّوء و الفحشاء و المنكر لتضمّنه الايات الناهيه المحذره و الوعيدات الزاجره المنذره (و اتّهموا عليه آرائكم) أى إذا أدت آرائكم إلى شىء مخالف للقرآن فاجعلوها متّهمه عندكم (و استغشوا فيه أهوائكم).

قال الشارح البحرانى: و انما قال هنا استغشوا و فى الاراء اتّهموا، لأنّ الهوا هو ميل النفس الأمّاره من غير مراجعه العقل فاذا حكمت النفس عن متابعتها بحكم فهو غشّ صراح، و أمّا الرأى فقد يكون بمراجعه العقل و حكمه و قد يكون بدونه، فجاز ان يكون حقا و جاز أن يكون باطلا فكان بالتهمه أولى.

ثمّ تخلّص من أوصاف القرآن و فضايله إلى الأمر بملازمه الأعمال فقال (العمل العمل) أى لازموا العمل الصّالح و رافبوا عليه (ثمّ النهايه النهايه) أى بعد القيام بالأعمال الصالحه لاحظوا نهايتها و خاتمتها و جدّوا فى الوصول إليها (و الاستقامه الاستقامه) و هو أمر بالاستقامه على الجادّه الوسطى من العمل و الثبات على الصراط المستقيم المؤدّى إلى غايه الغايات و أشرف النهايات أعنى روضات الجنات (ثمّ الصبر الصّبر و الورع الورع) أى بعد مواظبه الأعمال الصالحه و ملاحظه نهاياتها و الثبات على ما يوصل إليها من الأعمال لا بدّ من الصبر عن المعاصى و الكفّ عن الشّهوات و الورع عن محارم اللّه.

و مما ذكرناه ظهر لک نکته العطف فى ثانى المكرّرات الخمسه و رابعها بثمّ و فى ثالثها و خامسها بالواو، توضيح ذلک أنّ النهايه لما كانت متراخيه عن العمل عطفها بثمّ، و الاستقامه لما كانت كيفيّه العمل عطفها بالواو، و هذه الثلاثه أعنى العمل و النّهايه

و الاستقامه كلّها ناظره إلى طرف العباده، و لما كان الصّبر متعلّقا بالمعصيه عطفه بثم لغايه الافتراق بين العبادات و المعاصى، و لما كان بين الصّبر و الورع تلازما عطف الورع بالواو أيضا.

و هذا أولى مما قاله الشّارح البحرانى حيث قال: و إنّما عطف النهايه و الصّبر بثمّ لتأخّر نهايه العمل عنه و كون الصّبر أمرا عدميّا و هو فى معنى المتراخى و المنفكّ عن العمل الّذى هو أمر وجودىّ، بخلاف الاستقامه على العمل فانه كيفيه له و الورع فانه جزء منه، انتهى هذا.

و فصّل ما أجمل لقوله و (إنّ لكم نهايه) و هى غرفات الجنان و رضوان من اللّه المنّان (فانتهوا إلى نهايتكم) و امضوا إليها (و إنّ لكم علما) هاديا إلى تلك النهايه و هو الرّسول الأمين و أولياء الدّين أو الأعم منهم و من ساير دلائل الشّرع المبين (فاهتدوا بعلمكم) للوصول إليها (و إنّ للاسلام غايه فانتهوا إلى غايته) و هى النهايه المذكوره (و اخرجوا إلى اللّه مما افترض عليكم من حقّه و بين لكم من وظايفه) أى أخرجوا متوجّهين إليه سبحانه ممّا فرضه عليكم من حقوقه الواجبه و أوضحه لكم من عباداته و تكاليفه الموظفه المقرّره فى ساعات اللّيالى و الأيّام.

و قوله (أنا شاهد لكم و حجيج يوم القيامه عنكم) تأكيد لأداء الفرائض و الواجبات يعنى انكم إذا خرجتم إلى اللّه من حقوقه و وظايفه فأنا أشهد لكم يوم القيامه بخروجكم منها و مقيم للحجّه عن جانبكم بأنّكم أقمتم بها، و قد مضى تفصيل تلك الشهاده و الاحتجاج فى شرح الخطبه الحاديه و السّبعين.

(ألا و إنّ القدر السابق قد وقع و القضاء الماضى قد تورّد) قد عرفت معنى القضاء و القدر مفصّلا فى شرح الفصل التاسع من الخطبه الاولى، و الظاهر أنّ المراد بهما المقضىّ و المقدّر كما استظهرنا هذا المعنى منهما فيما تقدّم أيضا بالتقريب الّذى قدّمناه ثمّه، فيكون المعنى أنّ المقدّر السابق فى علم اللّه سبحانه وقوعه قد وقع، و المقضىّ الماضى أى المحتوم النافذ قد تورّد أى دخل فى الوجود شيئا فشيئا.

و إلى ما ذكرنا ينظر ما قاله بعض الشارحين من أنّه أراد بالقدر السابق خلافته عليه السّلام و بالقضاء الماضى الفتن و الحروب الواقعه فى زمانه أو بعده الّتى دخلت فى الوجود شيئا فشيئا و هو المعبّر عنه بالتورد، و قوى ارادته عليه السّلام ذلك بقرينه المقام و أنه عليه السّلام خطب بهذه الخطبه فى أيّام بيعته بعد قتل عثمان.

و قوله عليه السّلام:(و انّى متكلّم بعده اللّه و حجّته) المراد بعدته سبحانه ما وعد به فى الايه الشريفه للمؤمنين المعترفين بالرّبوبيّه الموصوفين بالاستقامه من تنزّل الملائكه و بشارتهم بالجنّه و بعدم الخوف و الحزن، و الظاهر أنّ المراد بحجّته أيضا نفس هذه الايه نظرا إلى أنها كلام اللّه و هو حجّه اللّه على خلقه أو أنها دالّه بمنطوقها على أنّ دخول الجنّه إنما هو للموحّدين المستقيمين و بمفهومها على أنّ الكافرين و غير المستقيمين لا يدخلونها فهى حجّه عليهم لئلّا يقولوا يوم القيامه انّا كنّا عن هذا غافلين.

و قال الشارح البحرانى: إنّ حجّته الّتى تكلّم بها هو قوله: و قد قلتم ربّنا اللّه فاستقيموا، إلى آخر ما يأتى، و الأظهر ما قلناه إذا عرفت ذلك فلنعد إلى تفسير الايه (قال اللّه تعالى «إِنَّ الَّذِينَ قالُوا رَبُّنَا اللّهُ ») اعترافا بربوبيّته و إقرارا بوحدانيّته «ثُمَّ اسْتَقامُوا » على مقتضاه.

و فى المجمع عن محمّد بن الفضيل قال: سألت أبا الحسن الرّضا عليه السّلام عن الاستقامه فقال: هى و اللّه ما أنتم عليه.

و فى الكافى عن الصادق عليه السّلام على الأئمّه واحدا بعد واحد «تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلائِكَةُ » عند الموت رواه فى المجمع عن الصّادق عليه السّلام «أَلّا تَخافُوا » ما تقدمون عليه «وَ لا تَحْزَنُوا » ما خلّفتم «وَ أَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ » فى الدّنيا.

روى فى الصّافى عن تفسير الامام قال: قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله: لا يزال المؤمن خائفا من سوء العاقبه و لا يتيقّن الوصول إلى رضوان اللّه حتّى يكون وقت نزع روحه و ظهور ملك الموت له، و ذلك إنّ ملك الموت يرد على المؤمن و هو فى شدّه علّته و عظيم ضيق صدره بما يخلفه من أمواله و بما هو عليه من اضطراب أحواله من معامليه

و عیاله قد بقیت فی نفسه حسراتها اقتطع دون أمانیّه فلم ینلها، فیقول له ملک الموت ما لک تجرع غصصک قال: لاضطراب أحوالی و اقتطاعک لی دون آمالی، فیقول له ملک الموت: و هل یحزن عاقل لفقد درهم زائف و اعتیاض ألف ألف ضعف الدّنیا؟! فیقول: لا، فیقول ملک الموت: فانظر فوقک، فینظر فیری درجات الجنان و قصورها التی یقصر دونها الأمانی فیقول ملک الموت: تلک منازلک و نعمک و أموالک و أهلک و عیالک و من کان من أهلک ههنا و ذرّیتک صالحا فهم هنالک معک أ فترضی بهم بدلا مما ههنا؟ فیقول: بلی و اللّه، ثمّ یقول: انظر، فینظر فیری محمّدا و علیّا و الطّیّبین من آلهما سلام اللّه علیهم أجمعین فی أعلا علّیین فیقول: أو تراهم هؤلاء ساداتک و أئمتک هم هنالک جلاسک و اناسک أ فما ترضی بهم بدلا مما تفارق هنا؟ فیقول: بلی و ربّی فذلک ما قال اللّه عزّ و جلّ: «إِنَّ الَّذِینَ قالُوا رَبُّنَا اللّهُ ثُمَّ اسْتَقامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَیْهِمُ الْمَلائِکَهُ أَلاّ تَخافُوا وَ لا تَحْزَنُوا » فیما أمامکم من الأهوال فقد کفیتموها و لا تحزنوا علی ما تخلفونه من الذراری و العیال فهذا الّذی شاهدتموه فی الجنان بدلا منهم، «وَ أَبْشِرُوا بِالْجَنَّهِ الَّتِی کُنْتُمْ تُوعَدُونَ » هذه منازلکم و هؤلاء ساداتکم اناسکم و جلاسکم هذا.

و لما تکلّم علیه السّلام بالایه الشریفه المتضمّنه للعده و الحجّه أمر المخاطبین بالقیام علی مفادها و العمل علی مقتضاها بقوله (و قد قلتم ربّنا اللّه) و لا بدّ لکم من اکمال هذا الاقرار بالاستقامه لاستحقاق انجاز الوعد و البشاره (فاستقیموا علی کتابه) باجلاله و اعظامه و العمل بتکالیفه و أحکامه (و علی منهاج أمره) بسلوکه و اتباعه (و علی الطریقه الصّالحه من عبادته) باتیانها علی وجه الخلوص جامعه لشرائطها المقرّره و حدودها الموظفه (ثمّ لا تمرقوا) أی لا تخرجوا (منها) و لا تتعدّوا عنها (و لا تبتدعوا فیها) أی لا تحدثوا فیها بدعه (و لا تخالفوا عنها) أی لا تعرضوا عنها یمینا و شمالا مخالفین لها، فانکم إذا أقمتم علی ذلک کلّه حصل لکم شرط الاستحقاق فینجز اللّه لکم وعده و تبشّرکم الملائکه و تدخلون الجنّه البتّه، و ان لم تقیموا علیه فقدتم الشرط و بفقدانه و انتفائه ینتفی المشروط لا محاله.

و هو معنى قوله:(فانّ أهل المروق منقطع بهم عند اللّه يوم القيامه) يعنى أنّهم لا يجدون بلاغا يوصلهم إلى المقصد، روى فى مجمع البيان عن أنس قال: قرء علينا رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله هذه الايه أى الايه المتقدّمه قال صلّى اللّه عليه و آله و سلّم: قد قالها ناس ثمّ كفر أكثرهم فمن قالها حتّى يموت فهو ممّن استقام عليها.

الترجمه

از جملهٔ خطب شريفهٔ آن امام مبين و ولىّ مؤمنين است در نصيحت مخاطبين مى فرمايد:

منتفع باشيد با بيان خدا و متّعظ باشيد با موعظهاى خدا و قبول نمائيد نصيحت خدا را، پس بدرستى كه خدا اظهار فرموده عذر خود را بشما با آيه هاى واضحه، و اخذ فرمود بر شما حجّت را و بيان كرد از براى شما محبوب داشته شده هاى خود را از عملها و مكروهها داشته شدهاى خود را از آنها تا اين كه متابعت نمائيد بان عملهاى محبوبه و اجتناب نمائيد از اين عملهاى مكروهه.

پس بدرستى كه حضرت رسول صلوات اللّه و سلامه عليه و آله مى فرمود كه بهشت محفوف شده است با دشواريها و آتش محفوف شده است با شهوتها، و بدانيد كه بدرستى كه نيست از اطاعت خدا چيزى مگر اين كه مى آيد با كراهت طبيعت، و نيست در معصيت خدا چيزى مگر اين كه مى آيد با شهوت و رغبت، پس رحمت خدا مردى را كه بر كند از شهوت خود، و قلع كند خواهشات نفس خود را پس بدرستى كه اين نفس دورترين چيزيست از حيثيت كنده شدن از شهوت، بدرستى كه اين نفس هميشه اشتياق دارد و ميل كند بسوى معصيت در آرزو و خواهش نفسانى.

و بدانيد اى بندگان خدا بدرستى كه مؤمن نه روز را بشب مى آورد و نه شب را بروز مگر اين كه نفس او متّهمست نزد او، پس هميشه آن مؤمن ايراد كننده

ص:۲۰۸

است بر نفس خود، و طلب کننـده است از برای او زیاده خیرات و مبرّات را، پس باشـید مثل سابقانی که پیش از شـما بودند و مثل گذشـتگان در پیش از شـما بر کندنـد از دنیای فانی همچو بر کنـدن کوچ کننـده، و درنوردیدنـد دنیا را مثل درنوردیـدن منزلها.

و بدانیـد که این قرآن کریم او نصـیحت کننـده ایست که خیانت نمی کند، و هدایت کننده ایست که گمراه نمی سازد، و خبر دهنـده ایست که دروغ نمی گوید، و همنشین نشد این قرآن را أحدی از شـما مگر این که برخاست از آن با زیادتی یا کمی، زیادتی در هدایت و کمی از کوری و ضلالت.

و بدانیـد نیست بر أحـدی بعـد از قرآن حاجتی، و نه مر أحـدیرا پیش از قرآن از دولتی، پس طلب شـفا نمائید از او از دردهای ظاهری و باطنی خودتان، و طلب یاری کنیـد با او بر شـدّتهای خودتان، پس بدرستی که در او است شـفا از بزرگترین دردها و آن کفر است و نفاق و گمراهی است و ضـلالت، پس مسألت نمائیـد از خدا بوسـیلهٔ قرآن. و متوجّه باشـید بوسـی پروردگار با محبت قرآن، و سؤال ننمائید بوساطت قرآن از مخلوقی، بدرستی که متوجّه نشد بندگان بسوی خدا با مثل قرآن.

و بدانیـد که بـدرستی که قرآن شـفاعت کننـده است و مقبول الشـفاعه، و گوینـدهٔ است تصدیق شده، و بدرستی که کسـی که شفاعت نماید مر او را قرآن در روز قیامت شـفاعت او قبول می شود در حق آن، و کسی که بدگوئی نماید از او قرآن در روز قیامت تصدیق شده می شود بر ضرر آن.

پس بدرستی که ندا کند ندا کننده در روز قیامت این که آگاه باشـید بدرستی که هر کشت کار امتحان خواهد شد در کشـت خـود و در عـاقبت عمـل خود غیر از کشت کننـدگان قرآن پس باشـید از کشـتکاران قرآن و تبعیّت کننـدگان او و دلیـل أخذ نمائیـد او را بر پروردگـار خود، و طلب نصـیحت کنیـد از او بر نفسـهای خود، و متّهم داریـد رأیهـای خود را که بر خلاـف او است، و مغشوش شمارید در مقابل قرآن خواهشات خود را.

ص:۲۰۹

مواظبت نمائید بر عملها و مسارعت نمائید بنهایت و عاقبت کار، و ملازمت نمائید براستکاری پس از آن و منصف باشید با صبر و تحمل، و ترک نکنید ورع و پرهیزکاری را، بدرستی که شما راست نهایت و عاقبتی پس منتهی شوید بسوی نهایت خود، و بدرستی که شما راست علم و نشانه پس هدایت یابید با علم خود، و بدرستی که مر اسلام راست غایت و نهایتی پس منتهی شوید بسوی غایت او، و خارج بشوید بسوی خداوند تعالی از چیزی که واجب نموده بر شما از حق خود و بیان نموده است شما را از وظیفهای خود، من شاهد هستم از برای شما و حجّت آورنده ام در روز قیامت از جانب شما.

آگاه باشید بدرستی که آنچه مقدّر شده بود سابقا بتحقیق واقع گردید، و قضای الهی که نافذ و ممضی است تدریجا بوجود در آید، و بدرستی که من تکلّم کننده ام بوعده خدا و بحجّت او فرموده است خدا در کتاب عزیز خود: بدرستی که آن کسانی که گفتند که پروردگار ما خداست پس در آن مستقیم شدند نازل می شود بر ایشان ملائکه که نترسید و محزون نباشید و بشارت دهید ببهشت عنبر سرشت که در دنیا وعده داده شده بودید.

و بتحقیق که گفتید شما پروردگار ما خداست پس مستقیم باشید بر کتاب کریم او، و بر راه روشن امر او و بر طریقه شایسته از عبادت و بندگی او، پس از آن خارج نشوید و بیرون مروید از آن طریقه و احداث بدعت نکنید در آن و مخالفت نکنید در آن پس بدرستی که أهل خروج از عبادت بهم بریده شده اند از ثواب دائمی نزد خدای تعالی در روز قیامت.

الفصل الثانی منها

اشاره

ثمّ إیّاکم و تهزیع الأخلاق و تصریفها، و اجعلوا اللّسان واحدا، و لیختزن الرّجل لسانه فإنّ هذا اللّسان جموح بصاحبه، و اللّه ما أری عبدا یتّقی تقوی تنفعه حتّی یختزن لسانه، و إنّ لسان المؤمن من وراء قلبه، و إنّ قلب المنافق من وراء لسانه، لأنّ المؤمن إذا أراد أن یتکلّم بکلام تدبّره فی نفسه فإن کان خیرا أبداه و إن کان شرّا واراه، و إنّ المنافق یتکلّم بما أتی علی لسانه لا یدری ما ذا له و ما ذا علیه، و لقد قال رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله: لا یستقیم إیمان عبد حتّی یستقیم قلبه، و لا یستقیم قلبه حتّی یستقیم لسانه، فمن استطاع منکم أن یلقی اللّه سبحانه و هو نقیّ الرّاحه من دماء المسلمین و أموالهم، سلیم اللّسان من أعراضهم فلیفعل. و اعلموا عباد اللّه إنّ المؤمن یستحلّ العام ما استحلّ عاما أوّل، و یحرّم العام ما حرّم عاما أوّل، و إنّ ما أحدث النّاس لا یحلّ لکم شیئا ممّا حرّم علیکم، و لکنّ الحلال ما أحلّ اللّه، و الحرام ما حرّم اللّه، فقد جرّبتم الأمور و ضرّستموها و وعظتم بمن کان قبلکم، و ضربت

الأمثال لكم، و دعيتم إلى الأمر الواضح، فلا يصمّ عن ذلك إلاّ أصمّ، و لا يعمى عنه إلاّ أعمى، و من لم ينفعه اللّه بالبلاء و التّجارب لم ينتفع بشىء من العظه، و أتاه التّقصير من أمامه حتّى يعرف ما أنكر، و ينكر ما عرف، فإنّ النّاس رجلان: متّبع شرعه، و مبتدع بدعه، ليس معه من اللّه برهان سنّه، و لا ضياء حجّه. و إنّ اللّه سبحانه لم يعظ أحدا بمثل هذا القرآن، فانّه حبل اللّه المتين، و سببه الأمين، و فيه ربيع القلب، و ينابيع العلم، و ما للقلب جلاء غيره، مع أنّه قد ذهب المتذكّرون، و بقى النّاسون أو المتناسون، فإذا رأيتم خيرا فأعينوا عليه، و إذا رأيتم شرّا فاذهبوا عنه، فإنّ رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم كان يقول: يا ابن آدم اعمل الخير و دع الشّرّ فإذا أنت جواد قاصد. ألا و إنّ الظّلم ثلاثه: فظلم لا يغفر، و ظلم لا يترك، و ظلم مغفور لا يطلب، فأمّا الظّلم الّذى لا يغفر الشّرك باللّه سبحانه قال اللّه سبحانه: «إِنَّ اللّهَ لا یَغْفِرُ أَنْ یُشْرَکَ بِهِ »، و أمّا الظّلم الّذى يغفر فظلم العبد نفسه عند بعض الهنات، و أمّا الظّلم الّذى لا يترك فظلم العباد بعضهم بعضا، القصاص هناك شديد، ليس هو جرحا بالمدى،

ص:٢١٢

و لا ضربا بالسّياط، و لكنّه ما يستصغر ذلک معه، فإيّاكم و التّلوّن فى دين اللّه، فإنّ جماعه فيما تكرهون من الحقّ خير من فرقه فيما تحبّون من الباطل، و إنّ اللّه سبحانه لم يعط أحدا بفرقه خيرا ممّا مضى و لا ممّا بقى. يا أيّها النّاس طوبى لمن شغله عيبه عن عيوب النّاس، و طوبى لمن لزم بيته و أكل قوته و اشتغل بطاعه ربّه و بكى على خطيئته، فكان من نفسه فى شغل و النّاس منه فى راحه.

اللغه

(هزعت) الشجر تهزيعا كسّرته و فرّقته و (خزن) المال و اختزنه أحرزه و (ضرّسته) الحروب أى جرّبته و أحكمته و (صمّت) الاذن صمما من باب تعب بطل سمعها هكذا فسّره الأزهرى و غيره، و يسند الفعل إلى الشخص أيضا فيقال: صمّ يصمّ صمما، فالذكر أصمّ و الأنثى صمّاء و الجمع صمّ مثل أحمر و حمراء و حمر، و يتعدّى بالهمزه فيقال أصمّه اللّه و ربما استعمل الرباعى لازما على قلّه و لا يستعمل الثلاثى متعدّيا فلا يقال صمّ اللّه الاذن و لا يبنى للمفعول فلا يقال صمّت الاذن.

و(السّبب)الحبل و هو ما يتوصّل به إلى الاستعلاء ثمّ استعير لكلّ ما يتوصّل به إلى الامور فقيل هذا: سبب هذا و هذا مسبّب عن هذا و (الجواد) الفرس السابق الجيد و(هن)بالتخفيف كأخ كنايه عن كل اسم جنس كما فى مصباح اللغه للفيومى أو عما يستقبح ذكره و لامها محذوفه ففى لغه هى ها فيصغّر على هنيهه

ص:٢١٣

و منه يقال مكث هنيهه أى ساعه لطيفه، و فى لغه هى واو فيصغّر فى المؤنّث على هنيه و الهمز خطاء إذ لا وجه له و جمعها هنوات و ربما جمعت على هنات مثل عدات هكذا فى المصباح و ضبطه الفيروزآبادى بفتح الهاء و هكذا فيما رأيته من نسخ النهج و (طوبى) وزان فعلى اسم من الطيب و الواو منقلبه عن ياء و قيل اسم شجره فى الجنّه كما سنشير إليه فى بيان معناه.

الاعراب

قوله: و إيّاكم و تهزيع الأخلاق، انتصاب تهزيع على التحذير قال الشارح المعتزلى: و حقيقته تقدير فعل و صورته جنّبوا أنفسكم تهزيع الأخلاق فايّاكم قائم مقام أنفسكم، و الواو عوض عن الفعل المقدّر و قد جاء بغير واو فى قول الشاعر:

إيّاك أن ترضى صحابه ناقص فتنحط قدرا من علاك و تحقرا

قوله: عاما أوّل بدون تنوين لأنّه غير منصرف للوصفيّه و وزن الفعل فانّ الصحيح أنّ أصله أوءل على وزن أفعل مهموز الوسط فقلبت الهمزه الثّانيه واوا و ادغمت.

قال الجوهرىّ و يدلّ على ذلك قولهم: هذا أوّل منك، و الجمع الأوائل و الاوالى أيضا على القلب، قال الشهيد فى تمهيد القواعد: و له استعمالان أحدهما أن يكون اسما فيكون مصروفا و منه قولهم ماله أوّل و لا آخر، قال فى الارتشاف: و فى محفوظى أنّ هذا يؤنث بالتاء و يصرف أيضا فيقال أوله و آخره بالتنوين، و الثانى أن يكون صفه أى أفعل التفضيل بمعنى الأسبق فيعطى حكم غيره من صيغ أفعل التفضيل كمنع الصرف و عدم تأنيثه بالتاء و دخول من عليه.

المعنى

اعلم أنّه عليه السّلام لما ختم الفصل السّابق بالأمر بالاستقامه و النهى عن المروق و الخروج عن جادّه الشريعه أردفه بالتحذير عن تهزيع الأخلاق الملازم للنّفاق

فقال:

(ثمّ إيّاكم و تهزيع الأخلاق) و تفريقها (و تصريفها) و تقليبها و نقلها من حال إلى حال كما هو شأن المنافق، فانّه لا يبقى على خلق و لا يستمرّ على حاله واحده بل قد يكون صادقا و قد يكون كاذبا، و تاره وفيّا و اخرى غادرا، و مع الظالمين ظالما و مع العدول عادلا.

روى فى الكافى عن محمّد بن الفضيل قال: كتبت إلى أبى الحسن عليه السّلام أسأله عن مسأله، فكتب إلىّ إنّ المنافقين يخادعون اللّه و هو خادعهم و إذا قاموا إلى الصّلاه قاموا كسالى يرآؤن النّاس و لا يذكرون اللّه إلاّ قليلا مذبذبين بين ذلك لا إلى هؤلاء و لا إلى هؤلاء و من يضلل اللّه فلم تجد له سبيلا ليسوا من الكافرين و ليسوا من المؤمنين و ليسوا من المسلمين يظهرون الايمان و يصيرون إلى الكفر و التكذيب لعنهم اللّه.

و لما حذّر عن تصريف الأخلاق و النّفاق أمر بقوله (و اجعلوا اللّسان واحدا) على اتّحاد اللّسان اذ تعدّد اللّسان من وصف المنافق يقول فى السرّ غير ما يقوله فى العلانيه، و فى الغياب خلاف ما يقوله فى الحضور، و يتكلّم مع هذا غير ما يتكلّم مع ذلك.

روى فى الكافى عن أبى جعفر عليه السّلام قال: بئس العبد عبد يكون ذا وجهين و ذا لسانين يطرى أخاه شاهدا و يأكله غايبا، إن أعطى حسده و إن ابتلى خذله.

و فيه عن علىّ بن إبراهيم عن أبيه عن علىّ بن أسباط عن عبد الرّحمان بن حمّاد رفعه قال: قال اللّه تبارك و تعالى لعيسى عليه السّلام: يا عيسى ليكن لسانك فى السرّ و العلانيه لسانا واحدا و كذلك قلبك إنّى احذرك نفسك و كفى بى خبيرا لا يصلح لسانان فى فم واحد و لا سيفان فى غمد واحد و لا قلبان فى صدر واحد و كذلك الأذهان.

قال بعض شرّاح الكافى: أمره اللّه تعالى بثلاث خصال هى امّهات جميع الخصال الفاضله و الأعمال الصالحه:

الأوّل أن يكون لسانه فى جميع الأحوال واحدا يقول الحقّ و يتكلّم به فلا يقول فى السرّ خلاف ما يقول فى العلانيه كما هو شأن الجهال، لأنّ ذلك خدعه

و نفاق و حیله و تفریق بین العباد و إغراء بینهم.

الثانی أن یکون قلبه واحدا قابلا للحقّ وحده غیر متلوّث بالحیل و لا متلوّث بالمکر و الختل، فانّ ذلک یمیت القلب و یبعده من الحقّ و یورثه أمراضا مهلکه.

الثالث أن یکون ذهنه واحدا و هو الذکاء و الفطنه، و لعلّ المراد به هنا الفکر فی الامور الحقّه النافعه و مبادیها، و بوحدته خلوصه عن الفکر فی الباطل و الشرور و تحصیل مبادیها و کیفیّه الوصول إلیها، و بالجمله أمره أن یکون لسانه واحدا و قلبه واحدا و ذهنه واحدا و مطلبه واحدا هذا.

و لما أمرهم بجعل لسانهم واحدا أردفه بالأمر بحفظه و حرزه فقال (و لیختزن الرّجل لسانه) أی لیلازم الصّمت (فانّ هذا اللّسان جموح بصاحبه) یقحمه فی المعاطب و المهالک، و لذلک قال رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم إن کان فی شیء الشوم ففی اللّسان، و فی حدیث آخر قال صلّی اللّه علیه و آله: نجاه المؤمن من حفظ لسانه رواهما فی الکافی عنه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم، و قد تقدّم فی شرح کلماته السابعه و السّبعین فصل واف فی فوائد الصّمت و آفات اللّسان و أوردنا بعض ما ورد فیه من الأخبار و أقول هنا:

روی فی الکافی عن ابن القداح عن أبی عبد اللّه علیه السّلام قال: قال لقمان لابنه:

یا بنیّ إن کنت زعمت أنّ الکلام من فضّه فانّ السکوت من ذهب.

و عن أحمد بن محمّد بن أبی نصر قال: قال أبو الحسن علیه السّلام: من علامات الفقه العلم و الحلم و الصّمت إنّ الصّمت باب من أبواب الحکمه إنّ الصّمت یکسب المحبّه إنّه دلیل علی کلّ خیر.

و عن أبی بصیر قال: سمعت أبا جعفر علیه السّلام یقول: کان أبو ذر یقول: یا مبتغی العلم إنّ هذا اللّسان مفتاح خیر و مفتاح شرّ فاختم علی لسانک کما تختم علی ذهبک و ورقک.

و عن علیّ بن حسن بن رباط عن بعض رجاله عن أبی عبد اللّه علیه السّلام قال: لا یزال العبد المؤمن یکتب محسنا ما دام ساکتا فاذا تکلّم کتب محسنا أو مسیئا.

فقد علم بذلک کلّه أنّ سلامه الانسان فی حفظ اللّسان و أنّ نجاته من وبال

الدّنيا و نكال الاخره فى الامساک عن فضول الكلام، و إليه أشار بقوله (و اللّه ما أرى عبدا يتقى تقوى تنفعه حتّى يختزن لسانه) فانّ التقوى النافع هو ما يحفظه من غضب الجبّار و ينجيه من عذاب النّار، و لا يحصّل ذلک إلّا بالاتّقاء من جميع المحرّمات و الموبقات الموقعه فى الجحيم و السخط العظيم، و الكذب و الغيبه و الهجاء و الهجاء و السّعايه و النّميمه و القذف و السّب و نحوها من حصائد الألسنه من أعظم تلک الموبقات، فلا بدّ من الاتّقاء منها و اختزان اللّسان عنها.

و لما أمر باختزان اللسان و نبّه على توقّف التقوى النّافع عليه أردفه بالتنبيه على أنّ اختزانه من فضول الكلام و سقطات الألفاظ من خواصّ المؤمن و عدم اختزانه من أوصاف المنافق و ذلک قوله:(و انّ لسان المؤمن من وراء قلبه) يعنى أنّ لسانه تابع لقلبه (و انّ قلب المنافق من وراء لسانه) يعنى قلبه تابع للسانه.

بيان ذلک ما أشار بقوله (لأنّ المؤمن إذا أراد أن يتكلّم بكلام تدبّره فى نفسه) و تفكّر فى عاقبته (فان كان خيرا) و رشدا تكلّم به أى أظهره و (أبداه و ان كان شرّا) و غيّا اختزن لسانه عنه أى (واراه) و أخفاه فكان لسانه تابع قلبه حيث انه نطق به بعد حكم العقل و إجازته (و انّ المنافق) يسبق حذفات لسانه و فلتات كلامه مراجعه فكره و (يتكلّم) من دون فكر و رويّه (بما أتى على لسانه لا يدرى ما ذا له و ما ذا عليه) فكان قلبه تابع لسانه لأنه بادر إلى التكلّم من غير ملاحظه ثمّ رجع إلى قلبه فعرف أنّ ما تكلّم به مضرّه له.

ثمّ استشهد بالحديث النبوى صلّى اللّه عليه و آله على أنّ استقامه الايمان إنّما هو باستقامه اللسان على الحقّ و خزنه عن الباطل و هو قوله (و لقد قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله لا يستقيم ايمان عبد حتّى يستقيم قلبه و لا يستقيم قلبه حتّى يستقيم لسانه) ظاهر هذا الحديث يفيد ترتّب استقامه الايمان على استقامه القلب و ترتّب استقامه القلب على استقامه اللّسان.

أمّا ترتّب الأوّل على الثّانى فلا غبار عليه، لأنّ الايمان حسبما عرفت فى شرح الخطبه المأه و التاسعه عباره عن الاعتراف باللّسان و الاذعان بالجنان فاستقامه

القلب جزء من مفهومه و هو جهه الفرق بينه و بين الاسلام كما أنه لا غبار على ترتّبه على الثالث على قول من يجعل العمل بالأركان أيضا شطرا منه.

و أمّا ترتّب الثانى على الثالث فلا يخلو من اشكال و اغلاق، لظهور أنّ اللّسان ترجمان القلب فاستقامته موقوفه على استقامته لا بالعكس، و بعد التنزّل عن ذلك فغايه الأمر تلازمهما و ارتباط كلّ منهما بالاخر، و أمّا التوقّف فلا.

و وجه التلازم أنّ القلب لما كان رئيس الأعضاء و الجوارح و من جملتها اللّسان كان استقامته مستلزمه لاستقامتها و كذلك استقامتها مستلزمه لاستقامته لأنها لو لم تكن مستقيمه بأن صدر منه الذنب و الباطل يسرى عدم استقامتها أى فسادها إلى القلب فيفسد بفسادها.

و يدلّ على ذلك ما رواه فى الكافى عن زراره عن أبى جعفر عليه السّلام قال: ما من عبد إلّا و فى قلبه نكته بيضاء فاذا أذنب ذنبا خرج فى النكته نكته سوداء، فان تاب ذهب ذلك السواد، و إن تمادى فى الذّنوب زاد ذلك السواد حتّى يغطى البياض، فاذا غطى البياض لم يرجع صاحبه إلى خير أبدا و هو قول اللّه عزّ و جلّ «كَلّا بَلْ رانَ عَلى قُلُوبِهِمْ ما كانُوا يَكْسِبُونَ ».

فانّ هذه الرّوايه و الايه المستشهد بها كما ترى مضافه إلى الروايات الاخر تدل على اسوداد لوح القلب بكثره الذنوب الصّادره من الجوارح، فيوجب عدم استقامتها لعدم استقامته و استقامتها لاستقامته.

لكنه يتوجّه عليه أنّ غايه ما يتحصّل من هذا التقرير أنّ عدم استقامتها سبب لعدم استقامته، و أمّا أنّ استقامتها سبب لاستقامته فلا فافهم جيّدا.

مع أنّ لقائل أن يقول: إنّ مرجع صدور الذّنب عنها الموجب لعدم استقامتها فى الحقيقه إلى عدم استقامته لأنّ القلب إذا كان سالما مستقيما لا يعزم على معصيه و لا يريدها، و مع عدم إرادتها لا يصدر ذنب عن الأعضاء حتّى يسرى ظلمته و رينه إلى القلب.

فقد علم من ذلك كلّه أنّ استقامه اللّسان كساير الأعضاء موقوفه على استقامه

القلب و مترتّبه عليها لا بالعكس.

و بعد اللّتيا و الّتى فالّذى يخطر بالبال فى حلّ الاشكال السابق أنّ معنى الحديث أنّه لا يعرف استقامه ايمان عبد إلّا بأن يعرف استقامه قلبه، و لا يعرف استقامه قلبه إلّا باستقامه لسانه، فيستدلّ باستقامه اللّسان على الحقّ أى بتنطقه على كلمه التوحيد و النبوّه و الولايه، و بامساكه عن الغيبه و النميمه و الكذب و غيرها من هفوات اللّسان على استقامه القلب أى على إذعانه بما ذكر و على خلوّه عن الأمراض النفسانيه و يستدلّ باستقامته على استقامه الايمان أى على أنّ العبد مؤمن كامل.

و يقرب هذا التوجيه أنّه عليه السّلام لما ذكر أنّ لسان المؤمن من وراء قلبه و أنّ قلب المنافق من وراء لسانه عقّبه بهذا الحديث ليميّز بين المؤمن و المنافق، و يحصل لك المعرفه بها حقّ المعرفه فيسهل عليك التشخيص إذا بينهما إذ تعرف بعد ذلك البيان أنّ مستقيم اللّسان مؤمن و غير مستقيمه منافق.

قال الشارح الفقير الغريق فى بحر الذّنب و التقصير: إنّى قد أطلت فكرى و أتعبت نظرى فى توجيه معنى الحديث و أسهرت ليلتى هذه و هى اللّيله الثالثه عشر من شهر اللّه المبارك فى حلّ إشكاله حتّى مضت من أوّل اللّيل ثمانى ساعات و أثبتّ ما سنح بالخاطر و أدّى إليه النّظر القاصر، ثمّ تجلّى بحمد اللّه سبحانه و منّته نور العرفان من ألطاف صاحب الولايه المطلقه على القلب القاسى فأسفر عنه الظلام و اهتدى إلى وجه المرام فسنح بالبال توجيه وجيه هو أعذب و أحلى، و معنى لطيف هو أمتن و أصفى و هو أن يقال:

إنه عليه السّلام كنّى باستقامه الايمان و القلب و اللّسان عن كمالها و أنّ مراده أنّ من أراد أن يكون ايمانه كاملا أى ايمانا نافعا فى العقبى لا بدّ من أن يكمل قلبه أى يكون بريئا سالما من الأمراض النفسانيّه، و من أراد كمال قلبه فلا بدّ له من أن يكمل لسانه أى يكون محفوظا من العثرات مختزنا إلّا عن خير، ففى الحقيقه الغرض من الحديث التّنبيه و الارشاد إلى تكميل القلب و اللّسان لتحصيل كمال الايمان.

ص:۲۱۹

و نظيره ما رواه عن الحلبى رفعه قال: قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله: أمسك لسانك فانّها صدقه تصدق به على نفسك ثمّ قال: و لا يعرف عبد حقيقه الايمان حتّى يخزن من لسانه.

و على هذا التوجيه التأم أجزاء كلام الامام على أحسن ايتلاف و انسجام إذ يكون الحديث حينئذ أشدّ ارتباطا بسابقه، لأنه عليه السّلام لما أمر بأن يختزن الرجل لسانه و أكّده بأن خزن اللّسان من وظايف المؤمن لكون لسانه من وراء قلبه، عقّبه بهذا الحديث تأييدا و تقويه و استشهادا على ما أمر به من اختزان اللّسان و يكون مناسبته للاحقه أيضا أكثر و هو قوله:

(فمن استطاع منكم أن يلقى اللّه سبحانه و هو نقىّ الراحه) و الكفّ (من دماء المسلمين) أى سالما من قتلهم (و أموالهم سليم اللّسان من اعراضهم) أى متجنّبا من الغيبه و الفحش و النميمه و الهجاء و نحوها (فليفعل) لأنّ ذلك من شرايط الاسلام و لوازم الايمان فانّ المسلم من سلم المسلمون من لسانه و يده.

قال الشارح البحرانى و شرط ذلك أى الكفّ عن دماء المسلمين و أموالهم و أعراضهم بالاستطاعه لعسره و شدّته و إن كان واجب الترك على كلّ حال و أشدّها الكفّ عن الغيبه فانّه يكاد أن لا يستطاع انتهى.

أقول: الظاهر من قوله: و إن كان واجب الترك على كلّ حال، وجوب تركها حتّى مع عدم الاستطاعه و هو باطل، أو الاستطاعه مساوق للقدره و هى شرط فى جميع التكاليف الشرعيه قال اللّه تعالى «لا يُكَلِّفُ اللّهُ نَفْساً إِلاّ وُسْعَها » و قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله إذا أمرتكم بشىء فائتوا منه ما استطعتم.

ثمّ إنّه عليه السّلام نبّه على بطلان العمل بالرأى و المقاييس و نهى عن متابعه البدع فقال:

(و اعلموا عباد اللّه أنّ المؤمن يستحلّ العام ما استحلّ عاما أوّل و يحرّم العام ما حرّم عاما أوّل) يعنى أنّ المؤمن إذا ثبت عنده سابقا حلّيه شىء بالكتاب أو السنّه و حكم بحلّيته عن نصّ فيحكم بحليّته الان، و لا ينقض الحكم الثابت بالنّص برأيه و اجتهاده و كذلك إذا ثبت عنده سابقا حرمه شىء بهما و حكم بحرمته عن دليل فيحكم بحرمته

الان، و لا يخالف الحكم الثّابت و لا يتعدّى عنه بالرأى و القياس و هكذا ساير الأحكام الشرعيه.

(و انّ ما أحدث الناس) من البدع بعد رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم:

مثل ما صدر عن أبى بكر من طلب البيّنه من فاطمه سلام اللّه عليها فى باب فدك مع كون البيّنه على المدّعى، و غصب فدك عنها مع مخالفته لنصّ الكتاب و الرّسول صلّى اللّه عليه و آله.

و ما أحدثه عمر من صلاه التراويح، و من وضع الخراج على أرض السواد، و ازدياده أى أخذه الزياده الجزيه عما قرّرها رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله.

و ما أبدعه عثمان من التفضيل فى العطاء و إحداثه الأذان يوم الجمعه زايدا عمّا سنّه رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم، و تقديمه الخطبتين فى العيدين مع كون الصّلاه مقدّمه عليها فى زمان الرسول صلّى اللّه عليه و آله، و إتمامه الصّلاه بمنى مع كونه مسافرا، و إعطائه من بيت المال الصّدقه المقاتله و غيرها، و حمايته لحمى المسلمين مع أنّ رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله جعلهم شرعا سواء فى الماء و الكلاء إلى غير هذه من البدعات الّتى أحدثوها فى الدّين و فصّلها أصحابنا رضوان اللّه عليهم فى ذيل مطاعنهم.

فانّ شيئا من ذلك (لا يحلّ لكم شيئا مما حرّم عليكم) و لا يحرّم شيئا عليكم مما أحلّ لكم، يعنى قول هؤلاء المبدعين المغيّرين للأحكام لا يوجب تغييرها فى الواقع، فلا يجوز الاعتماد على أقوالهم و الاعتقاد بارائهم، و قد ذمّ اللّه اليهود و النّصارى بأنّهم اتّخذوا أحبارهم و رهبانهم أربابا من دون اللّه، فالاخذون بقول هؤلاء المبدعين يكونون مثل اليهود و النّصارى.

روى فى الوسائل عن تفسير العيّاشى عن جابر عن أبى عبد اللّه عليه السّلام قال: سألته عن قول اللّه «اِتَّخَذُوا أَحْبارَهُمْ وَ رُهْبانَهُمْ أَرْباباً مِنْ دُونِ اللّهِ » قال عليه السّلام أما أنّهم لم يتّخذوهم آلهه إلاّ أنّهم أحلّوا لهم حلالا فأخذوا به، و حرّموا حراما فأخذوا به، فكانوا أربابا لهم من دون اللّه.

و عن حذيفه قال: سألته عن قول اللّه عزّ و جلّ: «اِتَّخَذُوا » الايه، فقال لم يكونوا

يعبدونهم، و لكن كانوا إذا أحلّوا لهم شيئا استحلّوها، و إذا حرّموا عليهم حرّموها.

و فى الكافى عن أبى بصير عن أبى عبد اللّه عليه السّلام قال: قلت له: «اِتَّخَذُوا » الايه، فقال أما و اللّه ما دعوهم إلى عباده أنفسهم و لو دعوهم ما أجابوهم، و لكن أحلّوا لهم حراما و حرّموا عليهم حلالا فعبدوهم من حيث لا يشعرون.

و فى تفسير علىّ بن إبراهيم عند تفسير قوله تعالى «وَ الشُّعَراءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغاوُونَ » قال: قال أبو عبد اللّه عليه السّلام: نزلت فى الّذين غيّروا دين اللّه و خالفوا ما أمر اللّه، هل رأيتم شاعرا قط تبعه أحد إنما عنى بذلك الّذين وضعوا دينا بارائهم فتبعهم النّاس على ذلك.

و يؤكّد ذلك قوله «أَ لَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وادٍ يَهِيمُونَ » يعنى يناظرون بالأباطيل و يجادلون بالحجج المضلّين و فى كلّ مذهب يذهبون «وَ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ ما لا يَفْعَلُونَ » قال عليه السّلام يعظون النّاس و لا يتّعظون و ينهون عن المنكر و لا ينتهون، و يأمرون بالمعروف و لا يعملون، و هم الّذين قال اللّه فيهم:

«أَ لَمْ تَرَ » فيهم «أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وادٍ يَهِيمُونَ » أى فى كلّ مذهب مذهبون «وَ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ ما لا يَفْعَلُونَ » و هم الّذين غصبوا آل محمّد حقّهم.

فظهر بذلك كلّه أنّ متابعه هؤلاء حرام، و استحلالهم استحلال ما أحلّوه و استحرام ما حرّموه غىّ و ضلال، إذ ليس لهم أن يغيّروا الأحكام من تلقاء أنفسهم، و لا أن يبدّلوا الحلال بالحرام و الحرام بالحلال.

كما أشار إليه بقوله (و لكن الحلال ما أحلّ اللّه و الحرام ما حرّم اللّه) اللّام فى لفظى الحلال و الحرام للجنس فتفيد قصر المسند اليه فى المسند كما تقدّم تحقيقه فى شرح الكلام المأه و الرابع و الأربعين عند شرح قوله عليه السّلام: ان الأئمه من قريش، و يحتمل أن تكون للعهد فتفيد الحصر أيضا كما عرفته فى شرح الخطبه المأه و الثالثه و الخمسين عند شرح قوله عليه السّلام: نحن الشعار و الأصحاب، فيكون المعنى أنّ ماهيه الحلال و الحرام و حقيقتهما إذا الحلال المعهود الثابت من الشريعه أى الّذى يجوز تناوله و الحرام المعهود الثابت منها أى الّذى لا يجوز ارتكابه هو منحصر فيما أحلّه اللّه سبحانه و حرّمه و أفصح عن حلّيته و حرمته فى كتابه الكريم و لسان نبيّه الحكيم، فغير ذلك مما أحلّه الناس و حرّموه ليس حلالا و لا حراما إذ حلال

محمّد صلّى اللّه عليه و آله و سلّم حلال إلى يوم القيامه و حرامه حرام إلى يوم القيامه.

كما يدلّ عليه ما رواه فى الكافى عن زراره قال: سألت أبا عبد اللّه عليه السّلام عن الحلال و الحرام فقال عليه السّلام: حلال محمّد حلال أبدا إلى يوم القيامه و حرام محمّد حرام أبدا إلى يوم القيامه لا يكون غيره و لا يجىء غيره.

و قال: قال علىّ عليه السّلام: ما أحد يبدع بدعه إلاّ ترك بها سنّه، هذا.

و لا يخفى عليك أنّ هذه الخطبه إن كان صدورها بعد قتل عثمان و البيعه له عليه السّلام بالخلافه كما حكيناه سابقا عن بعض الشارحين، فالأشبه على ذلك أن يكون قوله عليه السّلام: و أنّ ما أحدث النّاس إلى آخره توطئه و تمهيدا لما كان مكنونا فى خاطره من تغيير البدعات المحدثات فى أيام خلافه الثلاثه و إجراء الأحكام الشرعيّه على وجهها بعد استقرار أمر خلافته لو كان متمكّنا منه حتّى لا يعترض عليه النّاس و لا يطعنوا عليه، كما بان عنه فى بعض كلماته الاتيه فى الكتاب حيث قال: لو قد استوت قدماى من هذه المداحض لغيّرت أشياء، و لكنّه عليه السّلام لم يتمكّن من التغيير.

و قد روى فى البحار من التهذيب عن علىّ بن الحسن بن فضّال عن أحمد بن الحسن عن عمرو بن سعيد المداينى عن مصدّق بن صدقه عن عمّار عن أبى عبد اللّه عليه السّلام قال: سألته عن صلاه فى رمضان فى المساجد قال: لما قدم أمير المؤمنين عليه السّلام الكوفه أمر الحسن بن علىّ عليهما السّلام أن ينادى فى النّاس لا صلاه(۱) فى شهر رمضان فى المساجد جماعه، فنادى فى النّاس الحسن بن علىّ عليهما السّلام بما أمره به أمير المؤمنين عليه السّلام، فلما سمع الناس مقاله الحسن بن علىّ عليهما السّلام، صاحوا: وا عمراه وا عمراه فلما رجع الحسن إلى أمير المؤمنين عليهما السّلام قال له: ما هذا الصّوت؟ فقال: يا أمير المؤمنين النّاس يصيحون وا عمراه وا عمراه، فقال أمير المؤمنين عليه السّلام: قل لهم: صلّوا، هذا.

و لما بيّن انحصار الحلال و الحرام فيما أحلّه اللّه سبحانه و حرّمه أردفه بقوله (فقد جرّبتم الامور و ضرّستموها) أى أحكمتموها بالتجربه و الممارسه، و ظهر لكم جيّدها من رديّها و حقّها من باطلها (و وعظتم بمن كان قبلكم) أى وعظكم اللّه

۱- (۱) نهى عن فعل نافله رمضان جماعه كما ورد التصريح به فى اخبار اخر (منه ره)

سبحانه فی کتابه بالامم الماضیه و بما جری منه فی حقّ المؤمنین منهم من الجزاء الجمیل و ما جری فی حقّ العاصین منهم من العذاب الوبیل (و ضربت) فی الفرقان الحکیم (الأمثال لکم) الکثیره الموضحه للحقّ من الباطل و الفارقه بینهما (و دعیتم إلی الأمر الواضح) أی إلی أمر الدّین و الاسلام الّذی أوضحه کتاب اللّه و سنّه رسوله حقّ الوضوح و لم یبق علیه ستره و لا حجاب.

و المقصود من هذه الجملات تنبیه المخاطبین علی أنهم بعد ما حصل لهم هذه الأمور أعنی تجربه الأمور و أحکامها و الموعظه و ضرب الأمثال الظاهره و الدّعوه إلی الأمر الواضح یحقّ لهم أن یعرفوا أحکام الشریعه حقّ المعرفه، و أن یمیّزوا بین البدعات و السّنن إذ تلک الأمور معدّه لحصول المعرفه و لوضوح الفرق بین البدعه و السنّه و بین المجعوله و الحقیقه.

(فلا یصمّ عن ذلک) أی لا یغفل عن ما ذکر من الامور أو عن الأمر الواضح الّذی دعوا إلیه (إلّا) من هو (أصمّ) أی الغافل البالغ فی غفلته النهایه و التنوین للتفخیم و التعظیم کما فی قوله تعالی: «وَ عَلی أَبْصارِهِمْ غِشاوَهٌ » أی غشاوه عظیمه و هکذا فی قوله:

(و لا یعمی عنه إلّا أعمی) أی لا یضلّ عنه و لا یجهل به إلّا من هو شدید الضلال و الجهاله.

(و من لم ینفعه اللّه بالبلاء) أی بما بلاه به من المکاره و المصائب (و) ب (التجارب) المکتسبه من مزاوله الامور و مقاساه الشدائد (لم ینتفع بشیء من العظه) لأنّ تأثیر البلاء و التّجارب فی النفس أشدّ و أقوی من تأثیر النصح و الموعظه، لأنّ الموعظه احاله علی الغایب، و البلیه و التجربه مدرکه بالحسّ فمن لا ینفعه الأقوی لا ینفعه الأضعف بالطریق الأولی (و أتاه النقص من أمامه) أی من بین یدیه.

قال الشارح البحرانی: لأنّ الکمالات الّتی یتوجّه إلیها بوجه عقله تفوته لنقصان تجربته و وقوف عقله عنها فأشبه فوتها له مع طلبه لها إتیان النقص له من أمامه.

و قوله(حتّی یعرف ما أنکر و ینکر ما عرف)إشاره إلی غایه نقصانه، و هی الاختلاط و الحکم علی غیر بصیره، فتاره یتخیّل فیما أنکره و جهله أنّه عارف بحقیقته، و تاره

ينكر ما كان يعرفه و يحكم بصحّته لخيال يطرأ عليه.

قال الشّارح المعتزلى: حتّى يتخيّل فيما أنكره أنّه قد عرفه و ينكر ما قد كان عارفا به و سمّى اعتقاد العرفان و تخيّله عرفانا على المجاز.

ثمّ فرّع على ما ذكر انقسام الناس إلى قسمين فقال عليه السّلام (فانّ الناس رجلان متبع شرعه) أى متشرّع آخذ بشرايع الدّين، و سالك لمنهاج الشرع المبين، و هو العامل بكتاب اللّه سبحانه و سنّته و المقتبس من نورهما و المنتفع بما فيهما من النصايح و المواعظ و الأمثال المضروبه، و هو من الّذين قال اللّه فيهم «وَ تِلْكَ الْأَمْثالُ نَضْرِبُها لِلنّاسِ وَ ما يَعْقِلُها إِلَّا الْعالِمُونَ ».

(و مبتدع بدعه) و هو الّذى لم ينتفع بهما بل نبذ أحكامهما ورائه و اتّبع هويه و ع مل بارائه و مقايسه فأعمى اللّه قلبه عن معرفه الحقّ و أصمّه عن استماعه كما قال:

«صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لا يَرْجِعُونَ »(ليس معه من) عند (اللّه) سبحانه (برهان سنّه و لا ضياء حجّه) أى ليس له فيما أحدثه من البدعه دليل عليه من سنّه و لا حجّه بيّنه واضحه من الكتاب الكريم تنجيه لوضوحها و ضيائها من ظلمه الجهل و الضلال.

قال أبو شيبه الخراسانى: سمعت أبا عبد اللّه عليه السّلام يقول: إنّ أصحاب المقاييس طلبوا العلم بالمقاييس فلم تزدهم المقاييس من الحقّ إلاّ بعدا و انّ دين اللّه لا يصاب بالعقول، رواه فى الكافى.

و فيه أيضا عن محمّد بن أبى عبد اللّه رفعه عن يونس بن عبد الرّحمان قال: قلت لأبى الحسن الأوّل عليه السّلام: بما اوحّد اللّه عزّ و جلّ؟ فقال: يا يونس لا تكوننّ مبتدعا من نظر برأيه هلك، و من ترك أهل بيت نبيّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم ضلّ، و من ترك كتاب اللّه و قول نبيّه كفر.

و لما ذكر أنّ أصحاب البدع ليس لهم دليل من سنّه يتمسّكون به و لا نور حجّه يستضيئون به أردفه بذكر ممادح القرآن تنبيها على كونه البرهان الحقّ و النّور المضىء أحقّ بالاتباع و الاهتداء، و أجدر أن يقتبس من أنواره و يتّعظ بمواعظه و نصايحه، و على أنّ الراغبين عنه التابعين لأهوائهم و الاخذين بالاراء

ص:۲۲۵

و المقاييس تائهون فى بوادى الجهاله، هائمون فى فيافى الضلاله فقال:

(و إنّ اللّه سبحانه لم يعظ أحدا بمثل هذا القرآن) لأنّ الغرض من جميع المواعظ المتضمّنه للوعد و الوعيد و الترغيب و التهديد هو الجذب إلى طرف الحقّ و الارشاد إلى حظيره القدس، و القرآن أبلغ منها كلّها فى إفاده ذلك الغرض و أكمل فى تحصيل ذلك المقصود (فانه حبل اللّه المتين) من تمسّك به نجا و من تركه فقد هوى، و وصفه بالمتانه و الاحكام لأنه حبل ممدود من الأرض إلى السماء من استمسك به فقد استمسك بالعروه الوثقى لا انفصام لها (و سببه الأمين) و وصفه بالامانه لأنه لا يخون المتوصّل به فى ايصاله إلى حظاير القدس و مجالس الانس و قرب الحقّ (و فيه ربيع القلب) لأنّ القلوب تلتذّ و تنشط و ترتاح بتلاوه آياته و تدبّر ما فيها من المحاسن و المزايا و تفكّر ما تضمّنته تلك الايات من النكات البديعه و اللطايف العجيبه، كما أنّ النفوس تلتذّ بأزهار الربيع و أنواره.

(و) فيه (ينابيع العلم) استعاره بالكنايه حيث شبّه العلم بالماء إذ به حياه الأرواح كما أنّ بالماء حياه الأبدان، و ذكر الينابيع تخييل، و فى نسخه الشارح بدل ينابيع العلم: ينابيع العلوم و المقصود واحد، و إنما كان ينابيع العلوم اذ جميع العلوم خارجه منه لتضمّنه علم ما كان و ما هو كائن و ما يكون كما قال عزّ من قائل:

«وَ لا رَطْبٍ وَ لا يابِسٍ إِلاّ فِى كِتابٍ مُبِينٍ ».

(و ما للقلب جلاء غيره) إذ فيه منار الهدى و مصابيح الدّجى و التفكّر فيه يجلو القلوب من رين الشكوكات و يرتفع به عنها صدا الشبهات كما يجلو الصيقل المرات.

فان قلت: لم جعل الجلاء مقصورا فيه مع حصوله بغيره من العلوم الحقّه؟ قلت: لما كان القرآن ينابيع جميع العلوم حسبما عرفت يؤل حصول الجلاء بها إلى الجلاء به فى الحقيقه، أو أنّ المراد نفى الكمال أى ليس للقلب جلاء كامل غيره.

و هذا الجواب أولى مما أجاب به الشارح البحرانى من أنّ هذا الكلام صدر

ص:۲۲۶

عنه عليه السّلام و لم يكن فى هذا الزمان علم مدوّن و لا استفاده للمسلمين إلاّ من القرآن الكريم، فلم يكن إذا جلاء للقلب غيره.

وجه الأولويّه أنّ الأحاديث النبويّه كانت موجوده بأيديهم يومئذ و الاستفاده منها كانت ممكنه لمن أرادها، و أما غير المريد لها من الّذين على قلوبهم أقفالها فالقرآن و الحديث بالنسبه إليهم أيضا على حدّ سواء كما لا يخفى.

(مع أنه قد ذهب المتذكّرون) بالقرآن ال متدبّرون فى معانيه المستضيئون بضيائه المقتبسون من أنواره (و بقى الناسون) له حقيقه (أو المتناسون) المظهرون للنسيان لأغراض دنيويّه.

و ارتباط هذا الكلام أعنى قوله: مع أنه آه بما سبق أنه لما ذكر ممادح القرآن و أنه أبلغ المواعظ و أجلى للقلوب، و كان الغرض منه حثّ المخاطبين و تحريصهم على اتّباعه و التذكّر به أتبعه بذلك أسفا على الماضين و تقريعا على الباقين بأنّهم لا يتذكّرون به و لا يتّبعونه و لا يتّعظون بمواعظه.

و محصّله إظهار اليأس من قبولهم للموعظه و استبعاد ذلك لما تفرّس منهم من فساد النيات و متابعه الهوى و الشهوات.

و يحتمل أن يكون توطئه و تمهيدا لما كان يريده من أمرهم باعانه الخير و تجنّب الشرّ، يعنى مع أنّ المتذكّرين و أولى البصاير قد مضوا و لم يبق إلاّ الغافلون الجاهلون و تأثير الموعظه فيهم صعب جدا، مع ذلك أعظكم و اذكّركم و إن لم تنفع الذكرى بقولى (فاذا رأيتم خيرا فأعينوا عليه و إذا رأيتم شرّا فاذهبوا عنه) لفظ الخير و الشرّ و إن كان مطلقا شاملا باطلاقه لكلّ خير و شرّ، إلاّ أنّ الأشبه أن يكون نظره فيهما إلى الخير و الشرّ المخصوصين.

بأن يكون مراده من الخير الخير الّذى كان يريده فى حقّهم و إن كان مكروها و كانوا لهم متنفرّين عنه بطبعهم من التسويه فى العطاء و الحمل على جادّه الوسطى و مرّ الحقّ، و يكون المراد باعانتهم عليه تسليمهم له فى كلّ ما يأمر و ينهى و رضاهم

بكلّ ما يفعل و يريد، و سعيهم فى مقاصده وماربه.

و أن يكون مراده من الشرّ ما تفرّس منهم بل شاهده من قصدهم لنكث البيعه و ثوران الفتنه، و يكون المراد بالذّهاب عنه الاعراض عنه و الترک له.

و إنّما قلنا إنّ الأشبه ذلک لما حکيناه عن بعض الشراح من أنّ هذه الخطبه خطب بها فى أوائل البيعه فقرينه الحال و المقام تشعر بما ذكرناه.

و كيف كان فلما أمر عليه السّلام بما أمر أكّده بالحديث النبوىّ صلّى اللّه عليه و آله فقال(فانّ رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله كان يقول: يا ابن آدم اعمل الخير و دع الشرّ)أى اتركه(فاذا أنت جواد قاصد)يحتمل أن يكون المراد بالقاصد الراشد الغير المجاوز عن الحدّ فى سيره بأن لا يكون سريع السّير فيتعب بسرعته، و لا بطىء السّير فيفوت الغرض ببطوئه، و أن يكون المراد به السائر فى قصد السّبيل أى غير الخارج عن الجادّه الوسطى، و تشبيه عامل الخير و تارك الشرّ به على الأوّل من أجل اتّصافه بالعدل فى أموره و براءته من الافراط و التفريط، و على الثانى من أجل كون سلوكه على الجادّه الوسطى و الصراط المستقيم الموصل به إلى نضره النّعيم و الفوز العظيم.

ثمّ نبّه على أقسام الظلم تلميحا إلى مظلوميته عليه السّلام و تنبيها على أنّ ظلامته لا تترک فقال(ألا و انّ الظلم ثلاثه فظلم لا يغفر، و ظلم لا يترک، و ظلم مغفور لا يطلب، فأمّا الظلم الّذى لا يغفر فالشّرک باللّه)لما (قال اللّه سبحانه«إِنَّ اللّهَ لا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ ») عدم الغفران بالشرک مشروط بعدم التوبه، لأنّ الأمه أجمعت على أنّ اللّه يغفره بالتوبه و إن كان الغفران مع التوبه عند المعتزله على وجه الوجوب و عندنا على وجه التفضّل و الانعام كما يأتى التصريح بذلک عن مجمع البيان.

(و أمّا الظلم الّذى يغفر فظلم العبد نفسه عند بعض الهنات) لعلّ المراد بذلک البعض الصغائر لأنّ الاجتناب عن الكباير يكون كفاره لها كما قال تعالى:

«إِنْ تَجْتَنِبُوا كَبائِرَ ما تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئاتِكُمْ ».

و أمّا حمله على المغفره بالتوبه أو الشفاعه ففيه انّ المغفره بهما لا اختصاص لها ببعض الهنات السّيئات بل جميع المعاصى تكون مغفوره بعد حصول التوبه و الشفاعه

ص:٢٢٨

على أنّ حمله على صوره التوبه يوجب عدم الفرق بينه و بين القسم الأوّل لما عرفت هناك من الاجماع على غفران الشرك أيضا بالتوبه كساير المعاصى صغيره أو كبيره فلا يكون على ذلك للتفكيك بين القسمين وجه.

و الحاصل أنّ الشرك و غيره مشتركان فى الغفران بالتوبه و فى عدمه بعدمها إلاّ الصغائر فانّها تغفر مع عدمها أيضا إذا حصل الاجتناب عن الكباير هذا.

و لكن ظاهر قوله تعالى «إِنَّ اللّهَ لا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَ يَغْفِرُ ما دُونَ ذلِكَ لِمَنْ يَشاءُ » هو غفران ما دون الشرك مطلقا صغيرا كان أو كبيرا، بل صرّح به فى بعض الأخبار.

و هو ما رواه فى الصّافى من الكافى عن الصّادق عليه السّلام فى هذه الايه قال:

الكبائر فما سواها.

و فيه منه و من الفقيه أنّه عليه السّلام سئل هل تدخل الكباير فى مشيّه اللّه؟ قال:

نعم ذاك إليه عزّ و جلّ إن شاء عذّب و إن شاء عفى عنها.

و فى تفسير علىّ بن إبراهيم عند تفسير هذه الايه قال: حدّثنى أبى عن ابن أبى عمير عن هشام عن أبى عبد اللّه عليه السّلام قال: قلت له: دخلت الكبائر فى الاستثناء؟ قال: نعم.

قال الطبرسىّ فى مجمع البيان فى تفسيرها: معناها أنّ اللّه لا يغفر أن يشرك به أحد و لا يغفر ذنب المشرك لأحد و يغفر ما دون الشرك من الذّنوب لمن يريد قال المحقّقون: هذه الايه أرجى آيه فى القرآن، لأنّ فيه إدخال ما دون الشرك من جميع المعاصى فى مشيّه الغفران وقف اللّه المؤمنين الموحّدين بهذه الايه بين الخوف و الرّجاء و بين العدل و الفضل، و ذلك صفه المؤمن، و لذلك قال الصادق عليه السّلام: لو وزن رجاء المؤمن و خوفه لاعتدلا.

قال الطبرسىّ: و وجه الاستدلال بهذه على أنّ اللّه يغفر الذّنوب من غير توبه أنه نفى غفران الشرك و لم ينف غفرانه على كلّ حال بل نفى أن يغفر من غير توبه لأنّ الامه اجتمعت على أنّ اللّه يغفره بالتوبه و إن كان الغفران عند المعتزله على

وجه الوجوب و عندنا على وجه التفضّل، و على هذا يجب أن يكون المراد بقوله:

«وَ يَغْفِرُ ما دُونَ ذلِکَ لِمَنْ يَشاءُ »، أنّه يغفر ما دون الشرک من الذنوب بغير توبه لمن يشاء من المذنبين غير الكافرين.

و لا معنى لقول المعتزله إنّ فی حمل الايه على ظاهرها و إدخال ما دون الشرک فی المشيّه إغراء على المعصيه، لأنّ الاغراء إنّما يحصل بالقطع على الغفران فأمّا إذا كان الغفران معلّقا بالمشيّه فلا إغراء فيه. بل يكون العبد به واقفا بين الخوف و الرجاء و بهذا وردت الأخبار الكثيره من طريق الخاصّ و العامّ، و انعقد عليه اجماع سلف أهل الاسلام.

و من قال فی غفران ذنوب البعض دون البعض ميل و محاباه و لا يجوز الميل و المحاباه على اللّه.

فجوابه أنّ اللّه متفضّل بالغفران و للمتفضّل أن يتفضّل على قوم دون قوم و انسان دون انسان، و هو عادل فی تعذيب من يعذّبه، و ليس يمنع العقل و الشرع من الفضل و العدل.

و من قال منهم أنّ لفظه ما دون ذلک و إن كانت عامه فی الذنوب الّتی هی دون الشرک فانما نخصّها و نحملها على الصغائر أو ما يقع منه التوبه لأجل عموم ظاهر آيات الوعيد.

فجوابه إنا نعكس عليكم ذلک فنقول: بل خصّصوا ظواهر تلک الايات لعموم هذه الايه و هذا أولى لما روى عن بعض أنّه قال إنّ هذه الايه استثناء على جميع القرآن يريد به و اللّه أعلم جميع آيات الوعيد.

و أيضا فان الصّغاير يرتفع عندكم محبطه و لا تجوز المؤاخذه بها، و ما هذا حكمه فكيف تعلّق بالمشيّه فانّ أحدا لا يقول إنی أفعل الواجب إن شئت و أردّ الوديعه إن شئت، انتهى.

و بما ذكرنا ظهر لک فساد ما توهّمه الشارح المعتزلی فانّه بعد ما ذكر أنّ الكبائر حكمها حكم الشرک عند أصحابه المعتزله فی عدم المغفره اعترض على

نفسه بأنّ الایه صریحه فی التفکیک بینها و بینه، و أجاب بما ملخّصه أنّ المراد من لفظ الغفران هو الستر فی موقف القیامه و المراد أنّ اللّه لا یستر فی موقف القیامه من مات مشرکا بل یفضحه علی رءوس الأشهاد، و أمّا من مات علی کبیره من أهل الاسلام فانّ اللّه یستره فی الموقف و لا یفضحه بین الخلایق و إن کان من أهل النار، و قد یکون من أهل الکبائر ممّن یقرّ بالذّنوب من تعظم کبائره جدّا فیفضحه اللّه فی الموقف کما یفضح المشرک، فهذا معنی قوله: «وَ یَغْفِرُ ما دُونَ ذلِکَ لِمَنْ یَشاءُ » انتهی.

وجه الفساد أنّ الغفر و إن کان فی اللّغه بمعنی الستر و التغطیه إلاّ أنّه فی الایات و الأخبار حیثما یطلق یراد به التجاوز عن الخطایا و العفو عن الذنوب و الستر علیها، فحمله علی الستر المخصوص بالموقف خلاف ظاهر الاطلاق، و الأصل عدم التقیید فلا داعی إلی المصیر إلیه.

و أقول علی رغم المعتزله أنهم لتمسّکهم بحجزه خلفائهم الضّالین المضلّین و انحرافهم عن أولیاء الدّین أساءوا ظنّهم باللّه ربّ العالمین و حکموا فی مرتکبی الکبایر من المسلمین بکونهم فی النار معذّبین کالکفّار و المشرکین، و اللّه سبحانه مجازیهم علی نیّاتهم و عقیدتهم و حاشرهم یوم القیامه مع من یتولّونه ثمّ یردّهم إلی أسفل السافلین من الجحیم مخلّدین فیها و لا هم عنها یخرجون.

و أمّا نحن فلاعتصامنا بالعروه الوثقی و الحبل المتین أعنی ولایه أمیر المؤمنین و ولایه آله المعصومین نحسن ظنّنا باللّه و نرجو غفرانه و عفوه و الحشر مع أولیائنا و إن کان فی بحار الذّنوب مغرقین، و لا نظنّ فی حقّ ربّنا الغفور الرّحیم انّه یسمع فی النار صوت عبد مسلم سجن فیها بمخالفته و ذاق طعم عذابها بمعصیته و حبس بین أطباقها بجرمه و جریرته و هو یضجّ إلیه ضجیج مؤمّل لرحمته و ینادیه بلسان أهل توحیده و یتوسّل إلیه بربوبیّته، فکیف یبقی فی العذاب و هو یرجو ما سلف من حلمه و رأفته، أم کیف تؤلمه النّار و هو یأمل فضله و رحمته، أم کیف یحرقه لهبها و هو یسمع صوته و یری مکانه، أم کیف یشتمل علیه زفیرها و هو یعلم ضعفه أم کیف یتغلغل بین أطباقها و هو یعلم صدقه، أم کیف تزجره زبانیتها و هو ینادیه یا ربّه، أم کیف یرجو فضله فی

عتقه منها فيتركه فيها هيهات ما هكذا الظنّ به و لا المعروف من فضله، و لا مشبه لما عامل به الموحّدين من برّه و إحسانه، فباليقين نقطع لو لا ما حكم به من تعذيب جاحديه و قضى به من إخلاد معانديه لجعل النار كلّها بردا و سلاما و ما كان لأحد من شيعه أمير المؤمنين و محبّيه مقرّا و لا مقاما(۱).

و لقد روى فى الفقيه عن أمير المؤمنين عليه السّلام قال: و لقد سمعت حبيبى رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله يقول: لو أنّ المؤمن خرج من الدّنيا و عليه مثل ذنوب أهل الأرض لكان الموت كفّاره لتلك الذّنوب ثمّ قال صلّى اللّه عليه و آله: و من قال لا إله إلّا اللّه باخلاص فهو برىء من الشرك، و من خرج من الدّنيا لا يشرك باللّه شيئا دخل الجنّه ثمّ تلى صلّى اللّه عليه و آله هذه الايه: «إِنَّ اللّهَ لا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَ يَغْفِرُ ما دُونَ ذلِكَ لِمَنْ يَشاءُ » من شيعتك و محبّيك يا على قال أمير المؤمنين عليه السّلام: فقلت: يا رسول اللّه هذا لشيعتى؟ قال صلّى اللّه عليه و آله و سلّم اى و ربّى هذا لشيعتك، هذا.

(و أمّا الظلم الّذى لا يترك فظلم العباد بعضهم بعضا) فقد روى فى الكافى عن شيخ عن النخعى قال: قلت لأبى جعفر عليه السّلام إنى لم أزل واليا منذ زمن الحجّاج إلى يومى هذا فهل لى من توبه؟ قال: فسكت ثمّ أعدت عليه فقال: لا حتّى تؤدّى إلى كلّ ذى حقّ حقّه.

و عن هشام بن سالم عن أبى عبد اللّه عليه السّلام قال: من ظلم مظلمه أخذ بها فى نفسه أو فى ماله أو فى ولده.

و عن أبى بصير، عن أبى جعفر عليه السّلام قال: قال: ما انتصر اللّه من ظالم إلّا بظالم و ذلك قول اللّه عزّ و جلّ «وَ كَذلِكَ نُوَلِّي بَعْضَ الظّالِمِينَ بَعْضاً ».

و فيه عن أبى عبد اللّه عليه السّلام عن رسول اللّه و عن أمير المؤمنين صلوات اللّه عليهما و على آلهما: من خاف القصاص كفّ عن ظلم الناس.

(ف) انّ (القصاص هناك) أى فى الاخره مضافا إلى قصاص الدّنيا (شديد)، و يوم المظلوم على الظالم أشدّ من يوم الظالم على المظلوم، لأنّ يوم الظالم الدّنيا فقط،

۱- (۱) هذه الفقرات اقتباس من دعاء كميل رضى اللّه عنه (منه ره)

و يوم المظلوم الدّنيا و الاخره و المنتقم هو اللّه سبحانه و (ليس هو) أى قصاصه و انتقامه (جرحا بالمدى) و السّكاكين (و لا ضربا بالسّياط) و العصا و نحو ذلك من مولمات الدّنيا (و لكنّه ما يستصغر ذلك معه) هو نار الجحيم و العذاب الأليم و الخزى العظيم.

قال الشارح: قد أشرت سابقا إلى أنّ فى ذكره أقسام الظلم و ما يترتّب عليها من العقوبات تلميحا إلى مظلوميّته عليه السّلام و تنبيها على أنّ الظلم الذى وقع فى حقّه ليس بحيث يترك و يرفع اليد عنه، بل يقتصّ من ظالميه البتّه و ينتقم بمقتضى العدل و اللّه عزيز ذو انتقام، و حيث إنّ ظلامه آل محمّد صلّى اللّه عليه و آله و سلّم أعظم ما وقع فى الأرض من المظالم حيث غصبوا خلافتهم و أحرقوا باب بيتهم و أسقطوا محسنهم و قتلوا أمير المؤمنين و ابنيه الحسن و الحسين عليهم السّلام بالسمّ و سيف العدوان و أداروا رأسه و رأس أصحابه على الرماح و السنان، و شهروا نساءه و بناته فى الأصقاع و البلدان إلى غير ذلك من الظلم و الطغيان الّذى يعجز عن تقريره اللّسان و يضيق عنه البيان، فلا بدّ أن يكون قصاص ظلاماتهم أشدّ و عقوبه ظالميهم أعظم و أخزى و أحببت أن اورد بعض ما ورد فيه من الأخبار باقتضاء المقام.

فأقول: روى فى البحار من كتاب الاحتجاج عن سليم بن قيس الهلالى عن سلمان الفارسى قال: قال أمير المؤمنين عليه السّلام فى يوم بيعه أبى بكر: لست بقائل غير شيء واحدا ذكّركم باللّه أيّها الأربعه - يعنينى و الزبير و أبا ذر و المقداد - أسمعتم رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم يقول: إنّ تابوتا من النار فيه اثنى عشر رجلا، ستّه من الأوّلين و ستّه من الاخرين فى جبّ فى قعر جهنّم فى تابوت مقفل على ذلك الجبّ صخره إذا أراد اللّه أن يسعر جهنّم كشف تلك الصخره عن ذلك الجبّ فاستعاذت جهنّم من وهيج ذلك الجبّ.

فسألناه عنهم و أنتم شهود، فقال النبى صلّى اللّه عليه و آله:

أمّا الأوّلين فابن آدم عليه السّلام الّذى قتل أخاه، و فرعون الفراعنه، و الّذى حاجّ إبراهيم فى ربّه، و رجلان من بنى اسرائيل بدّلا كتابهما و غيّر استّتهما أمّا أحدهما

ص:۲۳۳

فهوّد اليهود و الاخر نصّر النصارى و إبليس سادسهم و الدّجال فى الاخرين.

و هؤلاء الخمسه أصحاب الصّحيفه الّذين تعاهدوا و تعاقدوا على عداوتك يا أخى و التظاهر عليك بعدى هذا و هذا حتّى عدّهم و سمّاهم، فقال سلمان: فقلنا صدقت نشهد أنّا سمعنا ذلك من رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله.

و فى تفسير علىّ بن إبراهيم عن الصّادق عليه السّلام فى قوله تعالى «قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ » قال عليه السّلام: الفلق جبّ فى جهنّم يتعوّذ أهل النّار من شدّه حرّه سأل اللّه أن يأذن له فيتنفّس فأذن له فتنفّس فأحرق جهنّم، فقال عليه السّلام: و فى ذلك الجبّ صندوق من نار يتعوّذ منه أهل الجبّ من حرّ ذلك الصّندوق و هو التابوت و فى ذلك ستّه من الأوّلين و ستّه من الاخرين.

فأمّا الستّه الّتى من الأوّلين فابن آدم الّذى قتل أخاه، و نمرود إبراهيم الّذى ألقى إبراهيم فى النار، و فرعون موسى، و السامرى الّذى اتّخذ العجل، و الّذى هوّد اليهود، و الّذى نصّر النصارى.

و أمّا الستّه من الاخرين فهو الأوّل، و الثانى، و الثالث، و الرابع، و صاحب الجوارح، و ابن ملجم «وَ مِنْ شَرِّ غاسِقٍ إِذا وَقَبَ » قال عليه السّلام: الّذى يلقى الجبّ يقب فيه.

و فى البحار من الخصال و عقاب الأعمال عن إسحاق بن عمّار عن موسى بن جعفر عليهما السّلام قال لى يا اسحاق إنّ فى النّار لواديا يقال له سقر لم يتنفّس منذ خلق اللّه لو أذن اللّه عزّ و جلّ له فى التنفس بقدر مخيط حرق ما على وجه الأرض، و إنّ أهل النار ليتعوّذون من حرّ ذلك الوادى و نتنه و قذره و ما أعدّ اللّه فيه لأهله، و انّ فى ذلك الوادى جبلا يتعوّذ جميع أهل ذلك الجبل من حرّ ذلك الشعب و نتنه و قذره و ما أعدّ اللّه فيه لأهله، و انّ فى ذلك الشعب لقليبا يتعوّذ جميع أهل ذلك الشعب من حرّ ذلك القليب و نتنه و قذره و ما أعدّ اللّه فيه لأهله، و انّ فى ذلك القليب لحيّه يتعوّذ أهل ذلك القليب من خبث تلك الحيّه و نتنها و قذرها و ما أعدّ اللّه فى أنيابها من السمّ للذعها، و انّ فى جوف تلك الحيّه سبعه صناديق فيها خمسه من الأمم السالفه و اثنان

من هذه الأمه.

قال: قلت: جعلت فداك و من الخمسه؟ و من الاثنان؟ قال: فأمّا الخمسه فقابيل الّذى قتل هابيل، و نمرود الّذى حاجّ إبراهيم فى ربّه و قال أنا أحيى و أميت، و فرعون الّذى قال أنا ربّكم الأعلى، و يهود الّذى هوّد اليهود، و بولس الّذى نصّر النصارى، و من هذه الأمه: الأعرابيّان.

أقول: الأعرابيّان: الأوّل و الثّانى اللّذان لم يؤمنا باللّه طرفه عين.

و فيه من عقاب الأعمال عن حنّان بن سدير قال: حدّثنى رجل من أصحاب أبى عبد اللّه عليه السّلام قال: سمعته يقول إنّ أشدّ الناس عذابا يوم القيامه لسبعه نفر أوّلهم ابن آدم الّذى قتل أخاه، و نمرود الّذى حاجّ إبراهيم فى ربّه، و اثنان فى بنى اسرائيل هوّدا قومهما و نصّراهما، و فرعون الّذى قال أنا ربكم الأعلى، و اثنان فى هذه الامه أحدهما شرّهما فى تابوت من قوارير تحت الفلق فى بحار من نار.

و فيه من كتاب الاختصاص عن يحيى بن محمّد الفارسى عن أبيه عن أبى عبد اللّه عليه السّلام عن أبيه عن أمير المؤمنين صلوات اللّه عليه و آله قال: خرجت ذات يوم إلى ظهر الكوفه و بين يدىّ قنبر فقلت يا قنبر ترى ما أرى؟ فقال: قد ضوء اللّه لك يا أمير المؤمنين عمّا عمى عنه بصرى، فقلت: يا أصحابنا ترون ما أرى؟ فقالوا:

لا-قد ضوء اللّه لك يا أمير المؤمنين عمّا عمى عنه أبصارنا فقلت و الّذى فلق الحبّه و برىء النسمه لترونه كما أراه و لتسمعنّ كلامه كما أسمع.

فما لبثنا أن طلع شيخ عظيم الهامه له عينان بالطول فقال: السّلام عليك يا أمير المؤمنين و رحمه اللّه و بركاته فقلت: من أين أقبلت يا لعين؟ قال: من الاثام، فقلت: و أين تريد؟ فقال: الاثام، فقلت. بئس الشيخ أنت، فقال: تقول: هذا يا أمير المؤمنين فو اللّه لأحدّثنك بحديث عنّى عن اللّه عزّ و جلّ ما بيننا ثالث، فقلت عنك عن اللّه عزّ و جلّ ما بينكما ثالث؟ قال: نعم.

قال: انّه لما هبطت بخطيئتى إلى السماء الرابعه ناديت إلهى و سيّدى ما أحسبك خلقت من هو أشقى منّى، فأوحى اللّه تبارك و تعالى بلى قد خلقت من هو

أشقى منک فانطلق إلى مالک يريکه، فانطلقت إلى مالک فقلت: السّلام يقرئک السّلام و يقول: أرنى من هو أشقى منّى، فانطلق بى مالک إلى النّار فرفع الطبق الأعلى فخرجت نار سوداء ظننت أنها قد أکلتنى و أکلت مالکا، فقال لها: اهدئى، فهدأت، ثمّ انطلق بى إلى الطبق الثانى فخرجت نار هى أشدّ من تلک سوادا و أشدّ حمى فقال لها: أخمدى، فخمدت، إلى أن انطلق بى إلى السابع و کلّ نار يخرج من طبق يخرج أشدّ من الاولى فخرجت نار ظننت أنها قد أکلتنى و أکلت مالکا و جميع ما خلقه اللّه عزّ و جلّ فوضعت يدى على عينى و قلت: مرها يا مالک أن تخمد و إلاّ خمدت فقال: أنت لم تخمد إلى الوقت المعلوم، فأمرها فخمدت، فرأيت رجلين فى أعناقهما سلاسل النّيران معلّقين بها إلى فوق و على رؤوسهما قوم معهم مقامع النيران يقمعونهما بها، فقلت: يا مالک من هذان؟ فقال: أو ما قرئت فى ساق العرش و کنت قرأته قبل أن يخلق اللّه الدّنيا بألفى عام لا إله إلاّ اللّه محمّد رسول اللّه أيّدته و نصرته بعلىّ، فقال:

هذان عدّوا ذلک و ظالماهم.

ثمّ إنّه حذّرهم عن التلوّن فى الدّين فقال (فاياکم و التلوّن فى دين اللّه) تحذير لهم عن عدم الثبات على خلق واحد فى أمر الدّين و عن التقلّب و التذبذب فى أحکام الشرع المبين.

و الظاهر أنه راجع الى جماعه بلغه عليه السّلام من بعضهم توقّفهم فى بيعته کعبد اللّه ابن عمر و سعد بن أبى وقاص و حسّان بن ثابت و اسامه بن زيد و أضرابهم، و عن بعضهم إراده النکث و النقض للبيعه بعد توکيدها مثل طلحه و الزبير و أتباعهما.

و مرجع هذا التحذير فى الحقيقه إلى التحذير عن النّفاق، لأنّ المنافق لا يستقيم على رأى واحد.

و قد ذمّ اللّه المنافقين على ذلک بقوله «مُذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذلِکَ لا إِلى هؤُلاءِ وَ لا إِلى هؤُلاءِ وَ مَنْ يُضْلِلِ اللّهُ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ سَبِيلًا » و قال أيضا «إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا ثُمَّ کَفَرُوا ثُمَّ آمَنُوا ثُمَّ کَفَرُوا ثُمَّ ازْدادُوا کُفْراً لَمْ يَکُنِ اللّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَ لا لِيَهْدِيَهُمْ سَبِيلًا بَشِّرِ الْمُنافِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذاباً أَلِيماً اَلَّذِينَ يَتَّخِذُونَ الْکافِرِينَ أَوْلِياءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ »

روى فى الصّافى عن العياشى عن الصّادق عليه السّلام فى قوله: «إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا » قال هما و الثالث و الرابع و عبد الرحمن و طلحه و كانوا سبعه الحديث.

و عن الصّادق عليه السّلام نزلت فى فلان و فلان و فلان آمنوا برسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم فى أوّل الأمر «ثُمَّ كَفَرُوا » حين عرضت عليهم الولايه حيث قال من كنت مولاه فعلىّ مولاه «ثُمَّ آمَنُوا » بالبيعه لأمير المؤمنين عليه السّلام حيث قالوا له بأمر اللّه و أمر رسوله فبايعوه «ثُمَّ كَفَرُوا » حيث مضى رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله فلم يقرّوا بالبيعه «ثُمَّ ازْدادُوا كُفْراً » بأخذهم من بايعوه بالبيعه لهم فهؤلاء لم يبق من الايمان شىء و كيف.

فلما حذّرهم عن التلوّن الملازم للنفاق و التفرّق علّله بقوله (فانّ جماعه فى ما تكرهون من الحقّ خيره من فرقه فيما تحبّون من الباطل) يعنى الاجتماع على الحقّ خير من الافتراق على الباطل و إن كان الأوّل مكروها لكم و الثانى محبوبا لديكم، و لعلّ المراد أنّ اجتماعكم على بيعتى و ثباتكم عليه خير لكم عاجلا و آجلا من افتراقكم عنها ابتغاء للفتنه و حبّا لها.

و أكّد ذلك بقوله (و انّ اللّه سبحانه لم يعط أحدا بفرقه خيرا ممّا مضى و لا مما بقى) لفظه با فى الموضعين إمّا بمعنى من و يؤيّده ما فى أكثر النسخ من لفظه من بدلها فيكون المراد أنه لم يعط أحدا من السّلف و لا من الخلف خيرا بسبب الافتراق، و إمّا بمعناها الأصلى فيكون المعنى أنّه تعالى لم يعط أحدا بسبب الافتراق خيرا من الدّنيا و لا من العقبى.

و ذلك لأنّ الانسان مدنىّ بالطبع محتاج فى اصلاح أمر معاشه و معاده و انتظام اولاه و اخراه إلى التعاون و الاجتماع و الايتلاف.

و لذلك قال عليه السّلام فى كلامه المأه و السابع و العشرين: و الزموا السواد الأعظم فانّ يد اللّه على الجماعه و اياكم و الفرقه فانّ الشاذّ من الناس للشيطان كما أنّ الشاذّ من الغنم للذئب.

و قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم من فارق الجماعه قدر شبر فقد خلع ربقه الاسلام عن عنقه هذا.

و لكثره فوائد الاجتماع و الايتلاف و عظم ما يترتّب عليها من الثمرات الدّنيويّه حبّ مؤكّدا فعل الجمعه و الجماعه و الأخبار الوارده فى الحثّ و الترغيب عليهما فوق حدّ الاحصاء.

(أيّها النّاس طوبى لمن شغله عيبه) و محاسبه نفسه (عن عيب الناس) و غيبتهم روى فى عقاب الأعمال عن الحسن بن زيد عن جعفر عن أبيه عليهما السّلام قال:

قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم: إنّ أسرع الخير ثوابا البرّ و إنّ أسرع الشرّ عقابا البغى، و كفى بالمرء عيبا أن ينظر من النّاس إلى ما يعمى عينه من نفسه، و يعير الناس بما لا يستطيع تركه و يؤذى جليسه بما لا يعنيه.

قال الطريحى فى قوله تعالى «طُوبى لَهُمْ وَ حُسْنُ مَآبٍ » أى طيب العيش، و قيل طوبى الخير و أقصى الامنيه، و قيل اسم للجنّه بلغه أهل الهند، و فى الخبر عن النبىّ صلّى اللّه عليه و آله و سلّم أنها شجره فى الجنّه أصلها فى دارى و فرعها فى دار علىّ عليه السّلام فقيل له فى ذلك فقال: دارى و دار علىّ فى الجنّه بمكان واحد، قال و فى الحديث هى شجره فى الجنّه أصلها فى دار النبىّ صلّى اللّه عليه و آله و ليس مؤمن إلاّ و فى داره غصن منها لا يخطر على قلبه شهوه إلاّ أتاه ذلك الغصن، و لو أنّ راكبا مجدّا سار فى ظلّها مأئه عام ما خرج و لو طار من أسفلها غراب ما بلغ أعلاها حتّى سقط هرما.

(و طوبى لمن لزم بيته) قد مرّ الكلام مشبعا فى فوايد العزله و ثمراتها فى شرح الفصل الثانى من الخطبه المأه و الثانيه.

فان قلت: أ ليس الاعتزال و ملازمه البيت ملازما للفرقه الّتى نهى عنها سابقا فكيف يجتمع النهى عن الفرقه مع الحثّ على العزله المستفاد من هذه الجمله الخبريّه؟ قلت: لا تنافى بينهما، لأنّ النهى السابق محمول على الافتراق لاثاره الفتنه و طلب الباطل كما يشعر به كلامه السابق أيضا، و هذا محمول على الاعتزال لطلب الحقّ و مناجاه الرّب و تزكيه النفس من رزائل الأخلاق.

كما يدلّ عليه قوله (و أكل قوته و اشتغل بطاعه ربّه و بكى على) سالف

(خطیئته) و موبق معصیته (فكان من نفسه فی شغل و النّاس منه فی راحه) أی یدا و لسانا.

روی فی الكافی عن أبی البلاد رفعه قال: جاء أعرابیّ إلی النبیّ صلّی اللّه علیه و آله و سلّم و هو یرید بعض غزواته فاخذ بغرز(۱) راحلته فقال: یا رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله علّمنی عملا أدخل به الجنّه، فقال صلّی اللّه علیه و آله ما أحببت أن یأتیه الناس إلیک فأته إلیهم، و ما كرهت أن یأتیه الناس إلیک فلا تأته إلیهم، خلّ سبیل الراحله.

و فیه عن عثمان بن جبله عن أبی جعفر علیه السّلام قال: قال رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم ثلاث خصال من كنّ فیه أو واحده منهنّ كان فی ظلّ عرش اللّه یوم لا ظلّ إلاّ ظلّه:

رجل أعطی النّاس من نفسه ما هو سائلهم، و رجل لم یقدم رجلا و لم یؤخّر رجلا حتی یعلم أنّ ذلک للّه رضی، و رجل لم یعب أخاه المسلم بعیب حتّی ینفی ذلک العیب عن نفسه فانّه لا ینفی منها عیبا إلاّ بدا له عیب و كفی بالمرء شغلا بنفسه عن الناس

الترجمه

پس از آن حذر نمائید از متفرّق ساختن خلقها و از برگرداندن آنها و بگردانید زبان را یک زبان، و باید که حفظ نماید مرد زبان خود را از جهه این که این زبان سركش است بصاحب خود، قسم بخدا نمی بینم بنده را پرهیز كند پرهیز كاری كه منفعت بخشد او را تا این كه نگه دارد زبانش را، پس بدرستی كه زبان مؤمن از پشت قلب او است و بدرستی كه قلب منافق از پشت زبان او است، بجهه این كه اگر مؤمن بخواهد تكلّم بنماید بسخنی اندیشه میكند آن را در پیش نفس خود پس اگر خوب باشد آن سخن اظهار می نماید آن را، و اگر بد باشد پنهان می سازد او را، و بدرستی كه منافق تكلّم می نماید بهر چه زبان او می آید و نمی داند چه چیزی منفعت دارد باو و چه چیز ضرر دارد بر او.

و بتحقیق فرموده است حضرت رسالتماب صلوات اللّه و سلامه علیه و آله كه:

۱- (۱) الغرز بالفتح و السكون ركاب الراحله من جلد و اذا كان من خشب أو حدید فركاب «منه ره»

مستقیم نشود ایمان بنده مگر این که مستقیم شود قلب او، و مستقیم نشود قلب او مگر این که مستقیم شود زبان او، پس هر کس قدرت داشته باشد از شما باین که ملاقات کند پروردگار خود را در حالتی که پاک باشد دست او و از خونهای مسلمانان و مالهای ایشان و سالم باشد زبان او از عرضهای ایشان پس باید که بکند آنرا.

و بدانید ای بندگان خدا که بدرستی مرد صاحب ایمان حلال می سازد امسال آن چیزی را که حلال دانسته در سال گذشته و حرام می شمارد امسال چیزی را که حرام شمرده در سال گذشته، و بدرستی چیزی که تازه احداث کرده است آن را مردمان حلال نمی نماید از برای شما هیچ چیز از آنچه که حرام گردانیده شده است بر شما، و لکن حلال منحصر است به آن چه که خدا حلال فرموده، و حرام منحصر است به آن چه که خدا حرام فرموده.

پس بتحقیق که تجربه کرده اید کارها را، و محکم گردانیده اید آنها را، و نصیحت داده شده اید با کسانی که بوده اند پیش از شما، و زده شده از برای شما مثلها، و دعوت شده اید بسوی أمر روشن، پس کر نمی شود در آن مگر کسی که زیاد کر باشد، و کور نمی شود از آن مگر کسی که بغایت کور باشد، و آن کسی که نفع نداد او را خدای تعالی با امتحان و تجربها منتفع نشد بچیزی از موعظه و آمد او را ضرر و تقصیر از پیش او تا این که خیال میکند معرفت چیزی را که انکار داشت او را، و انکار می نماید چیزی را که معرفت داشت باو.

پس بدرستی که مردمان دو مردند: یکی آنکه پیروی کننده است شریعت را و دیگری آنکه اختراع کننده است بدعت را در حالتی که نیست با او از جانب خداوند دلیلی از سنّت، و نه روشنی دلیلی.

و بدرستی که خدای تعالی موعظه نفرموده هیچ أحدی را بمثل این قرآن، پس بدرستی که قرآن ریسمان محکم خداست و ریسمانی است که ایمن است، و در او است بهار قلبها و چشمهای علمها، و نیست مر قلب را جلاء و صیقلی غیر آن با وجود

«ج ۱۵»

این که رفتند صاحبان تذکّر، و باقی مانده است صاحبان نسیان و فراموشی یا خود را بفراموشی زنندگان، پس چون ببینید چیز نیکوئی را پس اعانت نمائید بر او، و چون مشاهده کنید چیز بدی را پس کناره جوئی کنید از آن پس بدرستی که حضرت رسالتماب صلّی اللّه علیه و آله و سلّم می فرمود که ای پسر آدم عمل کن خیر را و ترک کن شرّ را، پس این هنگام تو می باشی پسندیده رفتار و پسندیده کردار.

آگاه باشید بدرستی که ظلم سه قسم است: ظلمیست که آمرزیده نمی شود، و ظلمی است که ترک کرده نمی شود، و ظلمیست که آمرزیده خواهد شد.

پس أما ظلمی که بخشیده نخواهد شد پس عبارتست از شرک آوردن بخدا خداوند تعالی فرموده: بدرستی که خدا نمی بخشد در این که شرک آورده باو، و اما ظلمی که بخشیده خواهد شد پس آن ظلم کردن بنده است بر نفس خود در بعض اعمال قبیحه و معاصی، و أما ظلمی که متروک نمی شود پس آن ظلم بندگان است بعضی بر بعضی، و دیگر قصاص ظالم در آخرت سخت و با شدّتست نه از قبیل زخم زدن است با کاردها و نه زدن با تازیانها و لیکن عذابیست که کوچک شمرده می شود این زخم و ضرب در جنب او پس بترسید از متلوّن شدن و دو رنگ بودن در دین خدای تعالی، پس بدرستی که اتفاق کردن در چیزی که ناخوش می دارید از أمر حق بهتر است از متفرّق گشتن در چیزی که دوست می دارید از أمر باطل، و بدرستی که خدای تعالی عطا نکرد أحدی را بسبب افتراق و اختلاف خیر و منفعتی نه از گذشتگان و نه از آیندگان.

ای مردمان خوشا مر آن کسی را که مشغول سازد او را عیب او از عیبهای مردمان، و خوشا مر آن کسی را که ملازم بشود خانهٔ خود یعنی منزوی شود و بخورد قوت حلال خود را و مشغول شود بطاعت پروردگار خود و گریه کند بگناهان خود، پس باشد از نفس خود در شغلی که مشغول او شود و مردمان از او در راحت.

و من كلام له عليه السّلام فى معنى الحكمين و هو المأه

اشاره

و السادس و السبعون من المختار فى باب الخطب

فأجمع رأى ملإكم على أن اختاروا رجلين فأخذنا عليهما أن يجعجعا عند القرآن و لا يجاوزاه، و تكون ألسنتهما معه، و قلوبهما تبعه، فتاها عنه، و تركا الحقّ و هما يبصرانه، و كان الجور هواهما، و الاعوجاج رأيهما، و قد سبق استثناؤنا عليهما فى الحكم بالعدل و العمل بالحقّ سوء رأيهما، و جور حكمهما، و الثّقه فى أيدينا لأنفسنا حين خالفا سبيل الحقّ، و أتيا بما لا يعرف من معكوس الحكم.

اللغه

(الملاء) أشراف النّاس و رؤساهم و مقدّموهم الّذين يرجع إلى قولهم قال فى محكىّ النهايه: فى حديث علىّ عليه السّلام أن (يجعجعا عند القرآن) أى يقيما عنده يقال: جعجع القوم إذا أناخوا بالجعجاع، و هى الأرض و الجعجاع أيضا الموضع الضيق الخشن و (التبع) محرّكه التابع يكون مفردا و جمعا و يجمع على أتباع مثل سبب و أسباب.

الاعراب

سوء رأيهما بالنّصب مفعول استثنائنا أو سبق أيضا على سبيل التنازع و الأوّل أظهر و قوله: فى الحكم، متعلّق بقوله: سبق.

ص:۲۴۲

المعنى

قال الشارح البحرانی: هذا الفصل من خطبه خطبها لما بلغه أمر الحکمین.

أقول: و الظاهر أنه ره توهّم من قول السیّد ره و من کلام له فی معنی الحکمین أنّه تکلّم به حین بلغه أمرهما، فان کان ظفر بتمام الخطبه و اطلع علی أنه خطبها حین بلوغ أمرهما فهو، و إلاّ فالظاهر أنّ هذا الکلام من فصول الاحتجاجات الّتی کانت له مع الخوارج و قد مرّ نظیر هذا الکلام منه فی ذیل الکلام المأه و السابع و العشرین.

و بالمراجعه إلی شرح الکلام المذکور و شرح الکلام المأه و الخامس و العشرین المتضمّنین لاحتجاجاته معهم یظهر لک توضیح ما ذکره فی هذا المقام و تعرف أنه ناظر إلی ردّ احتجاجهم الّذی احتجّوا به علیه و هو: أنک قد حکمت الرّجال فی دین اللّه و لم یکن ذلک إلیک ثمّ أنکرت حکمهما لما حکموا علیک.

فأجابهم علیه السّلام بقوله (فأجمع رأی ملإکم) أی عزم رؤساءکم و کبراءکم و اتّفق آراءهم (علی أن اختاروا رجلین) هما أبو موسی الأشعری و عمرو بن العاص لعنهما اللّه تعالی من غیر رضی منّی بتحکیمهما بل علی غایه کره منّی بذلک.

کما یدلّ قوله لابن الکوا فی النهروان فی الرّوایه الّتی رویناها من کشف الغمّه فی شرح الخطبه السادسه و الثلاثین حیث إنّه لما اعترض علیه بأمر الحکمین قال علیه السّلام له: أ لم أقل لکم إنّ أهل الشام یخدعونکم بها(۱) فانّ الحرب قد عضتهم فذرونی اناجزهم فأبیتم أ لم ارد نصب ابن عمّی - أی عبد اللّه بن العبّاس - و قلت انّه لا ینخدع فأبیتم إلاّ أبا موسی و قلتم رضینا به حکما فأجبتکم کارها و لو وجدت فی ذلک الوقت أعوانا غیرکم لما أجبتکم.

(فأخذنا علیهما) أی علی الرّجلین الحکمین (أن یجعجعا عند القرآن) أی یقفا دونه و یجب نفسهما علیه (و لا یجاوزاه) أی لا یتجاوزا عن أوامره و نواهیه (و یکون ألسنتهما معه و قلوبهما تبعه) أی یکونان تابعین له و یعملان بحکمه (فتاها) أی ضلاّ

۱- (۱) أی بالمصاحف و رفعها منه

(عنه و ترکا الحقّ و هما یبصرانه) أی عدلا عن القرآن و عن حکمه الحقّ الّذی هو خلافته مع علمهما و معرفتهما بحقیته کما عرفت تفصیل ذلک کلّه فی شرح الخطبه الخامسه و الثلاثین.

و الحاصل أنّهما ترکا الحقّ عمدا عن علم لا-عن جهل و لم یکن ذلک فتنه منهما بل کان بنائهما من أوّل الأمر علی ذلک (و کان الجور) و الحیف فی الحکم (هواهما و الاعوجاج) عن الحقّ و الانحراف عن الدّین (رأیهما) و فی بعض النسخ دأبهما و هو أولی أی لم یکن ذلک أوّل حیفهما بل کان دیدنا و عاده لهما و شیمه طبعت علیها قلوبهما.

ثمّ أجاب عمّا نقموا علیه من إنکاره التحکیم بعد رضاه به بقوله (و قد سبق استثناؤنا علیهما فی الحکم بالعدل و العمل بالحقّ سوء رأیهما و جور حکمهما) أراد به ما کان شرطه علی الحکمین حین عزموا علی التحکیم أن یحکما بما حکم القرآن و بما أنزل اللّه فیه من فاتحته إلی خاتمته و إلاّ فلا ینفذ حکمهما فیه و فی أصحابه، فقد قدّم علیه السّلام إلیهما أن لا یعملا برأیهما و هواهما و لا یحکما بشیء من تلقاء أنفسهم الأمّاره بالسوء.

(و الثقه فی أیدینا لأنفسنا) أی إنّا علی برهان و ثقه من امورنا و لیس یلازم لنا اتباع حکمهما (حین خالفا سبیل الحقّ) و انحرفا عن سواء السبیل (و أتیا بما لا یعرف) أی لا یصدق به (من معکوس الحکم) یعنی أنهما نبذا کتاب اللّه وراء ظهورهم و خالفاه و حکما بعکس حکم الکتاب و قد استحقّا به اللّؤم و العقاب یوم الحساب

الترجمه

از جمله کلام فصاحت نظام آن امام علیه السّلام است در ذکر أمر حکمین که خطاب فرموده بان خوارج نهروان را در مقام اجتماع با ایشان می فرماید:

پس متّفق شد رأی رؤساء و أشراف شما بر این که اختیار کردند دو مرد را که

ص:۲۴۴

یکی أبو موسی أشعری بود و یکی عمرو بن عاص پس عهد و میثاق گرفتیم بر ایشان که وا ایستند و حبس کنند نفس خود را در نزد قرآن و تجاوز نکنند از آن و باشد زبان ایشان با آن قرآن و قلبهای شان تابع آن، پس هر دو گمراه شدند از قرآن و ترک کردند حق را و حال آنکه هر دو می دیدند حق را، و بود جور و ظلم آرزوی ایشان و کجی و اعوجاج رأی ایشان.

و بتحقیق که سابق شده بود استثنا کردن ما بر آن دو مرد در خصوص حکم کردن با عدالت و عمل کردن بحق بدی رأی ایشان را و ستم کردن ایشان را در حکمی که می نمایند، یعنی استثناء کرده بودیم که ایشان با رأی فاسد خود رفتار نکنند و با حکم جور حکم ننمایند، و وثوق و اعتماد در دست ما است از برای نفسهای خود ما در وقتی که مخالفت راه حق کردند و آوردند چیزی را که غیر معروف بود از حکمی که بعکس حکم قرآن بود و بر خلاف شرط ما.

و من خطبه له علیه السّلام و هی المأه و السابعه

اشاره

و السبعون من المختار فی باب الخطب

خطبها بعد قتل عثمان فی أوّل خلافته کما فی شرح المعتزلی و البحرانی.

لا یشغله شأن، و لا یغیّره زمان، و لا یحویه مکان، و لا یصفه لسان، لا یعزب عنه عدد قطر الماء، و لا نجوم السّماء، و لا سوافی الرّیح فی الهواء، و لا دبیب النّمل علی الصّفاء، و لا مقیل الذّرّ فی اللّیله الظّلماء، یعلم مساقط الأوراق، و خفیّ طرف الأحداق. و أشهد أنّ لا إله إلاّ اللّه غیر معدول به، و لا مشکوک فیه،

و لا ـ مكفور دينه، و لا ـ مجحود تكوينه، شهاده من صدقت نيّته، و صفت دخلته، و خلص يقينه، و ثقلت موازينه. و أشهد أنّ محمّدا صلّى اللّه عليه و آله و سلّم عبده و رسوله، المجتبى من خلايقه، و المعتام لشرح حقايقه، و المختصّ بعقايل كراماته، و المصطفى لكرائم رسالاته، و الموضحه به أشراط الهدى، و المجلوّ به غربيب العمى. أيّها النّاس إنّ الدّنيا تغرّ المؤمّل لها، و المخلد إليها، و لا ـ تنفس بمن نافس فيها، و تغلب من غلب عليها. و أيم اللّه ما كان قوم قطّ فى غضّ نعمه من عيش فزال عنهم إلاّ ـ بذنوب اجترحوها، لأنّ اللّه ليس بظلاّم للعبيد، و لو أنّ النّاس حين تنزل بهم النّقم، و تزول عنهم النّعم، فزعوا إلى ربّهم بصدق من نيّاتهم، و وله من قلوبهم، لردّ عليهم كلّ شارد، و أصلح لهم كلّ فاسد، و إنّى لأخشى عليكم أن تكونوا فى فتره، و قد كانت أمور مضت ملتم فيها ميله كنتم فيها عندى غير محمودين، و لئن ردّ عليكم أمركم إنّكم لسعداء، و ما علىّ إلاّ الجهد، و لو أشاء أن أقول لقلت: «عَفَا اللّٰهُ عَمّا سَلَفَ ».

ص:۲۴۶

اللغه

(سفت) الريح التراب أى ذرته و (الدّخله) بالكسر و الضمّ باطن الشىء و (المعتام) بالتاء المثناه فاعل من اعتام أى اختار مأخوذ من العتمه و هو خيار المال و (الغربيب) وزان قنديل الأسود شديد السواد قال سبحانه: «وَ غَرابِيبُ سُودٌ ».

و (أخلد إلى الأرض) أى ركن إليها و اعتمد عليها (و ما علىّ إلاّ الجهد) فى نسخه الشارح البحرانى بفتح الجيم و ضبطه الشارح المعتزلى بالضمّ و بهما قرء قوله سبحانه: «وَ الَّذِينَ لا يَجِدُونَ إِلاّ جُهْدَهُمْ »، قال الفيومى: الجهد بالضمّ فى الحجاز و بالفتح فى لغه غيرهم الوسع و الطاقه، و قيل: المضموم الطاقه و المفتوح المشقّه، و الجهد بالفتح لا غير الغايه و النهايه، و هو مصدر من جهد فى الأمر جهدا من باب نفع إذا طلب حتّى بلغ غايته فى الطلب.

الاعراب

الظاهر تعلّق قوله فى اللّيله الظلماء بالدّبيب و المقيل على سبيل التنازع، و غير معدول بنصب غير حال من اللّه، و فى فى قوله: فى غضّ نعمه، للظرفيّه المجازيه، و الباء فى قوله: بصدق، للمصاحبه، و جمله عفى اللّه عما سلف و غايته لا محلّ لها من الاعراب و على ذلك فمقول قلت محذوف، و يجوز أن يكون فى محلّ النّصب مقوله للقول و الثانى أظهر لاحتياج الأوّل إلى الحذف و الأصل عدمه.

المعنى

اشاره

اعلم أنّ مدار هذه الخطبه على فصول أربعه

أولها

تنزيه اللّه سبحانه و تمجيده

بجمله من أوصاف الجلال و صفات الجمال و هو قوله (لا يشغله شأن) عن شأن أى أمر عن أمر لأنّ الشغل عن الشىء بشىء آخر إمّا لنقصان القدره أو العلم و هو تعالى على كلّ شىء قدير و بكلّ شىء محيط، فلا يشغله مقدور

عن مقدور و لا معلوم عن معلوم (و لا يغيّره زمان) لأنّه تعالى واجب الوجود و المتغيّر فى ذاته أو صفاته لا يكون واجبا فلا يلحقه التغيّر و لأنه خالق الزّمان و لا زمان يلحقه فلا تغيّر يلحقه بتغيّره (و لا يحويه مكان) اذ لو كان محويا يلزم أن يكون محدودا و كلّ محدود جسم، و قد عرفت فى شرح الفصل الخامس من الخطبه الأولى و فى شرح الخطبه المأه و الثانيه و الخمسين تحقيق الكلام فى تنزّهه عن المكان و عن الحدود بما لا مزيد عليه فليراجع المقامين.

و أقول هنا مضافا إلى ما سبق: إنّ المشبّهه قد تعلّقت بقوله سبحانه: «اَلرَّحْمنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوى »، فى أنّ معبودهم جالس على العرش و قد تقدّم فى شرح الفصل الخامس من الخطبه الاولى تأويل هذه الايه و ظهر لك فساد قولهم و بطلان تمسّكهم بها، و قد أقام المتكلّمون المتألهون أدلّه عقليّه و نقليّه على فساد مذهبهم و على استغنائه تعالى عن المكان لا بأس بالاشاره إلى جمله منها.

أحدها أنّه تعالى كان و لا عرش و لا مكان، و لما خلق الخلق لم يحتج إلى مكان غنيّا عنه فهو بالصّفه التى كان لم يزل عليها إلاّ أن يقال لم يزل مع اللّه شىء كالعرش و هو أيضا باطل لأنه يلزم أن يخلو عن المكان عند ارتحاله عن بعضها إلى بعض فيختلف نحو وجوده بالحاجه إلى المكان و الاستغناء عنه و هو محال.

ثانيها أنّ الجالس على العرش إما أن يكون متمكنا من الانتقال و الحركه عنه أم لا فعلى الأوّل يلزم ما ذكرنا من الاستغناء و الاختلاف فى نحو الوجود أعنى التجرّد و التجسّم.

لا يقال: هذا منقوض بانتقال الانسان مثلا من مكان إلى مكان.

قلنا إنّه ينتقل على الاتّصال من مكان إلى مكان و هو فيما بينهما لم ينفكّ عن المكان و أمّا البارى جلّ ذكره فالمكان الّذى ينتقل إليه مخلوق له فلا بدّ أن يخلقه أوّلا حتى يمكن انتقاله إليه فهو فيما بين مجرّد عن المكان و على الثانى يكون كالزّمن بل أسوء حالا منه، فان الزّمن يتمكّن من الحركه على رأسه و معبودهم غير متمكّن و ثالثها أنّ الجالس على العرش لابدّ و أن يكون الجزء الحاصل منه فى يمين

العرش غير الجزء الحاصل منه فى شمال العرش فيكون مركّبا مؤلفا من الأجزاء المقداريه و مركبا من صوره زياده، و كلّ من كان كذلك يحتاج إلى مؤلّف و مركّب و الحاجه من أوصاف الممكن، هذا.

و هذه الأدلّه الثلاث كما يبطل كونه جالسا على العرش كذلك تبطل كونه محويا للمكان أىّ مكان كان كما هو غير خفىّ على الفطن العارف فتدبّر.

(و لا يصفه لسان) أى لا يقدر لسان على وصفه و مدحه لأنّ اللّسان إنّما هو ترجمان للقلب معبّر عن المعانى المخزونه فيه، و القلب إذا كان عاجزا عن البلوغ إلى وصفه و عن تعقّل صفاته فاللّسان أعجز و ألكن.

بيان ذلك أنّ وصف الشيء و الثّناء عليه إنّما يتصوّر إذا كان مطابقا لما هو عليه فى نفس الأمر، و ذلك غير ممكن إلاّ بتعقّل ذاته و كنهه، لكن لا يمكن للعقول تعقّل ذاته سبحانه و تعقّل ما له من صفات الكمال و نعوت الجلال، لأنّ ذلك التعقّل إمّا بحصول صوره مساويه لذاته تعالى و صفاته الحقيقيّه الذاتيّه أو بحضور حقيقته و شهود ذاته المقدّسه و الأوّل محال إذ لا مثل لذاته كما قال عزّ من قائل: «لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ »، لأنّ كلّ ما له مثل أو صوره مساويه له فهو ذو جهه كلّيه و هو تعالى لا مهيّه له، و الثانى أيضا كذلك إذ كلّ ما سواه من العقول و النفوس و الذّوات و الهويّات معلول له مقهور تحت جلاله و عظمته و كبريائه كانقهار عين الخفّاش تحت نور الشمس، فلا يمكن للعقول لقصورها عن درجه الكمال الواجبى إدراك ذاته على وجه الاكتناه و الاحاطه، بل كلّ عقل له مقام معلوم لا يقدر على التعدّى عنه إلى ما فوقه، و لهذا قال جبرئيل الأمين لما تخلّف عن خير المرسلين ليله المعراج: لو دنوت أنمله لاحترقت، فأنّى للعقول البشريّه الاطلاع على النعوت الالهيّه و الصّفات الأحديّه على ما هى عليه من كمالها.

فالقول و الكلام و إن كان فى غايه الجوده و البلاغه و اللّسان و البيان و إن كان فى نهايه الحدّه و الفصاحه يقف دون أدنى مراتب مدحه، و المادحون و إن صرفوا جهدهم و بذلوا وسعهم و طاقتهم فى وصفه و الثناء عليه فهم بمراحل البعد عمّا هو ثناء عليه

بما هو أهله و مستحقه.

و لهذا قال سيّد النّبيّين و أكمل المادحين: لا احصى ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك.

ثمّ وصفه باحاطه علمه سبحانه بجميع الجزئيّات و خفيّات ما فى الكون، و قد عرفت فى شرح الفصل السابع من الخطبه الاولى عموم علمه تعالى بجميع الموجودات و عدد من ذلك هنا أشياء فقال (لا يعزب عنه) أى لا يغيب عن علمه (عدد قطر الماء) المنزل من السّماء و الراكد فى متراكم البحار و الغدران و الابار و الجارى فى الجداول و الأنهار (و لا) عدد (نجوم السّماء) من الثوابت و السّيار (و لا سوافى الرّيح فى الهواء) أى التى تسفو التراب و تذروه.

و تخصيصها بالذكر من جهه أنها غالب أفرادها، فلا دلاله فيها على اختصاص علمه بها فقط، لأنّ الوصف الوارد مورد الغلبه ليس مفهومه حجّه كما صرّح به علماء الأصوليه و مثله قوله تعالى: «وَ رَبائِبُكُمُ اللاّتِي فِي حُجُورِكُمْ »، و يمكن أن يكون غرضه الاشاره إلى أنه لا يخفى عليه سبحانه السوافى مع ما تسفوه من التراب، فانّ التراب الّذى تحمله الرّيح و تبثّه فى الجوّ لا يعلم مقداره و أجزائه و ذراته إلاّ اللّه سبحانه العالم بكلّ شيء.

(و لا) يعزب عنه (دبيب النمل على الصفا و لا مقيل الّذر فى اللّيله الظلماء) أى لا يخفى حركه آحاد النمل على الصّخر الأملس فى اللّيله المظلمه، و لا محلّ قيلوله صغار النّمل فيها مع فرط اختفائهما عليه سبحانه بل علمه تعالى محيط بهما و بغيرهما من خفيّات الموجودات و خبياتها.

فان قلت: لم خصّص دبيب النمل بكونه على الصفا؟ قيل: لعدم التأثّر بالدّبيب كالتراب إذ يمكن فى التراب و نحوه أن يعلم الدّبيب بالأثر.

و فيه إنّ بقاء أثر الدّبيب فى التراب مسلّم إلاّ أنّ حصول العلم به بذلك الأثر إمّا أن يكون فى اللّيل أو فى النهار، و الأوّل ممنوع لأنّ ظلمه الليل المظلم مانعه

عن مشاهده الأثر كنفس المؤثر و الصفا و التراب سيّان فى اختفاء الدّبيب فيها على كلّ منهما، و الثانى مسلّم إلاّ أنّه إذا كان فى النّهار فهو مشاهد لكلّ أحد و معلوم بنفسه من دون حاجه إلى الاستدلال بالأثر من غير فرق أيضا فى ظهوره بين كونه على الصّفا و بين كونه على التراب.

إلاّ أن يقال: إنّه مع كونه فى اللّيل على التراب يبقى أثره إلى النهار فيمكن حصول العلم به منه، بخلاف ما إذا كان على الصّفا فلا يكون له أثر أصلا حتّى يبقى إلى النهار و يتحصّل منه العلم.

و لكن يتوجّه عليه إنّ ظاهر القضيّه أنّه لا يخفى عليه دبيبه حين دبّه أعنى فى اللّيله المظلمه و لا مقيل الذرّ حين قيلولتها.

فان قلت: هذا مسلّم لو جعلنا قوله: فى اللّيله الظلماء قيدا لكلا الأمرين، أمّا لو جعلناه قيدا للأخير فقط لارتفع الاشكال.

قلت: لابدّ من إرجاع القيد إليهما جميعا إذ الدّبيب الحاصل فى النهار مشاهد لكلّ أحد و مرئيّ معلوم و لا اختصاص لعدم اختفائه باللّه سبحانه حتّى يتمدّح به.

و الّذى يلوح للخاطر فى سرّ التخصيص هو أنّ غالب أفراد الحيوان و منها النمل إذا سارت بالليل على التراب لا يظهر صوت قوائمها و حوافرها للين التراب، فيختفى سيرها غالبا على الناس، و أمّا إذا صارت على الصّفا فيطلع عليه النّاس لظهور صوت الحوافر و الأقدام، و أمّا النمل فلا يظهر دبيبه عليه أيضا لخفّه جرمه و صغر جثّته، فمدح اللّه سبحانه بأنّ النمل الّذى اختفى دبيبه على الصّفا على النّاس فضلا عن التراب لم يعزب عليه سبحانه دبيبه مع فرط خفائه فافهم جيّدا.

و كيف كان فقد ظهر من ذلك كلّه أى مما ذكره عليه السّلام هنا و ما ذكرناه و ممّا قدمه و قدّمناه أنّه لا يعزب عنه مثقال ذرّه فى السّماوات و لا فى الأرض و لا أصغر من ذلك و لا أكبر إلاّ فى كتاب مبين.

فانقدح منه أنه سبحانه (يعلم مساقط الأوراق) عدل عن نفى المعزوب إلى إثبات العلم على قاعده اليقين و تصديق علمه بمساقط الأوراق مضافه إلى غيرها قوله

تعالی: «وَ عِنْدَهُ مَفاتِحُ الْغَیْبِ لا یَعْلَمُها إِلاّ هُوَ وَ یَعْلَمُ ما فِی الْبَرِّ وَ الْبَحْرِ وَ ما تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَهٍ إِلاّ یَعْلَمُها وَ لا حَبَّهٍ فِی ظُلُماتِ الْأَرْضِ وَ لا رَطْبٍ وَ لا یابِسٍ إِلاّ فِی کِتابٍ مُبِینٍ ».

(و) هو یدلّ أیضا لعمومه علی أنّه یعلم (خفی طرف الأحداق) و أراد بالطرف انطباق أحد الجفنین علی الاخر أی یعلم ما خفی من ذلک علی النّاس کما قال سبحانه: «یَعْلَمُ خائِنَهَ الْأَعْیُنِ وَ ما تُخْفِی الصُّدُورُ ».

الفصل الثانی

فی الشهاده بالتوحید و الرساله

و هو قوله (و أشهد أن لا إله إلاّ اللّه) مضی تحقیق الکلام فیه بما لا مزید علیه فی شرح الفصل الثانی من الخطبه الثانیه فلیراجع ثمّه و أکّد الشهاده بالوحدانیّه بقوله (غیر معدول به) أی حالکونه سبحانه لم یجعل له مثل و عدیل (و لا مشکوک فیه) أی فی وجوده لمنافاه الشکّ فیه بالشهاده بوحدانیّته (و لا مکفور دینه) لملازمه التصدیق بالوحدانیّه بالاعتراف بالدّین المنافی للجحود و یدلّ علی التلازم ما مرّ فی الفصل الرابع من الخطبه الاولی من قوله: أوّل الدّین معرفته و کمال معرفته التصدیق به و کمال التصدیق به توحیده (و لا مجحود تکوینه) أی اتّحاده للموجودات و تکوینه لها لشهادتها جمیعا بوجود مبدعها و وحدانیّه بارئها.

و وصف شهادته بکونها مثل (شهاده من صدقت نیّته) أی صادره عن صمیم القلب و عن اعتقاد جازم (وصفت دخلته) أی موصوفه بصفاء الباطن و سلامتها من کدر الرّیاء و النفاق (و خلص یقینه) من رین الشکوک و الشبهات (و ثقلت موازینه) إذ الشهاده إذا کان علی وجه الکمال توجب ثقل میزان الأعمال.

و یدلّ علیه صریحا ما قدّمنا روایته فی شرح الفصل الثانی من الخطبه الثانیه من ثواب الأعمال عن أبی سعید الخدری عن النبیّ صلّی اللّه علیه و آله قال: قال اللّه جلّ جلاله لموسی بن عمران: یا موسی لو أنّ السّماوات و عامریهنّ عندی و الأرضین السّبع فی کفّه و لا إله إلاّ اللّه فی کفّه مالت بهنّ لا إله إلاّ اللّه.

(و أشـهد أنّ محمّدا عبده و رسوله المجتبى) المصـطفى (من خلائقه) و قد عرفت توضـيحه فى شرح الخطبه الثّالثه و التسعين (و المعتـام لشـرح حقـايقه) أى المختـار لشـرح حقـايق توحيـده أى لايضـاح العلوم الالـهيّه (و المختصّ بعقائل كراماته) النفيسه من الكمالات النفسانيّه و الأخلاق الكريمه الّتى اقتدر معها على هدايه الأنام و تأسيس أساس الاسلام (و المصطفى لكرائم رسالاته) أى لرسالاـته الكريمه الشـريفه و جمعهـا باعتبـار تعـدّد أفراد الأـوامر و الأحكام النازله عليه، فانّ كلّ أمر بتبليغه و أدائه رساله مسـتقلّه و ان كان باعتبار المجموع رساله واحـده (و الموضـحه به أشـراط الهـدى) أى أعلام الهـدايه فقـد أوضح بقوله و فعله و تقريره ما يوجب هدايه الأنام إلى النهج القويم و الصـراط المستقيم (و المجلوّ به غربيب العمى) أى المنكشف بنور نبوّته ظلمات الجهاله.

الفصل الثالث

فى تنبيه الراكنين إلى الدّنيا و ايقاظ الغافلين عن العقبى

و هو قوله (أيّها الناس إنّ الـدّنيا تغرّ المؤمّل لها و المخلد إليها) و ذلك مشـهود بالعيان معلوم بالتجربه و الوجدان، فانّا نرى كثيرا من المـؤمّلين لهـا و الراكنين إليهـا تعرض لهم مطـالب وهميّه خيـاليّه فتـوجب ذلـك طـول أملهم فيختطفهم الموت دون نيلهـا و ينكشف بطلان تلك الخيالات، و قـد تقـدّم تفصـيل ذلك فى شـرح الخطبه الثانيه و الأربعين (و لا تنفس بمن نافس فيها) أى لا تضنن ممّن ضنن(١) بها لنفاسـتها، بل ترميه بالنوائب و الالام و بسهام المصائب و الأسقام (و تغلب من غلب عليها) أى من ملكها و أخذها بالقهر و الغلبه فعن قليل تقهره و تهلكه.

الفصل الرابع

فى التنبيه على وجوب شكر النعم

و استدراكها بالفزع إلى اللّه فأقسم بالقسم

١- (١) ضنن بالشىء من باب تعب بخل به، منه.

البارّ و هو قوله (و أيم اللّه ما كان قوم قطّ فى غضّ نعمه من عيش فزال عنهم إلّا بذنوب اجترحوها) على أنّ زوال النعمه الطريّه و رغيد العيش عن العباد ليس سببه إلّا كفران النعم و الذّنوب الّتى اكتسبوها كما قال عزّ من قائل: «إِنَّ اللّهَ لا يُغَيِّرُ ما بِقَوْمٍ حَتّى يُغَيِّرُوا ما بِأَنْفُسِهِمْ »، و ذلك لأنهم لو استحقّوا مع الكفران و اكتساب الاثام لافاضه النعماء لكان منعهم منها منعا للمستحقّ المستعدّ و ذلك عين الظلم و هو محال على اللّه سبحانه (لأنّ اللّه ليس بظلّام للعبيد) فعلم من ذلك أنّ سبب زوال النعمه و حصول النقمه ليس إلّا الذّنوب المكتسبه هذا.

و لا يخفى عليك أنّ هذا الكلام منه عليه السّلام محمول على الغالب و إن كان ظاهره العموم، و ذلك لأنّ كثيرا من العباد يبدّل اللّه نعمتهم بالنقمه و رخائهم بالشدّه و منحتهم بالمحنه من باب الابتلاء و الامتحان إعلاء للدّرجات و إحباطا للسّيئات و إضعافا للحسنات كما قال عزّ من قائل: «وَ لَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْ ءٍ مِنَ الْخَوْفِ وَ الْجُوعِ وَ نَقْصٍ مِنَ الْأَمْوالِ وَ الْأَنْفُسِ وَ الثَّمَراتِ » الايه.

و لمّا نبّه على أنّ علّه زوال النعمه و نزول النقمه اكتساب المعصيه أرشدهم إلى طريق تداركها بقوله (و لو أنّ الناس حين تنزل بهم النقم و تزول عنهم النعم فزعوا إلى ربّهم) و تضرّعوا إليه سبحانه (بصدق من نيّاتهم) أى باخلاصها و إخلائها من شوب العجب و الرّيا (و وله من قلوبهم) أى بتحيّر منها فى محبّته سبحانه و لذّه مناجاته و تفريغ ساحتها عن كلّ ما سواه تعالى (لردّ عليهم كلّ شارد) من النعم (و أصلح لهم كلّ فاسد) من الأمور.

ثمّ تخلص إلى تعريض المخاطبين بالاشاره إلى بعض حالاتهم الغير المحموده التى كانوا عليها حثا لهم على الارتداع عنها فقال: (و إنّى لاخشى عليكم أن تكونوا فى فتره) أى فى حاله فتره مثل حاله أهل الجاهليّه الّذين كانوا على فتره من الرّسل أى أخاف عليكم أن تكونوا مثل هؤلاء فى التعصّبات الباطله بحسب الأهواء المختلفه و غلبه الجهل و الضّلال على الأكثرين (و قد كانت أمور مضت) و هو تخليفهم للفساق و تقديم أجلاف العرب الثلاثه عليه و أتباعهم بهم.

ص:۲۵۴

و حملها على اختيارهم لعثمان فقط و عدولهم عنه يوم الشورى كما فى شرح المعتزلى خلاف ظاهر اللّفظ المسوق على نحو الاطلاق معتضدا بقوله (ملتم فيها ميله كنتم فيها عندى غير محمودين) لأنّهم بسبب تقديم كلّ من الثلاثه و الاتباع عليه مالوا عن نهج الحقّ و عدلوا عن منهج الصّواب و استحقوا اللّوم و العتاب.

(و لئن ردّ عليكم أمركم) أى شغلكم الّذى كنتم عليه فى زمن الرّسول صلّى اللّه عليه و آله (انكم لسعداء) أى تكونون سعيدا بعد اتصافكم بالشقاوه (و ما علىّ إلاّ الجهد) أى بذل الوسع و الطاقه فى الاصلاح و النصيحه (و لو أشاء أن أقول) و أشرح ما جرى من الظلم و العدوان و ما وقع منكم من التفريط و التقصير فىّ (لقلت) ذلك و شرحته و لكنّى لا استصلحه لتضمّنه التعريض على المتخلّفين و التقريع على المخاطبين و الصّلاح فى العفو و الاغماض لأنّ الصفح حسن و العفو جميل فقد (عفى اللّه عمّا سلف) اقتباس من الكتاب العزيز قال تعالى: «عَفَا اللّهُ عَمّا سَلَفَ وَ مَنْ عادَ فَيَنْتَقِمُ اللّهُ مِنْهُ وَ اللّهُ عَزِيزٌ ذُو انْتِقامٍ ».

قال الشارح المعتزلى: و هذا الكلام يدلّ على مذهب أصحابنا فى أنّ ما جرى من عبد الرّحمان و غيره يوم الشورى، و إن كان لم يقع على الوجه الأفضل فانّه معفوّ عنه مغفور لفاعله لأنّه لو كان فسقا غير مغفور لم يقل أمير المؤمنين عليه السّلام: عفى اللّه عمّا سلف.

أقول: و يتوجّه عليه أنّه بعد الاعتراف بكون ما صدر عن ابن عوف و أضرابه فسقا كما هو كذلك لكونه ظلما فاحشا فى حقّه عليه السّلام فهذا الكلام لا دلاله فيه على العفو عنه و الغفران له لأنّ هذا الكلام كما يحتمل أن يكون جمله إنشائيه أو غايبه أو اخباريه مسوقه لبيان حسن العفو و دليلا عليه كما عليه مبنى كلام الشارح، فكذلك يحتمل أن يكون مقولا لقوله: قلت و متّصلا به لا مقطوعا عنه.

فيكون محصّل الكلام أنّى لو شئت أن أقول عفى اللّه عمّا سلف لقلته أى لو أحببت أن أدعو بالعفو لدعوت، فعلى هذا كما يصدق الشرطيّه باستثناء عين المقدّم ينتج عين التالى فكذلك يصدق برفع المقدّم المفيد لرفع التالى، أى لكنّى لم أشاء ذلك

فلا قلته و حينئذ لا يكون لكلامه عليه السّلام دلاله على ما رامه الشارح لو لم يكن دلاله على خلافه أظهر، فافهم و تبصّر.

الترجمه

از جملۀ خطب شريفۀ آن بزرگوار و وصىّ مختار است در وصف حضرت كردگار و نعت حضرت ختم النبيّين و نصيحت و ملامت مخاطبين مى فرمايد كه:

مشغول نمى نمايد حق تعالى را امرى از امر ديگر، و تغيير نمى دهد او را زمانى و احاطه نمى كند او را هيچ مكانى، و وصف نمى تواند بكند او را هيچ زبانى، غايب نمى شود از علم او عدد قطرهاى آب و نه ستارهاى آسمان، و نه بادهاى سخت وزنده و نه حركت مورها بر روى سنگها و نه خوابگاه مورچها در شب تاريك، و ميداند مواضع افتادن برگهاى درختان، و پنهان نگريستن چشمان را.

و شهادت مى دهم باين كه هيچ معبود بحقى نيست مگر خداوند متعال در حالتى كه هيچ برابر كرده نشد باو چيزى و شك كرده نشد در وجود او و انكار كرده نشد دين او و جحود نشد ايجاد و تكوين او، مثل شهادت كسى كه صادق بشود نيّت او و صافى باشد باطن او و خالص گردد يقين او و سنگين شود ميزان اعمال او.

و شهادت مى دهم باين كه محمّد مصطفى صلوات اللّه و سلامه عليه و آله بنده او است و رسول برگزيده از مخلوقات او و اختيار كرده شده از براى كشف حقايق توحيد او، و مخصوص شده بكرامتهاى نفيسه او، و برگزيده شده برسالات كريمه او، و روشن كرده شده باو علامتهاى هدايت، و جلا داده شد بنور او سوادى و سياهى ضلالت.

اى گروه مردمان بدرستى دنيا فريب مى دهد اميد دارنده او را و آرام گيرنده او را و بخل نمى كند بكسى كه بخيل باشد در محبّت او و غلبه مى نمايد بر كسى كه غلبه كند بر او.

«ج ۱۶»

ص:۲۵۶

و قسم بخدا كه نبودند هيچ قومى هرگز در طراوت نعمت از زندگانى دنيا پس زوال يافت آن نعمت از ايشان مگر بسبب گناهائى كه كسب گردند آن را از جهه اين كه خداوند عالم نيست صاحب ظلم بر بندگان، و اگر مردمان در وقتى كه نازل بشود بايشان عقوبتها و زايل بشود از ايشان نعمتها پناه ببرند بسوى پروردگار براستى از نيّتهاى خودشان و فرط محبّت از قلبهاشان، هر اينه باز گرداند حق سبحانه بسوى ايشان هر رميده از نعمتها را، و اصلاح مى فرمايد از براى ايشان هر فاسد از اموراترا، و بدرستى كه من مى ترسم بر شما اين كه باشيد در حالت أهل جاهليّت، و بتحقيق كه واقع شد كارهائى كه گذشت ميل كرديد در آن امور از جادّه شريعت ميل كردنى، در حالتى كه بوديد در آن امور در نزد ما پسنديده، و اگر باز گردانيده شود بر شما كار شما هر آينه مى باشيد از أهل سعادت، و نيست بر من مگر بذل وسع و طاقت، و اگر بخواهم بگويم هر آينه مى گفتم كه عفو فرمود خداى تعالى از آنچه كه گذشت.

و من كلام له عليه السّلام و هو المأه و الثامن

اشاره

و السبعون من المختار فى باب الخطب

و هو مروىّ فى الأصول المعتبره كالكافى و التوحيد و الاحتجاج و الارشاد بطرق مختلفه باجمال و تفصيل و اختلاف تطلع عليه بعد الفراغ من شرح ما أورده السيّد (ره).

و قد سئله ذعلب اليمانى فقال: هل رأيت ربّك يا أمير المؤمنين؟ فقال عليه السّلام: أ فأعبد ما لا أرى! قال: و كيف تراه؟ قال عليه السّلام:

لا تدركه العيون بمشاهده العيان، و لكن تدركه القلوب بحقايق

الإيمان، قريب من الأشياء غير ملامس، بعيد منها غير مباين، متكلّم لا بروّيه، مريد بلا همّه، صانع لا بجارحه، لطيف لا يوصف بالخفاء، كبير لا يوصف بالجفاء، بصير لا يوصف بالحاسّه، رحيم لا يوصف بالرّقّه، تعنو الوجوه لعظمته، و تجب القلوب من مخافته.

اللغه

(الذعلب) فى الأصل الناقه السريعه ثمّ صار علما للانسان كما نقلوا بكرا عن فتى الابل إلى بكر بن وابل و (اليمانى) منسوب إلى اليمن اقليم معروف سمّى به لكونه على يمين الكعبه و أصله يمنىّ بتشديد الياء ثمّ جعلوا الألف بدلا عن الياء الثانيه فقالوا يمانى بالتخفيف فى يمنىّ و (جفوت) الرجل أعرضت عنه أو طردته و قد يكون مع بغض و جفا الثوب يجفو إذا غلظ فهو جاف، و منه جفاء اليد و هو غلظتهم و فظاظتهم و (عنا) يعنو عنوا من باب قعد ذلّ و خضع و الاسم العناء بالفتح و المدّ فهو عان و (وجب) الحائط و نحوه وجبه سقط و وجب القلب وجبا و وجيبا رجف.

الاعراب

قوله: أ فأعبد استفهام على سبيل الانكار و الابطال و قوله: قريب خبر لمبتدأ محذوف و قوله: غير ملامس بنصب غير كما فى أكثر النسخ حال من فاعل قريب المستتر و فى بعضها بالرّفع فيكون صفه لقريب، و كذلك قوله غير مباين، و مثلهما جمله لا يوصف تحتمل أن تكون فى محلّ النصب على الحال، و فى محلّ الرّفع على الوصف.

المعنى

اشاره

اعلم أنّ هذا الكلام له عليه السّلام من كلماته المعروفه و قد ظهر لك فى شرح الخطبه

ص:۲۵۸

الثّانيه و التسعين أنّه ملتقط من كلام طويل له عليه السّلام قدّمنا روايته هناك من توحيد الصّدوق كما ظهر أنّه عليه السّلام كلّم به مع ذعلب، فانه لما قال على المنبر غير مرّه:

سلونى قبل أن تفقدونى، قام إليه ذعلب و كان رجلا ذرب اللّسان بليغا فى الخطب شجاع القلب فقال: لقد ارتقى ابن أبى طالب مرقاه صعبه لاخجلنّه اليوم لكم فى مسألتى إيّاه فقال له (هل رأيت ربّك يا أمير المؤمنين) و كان هذا السؤال منه من باب التعنّت و التقرير بقصد التعجيز عن الجواب لا الاستفهام الحقيقى كما يدلّ عليه أوّل كلامه الّذى حكيناه.

(فقال عليه السّلام أ فأعبد ما لا أرى) إنكار لعباده ما لا يدرك، لأنّ العباده متضمّنه للسؤال و المخاطبه و المكالمه و طلب الرحمه و المغفره و غير ذلك من الخضوع و الخشوع و التضرّع و التملّق و الاستكانه و هذه كلّها تستدعى حضور المعبود و إدراكه و رؤيته.

و لما توهّم السائل من كلامه عليه السّلام أنّ مراده به رؤيه البصر أعاد السؤال و (قال و كيف تراه) على سبيل الاستفهام التوبيخى يعنى أنّ رؤيته غير ممكنه فكيف ادّعيتها.

فأجابه و (قال عليه السّلام لا تدركه العيون بمشاهده العيان) يعنى أنّ رؤيته ليست بالعين و بمشاهده القوّه البصريه الجسمانيه، فانّ هذه غير جايزه كما عرفت تحقيقه فى شرح الخطبه التاسعه و الأربعين، و هو صريح فى بطلان مذهب الأشاعره و المشبهه و الكراميّه المجوّزين للرؤيه (و لكن تدركه القلوب بحقايق الايمان) أى تدركه العقول الصافيه عن ملابسه الأبدان و غواشى الطبايع و الأجرام بحقايق الايمان أى بأنوار العقليّه الناشئه من الايمان و الاذعان الخالص كما مرّ تحقيقه فى شرح الخطبه التاسعه و الأربعين أيضا.

و قال الشارح البحرانى: أراد بحقايق الايمان أركانه و هى التصديق بوجود اللّه و وحدانيّته و ساير صفاته و اعتبارات أسمائه الحسنى.

و قال العلامه المجلسى ره فى مرآت العقول: حقايق الايمان العقائد الّتى هى حقايق أى عقايد عقليه ثابته يقيتيّه لا يتطرّق إليها الزوال و التغير أى أركان

الایمان أی الانوار و الاثار الّتی حصلت فی القلب من الایمان او التصدیقات و الاذعانات الّتی تحقّ أن تسمّی ایمانا.

أو المراد بحقایق الایمان ما ینتمی إلیه تلک العقائد من البراهین العقلیّه، فانّ الحقیقه ما یصیر إلیه حقّ الأمر و وجوبه ذکره المطرزی فی الغریبین انتهی.

أقول: هذه المعانی کلّها صحیحه محتمله لکن الأظهر هو المعنی الثانی المطابق لما ذکرناه.

و یؤیّده ما فی الاحتجاج عن أبی عبد اللّه علیه السّلام أنه سأله زندیق کیف یعبد اللّه الخلق و لم یروه؟ قال علیه السّلام: رأته القلوب بنور الایمان و أثبتته العقول بیقظها إثبات العیان، و أبصرته الأبصار بما رأت من حسن الترکیب و احکام التألیف، ثمّ الرّسل و آیاتها و الکتب و محکماتها و اقتصرت العلماء علی ما رأت من عظمته دون رؤیته قال: ألیس هو قادر أن یظهر لهم حتّی یروه فیعرفوه فیعبد علی یقین؟ قال علیه السّلام: لیس للمحال جواب، هذا.

و لما نبّه علی کونه سبحانه مدرکا بالعقول عقّبه بذکر جمله من صفات کماله التی هی جهات ادراکه فقال (قریب من الأشیاء غیر ملامس) یعنی أنّ قربه منها بالاحاطه و القیومیّه لا بالالتصاق و الملامسه الّتی هی من عوارض الجسمیّه (بعید منها غیر مباین) یعنی أنّ بعده منها بنفس ذاته المقدّسه لا بعنوان التعاند و المضادّه، و قد مرّ تحقیق ذلک مع سابقه فی شرح الفصل السادس من الخطبه الاولی عند شرح قوله علیه السّلام:

مع کلّ شیء لا بمقارنه و غیر کلّشیء لا بمزایله.

(متکلّم لا برویه) یعنی أنّ تکلّمه تعالی لیس بالفکر و التروّی کسایر آحاد الناس فانّ کلامهم تابع للتروّی و الافکار یتفکّرون أوّلا فی نظم الألفاظ و ترتیبها و دلالتها علی المعانی المقصوده ثمّ یتکلّمون و اللّه سبحانه منزّه عن ذلک.

قال الشارح البحرانی: و کلامه تعالی یعود إلی علمه بصور الأوامر و النواهی و سایر أنواع الکلام عند قوم و إلی المعنی النفسانی عند الأشعری و إلی خلقه الکلام فی جسم النبیّ عند المعتزله.

ص:۲۶۰

أقول: و ستعرف تحقيق معنى كلامه و تكلّمه سبحانه فانتظر.

(مريد بلا همّه) أى ليست إرادته كإرادتنا مسبوقه بالعزم و الهمّه.

قال الشارح المعتزلى قوله: بلا همّه، أى بلا عزم، و العزم عباره عن إراده متقدّمه للفعل تفعل توطينا للنفس على الفعل و تمهيدا للاراده المقارنه له، و إنما يصحّ ذلك على الجسم الّذى يتردّد فيها يدعوه إليه الدّواعى، فأمّا العالم لذاته فلا يصحّ ذلك فيه.

(صانع لا بجارحه) أى ليست صنعته بالاعضاء و الجوارح الّتى هى من لواحق الجسميّه و انماه أمره إذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون (لطيف لا يوصف بالخفاء) قال الشارح البحرانيّ اللطيف يطلق و يراد به رقيق القوام و يراد به صغير الجسم المستلزمين للخفاء و عديم اللّون من الأجسام و المحكم من الصنعه، و هو تعالى منزّه عن اطلاقه بأحد هذه المعانى لاستلزام الجسميّه و الامكان فيبقى إطلاقها عليه باعتبارين:

أحدهما تصرّفه فى الذّوات و الصفات تصرّفا خفيّا يفعل الأسباب المعدّه لها لافاضه كمالاتها.

الثانى جلاله ذاته و تنزيهها عن قبول الادراك البصرى، يعنى لاستحاله رؤيته شابه الأجسام اللطيفه فاطلق عليه لفظ اللّطيف بهذا الاعتبار.

أقول: و هنا اعتبار ثالث ذكره الشارح المعتزلى و غيره، و هو أنه لطيف بعباده كما فى الكتاب العزيز أى يفعل الألطاف المقربه لهم من الطاعه المبعده لهم عن المعصيه، أو لطيف بهم بمعنى أنه يرحمهم و يرفق بهم.

و اعتبار رابع و هو علمه بالأشياء اللطيف رواه فى الكافى مرفوعا عن أبى جعفر الثانى عليه السّلام قال: و كذلك سمّيناه لطيفا لعلمه بالشىء اللّطيف مثل البعوضه و أخفى من ذلك و موضع النشوء منها و العقل و الشهوه للسفاد و الحدب على نسلها و اقام بعضها على بعض و نقلها الطعام و الشراب إلى أولادها فى الجبال و المفاوز و الأوديه و القفار فعلمنا أنّ خالقها لطيف بلا كيف، و إنما الكيفيّه للمخلوق المكيّف.

و رواه أيضا فيه مع اعتبار خامس عن الفتح بن يزيد الجرجانى عن أبى الحسن

عليه السّلام فی حدیث طویل سأل فیه عنه علیه السّلام عن تفسیر معنی الواحد و وحدانیّته تعالی إلی أن قال قلت: جعلت فداک فرّجت عنی فرّج اللّه عنک فقولک اللّطیف الخبیر فسّره لی کما فسّرت الواحد فانّی أعلم أنّ لطفه علی خلاف لطف خلقه للفصل غیر أنّی احبّ أن تشرح لی ذلک فقال علیه السّلام: یا فتح إنما قلنا اللّطیف للخلق اللّطیف لعلمه بالشیء اللّطیف أو لا تری وفّقک اللّه و ثبّتک إلی أثر صنعه فی النّبات اللّطیف و غیر اللّطیف و من الخلق اللّطیف و من الحیوان الصّغار و من البعوض و الجرجس و ما هو أصغر منها ما لا یکاد تستبینه العیون بل لا یکاد یستبان لصغره الذکر من الانثی و الحدث المولود من القدیم، فلمّا رأینا صغر ذلک فی لطفه و اهتدائه للسّفاد و الهرب من الموت و الجمع لما یصلحه و ما فی لجج البحار و ما فی لحاء الأشجار و المفاوز و القفار و افهام بعضها عن بعض منطقها و ما یفهم به أولادها عنها و نقلها للغذاء إلیها ثمّ تألیف ألوانها حمره مع صفره و بیاض مع حمره و أنه ما لا تکاد عیوننا تستبینه لدمامه خلقها لا تراه عیوننا و لا تلمسه أیدینا علمنا أنّ خالق هذا الخلق لطیف بخلق ما سمّیناه بلا علاج و لا أداه و لا آله، و أنّ کلّ صانع شیء فمن شیء صنع و اللّه خالق اللّطیف الجلیل خلق و صنع لا من شیء فقد قرّر علیه السّلام أنّ اطلاق اسم اللّطیف علیه سبحانه بوجهین.

أحدهما للخلق اللّطیف یعنی لخلقه الأشیاء اللّطیفه و الاعتبار الأوّل الّذی حکیناه عن البحرانی یعود إلی ذلک أو قریب منه.

و ثانیهما لعلمه بالأشیاء اللّطیفه (کبیر لا یوصف بالجفاء) یعنی أنّه موصوف بالکبریاء و العظمه لجلاله شأنه و عظمه سلطانه، و منزّه عمّا علیه سایر الکبراء و الأعاظم من المخلوقین کالملوک و السلاطین من الفظاظه و غلظ الطبیعه و الجفاء لمن تحت ولایتهم من الرّعیه.

و قال الشارح المعتزلی: لما کان لفظ الکبیر إذا استعمل فی الجسم أفاد تباعد افکاره ثمّ وصف الباری بأنه کبیر، أراد أن ینزّهه عمّا تدلّ لفظه کبیر علیه إذا استعمل فی الأجسام، انتهی - و الأظهر ما قلناه.

ص:۲۶۲

(بصير لا- يوصف بالحاسه) أما أنه بصير فقد مرّ تحقيقه فی شرح الفصل السادس من الخطبه الاولی، و أمّا تنزّهه عن الحواسّ فلأنّها من صفات الجسم (رحيم لا يوصف بالرقه) لما كان الرحمه فی الخلق عباره عن رقّه القلب و الانفعال النفسانی و هما من أوصاف الممكن فحيثما يطلق عليه لفظ الرحيم يراد به ما هو لازم الرحمه من الانعام و الافضال، و كذلك ساير الأوصاف الّتی لا- يصحّ اتّصافه تعالی بها باعتبار مباديها يوصف بها باعتبار غاياتها كالغضب فی قوله: «غَضِبَ اللّهُ عَلَيْهِمْ »، فيراد به الانتقام و العقوبه لاستلزامه له، و المكر فی قوله: «وَ مَكَرَ اللّهُ وَ اللّهُ خَيْرُ الْماكِرِينَ » فيراد به جزائه سبحانه لمكرهم بالجزاء السوء.

(تعنو الوجوه لعظمته) أی تذلّ و تخضع لأنه الإله المطلق لكلّ موجود و ممكن و العظيم الذی كلّ مقهور تحت مشيّته و إرادته و داخر تحت جلاله و جبروته و عظمته (و تجب القلوب من مخافته) أی ترجف و تضطرب من هيبته عند ملاحظتها لعظمه سلطانه و علوّ شأنه.

تنبيه

قد وعدناك تحقيق الكلام فی معنی متكلّميّته تعالی و أنّ كلامه سبحانه حادث أو قديم فنقول:

قد تواترت الأنباء عن الأنبياء و الرّسل، و أطبقت الشرائع و الملل علی كونه عزّ و جلّ متكلّما لا خلاف لأحد فی ذلك، و إنما الخلاف فی معنی كلامه تعالی و فی قدمه و حدوثه.

فذهب أهل الحق من الاماميه وفاقا للمعتزله إلی أنّ كلامه تعالی مؤلّف من حروف و أصوات قائمه بجوهر الهواء، و معنی كونه متكلّما أنه موجد للكلام فی جسم من الأجسام كالملك و الشجر و نحو ذلك، و علی مذهبهم فالكلام حادث لأنه مؤلّف من أجزاء مترتّبه متعاقبه فی الوجود، و كلّ ما هو كذلك فهو حادث.

و قالت الحنابله: كلامه تعالی حروف و أصوات يقومان بذاته و أنه قديم، و قد

بالغ بعضهم حتّى قال جهلا بقدم الجلد و الغلاف أيضا فضلا عن المصحف.

و الكراميه وافقهم فى أنّ كلامه حروف و أصوات و أنها قائمه بذاته تعالى إلاّ أنّهم خالفوهم فى القول بقدمها و قالوا بأنها حادثه لتجويزهم قيام الحوادث بذاته تعالى.

و ذهبت الاشاعره إلى أنّ كلامه تعالى ليس من جنس الحروف و الأصوات بل هو معنى قديم قائم بذاته تعالى يسمّى الكلام النفسى و هو مدلول الكلام اللّفظى المركب من الحروف.

قال الشارح الجديد للتجريد: و اختلاف الأحوال مبنيّ على قياسين متعارضين احدهما أنّ كلامه تعالى صفه له و كلّما هو صفه له فهو قديم فكلامه قديم و ثانيهما أنّ كلامه مؤلّف من أجزاء مترتّبه متعاقبه فى الوجود، و كلّما هو كذلك فهو حادث فكلامه حادث، فاضطرّوا إلى القدح فى أحد القياسين و منع بعض المقدّمات لاستحاله حقيّه المتناقضين.

فالمعتزله صحّحوا القياس الثانى و قدحوا فى صغرى القياس الأوّل و الحنابله صحّحوا القياس الأوّل و منعوا كبرى القياس الثانى، و الكراميّه صحّحوا القياس الثانى و قدحوا فى كبرى القياس الأوّل، و الأشاعره صحّحوا القياس الأوّل و منعوا من صغرى القياس الثّانى.

اذا عرفت ذلك فنقول: الحقّ الموافق للتحقيق من هذه الأقوال كما قلنا هو القول الأوّل، لأنّ المتبادر إلى الفهم عند اطلاق لفظ الكلام هو المؤلّف من الحروف و الألفاظ دون المعنى، و التبادر علامه الحقيقه، و اطلاق لفظ المتكلّم عليه سبحانه على ذلك ليس باعتبار قيام الكلام به، لاستلزامه إثبات الجوارح، بل باعتبار خلقه الكلام فى الأجسام النباتيّه و الجماديّه و ألسن الملائكه إمّا مجازا من باب اطلاق اسم المسبّب على السّبب، أو حقيقه كما هو الأظهر لأنّ المتكلّم مشتقّ من التكلّم أو من الكلام بمعناه المصدرى كالسّلام و نحوه، و التكلّم و الكلام بهذا المعنى بمعنى ايجاد اللّفظ، و لا شكّ أنّ ايجاده قائم بالموجد كما أنّ التأثير قائم بالمؤثّر

فالمتكلّم بصيغه الفاعل عباره عن منشىء الكلام و موجده، و إنشاء الكلام و ايجاده لا قيام له إلّا بالفاعل، كما أنّه بصيغه المفعول عباره عن نفس الكلام المؤلّف و لا قيام له إلّا بجوهر الهواء.

لا يقال: التكلّم بمعنى ايجاد الكلام لم يجىء فى اللّغه.

لأنّا نقول: ذلك غير مسلّم كيف و التكلّم اللّفظى عند الأشاعره ليس إلّا بهذا الاعتبار و هم قد صرّحوا بكون الكلام مشتركا لفظا بين اللّفظى و النفسى كما ستعرفه و على هذا فيكون إطلاق المتكلّم عليه بمعنى موجد الكلام حقيقه لا مجازا.

قال صدر المتألّهين فى كتاب المبدأ و المعاد: المتكلّم عباره عن محدث الكلام فى جسم من الأجسام كالهواء و غيرها، فانّا إذا تكلّمنا أحدثنا الكلام فى بعض الأجسام الّتى لنا قدره على تحريكها، فالمتكلّم ما قام به التكلّم لا ما قام به الكلام كما توهّم، و التكلّم بمعنى ما به يحصل الكلام فينا ملكه قائمه بذواتنا بها نتمكّن من إفاده مخزوناتنا العلميّه على غيرنا، و فى الواجب تعالى عين ذاته من حيث انّه يخلق الأصوات و الحروف فى أىّ موضع كان من الأجسام لافاده ما فى قضائه السابق على من يشاء من عباده.

و ما أثبته المتكلّمون من الكلام النفسى فان كان له معنى محصّل فيرجع إلى خطرات الأوهام، أو يحتمل ما يوجد من الكلام، و لا شكّ فى براءته تعالى عنه و عن ساير ما يتخيّله العوام.

و استدل الحنابله على أنّ كلامه مؤلّف من الحروف و الأصوات بأنّ كلامه مسموع و لا مسموع إلّا الحروف و الصّوت فكلامه ليس إلّا الحروف و الصّوت أما الصّغرى فلقوله تعالى: «وَ إِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجارَكَ فَأَجِرْهُ حَتّى يَسْمَعَ كَلامَ اللّهِ »، و أمّا الكبرى فظاهره، ثمّ أثبتوا كونه قديما بأنه لو كان حادثا لكان إمّا قائما بذاته أو بغيره أو لا فى محلّ و الأقسام الثلاثه كلّها باطله أمّا الأوّل فلاستلزامه كون الذات محلّا للحوادث و هو حينئذ كما ستعرفه، و أمّا الثانى فلامتناع ان يقوم صفه الشىء بغيره، و أمّا الثالث فلاستحاله قيام العرض فى الوجود بلا محلّ فثبت أنّه

صفه قديمه.

و الجواب أنّ كونه حرفا و صوتا يستلزم حدوثه بالضروره و تعليل قدمه بأنّ حدوثه مستلزم لأحد الأقسام الثلاثه الباطله فيه ان منع بطلان القسم الثانى لم لا يجوز أن يقوم بغيره و ان اشتق له منه خلقه و لا امتناع فى ذلك حسبما عرفت.

و أما الكراميه فبطلان مذهبهم بعد بطلان جواز حلول الحوادث على الذات واضح، و جهه بطلانه أنّ وجوب الوجود ينافى ذلك، لأنّ حدوث الحوادث فيه يدلّ على تغيّره و انفعاله و ذلك ينافى الوجوب الذّاتى، و لأنّ المقتضى لذلك الحادث إن كان ذاته لم يكن حادثا و إن كان غيره يلزم الافتقار، و لأنّ الحادث إن كان صفه نقص استحال اتّصاف الذات بها و إن كان صفه كمال امتنع خلوّه عنها و المفروض أنها حادثه أى موجوده بعد العدم فحيث كانت معدومه كان الذات خاليه عنها.

و أما الاشاعره فبيّنوا مرادهم من الكلام النفسانى أولا و استدّلوا على اثباته ثانيا و اثبتوا كونه قديما ثالثا، ثمّ قالوا إنه واحد مع أنه أمر و نهى و خبر و استخبار و غيرها.

قال الامدى: ليس المراد من إطلاق لفظ الكلام إلّا المعنى القائم بالنفس، و هو ما يجده الانسان من نفسه إذا أمر غيره أو نهاه أو أخبره أو استخبر منه، و هذه المعانى هى الّتى يدلّ عليها بالعبارات و ينبّه عليها بالاشارات.

و قال عمر النسفى و هو من أعاظم الأشاعره فى عقايده: و هو أى اللّه سبحانه متكلّم بكلام هو صفه له أزليّه ليس من جنس الحروف و الأصوات، و اللّه متكلّم بها آمرناه مخبر و القرآن كلام اللّه غير مخلوق، و هو مكتوب فى مصاحفنا محفوظ فى قلوبنا مقروّ بألسنتنا مسموع باذاننا غير حال فيها.

و قال التفتازانى فى شرحه ما محصّله: إنّ الاجماع و التواتر قد قام على كونه تعالى متكلّما بكلام هو صفه له، ضروره امتناع اثبات المشتقّ من غير قيام مأخذ الاشتقاق به، و هذه الصفه معنى قائم بالذات و قديمه، ضروره امتناع قيام الحوادث بذات اللّه سبحانه، و ليس من جنس الحروف و الأصوات، ضروره حدوثها لأنّ التكلّم

ببعضـها مشـروط بانقضـاء الاخر بل عبّر عنها بها و يسـمّى المعبّر به بالقرآن المركّب من الحروف و هى صـفه واحـده تتكثّر إلى الأمر و النهى و الخبر باختلاف التعلّقات كالعلم و القـدره و ساير الصـفات، فهـذه الصـفه الواحده باعتبار تعلّقها بشـىء على وجه مخصوص يكون خبرا، و باعتبار تعلّقها بشىء آخر على وجه آخر يكون أمرا و هكذا.

و القرآن الّـذى هو كلام اللّه سـبحانه القائم بذاته غير حادث و مكتوب فى مصاحفنا بأشـكال الكتابه و صور الحروف الدّاله عليه محفوظ فى قلوبنا بألفاظ المخيله، مقروّ بألسنتنا بحروفه الملفوظه المسموعه، مسموع باذاننا بهذه أيضا.

و مع ذلـك كلّه ليس حالاـ فى المصـاحف و لا فى القلوب و الألسـنه و الأذهان، بل معنى قـديم قائم بـذات اللّه سـبحانه يلفظ و يسـمع بالنظم الدالّ عليه و يحفظ بالنظم المخيل و يكتب بالنقوش و صور و أشكال موضوعه للحروف الدالّه عليه كما يقال النار جوهر مجرّد يذكر باللّفظ و تكتب بالقلم و لا يلزم منه كون حقيقه النار صوتا و حرفا.

و تحقيقه انّ للشـىء وجودا فى الأعيان، و وجودا فى الأذهان و وجودا فى العباره و وجودا فى الكتابه فالكتابه تدلّ على العباره و هى على مـا فى الأذهـان و هـو على مـا فى الأعيـان فحيث يوصـف القرآن بمـا هـو من لوازم القـديم كمـا فى قولنـا: القرآن غير مخلـوق، فـالمراد حقيقته الموجـوده فى الخـارج، و حيث يوصف بمـا هو من صـفات المخلوقـات و المحـدثات يراد به الألفـاظ المنطوقه المسموعه كما فى قولنا قرأت نصف القرآن أو المخيّله كما فى قولنا حفظت القرآن أو الأشكال المنقوشه كما فى قولنا يحرم للمحدث مسّ القرآن.

و لمـا كـان دليل الأحكام الشـرعيّه هو اللّفظ دون المعنى القـديم عرّفه أئمه الاصول بالمكتوب فى المصاحف المنقول بالتواتر و جعلوه اسما للنظم و المعنى جميعا أى للنظم من حيث الدّلاله على المعنى لا لمجرّد المعنى.

ثمّ قال فى آخر كلامه: و التحقيق انّ كلام اللّه اسم مشترك بين الكلام النّفسى

القديم و معنى الاضافه كونه صفه له و بين اللّفظى الحادث و معنى الاضافه أنه مخلوق اللّه تعالى ليس من تأليفات المخلوقين فلا يصحّ نفى كونه كلام اللّه.

و ما فى عباره بعض المشايخ من أنّه مجاز فليس معناه أنه غير موضوع للنظم المؤلّف، بل معناه أنّ الكلام فى التحقيق و بالـذات اسم للمعنى القـائم بـالنفس و تسـميه اللفظ به و وضـعه لـذلك إنما هو باعتبار دلالته على معنى، انتهى ما أهمّنا نقله من محصّـل كلامه بعد ردّ أوّله إلى آخره، و هذا القدر كاف فى بيان مرادهم من الكلام النفسى.

و استدلّوا على إثباته بقول الأخطل:

إنّ الكلام لفى الفؤاد و إنّما جعل اللّسان على الفؤاد دليلا

و قول القائل: فى نفسى كلام أريد أن أذكره لك.

و بأنّ الألفاظ الـذى تتكلّم بها مـدلولات قائمه بالنفس، و هـذه المـدلولات هى الكلام النفسانى و هو أمر غير العلم مدلول الخبر إذا أخبر بشـىء إذ ربما يخبر الرجل عما لا يعلمه بل يعلم خلافه أو يشكّ فيه، فالخبر عن الشـىء غير العلم به و غير الاراده أيضا عنـدنا أمر لأنه قد يأمر بما لا يريده كالمختبر لعبده هل يطيعه أم لا و كالمعتذر من ضـرب عبده بعصـيانه فانه قد يأمره و هو يريد أن لا يفعل المأمور به ليظهر عـذره عند من يلومه، فانّ مقصود المتكلّم فى هذين الأمرين ليس الاتيان بالمأمور بل مجرد الاختبار و الاعتذار و غير الكراهه أيضا إذا نهى لأنّه قد ينهى الرجل عما لا يكرهه بل يريده فى صورتى الاختبار و الاعتذار.

و اعترض على دليلهم الأوّل بمنع كون البيت من الأخطل، و على تسليمه فليس حجّه لأنّه مبنىّ على اعتقاده ثبوت الكلام النفسى تقليـدا أو على أنه لما كان ما فى الضـمير مـدلولا عليه بالكلام فاطلق عليه من باب اطلاق اسم الـدّال على المـدلول و حصـره فيه تنبيها على أنه آله يتوصّل بها إليه فكانّه المستحقّ لاسم تلك الاله.

و على دليلهم الثانى بمنع ما ذكروه من أنّ مـدلول الخبر غير العلم معلّلا بأنه قـد يخبر عما لا يعلمه، إذ لقائل إن يقول: إنّ المعنى النفسى الذى يدّعون أنه غير العلم

هو ادراک مدلول الخبر أعنی حصوله فی الذّهن مطلقا یقینیّا کان أو مشکوکا فلا یکون مغایرا للعلم و بعباره اخری انّ هذا إنما یدلّ علی مغایرته للعلم الیقینی لا للعلم المطلق، ضروره أن کلّ عاقل تصدّی للاخبار یحصل فی ذهنه صوره ما اخبر به و منع انه مغایر للاراده و الکراهه عند الأمر أو النهی، إذ ما تشبّثوا به من صورتی الاختبار و الاعتذار فیه إنّ الموجود فی هاتین الصّورتین صیغه الأمر و النهی لا حقیقتها إذ لا طلب فیهما أصلا و لا إراده و لا کراهه قطعا، و بالجمله فما یدّعونه غیر معقول لأنه لیس له تعالی صفه زایده علی الذات أصلا و لو کان عین الذات فمرجعه الی العلم أو الاراده أو الکراهه أو سایر الصفات.

توضیح ذلک أنه اذا صدر عن المتکلّم خبر فهناک ثلاثه أشیاء احدها العباره الصادره و الثانی علمه بثبوت النسبه أو انتفائها بین طرفی القضیّه و الثالث ثبوت تلک النسبه أو انتفائها فی الواقع، و الأخیران لیسا کلاما حقیقیّا اتفاقا، فتعیّن الأوّل و إذا صدر عنه أمر أو نهی فهناک شیئان احدهما لفظ صادر عنه و الثانی إراده أو کراهه قائمه بنفسه متعلّقه بالمأمور به أو بالمنهیّ عنه و لیستا أیضا کلاما حقیقیّا اتّفاقا فتعیّن الأوّل.

و استدلّوا علی قدمه بمثل ما استدلّ به الحنابله من الدّلیل الّذی قدّمناه و الجواب الجواب.

و استدلّوا علی اتّحاده بأنه اذا ثبت الکلام النفسی کان کسایر الصفات مثل العلم و القدره فکما أنّ العلم صفه واحده تتعلّق بمعلومات متعدّده و کذا القدره کذلک الکلام صفه واحده تنقسم إلی الأمر و النهی و الخبر و الاستفهام و النداء و هذا بحسب التعلّق فذلک الکلام باعتبار تعلّقه بشیء علی وجه مخصوص یکون خبرا، و باعتبار تعلّقه بشیء آخر أو علی وجه آخر یکون أمرا و کذا البواقی.

و فیه انّ وحدته متفرّعه علی ثبوت أصله و حیث عرفت فساد الأصل ففساد الفرع ظاهر.

قال العلاّمه الحلّی قدّس اللّه روحه: المعقول من الکلام علی ما تقدّم أنّه

ص:۲۶۹

الحروف و الأصوات المسموعه و هذه الحروف المسموعه إنّما تتمّ كلاما مفهوما إذا كان الانتظام على أحد الوجوه الّتى يحصل لها الافهام، و ذلک بأن يكون خبرا أو مرا أو نهيا أو استفهاما أو تنبيها و هو الشامل للتمنّى و الترجّى و التعجّب و القسم و النداء، و لا وجود له إلّا فى هذه الجزئيات.

و الّذين اثبتوا قدم الكلام اختلفوا فذهب بعضهم إلى أنّ كلامه تعالى واحد مغاير لهذه المعانى، و ذهب آخرون إلى تعدّده، و الّذين أثبتوا وحدته خالفوا جميع العقلاء فى اثبات شىء لا يتصوّرونه هم و لا خصومهم، و من أثبت للّه وصفا لا يعقله لا يتصوّره هو و لا غيره كيف يجوز أن يجعل إماما يقتدى به و يناط بكلامه لأحكام.

تكمله

قد اشرنا إلى أنّ هذا الكلام مروىّ عنه عليه السّلام فى غير واحد من الأصول المعتبره من؟؟ طرق مختلفه مع اختلاف فى متنه، و ينبغى أن نروى ما فيها على ما جرى عليه ديدننا؟؟؟ فى هذا الشرح فأقول:

روى ثقه الاسلام محمّد بن يعقوب الكلينىّ قدّس اللّه روحه فى باب جوامع التوحيد عن محمّد بن أبى عبد اللّه رفعه عن أبى عبد اللّه عليه السّلام قال: بينا أمير المؤمنين عليه السّلام يخطب على منبر الكوفه إذ قام إليه رجل يقال له ذعلب ذو لسان بليغ فى الخطب شجاع القلب فقال:

أمير المؤمنين هل رأيت ربّک؟ فقال عليه السّلام: ويلک يا ذعلب ما كنت أعبد ربّا لم أره، فقال: يا أمير المؤمنين كيف رأيته؟ فقال: ويلک يا ذعلب لم تره العيون بمشاهده؟؟؟ الأبصار و لكن رأته القلوب بحقايق الايمان، ويلک يا ذعلب إنّ ربّى لطيف الطافه؟؟ لا يوصف باللّطف، عظيم العظمه لا يوصف بالعظم، كبير الكبرياء لا يوصف بالكبر، جليل الجلاله لا يوصف بالغلظ، قبل كلّ شىء لا يقال شىء قبله، و بعد كلّ شىء لا يقال له بعد، شاء الأشياء لا بهمّه، درّاک لا بخديعه، فى الأشياء كلّها غير متمازج

بها و لا باين منها، ظاهر لا بتأويل المباشره، متجلّ لا باستهلال رؤيه، ناء لا بمسافه قريب لا بمداناه، لطيف لا بتجسّم، موجود لا بعد عدم، فاعل لا باضطرار، مقدّر لا بحركه، مريد لا بهمامه، سميع لا باله، بصير لا بأداه، لا تحويه الأماكن، و لا تضمنه الأوقات، و لا تحدّه الصّفات، و لا تأخذه السّنات، سبق الأوقات كونه، و العدم وجوده، و الابتداء أزله، بتشعيره المشاعر عرف أن لا مشعر له، و بتجهيره الجواهر عرف أن لا جوهر له، و بمضادّته بين الأشياء عرف أن لا ضدّ له، و بمقارنته بين الأشياء عرف أن لا قرين له، ضادّ النّور بالظلمه، و اليبس بالبلل، و الخشن باللّين، و الصرد بالحرور، مؤلّف بين متعادياتها، مفرّق بين متدانياتها، دالّه بتفريقها على مفرّقها و بتأليفها على مؤلّفها، و ذلك قوله تعالى: «وَ مِنْ كُلِّ شَيْ ءٍ خَلَقْنا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ »، ففرّق بين قبل و بعد ليعلم أن لا قبل له و لا بعد له، شاهده بغرايزها أن لا غريزه لمغرزها، مخبره بتوقيتها أن لا وقت لموقتها، حجب بعضها عن بعض ليعلم أن لا حجاب بينه و بين خلقه، كان ربّا إذ لا مربوب، و إلها إذ لا مألوه، و عالما إذ لا معلوم، و سميعا إذ لا مسموع.

و فى الاحتجاج روى أهل السير أنّ رجلا جاء إلى أمير المؤمنين عليه السّلام فقال:

يا أمير المؤمنين أخبرنى عن اللّه أرأيته حين عبدته؟ فقال أمير المؤمنين: لم أك بالذى أعبد من لم أره فقال له: كيف رأيته يا أمير المؤمنين؟ فقال له: ويحك لم تره العيون بمشاهده العيان و لكن رأته العقول بحقايق الايمان، معروف بالدّلالات منعوت بالعلامات، لا يقاس بالناس، و لا يدرك بالحواسّ.

فانصرف الرّجل و هو يقول: اللّه أعلم حيث يجعل رسالته.

و فى الارشاد للمفيد روى أهل السيره و علماء النقله أنّ رجلا جاء - و ساق الحديث إلى قوله حيث يجعل رسالته - نحو ما رويناه عن الاحتجاج.

و فى الكافى فى باب إبطال الرؤيه عن عدّه من أصحابنا، عن أحمد بن محمّد بن خالد عن أحمد بن محمّد بن أبى نصر عن أبى الحسن الموصلىّ عن أبى عبد اللّه عليه السّلام قال:

جاء حبر إلی أمیر المؤمنین علیه السّلام فقال یا أمیر المؤمنین هل رأیت ربّک حین عبدته؟ قال: فقال: ویلک ما کنت أعبد ربّا لم أره، قال: و کیف رأیته؟ قال: ویلک لا تدرکه العیون فی مشاهده الأبصار و لکن رأته القلوب بحقایق الایمان.

الترجمه

از جمله کلام بلاغت نظام آن مقتدای أنام علیه الصّلاه و السّلام است که فرموده است آن را در حالتی که سؤال کرد از آن بزرگوار ذعلب یمانی پس گفت آیا دیدهٔ پروردگار خود را ای أمیر مؤمنان؟ پس فرمود آن حضرت: آیا عبادت میکنم چیزی را که نمی بینم؟ گفت ذعلب: چطور می بینی او را؟ فرمود:

درک نمی تواند بکند او را چشمها با مشاهده معاینه و لکن درک میکند او را قلبها با نورهای ایمان، نزدیک است پروردگار عالمین از أشیاء در حالتی که چسبان نیست به آنها، دور است أز آنها در حالتی که جدا نیست، صاحب تکلّم است نه با فکر و رویه، اراده کننده است بدون عزم و همّت صاحب صنعت است نه با اعضا و جوارح، لطیف است که متّصف نیست به پنهانی، بزرگ است که متّصف نمی شود با غلظت و خشونت طبیعت، بیننده است متّصف نمی شود با حاسهٔ بصر، رحیم است موصوف نمی شود با رقّت قلب، ذلیل می شود رویهای مخلوقات از برای عظمت او، و مضطرب می شود قلبهای خلق از ترس او.

و من خطبه له علیه السّلام فی ذمّ أصحابه

اشاره

و هی المأه و التاسعه و السبعون من المختار فی باب الخطب أحمد اللّه علی ما قضی من أمر، و قدّر من فعل، و علی ابتلائی بکم أیّتها الفرقه الّتی إذا أمرت لم تطع، و إذا دعوت لم تجب، إن

أمهلتم خضتم، و إن حوربتم خرتم، و إن اجتمع النّاس على إمام طعنتم، و إن أجبتم إلى مشاقّه نكصتم، لاـ أبا لغيركم، ما تنتظرون بنصركم، و الجهاد على حقّكم، الموت أو الذّلّ لكم، فواللّه لئن جاء يومى - و ليأتينىّ - ليفرّقنّ بينى و بينكم و أنا لصحبتكم قال، و بكم غير كثير، للّه أنتم أ ما دين يجمعكم، و لا حميّه تشحذكم، أ و ليس عجبا أنّ معاويه يدعو الجفاه الطّغام فيتّبعونه على غير معونه و لا عطاء، و أنا أدعوكم و أنتم تريكه الإسلام و بقيّه النّاس إلى المعونه أو طائفه من العطاء فتفرّقون عنّى و تختلفون علىّ، إنّه لاـ يخرج إليكم من أمرى رضا فترضونه، و لا سخط فتجتمعون عليه، و إنّ أحبّ ما أنّا لاق إلىّ الموت، قد دارستكم الكتاب، و فاتحتكم الحجاج، و عرّفتكم ما أنكرتم، و سوّغتكم ما مججتم لو كان الأعمى يلحظ، أو النّائم يستيقظ، و أقرب بقوم من الجهل باللّه قائدهم معاويه، و مؤدّبهم ابن النّابغه.

اللغه

(أمهله) اى رفق به و أخّره و فى بعض النسخ أهملتم أى تركتم و (خرتم) بالخاء المعجمه و الراء المهمله من الخور بمعنى الضعف أو من خوار الثور و هو صياحه قال تعالى: «عِجْلاً جَسَداً لَهُ خُوارٌ »، و عن بعض النسخ جرتم بالجيم من جار أى عدل

عن الحقّ و (طعنتم) فی بعض النسخ بالظاء المعجمه ارتحلتم و فارقتم و (أجبتم) بالجیم و الباء المعجمه علی البناء علی المعلوم من أجاب إجابه، و فی نسخه الشارح المعتزلی اجئتم بالهمزه الساکنه بعد الجیم المکسوره و البناء علی المجهول أی الجئتم قال تعالی: «فَأَجاءَهَا الْمَخاضُ إِلی جِذْعِ النَّخْلَهِ ».

و (النکوص) الرجوع إلی ما وراء قال تعالی: «فَلَمّا تَراءَتِ الْفِئَتانِ نَکَصَ عَلی عَقِبَیْهِ » و (شحذت) النصل و السکین حدّتهما و (الجفاه) جمع الجافی و هو الغلیظ من الناس و (الطغام) بالطاء المهمله و الغین المعجمه أراذل الناس و أوغادهم الواحد و الجمع سواء و (التریکه) بیضه النعامه یترکها فی مجثمها و (درس) الکتاب قرأ و (ساغ) الشراب دخل فی الحلق بسهوله قال الشاعر:

فساغ لی الشراب و کنت قبلا أکاد أغصّ بالماء الفرات

و (مججته) من فمی أی رمیت به.

الاعراب

یحتمل أن یکون ما فی قوله: علی ما قضا، مصدریّه و موصوله فیکون العاید محذوفا.

و قوله: لا أبا لغیرکم قال الشارح البحرانی: أصله لا أب و الالف زایده إمّا لاستثقال توالی أربع فتحات، أو لأنّهم قصدوا الاضافه و أتوا باللاّم للتأکید.

أقول: و یؤیّد الثانی ما حکاه نجم الأئمه عن سیبویه من زیاده اللاّم فی لا أبالک و قال الشارح المعتزلی: الأفصح لا أب بحذف الألف، و أمّا قولهم لا أبالک باثباته فدون الأوّل فی الفصاحه، کأنّهم قصدوا الاضافه و أقحموا اللاّم مزیده مؤکده

كما قالوا: يا تيم تيم عدىّ (١) و هو غريب لأنّ حكم لا- أن تعمل فى النكره فقط و حكم الألف أن تثبت مع الاضافه و الاضافه تعرف فاجتمع حكمان متنافيان فصار من الشواذ و قال أبو البقاء يجوز فيها وجهان آخران: أحدهما أنه أشبع فتحه الباء فنشأت الالف و الاسم باق على تنكيره و الثانى أن يكون أبا لغه من قال لها أبا فى جميع أحوالها، مثل عصا و منه: إنّ أباها و أبا أباها.

و قوله: الموت أو الذّل لكم، فى أكثر النسخ برفعهما و فى بعضها بالنّصب أمّا الرفع فعلى الابتداء و لكم خبر و الجمله دعائيّه لا محلّ لها من الاعراب، و أمّا النصب فبتقدير أرجو و أطلب فتكون دعائيه أيضا، و تحتمل الاستفهام أى أ تنتظرون.

و قوله: فو اللّه لئن جاء يومى و ليأتينى ليفرقنّ آه، جمله ليفرقنّ جواب للقسم و استغنى بها عن جواب الشرط، و جمله و ليأتينّى معترضه بين القسم و الشرط و جوابيهما المذكور و المحذوف و تعرف نكته الاعتراض فى بيان المعنى و جمله: و أنا لصحبتكم قال، منصوبه المحلّ على الحال، و بكم متعلّق بغير كثير قدّم عليه للتوسّع.

و قوله: للّه أنتم، قال الشارح المعتزلى: للّه فى موضع رفع لأنّه خبر عن المبتدأ

ص:٢٧٥

١- (١) قال نجم الائمه المنادى المفرد اذا تكرّر لفظه و ولى الاسم الثانى اسم مجرور بالاضافه فالثانى واجب النصب، و لك فى الأوّل الضمّ و النصب قال:يا تيم تيم عدىّ لا أبا لكملا يلقينكم فى سوءه عمر و قال:يا زيد زيد اليعملات الذبلتطاول اللّيل عليك فانزل أما الضم فى الأوّل فواضح لأنه منادى مفرد معرفه، و الثانى عطف بيان و هو البدل على ما يأتى فى بابه، و أمّا نصب الأوّل فقال سيبويه تيم الثانى مقحم بين المضاف و المضاف اليه، و هو تأكيد لفظى لتيم الأوّل و قد مرّ فى توابع المنادى المبنى أنّ التأكيد اللفظى فى الاغلب حكمه حكم الأوّل، و حركته حركته اعرابيه كانت أو بنائيه فكما أنّ الأوّل محذوف التنوين للاضافه فكذلك الثانى، مع أنه ليس بمضاف، و شبهه سيبويه باللام المقحمه بين المضاف و المضاف اليه فى لا ابالك لتأكيد اللام المقدّره (منه)

الـذى هـو أنتم، و مثله للّه درّ فلاـن، و للّه بلاـد فلاـن، و للّه أبـوك، و اللاّـم ههنـا فيهـا معنى التعجّب، و المراد بقوله للّه أنتم للّه سعيكم أو للّه عملكم كما قالوا: للّه درّك، أى عملك فحذف المضاف و أقام الضمير المنفصل المضاف اليه مقامه قال الشارح: و لا يجىء هذه اللاّم بمعنى التعجّب فى غير لفظ اللّه كما أنّ تاء القسم لم تأت إلاّ فى اسم اللّه، انتهى و قال نجم الأئمه الرّضـى: قولهم إنّ لاـم القسم يستعمل فى مقـام التعجّب يعنون الأـمر العظيم الّـذى يسـتحقّ أن يتعجّب منه فلا يقال للّه لقـد قام زيـد، بل يستعمل فى الأمور العظام نحو للّه لتبعثنّ، و قيل إنّ اللاّم فى «لِإِيلافِ قُرَيْشٍ »، و «لِلْفُقَراءِ الَّذِينَ أُحْصِرُوا »، للتعجّب، و الأولى أن يقال إنّها للاختصاص إذ لم يثبت لام التعجّب الاّ فى القسم انتهى كلامه رفع مقامه.

أقول: المسـتفاد من نصّ كلام الشارح أنّ لام التعجّب مختصّه بالـدّخول على لفظ الجلاله، و من ظاهر كلام الرّضـى أنّها ملازمه للقسم، و يشـكل ذلك فى نحو للّه درّه و للّه أبوك و للّه أنتم و ما ضاهاها، لأنهم اتّفقوا على أنّها فى هذه الأمثله للتعجّب مع أنّه لا معنى للقسم بل لا تصوير له فيها إذ لو كانت للقسم لاحتاجت إلى الجواب و ليس فليس.

و قد صرّح الرضىّ نفسه فى مبحث التميز من شرح مختصر ابن الحاجب بأنّ معنى للّه درّه فارسا، عجبا من زيد فارسا و هو يعطى أنّهـا فيه للتعجّب فقط لا للتعجّب و القسم على أنها لو جعلت للقسم لا يكون للّه خبرا مقـدّما و درّه مبتـدأ و لا يكون للـدّرّ عامل رفع كما هو ظاهر لا يخفى.

و بعـد اللّتيا و اللّتى فالتحقيق أن يقال: إنّ اللاّم قد تكون للتعجّب مجرّده عن القسم و لا يلزم دخولها على لفظ الجلاله كما زعمه الشارح المعتزلى بل قد تدخل عليه كما فى للّه درّه فارسا و للّه أنت و قوله:

شباب و شيب و افتقار و ثروه فللّه هذا الدّهر كيف تردّدا

و قد تدخل على غيره كما فى «لِإِيلافِ قُرَيْشٍ » أى اعجبوا لايلاف قريش كما حكاه فى الكشّاف عن بعضهم و فى قوله:

فيا لک من ليل کأنّ نجومه بکلّ مغار القتل بشدّت بيذبل

و قد تکون للتعجّب و القسم معا، و هذه مختصّه بالدّخول على لفظ الجلاله کما فى للّه لا ـ يؤخّر الأجل، و قوله تعالى: «للّه لتبعثنّ» و قول الشاعر:

للّه يبقى على الأيّام ذو حيد بمسمخرّ به الظيبان و الاس

فقد ظهر من ذلک أنّ لام القسم ملازم للتعجّب و لام التعجّب غير ملازم للقسم کما زعمه الرّضى و لا للدّخول على لفظ الجلاله کما زعمه الشارح المعتزلى هذا.

و أما تحقيق معنى التعجّب فى هذه الموارد فهو ما أشار إليه الرّضى فيما حکى عنه بقوله: و أمّا معنى قولهم للّه درّک، فالدّر فى الأصل ما يدرّ أى ينزل من الضّرع من اللّبن و من الغيم من المطر و هو هنا کنايه عن فعل الممدوح و الصادر عنه، و إنما نسب فعله إليه قصدا للتعجّب منه لأنّ اللّه تعالى منشىء العجائب، فکلّ شىء عظيم يريدون التعجّب منه ينسبونه إليه تعالى و يضيفونه إليه نحو قولهم: للّه أنت، و للّه أبوک، فمعنى للّه درّه ما أعجب فعله.

و قال عز الدّين الزنجانى فى محکىّ کلامه من شرح الهادى: للّه درّه کلام معناه التعجّب، و العرب إذا أعظموا الشىء غايه الاعظام أضافوه إلى اللّه تعالى ايذانا بأنّ هذا الشىء لا يقدر على ايجاده إلاّ اللّه تعالى و بأنّ هذا جدير بأن يتعجّب منه لأنّه صادر عن فاعل قادر مصدر للأشياء العجيبه هذا.

و قوله عليه السّلام: أما دين يجمعکم، قال الشارح المعتزلى ارتفاع دين على أنه فاعل فعل مقدّر أى ما يجمعکم دين يجمعکم، اللّفظ الثانى مفسّر للأوّل کما قدرناه بعد إذا فى قوله: «إِذَا السَّماءُ انْشَقَّتْ »، و يجوز أن يکون حميه مبتدأ و الخبر محذوف تقديره أما لکم حميه، انتهى.

أقول: لزوم تقدير الفعل بعد أما إنما هو مسلم إن جعل أما مرکبه حرف عرض بمنزله لو لا، لاختصاصها بالدّخول على الفعل کما أنّ اذا مختصّه بالدّخول عليه، و لذلک احتيج الى تقديره فى الايه الشريفه، و أما إذا جعلنا الهمزه للاستفهام على سبيل الانکار التوبيخى أو على سبيل التقرير و ما حرف نفى فلا حاجه إلى تقدير

الفعل لأنّ ما على ذلک ماء حجازيه بمعنى ليس و دين اسمها و يجمعكم خبرها.

و الظاهر من قول الشارح: أى ما يجمعكم أنه لا- يجعلها حرف عرض و حينئذ فتقديره للفعل باطل، ثمّ إنّ تجويزه كون حميه مبتدأ و الخبر محذوفا فيه أنّ الأصل عدم الحذف مع وجود الجمله الصّالحه للخبريّه، و إن أراد بالتجويز مجرّد الصحّه بالقواعد الأدبيّه فلا بأس به.

و قوله: أ و ليس عجبا استفهام تقريرى، و على فى قوله عليه السّلام: على غير معونه، بمعنى مع كما فى قوله تعالى: «وَ آتَى الْمالَ عَلى حُبِّهِ »، «وَ إِنَّ رَبَّکَ لَذُو مَغْفِرَهٍ لِلنّاسِ عَلى ظُلْمِهِمْ »، و إلى فى قوله: إلى المعونه، متعلّق بقوله ادعوكم، و جمله: و أنتم تريكه الاسلام آه، معترضه بينهما فليس لها محلّ من الاعراب، و يحتمل كونها فى محلّ النّصب على الحاليه من مفعول أدعوكم و لكن الأوّل أظهر.

و الضمير فى قوله: إنه للشأن، و جواب لو فى قوله لو كان الأعمى يلحظ أو النائم يستيقظ محذوف بدلاله الكلام كما فى قوله تعالى: «وَ لَوْ أَنَّ قُرْآناً سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبالُ أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ الْأَرْضُ أَوْ كُلِّمَ بِهِ الْمَوْتى »، أى لكان هذا القرآن.

و قوله عليه السّلام: و أقرب بقوم من الجهل باللّه، فعل تعجّب و الباء زايده كما فى أحسن بزيد قال سيبويه افعل صورته أمر و معناه الماضى من افعل أى صار ذا فعل كألحم أى صار ذا لحم، و الباء بعده زايده فى الفاعل لازمه، و قد يحذف إن كان المتعجّب منه أن وصلتها نحو أحسن أن يقوم أى أن يقوم على ما هو القياس.

و ضعّف قوله بأنّ الأمر بمعنى الماضى مما لم يعهد بل الماضى يجىء بمعنى الأمر مثل اتّقى امرؤ ربّه، و بأنّ افعل بمعنى صار ذا فعل قليل و لو كان منه لجاز ألحم بزيد و أشحم به، و بأنّ زياده الباء فى الفاعل قليل و المطرد زيادتها فى المفعول.

و قال الفراء و تبعه الزمخشرى و غيره ان احسن امر لكل احد بأن يجعل زيدا حسنا، و انما يجعله كذلک بأن يصفه بالحسن فكأنه قيل: صفه بالحسن كيف شئت فانّ فيه منه كلّ ما يمكن أن يكون فى شخص كما قال الشاعر:

و قد وجدت مكان القول ذا سعه فان وجدت لسانا قائلا فعل

و هذا معنى مناسب للتعجّب بخلاف تقدير سيبويه و أيضا همزه الجعل أكثر من همزه صار كذا و ان لم يكن شىء منهما قياسا مطردا، و على ذلك فهمزه أحسن به للجعل كهمزه ما أحسن و الباء مزيده فى المفعول و هو كثير مطرد هذا.

و إنما لم يجمع لفظ أقرب مع كون المقصود بالخطاب غير مفرد، لأنّ فعل التعجّب لا يتصرّف فيه فلا يقال أحسنا و أحسنوا و أحسنى و إن خوطب به مثّنى أو مجموع أو مؤنّث، و سهل ذلك انمحاء معنى الأمر فيه اريد به محض انشاء التعجّب و لم يبق فيه معنى الخطاب حتّى يثّنى أو يجمع أو يؤنّث.

ثمّ إنّه يجب أن يكون المتعجّب منه مختصّا فلا يقال ما أحسن رجلا، لعدم الفائده فان خصّصته بوصف نحو رجلا رأيناه فى موضع كذا جاز، و لذلك أتى بالجمله الوصفيه أعنى قوله قائدهم معاويه بعد قوله بقوم، لئلّا يخلو عن الفائده، فالجمله على ذلك فى محلّ الجرّ على الصفه فافهم ذلك كلّه و اغتنم.

المعنى

اعلم أنّ هذا الكلام له عليه السّلام كما نبّه عليه السيّد (ره) وارد فى ذمّ أصحابه و التوبيخ لهم، و الأشبه أنه عليه السّلام قاله بعد التّحكيم و انقضاء أمر الحكمين تقريعا لأصحابه على القعود عن قتال معاويه، فافتتح كلامه بحمد اللّه تعالى و ثنائه على ما جرى عليه سيرته فى أغلب كلماته الوارده فى مقام الخطابه فقال:

(الحمد للّه على ما قضا من أمر و قدر من فعل) يحتمل أن يريد بقوله قضا و قدر معنى واحدا و كذلك الأمر و الفعل فيكونان مترادفين كالفعلين، و أن يريد بالقضاء الحكم الالهى بوجود الأشياء، و بعباره اخرى هو عالم الأمر و لذا فسّره بقوله: من أمر، و بالقدر ما قدره من الخلق و الايجاد و بعباره اخرى هو عالم الخلق و لذا بيّنه بقوله: من فعل، فيكون المعنى الثناء للّه على قضائه و قدره أى على أمره و فعله أو على ما قضاه و قدره على مقتضياته من الأوامر و الأحكام، و على مقدراته من الصنائع و الأفعال و قد مضى تفصيل الكلام مشبعا فى معنى القضاء و القدر فى شرح الفصل

التاسع من الخطبه الأولى.

و أقول هنـا: إنّ قوله عليه السّـلام هـذا مؤيّـد لمـا ذهب إليه اتباع الاشـراقيّين من أنّ القضاء عباره عن وجود الصور العقليه لجميع الموجودات فـايضه عنه تعالى على سبيل الابـداع دفعه بلا زمان، لكونها عنـدهم من جمله العالم و من أفعال اللّه تعالى المباينه و ذاتها لـذاته، خلافا لاتباع المشّائين كالشيـخ الرئيس و من يحـذو حـذوه فانه عندهم عباره عن صور علميه لازمه لذاته بلا جعل و تأثير و تأثّر، و ليست من أجزاء العالم، إذ ليست لها جهه عدميه و لا إمكانات واقعيه.

و أمّـا القـدر فهـو عبـاره عن وجـود صور الموجودات فى العـالـم السـماوى على الوجه الجزئى مطـابقه لمـا فى موادّهـا الخـارجيه الشخصيّه مستنده إلى أسبابها و عللها لازمه لأوقاتها المعيّنه و أمكنتها المشخّصه هذا.

و على ما استظهرناه من ورود هـذا الكلام عنه عليه السّـلام بعد التحكيم فيجوز أن أن يراد بما قضاه و قدره خصوص ما وقع من أمر الحكمين و إفضـاء الأمر إلى معاويه، فإنّ كل ما يقع فى العالم فلا يكون إلّا بقضاء من اللّه و قـدر، فيكون مساق هـذا الكلام مساق قوله عليه السّلام فى الخطبه الخامسه و الثلاثين: الحمد للّه و ان أتى الدّهر بالخطب الفادح و الحدث الجليل.

فان قلت: فما معنى حمـده على وقوع هـذا الأمر مع أنه ليس نعمه موجبه للثناء قلت: اللّازم على العبـد الكامل فى مقام العبوديّه و البالغ فى مقام العرفان أن يحمد اللّه على بلاء اللّه سبحانه كما يحمد على نعمائه حسبما عرفت توضيحه فى شرح قوله:

نحمـده على آلاـئه كمـا نحمـده على بلائه فى الخطبه المأه و الاحـدى و الثلاثين، و لما كان وقوع ما وقع بليّه له عليه السّـلام فى الحقيقه لا جرم حمد اللّه سبحانه على ذلك.

و يفيـد ذلك أيضا قوله (و على ابتلائى بكم) خصوصا ما يروى فى بعض النسخ على ما ابتلانى بكم (أيّتها الفرقه التى إذا أمرت لم تطع و اذا دعوت لم تجب) و الاتيـان بـالموصول لزيـاده التقرير أعنى تقرير الغرض المسوق له الكلام، فانه لما بيّن ابتلائه بهم إجمالا عقّبه بتفصيل جهات الابتلاء، و هو كونهم مخالفين له فى

جميع الأحوال متمرّدين عن طاعته عند الأمر بالقتال، متثاقلين عن إجابته عند الدّعوه إلى الحرب و الجدال.

(إن امهلتم) و عن بعض النسخ إن اهملتم أى تركتم على حالكم (خضتم) فى لهو الحديث و فى الضلاله و الأهواء الباطله (و إن حوربتم خرتم) أى ضعفتم و جبنتم أو صحتم ضياح الثور، و عن بعض النسخ جرتم بالجيم أى عدلتم عن الحرب فرارا (و إن اجتمع الناس على إمام) أراد به نفسه (طعنتم) على المجتمعين (و إن اجبتم الى مشاقه) عدوّ أى مقاطعته و مصارمته (نكصتم) على أعقابكم و رجعتم محجمين (لا أبا لغيركم) دعاء بالذّل و فيه نوع تلطّف لهم حيث قال لغيركم و لم يقل لكم (ما تنتظرون)استفهام على سبيل التقريع و التوبيخ أى أىّ شىء تنتظرونه (بنصركم) أى بتأخير نصرتكم لدين اللّه (و) بتأخير (الجهاد على حقكم) اللاّزم عليكم و هو إعلاء كلمه اللّه (الموت أو الذّل لكم) قال الشارح المعتزلى: دعاء عليهم بأن يصيبهم أحد الأمرين كأنّه شرع داعيا عليهم بالفناء الكلّى و هو الموت ثمّ استدرك فقال أو الذّل، لأنّه نظير الموت فى المعنى لكنه فى الصّوره دونه، و لقد اجيب دعائه عليه السّلام بالدعوه الثانيه فانّ شيعته ذلّوا بعده فى الأيام الأمويّه.

أقول: و قد مضى له معنى آخر فى بيان الاعراب و على ذلك المعنى ففيه اشاره إلى أنّ تأخير الجهاد إمّا مؤدّ إلى الموت على الفراش أو الذّل العظيم على سبيل منع الخلوّ، و أهل الفتوّه و المروّه لا يرضى بشىء منهما، و القتل بالسيف فى الجهاد عندهم ألذّ و أشهى كما مرّ بيانه فى شرح المختار المأه و الثانى و العشرين.

ثمّ اقسم بالقسم البارّ بأنه إذا جاء موته ليكون مفارقته لهم عن قلى و بغض فقال (فو اللّه لئن جاء يومى) الموعود (و ليأتينّى) جمله معترضه أتى بها لدفع ايهام خلاف المقصود.

بيان ذلك أنّ لفظه إن و إذا الشرطيّتين تشتركان فى إفاده الشرط فى الاستقبال لكن أصل إن أن يستعمل فى مقام عدم الجزم بوقوع الشرط و أصل إذا أن يستعمل فى مقام الجزم بوقوعه، و لذلك كان الحكم النادر الوقوع موقعا لان لكونه غير مقطوع

به فی الغـالب، و الحكم الغالب الوقوع موردا لاذا و غلب لفظ الماضـی معها لـدلالته علی الوقوع قطعا نظرا إلی نفس اللفظ و إن نقل ههنا الی معنی الاسـتقبال قال سـبحانه مبیّنا لحال قوم موسی علیه السّلام: «فَإِذا جاءَتْهُمُ الْحَسَنَةُ قالُوا لَنا هذِهِ وَ إِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُوا بِمُوسى وَ مَنْ مَعَهُ » جیء فی جـانب الحسـنه بلفـظ الماضـی مع إذا لأـنّ المراد الحسـنه المطلقه التی وقوعهـا مقطوع به و لـذلک عرفت بلاـم الجنس لأـنّ وقوع الجنس و المـاهیه كـالواجب لكثرته و وسـعته، و فی جـانب السـیئه بلفـظ المضارع مع إن لندرتها و قلّتها و لذلک نكرت لدلاله التنكیر علی التقلیل.

اذا عرفت ذلـک فنقول: إنّ موته علیه السّـلام لمـا كـان أمرا محقّقـا معلوم الوقوع كـان المقـام مقتضـیا للاتیان باذا، لكنه أتی بان الموهمه لعدم جزمه علیه السّلام به.

فاستدرک ذلک أوّلا بالعدول فی الشرط عن الاستقبال إلی الماضی حیث قال:

جاء یومی و لم یقل یجیء إبرازا لغیر الحاصل فی معرض الحاصل و كون ما هو للوقوع كالواقع بقوّه أسـبابه المعـدّه له مع ما فیه من إظهار الرغبه و الاشتیاق الی حصول الشرط، فانّ الطالب إذا عظمت رغبته فی حصول أمر یكثر تصوّره إیاه فربما یخیل ذلک الأمر إلیه حاصلا فیعتبر عنه بلفظ الماضی.

و اسـتدركه ثانیا بقوله: و لیأتینّی، فتبّه علیه السّـلام بهـذین الاسـتدراكین علی أنّه جازم بمجیء یومه الموعود قاطع به و أنّ مجیئه قریب الوقوع و هو مشتـاق الیه و أشـدّ حبّـا له من الطفـل بثـدی امّه كمـا صـرّح به فی غیر واحـده من كلماته، و هـذا من لطایف البلاغه و محسّناتها البدیعه الّتی لا یلتفت إلیها إلاّ مثله علیه السّلام هذا.

و قوله (لیفرقنّ بینی و بینكم و أنـا بصـحبتكم قـال) یعنی إذا جـاء مماتی یكون فارقا بیننا و الحال أنی مبغض لكم مسـتنكف عن مصاحبتكم (و بكم غیر كثیر) أی غیر كثیر بسـببكم قوّه و عـده لأنّ نسـبتكم إلیّ كالحجر فی جنب الانسان لا أعوان صـدق عند مبـارزه الشـجعان، و لاـ إخوان ثقه یوم الكریهه و مناضـله الأـقران (للّه أنتم) أی للّه درّكم و هو دار و فی مقام التعجّب و المـدح تلطفا قال العلاّمه المجلسی ره: و لعلّه للتعجّب علی سبیل الذمّ.

أقول: إن أراد انفهـام الـذمّ منه بقرينه المقـام فلاـ بأس و إلاّ فهو خلاف ما اصـطلحوا عليه من اسـتعمالها فى مقام المـدح حسـبما عرفته تفصيلا فى شرح الاعراب.

و قوله (أ مـا دين يجمعكم و لاـ حميّه تشـحذكم) أى تحـددكم فى معنى الطلب و الترغيب على الاجتمـاع على الـدّين و ملازمه الحميّه سواء جعلنا أما حرف عرض و تحضيض أو الهمزه للاستفهام التوبيخى أو التقريرى و ما حرف نفى.

أمّا على الأول فواضـح لأنّ معنى التحضـيض فى المضارع هو الحضّ على الفعل و الطلب له فهو فيه بمعنى الأمر و قلّما يسـتعمل فيه إلاّ فى موضع التوبيخ و اللّوم على ما كان يجب أن يفعله المخاطب قبل أن يطلب.

و أمّا على جعل الهمزه للانكار التوبيخى فكـذلك لاقتضائه وقوع ما بعـدها و كون فاعله ملوما و لوم المخاطبين و توبيخهم على عدم الدّين و ترك الحميّه مستلزم لطلب الدّين و الحميّه منهم.

و أمّا على جعلها للتقرير فلأنّ معنى التقرير هو حمل المخاطب على الاقرار بأمر قـد اسـتقرّ عنده ثبوته أو نفيه، و المراد هنا التقرير بما بعـد النفى أى تقرير المخاطبين و حملهم على الاعتراف بالدّين الجامع و الحميّه الشاحذه و حملهم على الاعتراف بذلك فى معنى طلبه منهم و حملهم عليهم حتى لا يكونوا كاذبين.

و إلى ذلك ينظر ما قاله العلاّمه التفتازانى: من أنّ العرض مولد من الاستفهام أى ليس بابا على حده، فالهمزه فيه همزه الاستفهام دخلت على النفى و امتنع حملها على حقيقه الاسـتفهام لأنه يعرف عدم النزول مثلا فالاسـتفهام عنه يكون طلبا للحاصل فتولد منه بقرينه الحال عرض النزول على المخاطب و طلبه، و هى فى التحقيق همزه الانكار، أى لا ينبغى لك أن لا تنزل(۱) و إنكار النفى إثبات.

و فيه أيضـا و من مجىء الهمزه للانكـار «أَ لَيْسَ اللّهُ بِكافٍ »، أى اللّه كاف عبـده، لأنّ إنكار النفى نفى له و نفى النفى إثبات، و هـذا المعنى مراد من قال: إنّ الهمزه للتقرير بما بعـد النفى لا بالنفى، و هكـذا «أَ لَمْ نَشْـرَحْ لَكَ صَدْرَكَ »، و «أَ لَمْ يَجِدْكَ يَتِيماً »، و ما

۱- (۱) اى ألا تنزل بنا، م

أشبه ذلك، فقد يقال: إنّ الهمزه للانكار و قد يقال إنها للتقرير و كلاهما حسن انتهى.

و من ذلك علم أنّ الهمزه فى قوله (أ و ليس عجبا) أيضا تحتمل الانكار و التقرير كالجمله السابقه إلاّ أنّ بينهما فرقا، و هو أنّ الانكار فى السابق للتوبيخ و هنا للابطال، و مقتضاه أن يكون ما بعده غير واقع و مدعيه كاذبا فيكون مفاده إنكار عدم العجب و أنّ من ادّعى عدمه فهو كاذب و يلزمه ثبوت العجب لأنّ نفى النفى إثبات كما مرّ فى نحو: «أَ لَيْسَ اللّهُ بِكافٍ عَبْدَهُ »، و أمّا على كونها للتقرير فلا فرق بينهما لأنها هنا أيضا للتقرير بما بعد النفى أى حملهم على الاقرار بثبوت العجب.

و على أىّ تقدير فالمقصود من الكلام بقرينه الحال و المقام حثّهم على رفع ما أوجب التعجّب عن قبلهم و هو تفرّقهم عنه و اختلافهم عليه.

كما أشار إلى تفصيله بقوله (إنّ معاويه يدعو الجفاه الطعام) أى الأراذل و الأوغاد من الناس (فيتّبعونه) و يجيبون دعوته (على غير معونه و لا عطاء) قال الشارح المعتزلى: الفرق بينهما انّ المعونه إلى أنجد شىء يسير من المال يرسم لهم لترميم أسلحهتم و إصلاح دوابهم و يكون ذلك خارجا عن العطاء المفروض شهرا فشهرا و العطاء المفروض شهرا فشهرا يكون شيئا له مقدار يصرف فى أثمان الأقوات و معونه العيال و قضاء الدّيون.

فان قلت: كيف يجتمع قوله فيتّبعونه على غير معونه و لا عطاء بما هو المعروف من بذل معاويه و أنه يمدّ جيشه بالأموال و الرغائب.

قلت: قد أجاب عنه الشارح المعتزلى بأنّ معاويه لم يكن يعطى جنده على وجه المعونه و العطاء، و إنما كان يعطى رؤساء القبايل من اليمن و ساكنى الشام الأموال الجليله تستعبدهم بها و يدعو أولئك الرؤساء أتباعهم من العرب فيطيعونه، فمنهم من يطيعهم حميه و منهم من يطيعهم دينا للطلب بدم عثمان، و لم يكن يصل إلى هولاء الأتباع من أموال معاويه قليل و لا كثير، و أما أمير المؤمنين فانه كان يقسم بين الرؤساء و الاتباع على وجه العطاء و الرزق لا يرى شريف على مشروف فضلا

و إلى ذلك أشار بقوله(و أنا أدعوكم و أنتم تريكه الاسلام و بقيّه)المسلمين من(النّاس)لا يخفى ما فى الاتيان بهذه الجمله من النكته اللّطيفه و هو الالهاب لهم و التهييج على المتابعه و استعار لهم لفظ التريكه لكونهم خلف الاسلام و بقيّته كالتريكه التى يتركها النعامه، أى أدعوكم مع كونكم خلف الاسلام و بقيّه السلّف و أولى النّاس بالقيام على مراسمه و بسلوك نهج الاسلاف (إلى المعونه أو طائفه من العطاء فتفرّقون عنّى) و تقاعدون (و تختلفون علىّ) و لا تجتمعون.

و عمده أسباب التفرّق و التقاعد هو ما أشرنا إليه هنا إجمالا و قدّمناه فى شرح الخطبه الرابعه و الثلاثين تفصيلا من تسويته عليه السّلام فى العطاء بين الشريف و الوضيع و الرّئيس و المرءوس و الموالى و العبيد، فكان الرؤساء من ذلك واجدين فى أنفسهم فيخذلونه باطنا و ينصرونه ظاهرا، و إذا أحسّ الاتباع بتخاذل الرّؤساء تخاذلوا أيضا فلم يكن يجد عليه السّلام لما أعطى الاتباع من الرّزق ثمره، لأنّ قتال الأتباع لا يتصوّر وقوعه مع تخاذل الرّؤساء فكان يذهب ما يعطيهم ضياعا، هذا.

و قد تحصّل من قوله عليه السّلام أ و ليس عجبا، إلى قوله: تختلفون على أنّ منشأ تعجّبه عليه السّلام أمور:

أوّلها أنّ داعيهم معاويه إمام القاسطين و داعى هؤلاء أمير المؤمنين إمام المتّقين و الأوّل يدعوهم إلى درك الجحيم و الثّانى يدعوهم إلى نضره النعيم.

و ثانيها أنّ المدعوّ هناك الأوغاد الطغام مع خلوّهم غالبا عن الغيره و الحميّه و ههنا تريكه الاسلام و بقيّه أهل التقوى و المروّه.

و ثالثها متابعه الأوّلين على إمامهم من غير معونه و لا عطاء و مخالفه الاخرين لامامهم مع المعونه و العطاء.

ثمّ أشار إلى مخالفتهم له عليه السّلام فى جميع الأحوال فقال (إنه لا يخرج إليكم من أمرى رضا فترضونه و لا سخط فتجتمعون عليه) أى لا يخرج إليكم من أمرى شيء من شأنه أن يرضى به كالمعونه و العطاء فترضونه أو من شأنه أن يسخط منه كالحرب و الجهاد لكراهه الموت و حبّ البقاء فتجتمعون عليه، بل لا بدّ لكم من

المخالفه و التفرّق على الحالين أى لا تقبلون من أمرى و ما أقول لكم شيئا سواء كان فيه الرّضا أو السخط.

ثمّ قال (و إنّ أحبّ ما أنا لاق إلىّ الموت) أى أحبّ الأشياء إلىّ لقاء الموت قال الشارح المعتزلى: و هذه الحال الّتى ذكرها أبو الطيّب فقال:

كفى بك داء أن ترى الموت شافيا و حسب المنايا أن يكنّ أمانيا

تمنّيتها لما تمنّيت أن أرى صديقا فأعيا أو عدوّا مراجيا

ثمّ أشار عليه السّلام إلى جهه محبّته للقاء الموت و كراهته لصحبتهم، و هو تثقالهم من إجابه الحقّ و عدم قبولهم لمواعظه و نصايحه، و ذلك معنى قوله:(قد دارستكم الكتاب) أى قرأته عليكم للتعليم و قرأتم علىّ للتعلّم (و فاتحتكم الحجاج) أى حاكمتكم بالمحاجّه و المجادله (و عرفتكم ما أنكرتم) أى عرفتكم ما كانت منكره مجهوله عندكم من طريق الصّلاح و السّداد و ما فيه انتظام أمركم فى المعاش و المعاد (و سوّغتكم ما مججتم)أى أعطيتكم من الأرزاق و الأموال ما كنتم محرومين عنها فاستعار لفظ التسويغ للاعطاء، و الجامع سهوله التناول كما استعار لفظ المجّ و هو اللّفظ من الفم للحرمان، و الجامع امتناع الانتفاع.

و قوله (لو كان الأعمى يلحظ أو النائم يستيقظ) أى لو كان الأعمى يلحظ لأبصرتم، و لو كان النائم يستيقظ لانتبهتم، و هو تعريض عليهم بأنّ لهم أعينا لا يبصرون بها، و آذانا لا يسمعون بها، و قلوبا لا يفقهون بها، فهم صمّ بكم عمى و هم لا يعقلون ثمّ تعجّب من حال أهل الشام و متابعتهم على معاويه فقال (و أقرب بقوم) قد مرّ لطف هذه اللّفظه و افادتها للمبالغه فى التعجّب فى بيان الاعراب أى ما أشدّ قرب قوم (من الجهل باللّه) و بشرايعه و بأحكامه (قائدهم معاويه) المنافق بن الكافر (و مؤدّبهم) و مشيرهم (ابن النابغه) الغادر الفاجر، و أراد به عمرو بن العاص اللّعين و طوى عن ذكر اسمه تحقيرا و تعريضا على خسّته و دنائته، و قدحا فى نسبه على ما عرفته تفصيلا فى شرح المختار الثالث و الثمانين.

ص:۲۸۶

الترجمه

از جمله کلام بلاغت نظام آن امام أنام است علیه الصّلاه و السّلام در مذمّت أصحاب خود می فرماید:

حمـد و ثنا میکنم معبود بحق را بر آنچه قضا فرمود از هر أمر و تقـدیر کرد از هر فعل، و بر امتحان شـدن من بشـما ای گروهی که چون أمر می کنم مرا اطاعت نمی نمائیـد، و اگر دعوت بکنم اجابت نمی کنیـد، و اگر مهمل گذاشـته شویـد یا مهلت داده شـده باشـید غوص می کنیـد در لغو و باطل، و اگر محاربه کرده شوید ضـعیف می باشـید یا صدا می کنید مثل صدای گاو، و اگر جمعیت نمایند مردم بر امامی طعنه می زنید یا این که مفارقت می نمائید، و اگر خوانده شوید یا ملجأ شوید بسوی مشـقّت یعنی محاربه باز می گردید.

بی پـدر باشـد غیر شـما چه انتظـار می کشـید با تأخیر یاری کردن و مجاهـده نمودن بر حق خودتان، مرگ یا ذلّت باد از برای شما، پس سوگنـد بخدا اگر بیاید روز وفات من و البته خواهد آمد - هر آینه جدائی می اندازد میان من و میان شـما در حالتی که من دشـمن گیرنده باشم صحبت شما را، و در حالتی که من بسبب شما صاحب کثرت قوّت و زیادتی شوکت نمی باشم، از برای خدا است خیر شـما آیا نیست دینی که جمع نماید شـما را، آیا نیست حمیّت غیرتی که باعث حدّت شما بشود، آیا نیست عجیب این که معاویه دعوت میکنـد جفا کاران و فرومایگان را پس متابعت میکننـد بر او بـدون این که جیره و مواجبی به آنها بدهد، و من دعوت میکنم شـما را در حالتی که شما پس مانده اسلام و بقیه مردمان هستید بسوی معونت یا طائفه از عطاء پس متفرّق می شوید و اختلاف می ورزید بر من.

بدرستی که خارج نمی شود بسوی شـما از امر من چیزی که متضمّن رضا و خوشنودیست پس خوشنود بشوید از آن، یا چیزی که متضمّن سخط و خشم است پس اجتماع نمائید بر آن، و بدرستی که دوست ترین چیزی که من ملاقات کننده ام بسوی من مرگ است، بتحقیق که من درس گفتم شما را کتاب خدا را و محاکمه

ص:۲۸۷

کردم با شما با اجتماع و شناساندم شما را چیزی را که نمی دانستید، و گوارا ساختم از برای شما چیزی را که از دهان انداخته بودید اگر نابینا می دید یا این که خواب کننده بیدار می شد، چه قدر نزدیک است قومی از جهالت بخدا که پیشوای ایشان معاویه است و أدب دهندهٔ ایشان پسر زن زناکار که عبارت است از عمرو بن عاص بی دین.

و من كلام له عليه السّلام

اشاره

و هو المأه و الثمانون من المختار فی باب الخطب و هو مروی فی البحار و فی شرح المعتزلی و فی شرح المختار الرابع و الأربعين جميعا من كتاب الغارات لابراهيم بن محمّد الثقفی باختلاف تطلع عليه.

قال السيّد ره و قد أرسل رجلا من أصحابه يعلم له علم قوم من جند الكوفه قد هموا باللّحاق بالخوارج و كانوا على خوف منه عليه السّلام فلما عاد إليه الرّجل قال عليه السّلام له:

ء أمنوا فقطنوا أمّ جبنوا فظعنوا؟ فقال الرجل بل ظعنوا يا أمير المؤمنين فقال عليه السّلام:

بعدا لهم كما بعدت ثمود أما لو أشرعت الأسنّه إليهم و صبّت السّيوف على هاماتهم لقد ندموا على ما كان منهم، إنّ الشّيطان اليوم قد استفلّهم و هو غدا متبرّیء منهم، و مخلّ عنهم فحسبهم بخروجهم من الهدى و ارتكاسهم فی الضّلال و العمى و صدّهم عن الحقّ و جماحهم فی التّيه

ص:۲۸۸

اللغه

(یعلم له) مضارع علم و (قطن) بالمکان من باب قعد أقام به و توّطنه فهو قاطن و (ظعن) ظعنا من باب منع ارتحل و الاسم ظعن بفتحتین (و بعد) بالضمّ بعدا ضدّ قرب فهو بعید و بالکسر من باب تعب هلک و (ثمود) قوم صالح النبیّ علیه السّلام و سمّوا باسم أبیهم الأکبر و هو ثمود بن عامر بن ارم بن سام بن نوح، و قیل: سمّیت القبیله بذلک لقلّه مائها من الثمد و هو الماء القلیل و کانت مساکنها بین الحجاز و الشام إلی وادی القری و (أشرعت) الرمح إلی زید سددته و صوّبته نحوه و (الهامات) جمع الهامه رأس کلّ شیء قال الشاعر:

تذر الجماجم ضاحیا هاماتها بله الأکف کأنّها لم تخلق

(قد استفلّهم) فی أکثر النسخ بالفاء أی وجدهم فلاّ - لا - خیر فیهم أو مفلولین منهزمین، و فی بعضها بالقاف أی حملهم قال سبحانه: «أَقَلَّتْ سَحاباً ثِقالاً »، أو اتّخذهم قلیلا و سهل علیهم أمرهم، و فی بعضها استفزّهم أی استخفّهم، و فی بعضها استقبلهم أی قبلهم.

و (الرکس) قال الجوهری هو ردّ الشیء مقلوبا، و ارتکس فلان فی أمر کان قد نجا منه و قال الفیومی: رکست الشیء رکسا من باب قتل قلبته و رددت أوّله علی آخره، و أرکسته بالألف رددته علی رأسه و (جمح) الفرس من باب منع اعتز فارسه و غلبه فهو جموح.

الاعراب

بعدا لهم منصوب علی المصدر، و ثمود بدون التنوین غیر مصروف إذا ارید به القبیله، و مع التنوین علی الانصراف و إراده الحیّ، أو باعتبار الأصل لأنه اسم أبیهم الأکبر قاله الزمخشری فی الکشاف فی تفسیر قوله تعالی «وَ إِلی ثَمُودَ أَخاهُمْ صالِحاً » و بهما قرء أیضا فی الآیه، و الباء فی قوله: بخروجهم، زایده کما زیدت فی کفی باللّه

المعنی

اعلم أنّ هذا الکلام کما أشار إلیه السیّد قاله علیه السّلام (و قد أرسل رجلا من

أصحابه) و هو عبد اللّه بن قعين (يعلم له علم قوم) و فى بعض النسخ علم أحوال قوم أى أرسله ليعلم حالهم فيخبره به و هم خريت بن راشد أحد بنى ناحيه مع جماعه من أصحابه و كانوا (من جند الكوفه) شهدوا معه عليه السّلام صفين حسبما عرفته فى شرح المختار الرابع و الأربعين و تعرفه هنا أيضا تفصيلا.

(همّوا) بعد انقضاء صفين و بعد تحكيم الحكمين (باللّحاق بالخوارج و كانوا على خوف منه عليه السّلام فلما عاد) أى رجع اليه عليه السّلام (الرجل قال عليه السّلام له: أ أمنوا) و فى بعض النسخ باسقاط همزه الاستفهام كما فى قوله تعالى: «سَواءٌ عَلَيْهِمْ أَ أَنْذَرْتَهُمْ »، على قراءه ابن محيص قال: انّه بهمزه واحده على لفظ الخبر و همزه الاستفهام مراده و لكن حذفها تخفيفا لدلاله: «أَمْ لَمْ تُنْذِرْهُمْ »، عليه لأنّ أم يعادل الهمزه، و قرء الأكثرون على لفظ الاستفهام.

و قوله (فقطنوا) أى أقاموا (أم جبنوا فظعنوا) أى ارتحلوا (فقال الرجل: بل ظعنوا يا أمير المؤمنين فقال عليه السّلام: بعدا لهم) أى هلكا لهم أو أبعدهم اللّه من رحمته بعدا و المعنيان متلازمان (كما بعدت ثمود) بكسر العين فى أكثر النسخ و كذا فى المصاحف.

ثمّ أخبر عن مستقبل حالهم بأنهم يندمون على تفريطهم فقال(أما لو اشرعت الأسنّه إليهم و صبّت السيوف على هاماتهم)استعار لفظ الصّب الّذى هو حقيقه فى صبّ الماء لكثره وقع السيوف على الرءوس، و الجامع سرعه الوقوع، يعنى أنهم لو عاينوا القتال و الهجوم عليهم بالقتل و الاستيصال (لقد ندموا) حينئذ (على ما كان منهم) من التقصير و الخطاء.

ثمّ نبّه على أنّ ما صدر عنهم من الظعن و اللّحاق بالخوارج إنما هو من عمل الشيطان يقول للانسان اكفر فلما كفر قال إنى برىء منك و هو قوله عليه السّلام (إنّ الشيطان اليوم قد استفلّهم) أى وجدهم بمعزل من الخير فزيّن لهم اللّحوق بأوليائه (و هو غدا متبرئ منهم و مخل عنهم) اى تارك لهم كما شأنه مع ساير أوليائه قال تعالى «وَ إِذْ زَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطانُ أَعْمالَهُمْ وَ قالَ لا غالِبَ لَكُمُ الْيَوْمَ مِنَ النّاسِ وَ إِنِّى جارٌ لَكُمْ فَلَمّا »

ص:۲۹۰

«تَراءَتِ الْفِئَتانِ نَكَصَ عَلى عَقِبَيْهِ وَ قالَ إِنِّی بَرِیءٌ مِنْكُمْ إِنِّی أَرى ما لا تَرَوْنَ إِنِّی أَخافُ اللّهَ وَ اللّهُ شَدِیدُ الْعِقابِ».

(فحسبهم بخروجهم من الهدى) أى يكفيهم خروجهم منه عذابا و وبالا (و ارتكاسهم فى الضلال و العمى) أى رجوعهم إلى الضلال القديم و الجهل الّذى كانوا عليه بعد خروجهم منه و نجاتهم عنه بهدايته عليه السّلام (و صدّهم) أى إعراضهم (عن الحقّ) اللّازم عليهم و هو طاعه إمامهم المفترض طاعته (و جماحهم فى التيه) و الضّلال أو مفازه المعصيه، هذا.

و أما قصّه هؤلاء القوم الّذين همّوا باللّحاق بالخوارج فقد مضى طرف منها فى شرح الكلام الرابع و الأربعين لارتباطه به، و أورد هنا باقتضاء المقام ما لم يتقدّم ذكره فأقول:

روى العلاّمه المجلسى ره فى كتاب البحار و الشارح المعتزلى جميعا من كتاب الغارات لابراهيم الثقفى بتلخيص منّى عن الحارث بن كعب الأزدى عن عمّه عبد اللّه بن قعين قال: كان الخريت بن راشد أحد بنى ناجيه قد شهد مع علىّ عليه السّلام صفين، فجاء اليه بعد انقضاء صفين و بعد تحكيم الحكمين فى ثلاثين من أصحابه يمشى بينهم حتّى قام بين يديه فقال: لا و اللّه لا اطيع أمرك و لا اصلّى خلفك و إنّى غدا لمفارق لك.

فقال عليه السّلام: ثكلتك امّك إذا تنقض عهدك و تعصى ربّك و لا تضرّ إلاّ نفسك أخبرنى لم تفعل ذلك؟ قال: لأنّك حكمت فى الكتاب و ضعفت عن الحقّ اذ جدّ الجدّور كنت إلى القوم الذين ظلموا أنفسهم فأنا عليك رادّ و عليهم ناقم و لكم جميعا مباين.

فقال له علىّ عليه السّلام: ويحك هلمّ إلىّ ادارسك و أناظرك فى السّنن و افاتحك أمورا من الحقّ أنا أعلم بها منك فلعلّك تعرف ما أنت الان له منكر، و تبصر ما أنت الان عنه غافل، و به جاهل.

ص:۲۹۱

فقال الخريت: فانا غاد عليك غدا فقال علىّ عليه السّلام اغد و لا يستهوينّك الشيطان و لا يقتحمنّ بك رأى السّوء و لا يستخفنّك الجهلاء الذين لا يعلمون، فو اللّه إن استرشدتنى و استنصحتنى و قبلت منّى لأهدينك سبيل الرّشاد.

فخرج الخريت من عنده منصرفا إلى أهله.

قال عبد اللّه بن قعين فعجلت فى أثره مسرعا و كان لى من بنى عمّه صديق فأردت أن القى ابن عمّه فى ذلك فاعلمه بما كان فى قوله لأمير المؤمنين عليه السّلام و آمر ابن عمّه أن يشتدّ بلسانه عليه و أن يأمره بطاعه أمير المؤمنين عليه السّلام و مناصحته و يخبره أنّ ذلك خير له فى عاجل الدّنيا و آجل الاخره.

قال: فخرجت حتّى أتيت إلى منزله و قد سبقنى فقمت عند باب داره فيها رجال من أصحابه لم يكونوا شهدوا معه دخوله على أمير المؤمنين فو اللّه ما رجع و لا ندم على ما قال لأمير المؤمنين عليه السّلام و لا ردّ عليه و لكنه قال لهم: يا هؤلاء إنّى قد رأيت إن أنا أفارق هذا الرّجل و قد فارقته على أن أرجع إليه من غد و لا أرى إلّا المفارقه فقال له أكثر أصحابه: لا تفعل حتّى تأتيه فان أتاك بأمر تعرفه قبلت منه و إن كانت الأخرى فما أقدرك على فراقه قال لهم نعم ما رأيتم.

قال فاستاذنت عليهم فأذنوا إلىّ فأقبلت على ابن عمّه و هو مدرك بن الريان الناجى و كان من كبراء العرب فقال له: إنّ لك علىّ حقا لإحسانك و ودّك و حقّ المسلم على المسلم انّ ابن عمك كان منه ما قد ذكرك فاخل به فاردد عليه رأيه و عظم عليه ما أتى، و اعلم أنّى خائف إن فارق أمير المؤمنين عليه السّلام أن يقتلك و نفسه و عشيرته، فقال: جزاك اللّه خيرا من أخ إن أراد فراق أمير المؤمنين عليه السّلام ففى ذلك هلاكه و إن اختار مناصحته و الاقامه معه ففى ذلك حظّه و رشده.

قال: فأردت الرجوع إلى علىّ عليه السّلام لاعلمه الّذى كان ثمّ اطمأننت إلى قول صاحبى فرجعت إلى منزلى، فبتّ ثمّ أصبحت فلما ارتفع النهار أتيت أمير المؤمنين عليه السّلام فجلست عنده ساعه و أنا اريد أن أحدّثه بالّذى كان على خلوه، فأطلت الجلوس

و لا یزداد الناس إلا کثره، فـدنوت منه فجلست ورائه فأصـغی الیّ برأسه فأخبرته بما سـمعته من الخریت و ما قلت لابن عمّه و ما ردّ علیّ فقـال علیه السّـلام: دعه فان قبل الحق و رجع عرفنا له ذلک و قبلناه منه فقلت: یا أمیر المؤمنین علیه السّـلام لم لا تأخـذه الاـن و تسـتوثق منه؟ فقـال علیه السّـلام: إنا لو فعلنا هـذا بکلّ من یتّهم من الناس ملأنا السـجون منهم و لا أرانی یسـعنی الوثوب بالناس و الحبس لهم و عقوبتهم حتّی یظهروا لی الخلاف.

قـال: فسـکّت عنه و تنحّیت و جلست مع أصـحابی هنیئه فقـال علیه السّـلام لی: ادن منّی، فـدنوت فقال لی: سـر إلی منزل الرّجل فـاعلم مـا فعل فانّه قل یوم لم یکن یأتینی فیه قبل هـذه الساعه، فأتیت إلی منزله فاذا لیس فی منزله منهم دیّار فـدرت علی أبواب دور أخری کان فیها طائفه من أصحابه فاذا لیس فیها داع و لا مجیب فأقبلت إلی أمیر المؤمنین علیه السّلام.

فقـال لی حین رءانی: أقطنوا فأقـاموا أم جبنوا فظعنوا؟ قلت: لا بل ظعنوا فقال أبعـدهم اللّه کما بعـدت ثمود أما و اللّه لو اشـرعت لهم الأسنّه و صبّت علی هاماتهم السیوف لقد ندموا إنّ الشیطان قد استهواهم و أضلّهم و هو متبرّیء منهم و مخل عنهم فقام إلیه زیـاد بن حفصه فقال یا أمیر المؤمنین إنه لو لم یکن من مضـرّه هؤلاء إلاّ فراقهم إیّانا لم یعظم فقـدهم علینا فانّهم قلّ ما یزیـدون فی عددنا لو أقاموا معنا و قلّما ینقصون من عددنا بخروجهم منّا، و لکنا نخاف أن یفسدوا علینا جماعه کثیره ممّن یقدمون علیهم من أهل طاعتک، فائـذن لی فی اتّباعهم حتّی أردّهم علیک انشاء اللّه فقال علیه السّـلام له: فاخرج فی آثارهم راشـدا فلمّا ذهب لیخرج قال علیه السّلام له: و هل تدری أین توجّه القوم؟ قال: لا و اللّه و لکنّی أخرج فأسأل و اتبع الأثر، فقال اخرج رحمک اللّه حتّی تنزل دیر أبی موسـی ثمّ لا تبرحه حتّی یأتیک أمری فانهم ان خرجوا ظاهرین بارزین للناس فی جماعه فانّ عمّالی سـتکتب إلیّ بذلک، و إن کانوا

متفرّقين مستخفين فذلك أخفى لهم و سأكتب إلى من حولى من عمّالى فيهم.

فكتب نسخه واحده و أخرجها إلى العمّال من عبد اللّه علىّ أمير المؤمنين إلى من قرء عليه كتابى هذا من العمّال أمّا بعد فانّ رجالا لنا عندهم تبعه خرجوا هرابا نظنّهم خرجوا نحو بلاد البصره فاسأل عنهم أهل بلادك و اجعل عليهم العيون فى كلّ ناحيه من أرضك ثمّ اكتب إلىّ بما ينتهى إليك عنهم.

فخرج زياد بن حفصه حتّى أتى داره و جمع أصحابه و أخذ معه منهم مأئه و ثلاثين رجلا و خرج حتّى أتى دير أبى موسى.

و روى باسناده عن عبد اللّه بن وال التيمى قال إنّى لعند أمير المؤمنين إذا فيج قد جاءه يسعى بكتاب من قرظه كعب الأنصارى و كان أحد عمّاله فيه.

أما بعد فانّى اخبر أمير المؤمنين أن خيلا مرّت من قبل الكوفه متوّجهه و إن رجلا من دهاقين أسفل الفرات قد أسلم و صلّى يقال له زاذان فروخ أقبل من عند اخوال له فلقوه فقالوا أ مسلم أنت أم كافر قال بل مسلم قالوا فما تقول فى علىّ عليه السّلام قال: أقول فيه خيرا أقول إنّه أمير المؤمنين و سيّد البشر و وصىّ رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله فقالوا: كفرت يا عدوّ اللّه ثمّ حملت عليه عصابه منهم فقطّعوه بأسيافهم و أخذوا معه رجلا من أهل الذمّه يهوديّا، فقالوا له: ما دينك؟ قال يهودىّ، فقالوا: خلّوا سبيل هذا لا سبيل لكم عليه، فأقبل إلينا ذلك الذّمى فأخبرنا الخبر و قد سألت عنهم فلم يخبرنى أحد عنهم بشىء فليكتب إلىّ أمير المؤمنين عليه السّلام فيهم برأيه أنته إليه إنشاء اللّه.

فكتب إليه أمير المؤمنين عليه السّلام أمّا بعد فقد فهمت ما ذكرت من أمر العصابه الّتى مرت بعلمك فقتلت البرّ المسلم و امن عندهم المخالف المشرك، و ان اولئك قوم استهواهم الشيطان فضلّوا كالذين حسبوا ألّا يكون فتنه فعموا و صمّوا فاسمع بهم و ابصر يوم يحشر أعمالهم فالزم عملك و اقبل على خراجك، فانك كما ذكرت فى طاعتك و نصيحتك، و السّلام.

قال: فکتب علیه السّلام إلی زیاد بن حفصه مع عبد اللّه بن وال التیمی کتابا نسخته.

أما بعد فقد کنت أمرتک أن تنزل دیر أبی موسی حتّی یأتیک أمری دونک إنی لم أکن علمت أین توجّه القوم و قد بلغنی أنهم أخذوا نحو قریه من قری السواد فاتّبع آثارهم و سل عنهم فانهم قد قتلوا رجلا من أهل السواد مسلما مصلّیا فاذا أنت لحقت بهم فارددهم إلیّ فان أبوا فناجزناهم و استعن باللّه علیهم فانهم قد فارقوا الحقّ و سفکوا الدّم الحرام و أخافوا السّبیل، و السّلام.

قال عبد اللّه بن وال فأخذت الکتاب منه علیه السّلام و أنا یومئذ شاب حدث فمضیت غیر بعید ثمّ رجعت إلیه فقلت یا أمیر المؤمنین ألا أمضی مع زیاد بن حفصه إلی عدوّک إذا دفعت علیه کتابک؟ فأذن و دعا لی ثمّ مضیت إلی زیاد بالکتاب، فقال لی زیاد: یا ابن أخی و اللّه مالی عنک من غنی و إنی احبّ أن تکون معی فی وجهی هذا، فقلت: إنّی قد استأذنت أمیر المؤمنین علیه السّلام فی ذلک فأذن لی فسرّ بذلک.

ثمّ خرجنا حتّی أتینا الموضع الذی کانوا فیه فلحقناهم و هم نزول بالمداین و قد أقاموا بها یوما و لیله و قد استراحوا و علفوا دوابهم و خیولهم و أتیناهم و قد تقطعنا و تعبنا و نصبنا، فلما رأونا وثبوا علی خیولهم فاستووا علیها فجئنا حتّی انتهینا إلیهم.

فنادی الخرّیت بن راشد أخبرونا ما تریدون؟ فقال له زیاد و کان مجربا رفیقا، قد تری ما بنا من النصب و اللّغوب و الّذی جئنا له لا یصلح فیه الکلام علانیه و لکن تنزلون و ننزل ثمّ نخلو جمیعا فنذاکر أمرنا و ننظر فیه فان رأیت ما جئنا له حظا لنفسک قبلته و إن رأیت فیما اسمع منک أمرا أرجو فیه العافیه لنا و لک لم ارد علیک.

فقال الخرّیت انزل، فنزلنا و نزل و تفرّقنا و تحلقنا عشره و تسعه و ثمانیه و سبعه تضع کلّ حلقه طعامها بین أیدیها فتأکل ثمّ تقوم إلی الماء فتشرب، و قال لنا زیاد علفوا خیولکم فعلقنا علیها مخالیها(1) و وقف زیاد فی خمسه فوارس أحدهم

۱- (۱) مخالیها جمع مخلات (م)

عبد اللّه بن وال بيننا و بين القوم و انطلق القوم فتنحّوا فنزلوا و أقبل إلينا زياد.

فلما رأى تفرّقنا قال سبحان اللّه أنتم أصحاب حرب و اللّه لو أنّ هؤلاء جاؤكم على هذه الحاله ما أرادوا من عزتكم أفضل من حالكم الّتى أنتم عليها فعجّلوا قوموا إلى خيولكم.

فأسرعنا فمنّا من يتوضّأ و منّا من يشرب و منّا من يسقى فرسه حتّى إذا فرغنا من ذلك أتينا زيادا فقال زياد: ليأخذ كلّ رجل منكم بعنان فرسه فاذا دنوت منهم و كلمت صاحبهم فان تابعنى على ما اريد و إلّا فاذا دعوتكم فاستووا على متون خيولكم ثمّ اقبلوا معا غير متفرّقين.

ثمّ استقدم أمامنا و أنا معه و دعى صاحبهم الخرّيت فقال له: اعتزل ننظر فى أمرنا فأقبل إليه فى خمسه نفر فقلت لزياد: أدعو لك ثلاثه نفر من أصحابك حتى تلقاهم فى عددهم فقال: ادع من أحببت، فدعوت له ثلاثه فكنّا خمسه.

فقال له زياد: ما الّذى نقمت على أمير المؤمنين عليه السّلام و علينا حتّى فارقتنا؟.

فقال: لم أرض صاحبكم إماما و لم أرض بسيرتكم سيره فرأيت أن أعتزل و أكون مع من يدعو إلى الشورى بين النّاس، فاذا اجتمع الناس على رجل هو لجميع الأمّه رضى كنت مع النّاس.

فقال زياد: ويحكم و هل يجتمع الناس على رجل يدانى عليا عالما باللّه و بكتاب اللّه و سنّه رسوله مع قرابته و سابقته فى الاسلام؟.

فقال الخرّيت هو ما أقول لك.

قال: ففيم قتلتم الرّجل المسلم؟ فقال الخرّيت ما أنا قتلته قتلته طائفه من أصحابى، قال: فادفعهم إلينا قال:

ما إلى ذلك من سبيل، قال: أو هكذا أنت فاعل؟ قال: هو ما تسمع.

قال: فدعونا أصحابنا و دعى الخرّيت أصحابه ثمّ اقتتلنا فو اللّه ما رأيت قتالا مثله منذ خلقنى اللّه لقد تطاعنّا بالرّماح حتّى لم يبق فى أيدينا رمح، ثمّ اضطربنا بالسيوف حتّى اثخنت و عقرت عامه خيلنا و خيلهم و كثرت الجراح فيما بيننا و بينهم

و قتل منّا رجلان مولى لزياد كانت معه رايته يدعى سويدا، و رجل آخر يدعى واقد ابن بكر، و صرع منهم خمسه نفر و حال اللّيل بيننا و بينهم و قد و اللّه كرهونا و كرهناهم و هزمونا و هزمناهم و قد جرح زياد و جرحت.

ثمّ إنا بتنا فى جانب و تنحّوا فمكثوا ساعه من اللّيل ثمّ مضوا فذهبوا، و أصبحنا فوجدناهم قد ذهبوا فو اللّه ما كرهنا ذلك فمضينا حتّى أتينا البصره و بلغنا أنهم أتوا الأهواز فنزلوا فى جانب منها و تلاحق بهم ناس من أصحابهم نحو مأتين كانوا معهم بالكوفه لم يكن لهم من القوّه ما ينهضون معهم حين نهضوا، فاتبعوهم من بعد لحوقهم بالأهواز فأقاموا معهم.

و كتب زياد إلى علىّ عليه السّلام أما بعد فانّا لقينا عدوّ اللّه الناجى و أصحابه بالمداين فدعوناهم إلى الهدى و الحقّ و الكلمه السّواء فتولّوا عن الحقّ و أخذتهم العزّه بالاثم و زيّن لهم الشيطان أعمالهم فصدّهم عن السّبيل فقصدونا، و صمدنا صمدهم فاقتتلنا قتالا شديدا ما بين قائم الظهر إلى أن دلكت(۱) الشمس، و استشهد منّا رجلان صالحان و اصيب منهم خمسه نفر و خلوا لنا المعركه و قد فشت فينا و فيهم الجراح، ثمّ إنّ القوم لما ادركوا اللّيل خرجوا من تحته متنكّرين إلى أرض الأهواز و قد بلغنى أنهم نزلوا من الأهواز جانبا و نحن بالبصره نداوى جراحنا و ننتظر أمرك رحمك اللّه و السّلام.

فلما أتاه الكتاب قرأه على النّاس، فقام إليه معقل بن قيس الرّياحى إلى آخر ما قدّمنا ذكره فى شرح المختار الرابع و الأربعين فليراجع هناك.

الترجمه

از جمله کلام آن بزرگوار است در حالتى که فرستاده بود مردى را از أصحاب خود تا بداند خبر طايفۀ از لشکر کوفه را که قصد کرده بودند آن طايفه ملحق شدن خوارج را، و بودند آن گروه ترسان و هراسان از آن حضرت، چون بازگشت

۱- (۱) دلکت دلوکا غربت أو اصفرت (ق)

آن مرد بسوی آن حضرت فرمود او را آیا ایمن شدند پس اقامت کردند یا این که ترسیدند پس کوچ کردند؟ پس گفت آن مرد کوچ کردند ای أمیر مؤمنان پس فرمود:

هلاک کند خداوند ایشان را هلاک کردنی چنانچه هلاک شدند قوم ثمود، آگاه باش که اگر راست کرده شود نیزها بسوی ایشان و ریخته گردد شمشیرها بر فرقهای آن مردودان، هر آینه البته پشیمان خواهند شد بر آن چیزی که از ایشان سرزد، بدرستی که شیطان ملعون امروز ایشان را بی خیر و منفعت یافت جلوه داد کوچ کردن را در نظر ایشان، و او فردا بی زاری خواهد جست از ایشان و تارک ایشان خواهد گشت، پس بس است خارج بودن ایشان از طریق هدایت، و بازگشتن ایشان در ضلالت و کوری، و اعراض ایشان از حق، و سرکشی ایشان در بیابان حیرانی و سرگردانی.

و من خطبه له علیه السّلام

اشاره

و هی المأه و الواحده و الثمانون من المختار فی باب الخطب و شرحها فی فصول:

الفصل الاول

اشاره

روی عن نوف البکالی قال: خطبنا بهذه الخطبه بالکوفه أمیر المؤمنین علیه السّلام و هو قائم علی حجاره نصبها له جعده بن هبیره المخزومی و علیه مدرعه من صوف و حمایل سیفه من لیف و فی رجلیه نعلان من لیف و کأنّ جبینه ثفنه بعیر فقال علیه السّلام:

الحمـد للّه الّذى إليه مصائر الخلق، و عواقب الأمر، نحمده على عظيم إحسانه، و نيّر برهانه، و نوامى فضـله و امتنانه، حمدا يكون لحقّه قضاء، و لشـكره أداء، و إلى ثوابه مقرّبا، و لحسن مزيده موجبا، و نسـتعين به اسـتعانه راج لفضله، مؤمّل لنفعه، واثق بدفعه، معترف له بـالطّول، مـذعن له بالعمـل و القول، و نؤمن به إيمان من رجاه موقنا، و أناب إليه مؤمنا، و خنع له مـذعنا، و أخلص له موّحـدا، و عظّمه ممجّـِدا، و لاذ به راغبا مجتهـدا، لم يولـد سـبحانه فيكون فى العزّ مشاركا، و لم يلـد فيكون موروثا هالكا، و لم يتقـدّمه وقت و لاـ زمـان، و لم يتعـاوره زياده و لا نقصان، بل ظهر للعقول بما أرانا من علامات التّـدبير المتقن، و القضاء المبرم. فمن شواهد خلقه خلق السّموات موطّدات بلا عمد، قائمات بلا سند، دعاهنّ فأجبن طائعات مذعنات، غير متلكّئات و لا مبطئات، و لو لاـ إقرارهنّ له بالرّبوبيّه، و إذعانهنّ بالطّواعيه، لما جعلهنّ موضـعا لعرشه، و لا مسـكنا لملائكته، و لا مصـعدا للكلم الطّيّب و العمل الصّالـح من خلقه، جعل نجومها أعلاما يسـتدلّ بها الحيران فى مختلف فجاج الأقطار، لم يمنع ضوء نورها ادلهمام سـجف اللّيل

المظلم، و لا استطاعت جلابيب سواد الحنادس أن تردّ ما شاع فى السّموات من تلالؤ نور القمر. فسبحان من لا يخفى عليه سواد غسق داج، و لا ليل ساج فى بقاع الأرضين المتطأطئات، و لا فى يفاع السّفع المتجاورات، و ما يتجلجل به الرّعد فى أفق السّماء، و ما تلاشت عنه بروق الغمام، و ما تسقط من ورقه تزيلها عن مسقطها عواصف الأنواء و انهطال السّماء، و يعلم مسقط القطره و مقرّها، و مسحب الذّرّه و مجرّها، و ما يكفى البعوضه من قوتها، و ما تحمل الانثى فى بطنها. و الحمد للّه الكائن قبل أن يكون كرسىّ، أو عرش، أو سماء، أو أرض، أو جانّ، أو إنس، لا يدرك بوهم، و لا يقدّر بفهم، و لا يشغله سائل، و لا ينقصه نائل، و لا ينظر بعين، و لا يحدّ بأين، و لا يوصف بالأزواج، و لا يخلق بعلاج، و لا يدرك بالحواسّ، و لا يقاس بالنّاس، الّذى كلّم موسى تكليما، و أراه من آياته عظيما، بلا جوارح و لا أدوات، و لا نطق و لا لهوات. بل إن كنت صادقا أيّها المتكلّف لوصف ربّك، فصف جبرئيل و ميكائيل و جنود الملائكه المقرّبين فى حجرات القدس مرجحنّين،

متولّهه عقولهم أن يحدّوا أحسن الخالقين، و إنّما يدرك بالصّفات ذووا الهيئات و الأدوات، و من ينقضى إذا بلغ أمد حدّه بالفناء، فلا إله إلاّ هو، أضاء بنوره كلّ ظلام، و أظلم بظلمته كلّ نور.

اللغه

(البكالى) بكسر الباء قال فى القاموس: و بنو بكال ككتاب بطن من حمير منهم نوف بن فضاله التابعى و كأمير حىّ من همدان، و عن الجوهرى أنّه بفتح الباء، و عن قطب الراوندى فى شرح النهج أنّ بكال و بكيل شىء واحد و هو اسم حىّ من همدان و بكيل أكثر، و الصواب كما قاله الشارح المعتزلى ما فى القاموس.

و (ثفنه) البعير بالكسر ركبته و ما مسّ الأرض من كركرته و سعداناته و اصول أفخاذه، و ثفنت يده من باب فرح غلظت و (العمد) جمع عماد على خلاف القياس قال سبحانه: «فِي عَمَدٍ مُمَدَّدَةٍ » و (تلكأ) عليه اعتلّ و عنه أبطأ و (الطواعيه) وزان ثمانيه الطاعه و (المختلف) الاختلاف و التردّد أو موضعه أو من المخالفه و (الفجّ) الطريق الواسع بين الجبلين و (القطر) الجانب و الناحيه و (السجف) بالفتح و الكسر الستر و الجمع سجوف و أسجاف و (الحنادس) جمع الحندس وزان زبرج اللّيل شديد الظلمه و (اليفاع) و اليفع محرّكه التلّ و (السفع) بالضمّ جمع سفعه و هو من الألوان ما اشرب حمره و (المسقط) اسم مكان كمقعد و مجلس.

و (الأنواء) جمع نوء و هو سقوط النجم من منازل القمر الثمانيه و العشرين فى المغرب من الفجر و طلوع رقيبه من المشرق مقابلا له من ساعته و ستعرف زياده تحقيق له فى بيان المعنى و (اللّهوات) و اللّهيات جمع اللّهاه و هى اللّحمه المشرفه على الحلق أو بين منقطع اصل اللّسان و منقطع القلب من أعلى الفم و (ارجحنّ) يرجحنّ كاقشعرّ مال و اهتزّ و عن الجزرى أرجحنّ الشىء إذا مال من ثقله و تحرّك.

ص:۳۰۱

الاعراب

من فی قوله: و العمل الصّالح من خلقه، ابتدائیّه نشویّه، و قوله: فی مختلف فجاج آه، متعلّق بالحیران أو بقوله: یستدلّ، قوله: لم یمنع ضوء نورها ادلهمام، فی أکثر النسخ برفع ادلهمام علی أنّه فاعل یمنع و نصب ضوء علی أنّه مفعوله، و فی بعض النسخ بالعکس قال الشارح المعتزلی: و هذا أحسن و ستعرف وجه الحسن فی بیان المعنی.

و أو فی قوله: أو عرش و ما بعدها بمعنی الواو، و قوله: لا یحدّ بأین قال الشارح المعتزلی: لفظه أین فی الأصل مبنیّه علی الفتح فاذا نکرتها صارت اسما متمکّنا من الاعراب، و إن شئت قلت بأنّه علیه السّلام تکلّم بالاصطلاح الحکمی و الأین عندهم حصول الجسم فی المکان و هو أحد المقولات العشر و قوله: فی حجرات القدس، إمّا متعلّق بالمقرّبین أو بمرجحتین، و الأوّل أقرب لفظا و الثانی معنی، و الاضافه فی قوله:

أمد حدّه، بیانیّه و قوله: بالفناء متعلّق بقوله: ینقضی

المعنی

قال السیّد ره (روی عن نوف) بن فضاله (البکالی) الحمیری انّه (قال خطبنا بهذه الخطبه أمیر المؤمنین علیه السّلام بالکوفه) الظاهر أنّ المراد بجامع الکوفه (و هو قائم علی حجاره نصبها له جعده بن هبیره المخزومی) و هو ابن اخت أمیر المؤمنین علیه السّلام و امّه امّ هانی بنت أبی طالب بن عبد المطلب بن هاشم و أبوه کما قاله السیّد ره:

هبیره و هو ابن أبی وهب بن عمرو بن عایذ بن عمران بن مخزوم، و کان فارسا شجاعا فقیها والی خراسان من جانب أمیر المؤمنین علیه السّلام، و من شعره الّذی یباهی فیه بنسبه قوله:

أبی من بنی مخزوم إن کنت سائلا و من هاشم أمّی لخیر قبیل

فمن ذا الّذی باهی علیّ بخاله کخالی علیّ ذی الندی و عقیل

(و علیه علیه السّلام مدرعه) أی جبّه تدرّع بها (من صوف و حمائل سیفه من لیف النخل)

(و فی رجلیه نعلان من لیف) أیضا و کفی بذلک زهدا (و کأنّ جبینه) من طول السجود (ثفنه بعیر) و کفی به عناء و عباده و قد ورثه منه علیه السّلام ابن ابنه علیّ بن الحسین زین العابدین و سیّد الساجدین صلوات اللّه علیه و علی آبائه و أبنائه أجمعین حتّی اشتهر و لقّب بالسجّاد ذی الثفنات قال دعبل الخزاعی فی قصیدته المعروفه:

دیار علیّ و الحسین و جعفر و حمزه و السجّاد ذی الثفنات

(فقال الحمد للّه الذی إلیه مصائر الخلق و عواقب الأمر) أی إلیه مرجع الخلایق فی المبدأ و الماب و عواقب امرهم یوم الحساب کما قال تعالی: «إِنَّ إِلَيْنا إِيابَهُمْ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنا حِسابَهُمْ »، و قال: «وَ إِلَى اللّهِ الْمَصِيرُ » إنما أتی علیه السّلام بلفظ الجمع مع أنّ المصدر یصحّ إطلاقه علی القلیل و الکثیر باعتبار کونه أی الجمع المضاف نصّا فی العموم مفیدا لکون جمیع رجوعات المخلوقات إلیه سبحانه فی جمیع حالاتهم لافتقار الممکن الی الواجب و حاجته الیه فی الوجود و البقاء و الفناء فهو أوّل الأوّلین و آخر الاخرین و إلیه المصیر و المنقلب.

(نحمده علی عظیم احسانه) الذی أحسن إلینا به و هو معرفته و توحیده إذ لا إحسان أعظم من ذلک، و قول الشارح المعتزلی: إنه اصول نعمه کالحیاه و القدره و الشهوه و نحوها، و کذا قول الشارح البحرانی إنه الخلق و الایجاد علی وفق الحکمه و المنفعه فلیسا بشیء و یؤیّد ما قلناه تعقیبه بقوله (و نیّر برهانه) فانّ المراد به الأدلّه الواضحه الّتی أقامها فی الافاق و الأنفس و من طریق العقل و النقل للدّلاله علی ذاته و صفات جماله و جلاله (و نوامی فضله و امتنانه) أراد بها نعمه النامیه الزاکیه الّتی أفضل بها علی عباده و امتنّ بها علیهم باقتضاء ربوبیّته و حفظا لبقاء النوع.

و قوله (حمدا یکون لحقه قضاء و لشکره أداء) من باب المبالغه فی کمال ثنائه سبحانه کما فی قولهم حمدا ملاء السماوات و الأرض، و إلاّ فالحمد الّذی یقضی حقّه

ص:۳۰۳

و يؤدّی شکره علی ما هو أهل له و مستحقّه فهو خارج عن وسع البشر کما عرفت تحقیق ذلک فی شرح الفصل الأوّل من المختار الأوّل و شرح المختار السابع و السبعین أیضا (و إلی ثوابه مقرّبا) لأنّه سبحانه وعد الثواب للشاکر و قال: فاشکرونی أشکرکم، من باب المشاکله أی اثیبکم علی شکرکم(۱) و معلوم أنه سبحانه منجز لوعده و من أوفی بعهده من اللّه (و لحسن مزیده موجبا) لأنه أخبر عن ایجاب الشکر لزیاده النعمه و وعد به و قال: «لَئِنْ شَکَرْتُمْ لَأَزِیدَنَّکُمْ »، و معلوم أنه صادق فی وعده لا یخلف المیعاد.

(و نستعین به استعانه) صادره عن صمیم القلب و کمال الرجا و الوثوق باعانته و لذلک وصفها بکونها مثل استعانه (راج لفضله مؤمّل لنفعه واثق بدفعه) فان المستعین المتّصف بهذه الأوصاف لا تکون استعانته إلاّ علی وجه الکمال إذ رجاه للفضل و أمله لایصال المنافع و وثوقه بدفع المضارّ إنما هو فرع المعرفه بفضله و إحسانه و بقدرته و قهره علی کلّ شیء، و بأنه لا رادّ لحکمه و لا دافع لقضائه و أنّ بیده خزائن الملک و الملکوت، و معلوم أنّ من عرف اللّه تعالی بذلک یکون طلبه للاعانه آکد و أشد، و هذه الأوصاف الثلاثه فی الحقیقه مظنّه للاعانه باعتبار صفات العظمه و الکمال فی المستعان.

ثمّ وصفها بوصفین آخرین هما مظنّه للاعانه باعتبار وصف الذّل و الاستکانه فی المستعین و هو قوله (معترف له بالطوّل مذعن له بالعمل و القول) فانّ من اعترف لطوله و إفضاله و أذعن أی خضع و ذلّ و انقاد علی ربوبیّته و أسرع إلی طاعته قولا و عملا فحقیق علی الاعانه و جدیر بالافضال.

ثمّ أردف ذلک بالاعتراف بالایمان الکامل فقال (و نؤمن به) ایمانا کاملا مستجمعا لصفات الکمال و انما یکون کذلک إذا کان مثل (ایمان من رجاه) للمطالب العالیه (موقنا) بأنه أهله لقدرته علی إنجاح المأمول و قضاء المسئول (و أناب إلیه مؤمنا)

۱- (۱) فی هذه الجملات من الاشتباه ما لا یخفی «المصحح»

علما منه بأنّ مرجع العبد إلى سيّده و معوّله إلى مولاه (و خنع) أى خضع (له مذعنا) بأنّ نفسه ذليل أسير فى ربق الافتقار و الامكان و أنّ ربّه جليل متّصف بالعزّه و العظمه و السلطان (و أخلص له موحدا) اى أخلص له العبوديّه حال كونه معتقدا بوحدانيّته علما منه بأنّ من كان يرجو لقاء ربّه فليعمل عملا صالحا و لا يشرك بعباده ربّه أحدا (و عظّمه ممجّدا) أى عظّمه بصفات العزّ و الكبرياء و الجلال حال التمجيد له بأوصاف القدره و العظمه و الكمال (و لاذ به) أى لجأ إليه (راغبا مجتهدا) أى راغبا فى الالجاء مجدّا فى الرغبه و الالتجاء علما منه بأنّه الملاذ و الملجاء، هذا و لما حمد اللّه سبحانه و استعان منه و امن به أخذ فى تنزيهه و تقديسه باعتبارات سلبيّه و إضافيه هى غايه وصف الواصفين و منتهى درك الموحّدين فقال (لم يولد سبحانه فيكون فى العزّ مشاركا) أى ليس له والد حتّى يكون له شريك فى العزّ و الملك لجريان العاده بكون والد العزيز عزيزا غالبا (و لم يلد فيكون موروثا هالكا) أى ليس له ولد حتّى يهلك و يرثه ولده كما هو الغالب عاده من موت الوالد قبل الولد و وارثه الولد عنه و برهان تنزّهه سبحانه عنهما أنهما من لواحق الحيوانيه المستلزمه للجسميّه فهو يفيد لنفى تولّده سبحانه عن شىء و نفى تولّد شىء عنه بالمعنى المعروف فى الحيوان.

و يدلّ على تنزّهه سبحانه عن ذلك مطلقا ما رواه فى البحار و الصافى من كتاب التوحيد للصّدوق بسنده عن وهب بن وهب القرشى قال: حدّثنى الصادق جعفر بن محمّد عن أبيه الباقر عن أبيه عليهم السّلام أنّ أهل البصره كتبوا إلى الحسين بن علىّ عليه السّلام يسألونه عن الصّمد، فكتب إليهم:

بسم اللّه الرّحمن الرّحيم أمّا بعد فلا تخوضوا فى القرآن و لا تجادلوا فيه و لا تتكلّموا فيه بغير علم، فقد سمعت جدّى رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم يقول: من قال فى القرآن بغير علم فليتبوء مقعده فى النار، و أنه سبحانه قد فسّر الصمد فقال «اَللّٰهُ أَحَدٌ اَللّٰهُ الصَّمَدُ » ثمّ فسّره فقال «لَمْ يَلِدْ وَ لَمْ يُولَدْ وَ لَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُواً أَحَدٌ »، لم يلد لم يخرج منه شىء كثيف كالولد و ساير الأشياء الكثيفه الّتى تخرج من المخلوقين و لا شىء لطيف كالنفس

و لا ينشعب منه البدوات كالسنّه و النوم و الخطره و الهمّ و الحزن و البهجه و الضحك و البكاء و الخوف و الرجاء و الرغبه و السّامه و الجوع و الشبع تعالى أن يخرج منه شيء و أن يتولّد منه شيء كثيف، أو لطيف، و لم يولد لم يتولّد من شيء و لم يخرج من شيء كما يخرج الأشياء الكثيفه من عناصرها كالشيء من الشيء و الدابّه من الدابّه، و النبات من الأرض، و الماء من الينابيع، و الثمار من الأشجار، و لا كما تخرج الأشياء اللطيفه من مراكزها كالبصر من العين، و السّمع من الاذن، و الشمّ من الانف، و الذوق من الفم، و الكلام من اللسان، و المعرفه و التميز من القلب، و كالنار من الحجر، لا بل هو اللّه الصّمد الّذى لا من شيء و لا فى شيء و لا على شيء، مبدع الأشياء و خالقها و منشيء الأشياء بقدرته يتلاشى ما خلق للفناء بمشيّته و يبقى ما خلق للبقاء بعلمه، فذلكم اللّه الصمد الّذى لم يلد و لم يولد عالم الغيب و الشهاده الكبير المتعال، و لم يكن له كفوا أحد (و لم يتقدّمه وقت و لا زمان) قال الشارح المعتزلى: الوقت هو الزمان و إنما خالف بين اللفظين و أتى بحرف العطف تفنّنا، و قال الشارح البحرانى: الوقت جزء الزمان، و قال العلاّمه المجلسى ره: و يمكن حمل أحدهما على الموجود و الاخر على الموهوم، و على أىّ تقدير فهو خالقهما و مبدعهما و مقدّم عليهما فكيف يتصوّر تقدّمهما عليه تعالى.

(و لم يتعاوره) أى لم يختلف و لم يتناوب عليه (زياده و لا نقصان) لاستلزامهما التغير المستلزم للامكان المنزّه قدسه عزّ و جلّ عنه.

فان قلت: كان اللاّزم أن يقال زياده و نقصان لأنّ التعاور يقتضى الضدّين معا كما أنّ الاختلاف كذلك تقول: لم يختلف زيد و عمرو و لا تقول لم يختلف زيد و لا عمرو.

قلت: أجاب عنه الشارح المعتزلى بأنّ مراتب الزياده لما كانت مختلفه جاز أن يقال: لا يعتوره الزياده، و كذلك القول فى جانب النقصان و جرى كلّ واحد من النوعين مجرى أشياء متنافيه يختلف على الموضع الموصوف بها.

ص:۳۰۶

(بـل ظهر للعقول) و تجلّى للبصائر (بما أرانا من علامات التـدبير المتقن) المحكم (و) آيات (القضاء المبرم) فى الأنفس و الافاق فى أصـناف الموجودات و أنواع المصـنوعات المبدعه على أحسن نظام و أتقن انتظام على ما عرفت تفصـيلا و تحقيقا فى شـرح المختار التاسع و الأربعين.

و نزيـد عليه ايضاحا و تاكيدا ما قاله الصادق عليه السّـلام للمفضل بن عمر فى حديثه المعروف: يا مفضّل أوّل العبر و الأدلّه على البـارى جـلّ قـدسه تهيئه هـذا العـالم و تـأليف أجزائه و نظمها على ما هى عليه، فانّك إذا تأمّلت العالم بفكرك و ميّزته بعقلك وجـدته كـالبيت المبنىّ المعـدّ فيه جميع مـا يحتاج إليه عباده، فالسّـماء مرفوعه كالسّـقف و الأرض ممـدوده كالبساط، و النجوم منضوده كالمصابيـح، و الجواهر مخزونه كالـذخائر، و كـلّ شـىء فيهـا لشـأنه معـدّ، و الانسـان كالمملك ذلك البيت و المخوّل جميع مـا فيه، و ضـروب النبـات مهيّأه لماربه، و صـنوف الحيوان مصـروفه فى مصالحه و منافعه، ففى هـذا دلاله واضـحه على أنّ العالم مخلوق بتقـدير و حكمه و نظام و ملايمه و أنّ الخالق له واحد، و هو الّذى ألفه و نظمه بعضا إلى بعض جلّ قدسه و تعالى جدّه و كرم وجهه و لا إله غيره، تعالى عمّا يقول الجاحدون و جلّ و عظم عما ينتحله الملحدون، هذا.

و لما ذكر اجمالاـ أنّه تعـالى تجلّى للعقول بمـا أظهر من آيـات القـدره و علامـات التـدّبر أراد أن يشـير إلى بعض تلك الايات تفصيلا و هو خلق السماوات.

فقال (فمن شواهد خلقه) أى آيات الابداع و علامات التدبّر المحكم أو ما يشهد من الخلق بوجوده سبحانه و تدبيره و علمه أو ما حضـر من خلقه أى ظهر وجوده بحيث لا يمكن لاحد إنكاره من آيات تدبيره تعالى (خلق السماوات) و تخصيصها من بين ساير الشواهـد بالبيـان لكونهـا من أعظم شواهـد القـدره، و أظهر دلايل الرّبوبيّه، و أوضـح علائم التـدبير حيث خلقت (موطـدات) أى محكمات الخلقه مثبتات فى محالها على وفق النظام و الحكمه (بلا عمد) ترونها و لا دسار ينتظمها (قائمات) فى الجوّ (بلا سـند) يكون عليه استنادها و به اعتمادها (دعاهنّ) سبحانه «فَقالَ لَها وَ لِلْأَرْضِ ائْتِيا »

«طَوْعاً أَوْ كَرْهاً »(فأجبن طائعات) كما قال حكايه عنها و عن الأرض: «قالَتا أَتَيْنا طائِعِينَ » و لفظ الدّعا و الاجابه فى كلام الامام عليه السّلام إمّا محمولان على حقايقهما نظرا إلى أنّ للسّماوات أرواحا مدبّره عاقله كما هو قول بعض الحكماء و المتكلّمين أو نظرا إلى أنّه تعالى خاطبها و أقدرها على الجواب.

و إمّا محمولان على المجاز و الاستعاره تشبيها لتأثير قدرته تعالى فيها و تأثّرها عنها بأمر المطاع و إجابه المطيع الطائع كقوله:«كُنْ فَيَكُونُ »، و هذا هو الأظهر و يؤيّده ما حكى عن ابن عباس فى تفسير الايه المتقدّمه أعنى قوله: «أَتَيْنا طائِعِينَ »، أنه قال أتت السماء بما فيها من الشمس و القمر و النجوم، و أتت الأرض بما فيها من الأنهار و الأشجار و الثمار، و ليس هناك أمر ما بقول حقيقه و لا جواب لذلك القول بل أخبر سبحانه عن اختراعه للسماوات و الأرض و إنشائه لهما من غير تعذّر و لا كلفه و لا مشقّه بمنزله ما يقال افعل فيفعل من غير تلبّث و لا توقّف و لا تأنّ و هو كقوله: «إِنَّما أَمْرُهُ إِذا أَرادَ شَيْئاً أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ».

و من ذلك علم أنّ قوله:(مذعنات غير متلكّئات و لا مبطئات) أراد به انقيادهنّ من غير توقّف و لا إبطاء فى الاصابه و خضوعهنّ فى رقّ الامكان و الحاجه و اعترافهنّ بلسان الذّل و الافتقار بوجوب وجود مبدعها و عظمه سلطان مبدئها.

(و لولا) اعترافهنّ و (اقرارهنّ له بالربوبيّه) و القدره و العظمه و لأنفسهنّ بالامكان و الذلّ و الحاجه (و اذعانهنّ بالطواعيه) و الامتثال لبارئهنّ (لما جعلهنّ موضعا لعرشه) قال الشارح البحرانى إقرارهنّ بالرّبوبيّه راجع إلى شهاده لسان الحال الممكن بالحاجه إلى الرّب و الانقياد لحكم قدرته، و ظاهر أنه لو لا امكانها و انفعالها عن قدرته و تدبيره لم يكن فيها عرش و لم يكن أهلا لسكنى الملائكه و صعود الكلم الطيّب المشار اليه بقوله (و لا مسكنا لملائكته) و لعلّ المراد بهم المقرّبون أو الأكثر لأنّ منهم من يسكن الهواء و الأرض و الماء (و لا مصعدا للكلم الطيّب) و هو شهاده أن لا إله إلاّ اللّه و أنّ محمّدا رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم (و العمل الصالح) الصادر (من خلقه) و هو

ص:۳۰۸

الخيرات و الحسنات من الفرائض و المندوبات.

و المراد لصعودهما صعود الكتبه بصحایف الأعمال إليها و إليه الاشاره بقوله سبحانه و تعالى: «إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَ الْعَمَلُ الصّالِحُ يَرْفَعُهُ »، هذا و قد تقدّم فى تذييلات الفصل الثامن من الخطبه الأولى و فى شرح الفصل الرابع من الخطبه التسعين فصل واف فى عجائب خلقه السماء و ما أبدعه اللّه سبحانه فيها من دلائل القدره و آيات التدبير و الحكمه فانظر ما ذا ترى، و لشرافتها و كون مادّتها أقبل خصّ عليه السّلام هنا طاعتها بالذكر و إن كانت الأرض مشاركه لها فى الطاعه مذكوره معها فى الايه.

و لما ذكر خلق السماوات و كونها من شواهد الرّبوبيّه و أدلّه التوحيد استطرد إلى ذكر النجوم و الكواكب لما فيها من بدايع التدبير و عجايب التقدير، و قد مرّ فى الفصل الثامن من فصول المختار الأوّل و الفصل الرابع من المختار التسعين و شرحيهما منه عليه السّلام و منّا جمله وافيه من الكلام عليها و أشار هنا إلى بعض منافعها فقال:

(جعل نجومها أعلاما يستدلّ بها الحيران) أى جعلها علامات يهتدى بها المتحيّرون كما قال عزّ من قائل: «وَ عَلاماتٍ وَ بِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ »(فى مختلف فجاج الأقطار) أى يستدلّ بها الحيارى فى اختلاف فجاج الأقطار و تردّدها، أو فى محلّ اختلافها أو فى حال مخالفه الفجاج الموجوده فى أقطار الأرض و نواحيها و ذهاب كلّ منها إلى جهه غير ما يذهب إليه الاخر.

(لم يمنع ضوء نورها ادلهمام سجف الليل المظلم) أى شدّه ظلمه ستر اللّيل ذى الظلمه لم تكن مانعه من إضاءه النجوم، و على روايه ادلهمام بالنصب فالمعنى أنّ ضوء نورها لم يمنع من ظلمه الليل.

(و لا استطاعت جلابيب سواد الحنادس) أى أثواب سواد اليال المظلمه شديده الظلمه لم تكن مستطيعه من (أن تردّ ما شاع) و ظهر (فى السماوات من تلألؤ نور

القمر) و لمعانه.

قال الشارح المعتزلى بعد روايته عن البعض نصب لفظ الادلهمام: و هذه الروايه أحسن فى صناعه الكتابه لمكان الازدواج أى لا القمر و الكواكب تمنع الليله من الظلمه، و لا الليل يمنع الكواكب و القمر من الاضاءه أقول: و محصّل مقصود الامام عليه السّلام إنّ اللّه سبحانه لما قدّر بلطيف حكمته أن يجعل الليل سباتا و راحه للخلق جعلها مظلمه لأنّ كثيرا من الناس لو لا ظلمتها لم يكن لهم هدء و لا قرار حرصا على الكسب و الجمع و الادخار مع عظم حاجتهم إلى الهدؤ و الراحه لسكون أبدانهم و جموم حواسّهم و انبعاث القوّه الهاضمه لهضم الطعام و تنفيذ الغذاء إلى الأعضاء و لما كان شدّه ظلمتها و كونها داجيه مدلهمه مانعه عن جميع الأعمال و ربما كان الناس محتاجين إلى العمل فيها لضيق الوقت عليهم فى تقضى الأعمال بالنهار أو شدّه الحرّ و إفراطه المانع من الزرع و الحرث و قطع الفيافى و الأسفار جعل ببديع صنعه فيها كواكب مضيئه و قمرا منيرا و ليهتدى بها فى ظلمات البرّ و البحر و الطرق المجهوله، و يقام بالأعمال من الزرع و الغرس و الحرث و غيرها عند مسيس الحاجه، و جعل نورها ناقصا من نور الشمس كيلا يمنع من الهدؤ و الراحه.

(فسبحان من) جعل النور و الظلام على تضادّهما منقادين متظاهرين على ما فيه صلاح العالم و قوامه و سبحان من هو بكلّ شيء محيط حتّى لا يعزب عنه مثقال ذرّه فى الأرض و لا فى السماء و (لا يخفى عليه سواد غسق داج) أى ظلمه مظلمه و العطف للمبالغه من قبيل شعر شاعر(و لا ليل ساج)أى ساكن و فى الاسناد توسّع باعتبار سكون الناس و هدؤهم فيها(فى بقاع الأرضين المتطاطئات)المنخفضات(و لا فى يفاع السفع المتجاورات)أى فى مرتفع الجبال المتجاوره و انما عبر عن الجبال بالسفع لأنّ لونها غالبا مشرب حمره، و لا يخفى ما فيما بين لفظ البقاع و اليفاع من جناس الخط و هو من محاسن البديع حسبما عرفته فى ديباجه الشرح.

ص:٣١٠

(و) لاـ يخفى عليه عزّ و جلّ أيضا (ما يتجلجل) و يصوت (به الرّعد فى افق السماء) و أراد بتجلجله تسبيحه المشار إليه فى قوله تعالى: «وَ يُسَبِّحُ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ » قال الطبرسى: تسبيح الرّعد دلالته على تنزيه اللّه تعالى و وجوب حمده فكأنه هو المسبّح، و قيل: إنّ الرّعد هو الملك الّذى يسوق السحاب و يزجره بصوته فهو يسبّح اللّه و يحمده.

و قال الرازى: فى قوله تعالى «وَ يُسَبِّحُ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ » أقوال:

الاول أنّ الرّعد اسم ملك من الملائكه و الصّوت المسموع هو صوت ذلك الملك بالتسبيح و التهليل عن ابن عباس، أنّ اليهود سألت النبيّ صلّى اللّه عليه و آله عن الرّعد ما هو فقال: ملك من الملائكه موكّل بالسحاب معه مخاريق من نار يسوق بها السحاب حيث شاء اللّه قالوا: فما الصّوت الّذى نسمع؟ قال: زجره السحاب، و عن الحسن أنّه خلق من خلق اللّه ليس بملك فعلى هذا القول الرّعد هو الملك الموكّل بالسحاب و صوته تسبيح اللّه تعالى و ذلك الصّوت أيضا يسمى بالرّعد و يؤكّد هذا ما روى عن ابن عباس كان اذا سمع الرّعد قال: سبحان الّذى سبّحت له، و عن النبيّ صلّى اللّه عليه و آله قال: إنّ اللّه ينشىء السحاب الثقال فينطق أحسن المنطق و يضحك أحسن الضحك، فنطقه الرّعد و ضحكه البرق و اعلم أنّ هذا القول غير مستبعد، و ذلك لأنّ عند أهل السنّه البنيه ليست شرطا لحصول الحياه، فلا يبعد من اللّه تعالى أن يخلق الحياه و العلم و القدره و النطق فى أجزاء السحاب، فيكون هذا الصوت المسموع فعلا له.

و كيف يستبعد ذلك؟ و نحن نرى أنّ السمندر يتولّد فى النار، و الضفادع تتولّد فى الماء البارد، و الدوده العظيمه ربما تتولّد فى الثلوج العظيمه.

و أيضا فاذا لم يبعد تسبيح الجبال فى زمن داود عليه السّلام و لا تسبيح الحصى فى زمان محمّد صلّى اللّه عليه و آله فكيف يستبعد تسبيح السحاب.

و على هذا القول فهذا الشىء المسمّى بالرّعد ملك أو ليس بملك فيه قولان:

أحدهما أنّه ليس بملك لأنّه عطف عليه الملائكه فقال: و الملائكه من خيفته.

و الثانى أنّه لا يبعد أن يكون من جنس الملائكه و إنما حسن إفراده بالذكر على سبيل التشريف كما فى قوله: «وَ مَلائِكَتِهِ وَ رُسُلِهِ وَ جِبْرِيلَ وَ مِيكالَ »، و فى قوله:

«وَ إِذْ أَخَذْنا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثاقَهُمْ وَ مِنْكَ وَ مِنْ نُوحٍ ».

القول الثانى أنّ الرّعد اسم لهذا الصوت المخصوص و مع ذلك فانّ الرّعد يسبّح اللّه سبحانه، لأنّ التسبيح و التقديس و ما يجرى مجراها ليس إلاّ وجود لفظ يدلّ على حصول التنزيه و التقديس للّه سبحانه و تعالى، فلما كان هذا الصّوت دليلا على وجود موجود متعال عن النقص و الامكان كان ذلك فى الحقيقه تسبيحا و هو معنى قوله: «وَ إِنْ مِنْ شَيْ ءٍ إِلاّ يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ ».

و القول الثالث أنّ المراد من كون الرّعد مسبّحا أنّ من يسمع الرّعد فانّه يسبّح اللّه تعالى، فلهذا المعنى اضيف هذا التسبيح إليه.

(و) لا يعزب عنه (ما تلاشت) و اضمحلّت عنه (بروق الغمام) يعنى أنّه سبحانه عالم بالأقطار التى يضمحلّ عنها البرق بعد ما كانت مضيئه به، و تخصيص ما تلاشت عنه بالذكر مع اشتراك غير المتلاشيه عنه معه فى إحاطه علمه سبحانه به كالأوّل، لأنّ علمه بما ليس بمضيّ بالبرق أعجب و أغرب، و أمّا ما هو مضيّ به و لم يضمحل عنه فيمكن إدراك غيره سبحانه له من اولى الأبصار الصحيحه، هذا.

و أعجب من ذلك ما فى نفس البرق من عظيم القدره و دلالته على عظمه بارئه.

قال الفخر الرازى: و اعلم أنّ أمر الصاعقه عجيب جدّا، و ذلك لأنّها نار تتولّد من السحاب و إذا نزلت من السحاب فربما غاصت فى البحر و أحرقت الحيتان فى قعر البحر و الحكماء بالغوا فى وصف قوّتها، و وجه الاستدلال أنّ النار حارّه يابسه و طبيعتها ضدّ طبيعه السحاب، فوجب أن تكون طبيعتها فى الحراره و اليبوسه أضعف من طبيعه النيران الحادثه عندنا، لكنه ليس الأمر كذلك، فانها أقوى نيران هذا العالم، فثبت أنّ اختصاصها بمزيد تلك القوّه لا بدّ و أن يكون بسبب تخصيص الفاعل

المختار (و) لا يغيب عنه (ما تسقط من ورقه تزيلها عن مسقطها عواصف الأنواء و انهطال السماء) أى الرياح الشديده المنسوبه إلى الأنواء و انصباب الأمطار.

و النّوء سقوط نجم من منازل القمر الثمانيه و العشرين الّتى عرفتها تفصيلا فى شرح الفصل الرابع من فصول المختار التسعين فى المغرب(۱) مع الفجر و طلوع رقيبه من المشرق من ساعته مقابلا له فى كلّ ليله إلى ثلاثه عشر يوما، و هكذا كلّ نجم منها إلى انقضاء السنه إلّا الجبهه فانّ لها أربعه عشر يوما.

و فى البحار من معانى الأخبار مسندا عن الباقر عليه السّلام قال: ثلاثه من عمل الجاهليه: الفخر بالانساب، و الطعن فى الأحساب، و الاستسقاء بالأنواء.

قال الصّدوق (ره) أخبرنى محمّد بن هارون الزنجانى عن علىّ بن عبد العزيز عن أبى عبيد أنّه قال: سمعت عدّه من أهل العلم يقولون: إنّ الأنواء ثمانيه و عشرون نجما معروفه المطالع فى أزمنه السنه كلّها من الصّيف و الشتاء و الرّبيع و الخريف، يسقط منها فى كلّ ثلاث عشره ليله نجم فى المغرب مع طلوع الفجر و يطلع آخر يقابله فى المشرق من ساعته، و كلاهما معلوم مسمّى و انقضاء هذه الثمانيه و العشرين كلّها مع انقضاء السنه، ثمّ يرجع الأمر إلى النجم الأوّل مع استيناف السنه المقبله و كانت فى الجاهليه إذا سقط منها نجم و طلع آخر قالوا: لا بدّ أن يكون عند ذلك رياح و مطر، فينسبون كلّ غيث يكون عند ذلك إلى ذلك النجم الذى يسقط حينئذ فيقولون مطرنا بنوء الثريّا و الدّبران و السماك، و ما كان من هذه النجوم فعلى هذا فهذه هى الأنواء واحدها نوء و إنما سمّى نوء لأنه إذا سقط الساقط منها بالمغرب ناء الطالع بالمشرق بالطلوع و هو ينوء نوء، و ذلك النهوض هو النوء فسمّى النجم به و كذلك كلّ ناهض ينتقل بابطاء فانّه ينوء عند نهوضه، قال اللّه تبارك و تعالى:

«لَتَنُوأُ بِالْعُصْبَهِ أُولِى الْقُوَّهِ».

و فيه عن الجزرى فى النهايه قال: قد تكرّر ذكر النوء و الأنواء فى الحديث و منه الحديث: مطرنا بنوء كذا قال: و إنما غلّظ النبىّ صلّى اللّه عليه و آله فى أمر الأنواء، لأنّ

۱- (۱) متعلق بسقوط (منه).

العرب كانت تنسب المطر إليها، فأما من جعل المطر من فعل اللّه و أراد بقوله مطرنا بنوء كذا أی فی وقت كذا و هو هذا النوء الفلانی فانّ ذلک جایز، أی إنّ اللّه تعالی قد أجری العاده أن یأتی المطر فی هذه الأوقات، انتهی.

و قال ابن العربی من انتظر المطر منها علی أنها فاعله من دون اللّه أو یجعل اللّه شریكا فیها فهو كافر. و من انتظر منها علی اجراء العاده فلا شیء علیه هذا و من ذلک كلّه علم أنّ إضافته علیه السّلام العواصف إلی الأنواء من جهه أنّ العرب تضیف الاثار العلویّه من الرّیاح و الأمطار و كذلک الحرّ و البرد إلیها (و یعلم مسقط القطره و مقرّها) أی محلّ سقوطها و موضع قرارها (و مسحب الذّره و مجرّها) أی محلّ سحب صغار النمل و جرّها (و ما یكفی البعوضه من قوتها) قال الدّمیری فی حیاه الحیوان: البعوضه واحده البعوض و البعوض علی خلقه الفیل إلاّ أنّه أكثر أعضاء من الفیل، فانّ للفیل أربع أرجل و خرطوما و ذنبا، و له مع هذه الأعضاء رجلان زایدتان و أربعه أجنحه، و خرطوم الفیل مصمت و خرطومه مجوّف نافذ للجوف فإذا طعن به جسد الانسان استقی الدّم و قذف به جوفه فهو له كالبلعوم و الحلقوم و لذلک اشتدّ عضّها و قویت علی خرق الجلود الغلاظ، و مما ألهمه اللّه أنّه اذا جلس علی عضو من أعضاء الانسان لا یزال یتوخّی بخرطومه المسام الّتی یخرج منها العرق لأنّها أرقّ بشره من جلد الانسان فاذا وجدها وضع خرطومه فیها، و فیه من الشره أن یمصّ الدّم إلی أن ینشقّ و یموت أو إلی أن یعجز عن الطیران و ذلک سبب هلاكه.

قال: و البعوضه علی صغر جرمها قد أودع اللّه فی مقدم دماغها قوّه الحفظ و فی وسطه قوّه الفكر، و فی مؤخّره قوّه الذكر، و خلق لها حاسّه البصر، و حاسّه اللّمس، و حاسّه الشم، و خلق لها منفذا للغذاء، و مخرجا للفضله، و خلق لها جوفا و أمعاء و عظاما، فسبحان من قدّر فهدی، و لم یخلق شیئا من المخلوقات سدی.

(و) یعلم (ما تحمل الانثی) من البعوضه و من غیرها (فی بطنها) كما قال

عزّ من قائل: «وَ يَعْلَمُ ما فِى الْأَرْحامِ ».

ثمّ عاد إلى حمد اللّه سبحانه باعتبار تقدّم وجوده على ساير مخلوقاته فقال (و الحمد للّه الكائن) أى الموجود (قبل أن يكون كرسىّ أو عرش أو سماء أو أرض أو جانّ أو انس) لا يخفى ما فى هذه العباره من حسن التأديه.

و المراد بالجانّ إما إبليس أو أبو الجنّ، و بهما فسّر قوله تعالى: «وَ الْجَانَّ خَلَقْناهُ مِنْ قَبْلُ مِنْ نارِ السَّمُومِ »، قال الرازى فى تفسير هذه الايه: اختلفوا فى أنّ الجانّ من هو قال عطا عن ابن عباس: يريد إبليس و هو قول الحسن و مقاتل و قتاده و قال ابن عباس فى روايه اخرى: الجانّ هو أبو الجنّ و هو قول الأكثرين و سمّى جانا لتواريه عن الأعين كما سمّى الجنّ جنّا لهذا السّبب و الجنين متوار فى بطن أمّه و معنى الجانّ فى اللّغه الساتر من جنّ الشىء إذا ستر فالجانّ المذكور هنا يحتمل أن يكون جانا لانه يستر نفسه عن بنى آدم، أو يكون الفاعل يراد به المفعول كما فى ماء دافق و عيشه راضيه.

و فى البحار من العلل و العيون عن الرضا عن آبائه عليهم السّلام قال: سأل الشامىّ أمير المؤمنين عليه السّلام عن اسم أبى الجنّ فقال شومان و هو الّذى خلق من مارج.

قال الطبرسى: من مارج من نار أى نار مختلط أحمر و أسود و أبيض عن مجاهد و قيل المارج الصافى من لهب النار الّذى لا دخان فيه.

و قال البيضاوى فى تفسير قوله: «مِنْ نارِ السَّمُومِ »، من نار شديد الحرّ النافذ فى المسام و لا يمتنع خلق الحياه فى الأجرام البسيط كما لا يمتنع خلقها فى الجواهر المجرّده فضلا عن الاجساد المؤلّفه الّتى الغالب فيها الجزء النارى فانها أقبل لها من الّتى الغالب فيها الجزء الارضى، و قوله: «مِنْ نارِ »، باعتبار الغالب كقوله: «خَلَقَكُمْ مِنْ تُرابٍ ».

ثمّ نزهه تعالى باعتبارات سلبيّه أحدها أنّه (لا يدرك بوهم) كما نقل عن الباقر عليه السّلام من قوله: كلّما ميّزتموه بأوهامكم فى أدقّ معانيه فهو مخلوق مثلكم مردود إليكم.

ص:۳۱۵

(و) الثانى أنه (لا يقـدّر بفهم) أى لا يحدّ بفهم العقول، و المراد به و بسابقه تنزيهه سبحانه عن إدراك العقول و الأوهام لذاته و قصورها عن الوصول إلى حقيقته، و قد مرّ برهان ذلك فى شرح الفصل الثانى من الخطبه الأولى و غيره أيضا.

و أقول هنا إنّ الجمله الثّانيه يحتمل أن تكون تأكيدا للجمله الأولى، و يحتمل أن تكون تأسيسا.

أما التأسيس فعلى أن يراد بالجمله الاولى عدم إمكان إدراك القوّه الوهميّه له و هى قوّه جسمانيّه للانسان محلّها آخر التجويف الأوسط من الدّماغ من شأنها إدراك المعانى الجزئيه المتعلّقه بالمحسوسات كشجاعه زيد و سخاوته، و هذه القوّه هى الّتى تحكم فى الشاه بأنّ الذئب مهروب عنه و أنّ الولد معطوف عليه، و هى حاكمه على القوى الجسمانيه كلّها مستخدمه إياها استخدام العقل للقوى العقليّه، و يراد بالجمله الثانيه عدم امكان تقديره و تحديده بالقوّه العقليه.

أمّا عدم إمكان إدراك الأوهام له فلأنّ مدركاتها منحصره على عالم المحسوسات و الأجسام و الجسمانيات، و اللّه سبحانه متعال عن ذلك.

و أمّا عدم إمكان تحديد العقول فلأنّه(۱) لا جزء له و ما لا جزء له لا حدّ له حتّى يمكن تحديده.

و أيضا فهو سبحانه غايه الغايات فليس لذاته حدّ و نهايه حتّى يكون له حدّ معيّن و قدر معلوم يمكن تقديره و تحديده كما لساير الممكنات، قال عزّ من قائل:

«وَ ما قَدَرُوا اللّهَ حَقَّ قَدْرِهِ ».

و قال أمير المؤمنين عليه السّلام فى خطبه له مرويه عن التوحيد لما شبهه العادلون بالخلق المبعض المحدود فى صفاته ذى الأقطار و النواحى المختلفه فى طبقاته و كان عزّ و جل الموجود بنفسه لا بأداته انتفى أن يكون قدّروه حقّ قدره فقال تنزيها لنفسه عن مشاركه الانداد و ارتفاعها عن قياس المقدّرين له بالحدود من كفره العباد: «وَ ما قَدَرُوا اللّهَ حَقَّ قَدْرِهِ ».

۱- (۱) و الا لزم التركيب المستلزم للافتقار و هو من صفات الممكن «منه ره»

فقد علم بذلک أنّه لا یقدّر بالحدود و النهایات الجسمانیّه کما أنه لا یقدّر و لا یحدّ بالحدّ العقلی المرکّب من الجنس و الفصل و أما التأکید فعلی أن یراد بالوهم فی الجمله الأولی المعنی الأعمّ من القوّه الوهمیّه المتعلّقه بالمحسوسات جمیعا و القوّه العقلیّه المتعلّقه بالمعقولات و اطلاق الوهم علی ذلک المعنی شایع فی الاستعمال وارد فی کثیر من الأخبار.

قال بعض المحققین: اعلم أنّ جوهر الوهم بعینه هو جوهر العقل و مدرکاته بعینه هو مدرکات العقل، و الفرق بینهما بالقصور و الکمال، فما دامت القوّه العقلیّه ناقصه کانت ذات علاقه بالموادّ الحسیّه منتکسه النظر إلیها لا تدرک المعانی إلاّ متعلّقه بالموادّ مضافه إلیها، و ربما تذعن لأحکام الحسّ لضعفها و غلبه الحواسّ و المحسوسات علیها، فتحکم علی غیر المحسوس حکمها علی المحسوس، فما دامت فی هذا المقام اطلق علیها اسم الوهم، فاذا استقام و قوی صار الوهم عقلا و خلص عن الزیغ و الضلال و الافه و الوبال، انتهی.

و علی ذلک فیکون المقصود بالفهم فی الجمله الثانیه المعنی الأعمّ أیضا، و یکون حاصل المراد بالجملتین عجز الأوهام أی القوّه الوهمیّه و العقلیّه جمیعا عن إدراک ذاته و تعقّل حقیقته، لأنّ تعقّله إمّا بحصول صوره مساویه لذاته تعالی، أو بحضور ذاته المقدّسه و شهود حقیقته، و الأوّل محال إذ لا مثل لذاته و کلّ ما له مثل أو صوره مساویه له فهو ذو ماهیّه کلّیه و هو تعالی لا ماهیّه له، و الثانی محال أیضا إذ کلّ ما سواه من العقول و النفوس و الذّوات و الهویّات فوجوده منقهر تحت جلاله و عظمته و سلطانه القهار عین الخفاش فی مشهد نور الشمس، فلا یمکن للعقول لقصورها عن درجه الکمال الواجبی إدراک ذاته علی وجه الاکتناه و الاحاطه بنعوت جلاله و صفات جماله.

فاتّضح من ذلک کلّه أنّه سبحانه لا یدرک بالأوهام، و لا یقدّر بالأفهام جلّ شأنه و عظم سلطانه.

(و) الثالث أنّه (لا یشغله سائل) عن سائل آخر کما یشغل السائل من المخلوق

عن توجّهه إلى سائل آخر، و ذلک لقصور ذواتنا و قدرتنا و علمنا، و أمّا اللّه الحیّ القیّوم فلکمال ذاته و عموم قدرته و إحاطته فلا یمنعه سؤال عن سؤال و لا یشغله شأن عن شأن.

ألا تری أنّه یرزق الخلایق جمیعا علی قدر استحقاقهم فی ساعه واحده، و کذا یحاسبهم یوم القیامه دفعه کما قال عزّ من قائل فی سوره النحل: «وَ ما أَمْرُ السّاعَهِ إِلاّ کَلَمْحِ الْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ إِنَّ اللّهَ عَلی کُلِّ شَیْ ءٍ قَدِیرٌ »، أی کرجع الطرف علی الحدقه إلی أسفلها أو هو أقرب لأنه یقع دفعه و قال فی سوره القمر: «وَ ما أَمْرُنا إِلاّ واحِدَهٌ کَلَمْحٍ بِالْبَصَرِ »، قال القمّی: یعنی یقول کن فیکون.

(و) الرابع أنه (لا ینقصه نائل) و عطاء کملوک الدّنیا إذ مقدوراته تعالی غیر متناهیه فکرمه لا یضیق عن سؤال أحد، و یده بالعطاء أعلی من کلّ ید، و هو نظیر قوله فی الفصل الأوّل من المختار التسعین: لا یعزّه المنع و الجمود و لا یکدیه الإعطاء و الجود، و قد مرّ فی شرحه روایه الحدیث القدسی و هو قوله سبحانه: یا عبادی لو أنّ أوّلکم و آخرکم و انسکم و جنّکم قاموا فی صعید واحد فسألونی فأعطیت کلّ إنسان مسألته ما نقص ذلک مما عندی شیئا إلاّ کما ینقص المخیط إذا دخل البحر أی لا تنقصه شیئا فانّ المخیط و إن کان یرجع بشیء محسوس قلیل، لکنّه لقلّته لا یعدّ شیئا فکأنّه لم ینقص منه شیء (و) الخامس أنّه (لا ینظر بعین) أی لیس إدراکه بحاسّه البصر و إن کان بصیرا لتنزّهه عن المشاعر و الحواسّ.

(و) السادس أنه (لا یحدّ بأین) لأنّ الأین عباره عن نسبه الجسم إلی المکان و هو سبحانه منزّه عن ذلک لبرائته عن التحیّز روی فی البحار من التوحید عن أبی عبد اللّه علیه السّلام قال: أتی رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم یهودی یقال له شجت فقال: یا محمّد جئت أسألک عن ربّک فان أجبتنی عما أسألک عنه و إلاّ رجعت، فقال له: سل عما شئت، فقال: أین ربّک؟ فقال: هو فی کلّ مکان و لیس هو فی شیء من المکان بمحدود، قال: فکیف هو؟ فقال: و کیف أصف ربّی بالکیف

و الكيف مخلوق و اللّه لا يوصف بخلقه.

و عن أبى عبد اللّه عليه السّلام أيضا من زعم أنّ اللّه من شىء فقد جعله محدثا، و من زعم أنّه فى شىء فقد جعله محصورا، و من زعم أنه على شىء فقد جعله محمولا ـ قوله عليه السّلام: محصورا أى عاجزا ممنوعا عن الخروج عن المكان، أو محصورا بذلك الشىء و محوّيا به فيكون له انقطاع و انتهاء فيكون ذا حدود و أجزاء و قوله:

محمولا أى محتاجا إلى ما يحمله.

قال الصدوق ره: الدليل على أنّ اللّه عزّ و جلّ لا فى مكان إنّ الأماكن كلّها حادثه و قد قام الدّليل على أنّ اللّه عزّ و جلّ قديم سابق للأماكن، و ليس يجوز أن يحتاج الغنى القديم إلى ما كان غنيّا عنه، و لا أن يتغيّر عما لم يزل موجودا عليه فصحّ اليوم أنه لا فى مكان كما أنّه لم يزل كذلك و تصديق ذلك ما حدّثنا به القطان عن ابن زكريا القطان عن ابن حبيب عن ابن بهلول عن أبيه عن سليمان المروزى عن سليمان بن مهران قال: قلت لجعفر ابن محمّد عليه السّلام: هل يجوز أن نقول إنّ اللّه عزّ و جلّ فى مكان؟ فقال: سبحان اللّه و تعالى عن ذلك إنه لو كان فى مكان لكان محدثا، لأنّ الكائن فى مكان محتاج إلى المكان و الاحتياج من صفات الحدث لا القديم.

(و) السابع أنّه (لا يوصف بالأزواج) و هى نفى الكميّه المنفصله عنه أى ليس فيه اثنينيه و تعدّد.

و قال العلاّمه المجلسى ره: أى لا يوصف بالأمثال أو الأضداد أو بصفات الأزواج أو ليس فيه تركب و ازدواج أمرين أو بأنّ له صاحبه.

(و) الثامن أنه (لا يخلق بعلاج) أى لا يحتاج فى خلقه للمخلوقات إلى مزاوله و معالجه و آله و حيله كساير أرباب الصنائع، و «إِنَّما أَمْرُهُ إِذا أَرادَ شَيْئاً أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ».

(و) التاسع أنه (لا يدرك بالحواسّ) لاختصاص إدراكها بالأجسام و الجسمانيّات و اللّه سبحانه منزّه عن الجسميّه و لواحقها.

روى فى البحار من التوحيد عن عبد اللّه بن جوين العبدى عن أبى عبد اللّه عليه السّلام أنّه كان يقول: الحمد للّه الذى لا يحسّ و لا يجسّ و لا يمسّ و لا يدرك بالحواسّ الخمس و لا يقع عليه الوهم و لا تصفه الألسن و كلّ شىء حسسته الحواسّ أو لمسته الأيدى فهو مخلوق.

(و) العاشر أنه (لا يقاس بالنّاس) أى لا يشبه شيئا من خلقه فى جهه من الجهات كما يزعمه المشبّهه و المجسّمه.

روى فى البحار من التوحيد بسنده عن المفضّل بن عمر عن أبى عبد اللّه عليه السّلام قال: من شبّه اللّه بخلقه فهو مشرك إنّ اللّه تبارك و تعالى لا يشبه شيئا و لا يشبهه شىء و كلّما وقع فى الوهم فهو بخلافه.

قال الصّدوق (ره) الدّليل على أنّ اللّه سبحانه لا يشبه شيئا من خلقه من جهه من الجهات أنه لا جهه لشىء من أفعاله إلّا محدثه، و لا جهه محدثه إلّا و هى تدلّ على حدوث من هى له، فلو كان اللّه جلّ ثناؤه يشبه شيئا منها لدلّت على حدوثه من حيث دلّت على حدوث من هى له، إذ المتماثلين فى العقول يقتضيان حكما واحدا من حيث تماثلا منها و قد قام الدّليل على أنّ اللّه عزّ و جلّ قديم، و محال أن يكون قديما من جهه حادثا من اخرى.

و من الدّليل على أنّ اللّه تبارك و تعالى قديم أنّه لو كان حادثا لوجب أن يكون له محدث، لأنّ الفعل لا يكون إلّا بفاعل و لكان القول فى محدثه كالقول فيه و فى هذا وجود حادث قبل حادث لا الى أوّل و هو محال، فيصح أنّه لابدّ من صانع قديم و إذا كان ذلك كذلك فالّذى يوجب قدم ذلك الصانع و يدلّ عليه يوجب قدم صانعنا و يدلّ عليه.

و الحادى عشر أنّه متكلّم لا كتكلّم المخلوقين و إليه أشار بقوله (الّذى كلّم «ج ٢٠»

موسی) علیه السّلام فی شاطیء الوادی الأیمن فی البقعه المبارکه (تکلیما) أتی به تأکیدا و دفعا لتوهم السامع التجوّز فی کلامه سبحانه، و قد عرفت تحقیق معنی کلامه و کونه متکلّما فی شرح المختار المأه و الثّامن و السبعین.

و قوله (و أراه من آیاته عظیما) یحتمل أن یراد بها الایات التسع المشار إلیها فی قوله تعالی: «وَ لَقَدْ آتَیْنا مُوسی تِسْعَ آیاتٍ بَیِّناتٍ »، قال الصادق علیه السّلام: هی الجراد و القمّل و الضفادع و الدّم و الطوفان و البحر و الحجر و العصا و یده، رواه فی الصّافی من الخصال عنه علیه السّلام و من العیاشی عن الباقر علیه السّلام مثله.

و فیه من قرب الاسناد عن الکاظم علیه السّلام و قد سأله نفر من الیهود عنها فقال:

العصا و إخراجه یده من جیبه بیضاء و الجراد و القمّل و الضفادع و الدّم و رفع الطور و المنّ و السلوی آیه واحده و فلق البحر قالوا: صدقت و أن یراد بها الایات الّتی ظهرت عند التکلیم من سماع الصوت من الجهات السّت و من رؤیته نارا بیضاء تتقد من شجره خضراء لا خضرویه الشجر تطفی النار و لا النار توقد الشجره.

قال الباقر علیه السّلام فأقبل نحو النّار یقتبس فاذا شجره و نار تلتهب علیها فلما ذهب نحو النّار یقتبس منها أهوت إلیه ففزع و عدا و رجعت النار إلی الشجره فالتفت إلیها و قد رجعت إلی الشجره، فرجع الثانیه لیقتبس فأهوت إلیه فعدا و ترکها ثمّ التفت و قد رجعت إلی الشجره، فرجع إلیها الثالثه فأهوت إلیه فعدا و لم یعقّب أی لم یرجع فناداه اللّه عزّ و جلّ «أَنْ یا مُوسی إِنِّی أَنَا اللّهُ رَبُّ الْعالَمِینَ » قال موسی: فما الدّلیل علی ذلک؟ قال عزّ و جلّ: ما فی یمینک یا موسی قال: هی عصای قال: ألقها یا موسی فألقیها فاذا هی حیّه تسعی، ففزع منها و عدا فناداه اللّه عزّ و جلّ خذها و لا تخف انّک من الامنین، هذا.

و یؤیّد الاحتمال الثانی أی کون المراد من الایات الایات الظاهره عند التکلّم قوله علیه السّلام (بلا جوارح و لا أدوات و لا نطق و لا لهوات) إذ الظاهر تعلّقه بالتکلیم و علی

الاحتمال الاوّل يلزم الفصل بين المتعلّق و المتعلّق بالأجنبيّ.

و المراد به أنّ كلامه مع موسى ليس ككلام البشر صادرا عن الحنجره و اللسان و اللهوات أى اللحمات فى سقف أقصى الفم و عن مخارج الحروف و غيرها بل كلّم معه بأن أوجد الكلام فى الشجره كما هو صريح قوله سبحانه: «فَلَمّا أَتاها نُودِیَ مِنْ شاطِئِ الْوادِ الْأَیْمَنِ فِی الْبُقْعَهِ الْمُبارَکَهِ مِنَ الشَّجَرَهِ أَنْ یا مُوسی » هذا.

و فى كلامه دلاله على عدم جواز وصفه بالنطق و لعلّه لصراحه النطق فى إخراج الحروف من المخارج، بخلاف الكلام.

و يستفاد من خطبه له عليه السّلام آتيه فى الكتاب و مرويّه فى الاحتجاج أيضا عدم جواز وصفه باللّفظ أيضا بخلاف القول حيث قال فيها: يخبر لا بلسان و لهوات و يسمع لا بخروق و أدوات يقول و لا يلفظ و يحفظ و لا يتحفّظ.

و لعلّ السّر فيه أيضا صراحه التلفظ فى اعتماد اللفظ على مقطع الفم و استلزامه للأدوات دون القول.

ثمّ نبّه على عجز القوى البشريّه عن وصف كماله تعالى بقوله (بل إن كنت صادقا أيّها المتكلّف) أى المتحمّل للكلفه و المشقّه (لوصف ربّك) فى وصفه (فصف) بعض خلقه و هو (جبرئيل و ميكائيل و جنود الملائكه المقرّبين) و الأمر للتعجيز كما فى قوله تعالى: «فَأْتُوا بِسُورَهٍ مِنْ مِثْلِهِ ».

قال الشّارح البحرانى: هى صوره قياس استثنائى متّصل نبّه به على عجز من يدّعى وصف ربّه كما هو، و تقديره إن كنت صادقا فى وصفه فصف بعض خلقه و ينتج باستثناء نقيض تاليه أى لكنّك لا يمكنك وصف هؤلاء بالحقيقه فلا يمكنك وصفه تعالى، بيان الملازمه أنّ وصفه تعالى إذا كان ممكنا لك فوصف بعض آثاره أسهل عليك، و أما بطلان التالى فانّ حقيقه جبرئيل و ميكائيل و سائر الملائكه المقرّبين غير معلومه لأحد من البشر، و من عجز عن وصف بعض آثاره فهو عن وصفه أعجز.

أقول: و يشهد بما ذكره هنا من عدم امكان وصف الملائكه على ما هى عليه ما تقدّم منه عليه السّلام و منّا فى الفصل الخامس من فصول المختار التسعين و شرحه، فقد

مضی هنـاک أنموذج من وصف الملائکه یتحیّر فیه العقول و یـدهش الافهام و یقشعرّ الجلود فکیف إذا أریـد البلوغ إلی غایه أوصافهم.

و قوله (فی حجرات القدس) أی منازل الطهاره عن العلاقات العنصریّه و مقارّ التنزّه عن تعلّقات النفس الأمّاره.

و قوله(مرجحنّین)أی خاضعین تحت سلطانه و عظمته و قال العلاّمه المجلسی (ره) أی ما یلین إلی جهه التحت خضوعا لجلال الباری عزّ سلطانه، و یحتمل أن یکون کنایه عن عظمه شأنهم و ازانه قدرهم أو عن نزولهم وقتا بعد وقت بأمره تعالی.

حالکونهم (متولّهه عقولهم) أی متحیّره متشتّته (أن یحدّوا أحسن الخالقین) أی یدرکوا حقیقته بحدّ و یعرفوا کنه ذاته سبحانه و هو نظیر قوله علیه السّلام فی الفصل التاسع من المختار الأوّل: لا یتوهّمون ربّهم بالتصویر، و لا یجرون علیه صفات المصنوعین، و لا یحدّونه بالأماکن، و لا یشیرون إلیه بالنظایر.

و لما نبّه علی عجز العقول عن وصف کماله أردفه بالتنبیه علی ما یدرک من جهه الوصف فقال (و انما یدرک بالصفات) و یعرف بالکنه (ذوو الهیئات و الأدوات) و الجوارح و الالات الّتی یحیط بها الأفهام، فیدرکون و یعرفون من جهتها.

(و) کذا یدرک (من ینقضی إذا بلغ أمد حدّه بالفنا) أی من ینقضی و یفنی إذا بلغ غایته، فانه تقف الأفهام علیه و تحلّله إلی أجزائه فتطلع علی کنهه، فأمّا اللّه سبحانه فلتنزّهه عن الهیئات و الصّفات الزائده و وجوب وجوده و عدم امکان تطرّق الفناء و العدم علیه، فیستحیل الاطلاع علی کنه ذاته و حقیقه صفاته.

ثمّ عقّب ذلک التنزیه بالتوحید و قال:(فلا إله إلاّ هو أضاء بنوره کلّ ظلام و أظلم بظلمته کلّ نور)لا یخفی حسن المقابله و التطبیق بین القرینتین.

و النور و الظلام فی القرینه الاولی یحتملان المحسوس و غیره، فان ارید به الظلام المحسوس فالمراد إضاءته بأنوار الکواکب و النیرین، و إن ارید به الظلام المعقول أعنی ظلمه الجهل فالمراد إضاءته بأنوار العلم و الشرائع.

و أمّا القرينه الثانيه و المقصود بها أنّ جميع الأنوار المحسوسه أو المعقوله مضـمحلّه فی نور علمه و ظلام بالنسـبه إلی نور براهينه فی جميع مخلوقاته الكاشفه عن وجوده و كمال جوده هكذا قال الشارح البحرانی.

و فيه إنه عليه السّلام لم يقـل أظلم بنوره كـلّ نور بل قال: أظلم بظلمته، و هو ينافی هـذا المعنی فالأنسب أن يراد بالنور و الظلمه الوجود و العدم، و يصحّ ذلک التأويل فی القرينه الاولی أيضا فيكون الاضاءه و الاظلام فيهما كنايتين عن الايجاد و الاعدام قيل: و يحتمل علی بعد أن يكون الضـمير فی قوله: بظلمته، راجعا إلی كلّ نور لتقدّمه رتبه فيرجع حاصل الفقرتين حينئذ إلی أنّ النور هو ما ينسب إليه تعالی فتلك الجهه نور و أما الجهات الراجعه إلی الممكنات فكلّها ظلمه.

الترجمه

از جمله خطب شريفه آن حضرت است روايت شده از نوف بكالی كه گفته خطبه فرمود ما را باين خطبه أمير مؤمنان سلام اللّه عليه و آله در كوفه در حالتی كه ايستاده بود آن حضـرت بر سنگی كه نصب كرده بود آن سنگ را از برای او جعده بن هبيرۀ مخزومی پسـر خواهر آن حضـرت در حالتی كه در تن مبارك او درّاعه از پشم و دوالهای شمشـير او از ليف خرما بود، و بر دو پای آن حضرت بود نعلينی از ليف و گويا پيشانی مبارك او از كثرت سجود مانند زانوی شتر بود پس فرمود آن بزرگوار:

حمـد و ثنـاء معبـود بحقّی را سـزاست كه بسـوی او است بازگشـتهای مخلوقـات و عـواقب امورات، حمـد می كنيم مـا او را بر بزرگی احسـان او و برهان نورانی او و بر افزونيهای فضل و منت او چنان حمـدی كه بشود از برای حقّ او قضا، و از برای شـكر او أداء، و بسوی ثواب او نزديـک كننـده، و زيادتی نيكوئی او را واجب سازنـده و طلب إعانت می كنيم از او مثل طلب اعانت كسی كه اميد دارندۀ فضل او باشد، آرزو كنندۀ منفعت او، اعتماد كننده بدفع او، اعتراف كننده بافضال و كرم او، گردن

نهنده بر او با کردار و گفتار.

و ایمان می آوریم او را مثل ایمان آوردن کسی که امیدوار باشد باو در حالتی که یقین کننده باشد، و باز گردد بسوی او در حالتی که ایمان آورنده باشد، و خضوع خشوع کند او را در حالتی که گردن نهنده باشد، و اخلاص ورزد از برای او در حالتی که موحِّد باشد، و تعظیم کند او را در حالتی که تمجید کننده شود، و پناه ببرد باو در حالتی که رغبت کننده و سعی نماینده باشد.

متولد نشد حق سبحانه و تعالی تا این که در عزّت شریک داشته باشد، و پسر ندارد تا این که میراث برده شده و هالك گردد، و مقدّم نشده بر او هیچ وقت و زمانی و نوبه نوبه فراهم نیامده او را هیچ زیادتی و نقصانی، بلکه آشکار شد بعقلها با آنچه نمایان کرد ما را از علامات تدبیر محکم و قضاء متقن.

پس از جمله شواهد خلق او است خلقت آسمانها در حالتی که ثابت و محکم اند بی ستونی، و ایستاده اند بدون تکیه گاهی دعوت فرمود آنها را پس اجابت کردند در حالتی که اطاعت کننده بودند و انقیاد نماینده بدون این که توقّف داشته باشند یا تأخیر کننده باشند، و اگر نبود اقرار آنها بربوبیّت او و انقیاد آنها بطاعت او نمی گردانید آنها را محلّ عرش خود، و نه مسکن از برای فرشتگان، و نه محلّ صعود کلمات طیّبات و أعمال صالحه از خلق.

گردانید ستارهای آسمانها را علامتها تا راه بیابد با آنها شخص متحیّر سرگردان در محل اختلاف راههای أطراف زمین، مانع نشد از روشنی نور آن ستارها شدّت تاریکی شب تیره، و متمکّن نشد لباسهای سیاه ظلمتهای با شدّت از این که بر گرداند آنچه که شایع و ظاهر شده در آسمانها از درخشیدن نور ماه.

پس تنزیه میکنم آن کسی را که پوشیده نمی شود بر او سیاهی ظلمت با شدّت و نه سیاهی شب آرمیده در بقعهای زمینها که منخفض و پست اند، و نه در کوههای بلند سیاه رنگ مایل بسرخی که قریب بیکدیگرند، و مخفی نمی شود بر او آنچه

که آواز کند بر او رعد در افق آسمان، و آنچه که متلاشی و نابود می شود از او برقهای أبر و بر آنچه که می افتد از برگ درختان که زایل می گرداند آن برگ را از محلّ افتادن تند بادها که حاصل می شود بسبب سقوط نجوم ساقط از منازل قمر و بسبب ریخته شدن باران از آسمان و میداند جای افتادن قطرهای باران و قرارگاه آن را و محلّ کشیدن مورچهای کوچك و مکان جرّ آنرا و چیزی را که کفایت کند پشه را از خوراك آن و چیزی که حمل نموده است آن را ماده در شکم خود.

ستایش مر خدای راست که موجود بود پیش از این که بوده باشد کرسی یا عرش یا آسمان یا زمین یا جان یا انسان درك نمی شود آن پروردگار با وهم و گمان و اندازه کرده نمی شود با فهم عقلها، و مشغول نمی گرداند او را سائلی از سائل دیگر، و کم نمی گرداند بحر کرم او را هیچ عطائی، و نگاه نمی کند با چشم، و محدود نمی گردد بامکان، و موصوف نمی شود با جفتها، و نمی آفریند بمعالجه و مباشرت، و ادراك نمی شود با حواس ظاهره و باطنه، و قیاس کرده نمی شود بخلق آن چنان پروردگاری که سخن گفت با جناب موسی علیه السّلام سخن گفتنی، و نمایانید او را أز علامتهای قدرت خود چیز بزرگی بی أعضا و جوارحی و بدون نطق و گوشت پارهائی که در آخر دهن است و با آن نطق حاصل می شود.

بلکه اگر راست گوینده باشی تو ای مشقت کشنده در وصف پروردگار خود پس وصف کن جبرئیل و میکائیل و لشکرهای فرشتگان را که مقرّب درگاه اویند در منزلهای قدس و طهارت خاضع و مایلند بزیر أز خضوع در حالتی که متحیّر است عقلهای ایشان در این که حدی قرار بدهند بهترین آفریننده گان را، و جز این نیست که ادراك می شود با صفتها صاحبان صورتها و آلتها و آن کسی که منقضی می شود بفنا و نیستی زمانی که برسد بغایت حد خود، پس نیست هیچ معبود بحقّی غیر او که روشن فرمود با نور خود هر تاریکی، و تاریك گردانید با تاریکی خود هر روشنی را.

ص:۳۲۶

الفصل الثانی

اشاره

أوصيكم عباد اللّه بتقوى اللّه الّذى ألبسكم الرّياش، و أسبغ عليكم المعاش، و لو أنّ أحدا يجد إلى البقاء سلّما، أو لدفع الموت سبيلا، لكان ذلك سليمان بن داود عليه السّلام الّذى سخّر له ملك الجنّ و الإنس مع النّبوّه و عظيم الزّلفه، فلمّا استوفى طعمته، و استكمل مدّته، رمته قسىّ الفناء بنبال الموت، و أصبحت الدّيار منه خاليه، و المساكن معطّله، و ورثها قوم آخرون، و إنّ لكم فى القرون السّالفه لعبره، أين العمالقه و أبناء العمالقه؟ أين الفراعنه و أبناء الفراعنه؟ أين أصحاب مداين الرّسّ؟ الّذين قتلوا النّبيّين، و أطفئوا سنن المرسلين، و أحيوا سنن الجبّارين، و أين الّذين ساروا بالجيوش، و هزموا الالوف، و عسكروا العساكر، و مدّنوا المداين.

اللغه

(الرياش) و الريش ما ظهر من اللباس، و قيل: الرياش جمع الريش و هو اللباس الفاخر و (المعاش) و المعيشه مكتسب الانسان الّذى يعيش به و (السلّم) كسكّر ما يرتقى عليه و (القسىّ) جمع القوس(١) و (النبل) السّهام العربيّه لا واحد لها من لفظها

١- (١) و اصلها قووس على فعول كضرب و ضروب الاّ انهم قدموا اللاّم فقالوا قسو على قلوع قلبت الواو ياء و كسروا القاف كما كسروا عين عسى فصارت قسى، ابن أبى الحديد.

و (العمالقه) و العماليق أولاد عمليق وزان قنديل أو عملاق كقرطاس و هو من ولد نوح عليه السّلام حسبما تعرف و (الفراعنه) جمع فرعون و (الرّسّ) بتشديد السّين نهر عظيم بين آذربيجان و ارمينيه و هو المعروف الآن بالأرس مبدؤه من مدينه طراز و ينتهى إلى شهر الكرّ فيختلطان و يصبّان فى البحر، و قال فى القاموس: بئر كانت لبقيّه من ثمود كذّبوا نبيّهم و رسّوه فى بئر و (مدّن) المداين تمدينا مصّرها.

الاعراب

الباء فى قوله بنبال الموت زايده فى المفعول، و المداين مفعول لقوله مدّنوا لا فيه كما هو واضح.

المعنى

اعلم أنه لما افتتح الخطبه بتحميد اللّه سبحانه و تمجيده و ذكر جمله من صفات جلاله و نعوت جماله و أشار إلى عجائب قدرته و بدايع حكمته فى ملكه و ملكوته فى الفصل السابق منها، أتبعه بهذا الفصل تذكره و موعظه للمخاطبين، فأوصى بما لا يزال يوصى به و قال:

(أوصيكم عباد اللّه بتقوى اللّه) الّتى هى الزاد و بها المعاد زاد مبلّغ و معاد منجح و هى أن لا يراك حيث نهاك و لا يفقدك حيث أمرك.

و انما عقّب بالموصول أعنى قوله (الّذى ألبسكم الرياش و أسبغ عليكم المعاش) تأكيدا للغرض المسوق له الكلام، و تنبيها على أنّه سبحانه مع عظيم احسانه و مزيد فضله و انعامه حيث أنعم عليكم باللباس و الرياش و أكمل عليكم المعاش الّذين هما سببا حياتكم و بهما بقاء نوعكم، كيف يسوغ كفران نعمته بالعصيان، و مقابله عطوفته بالخطيئه، بل اللّازم مكافاه نعمائه بالتقوى، و عطاياه بالحسنى.

ثمّ لما كان رأس كلّ خطيئه هو حبّ الدّنيا و كان عمده أسباب الغفله و الضّلاله الركون اليها و طول الأمل فيها نبّه على فنائها و زوالها بقوله (و لو أنّ أحدا يجد

إلى البقاء سلّما) و وسيله (أو لدفع الموت سبيلا) و سببا (لكان ذلك سليمان بن داود عليه السّلام) لأنّه (الّذى) اختصّ من ساير الخلق لكمال السّلطنه و الملك العظيم حيث (سخّر له ملك الجنّ و الانس) و الوحش و الطير فهم يوزعون حسبما تعرفه تفصيلا عن قريب (مع النبوّه و عظيم الزلفه) و القربى إلى الحقّ سبحانه.

و معلوم أنّ النّبوه و التقرّب و المنزله من الوسائل إلى البقاء لاستجابه الدّعاء معهما فهما مظنّتان للتوصّل إليه فى الباطن كما أنّ الملك و السلطنه مظنّه لأن تكون وسيله إليه فى الظاهر لكنّه مع نبوّته و عظم سلطانه و قدرته على ما لم يقدر عليه غيره لم يجد وسيله إلى البقاء، فليس لأحد بعده أن يطمع فى وجدانه أما انه عليه السّلام لم يجد وسيله إلى ذلك (ف) لأنه (لما استوفى طعمته) أى رزقه المقدّر (و استكمل مدّته) المقرّره(رمته قسىّ الفناء بنبال الموت)إسناد الرّمى إلى القسىّ من المجاز العقلى و النسبه إلى الاله، قال الشارح البحرانى: و لفظ القسىّ و النبال استعاره لمرامى الأمراض و أسبابها الّتى هى نبال الموت (و أصبحت الدّيار منه خاليه و المساكن معطّله و ورثها قوم آخرون).

روى فى البحار من العلل و العيون عن أحمد بن زياد الهمدانى عن علىّ بن إبراهيم عن أبيه عن علىّ بن معبد عن الحسين بن خالد عن أبى الحسن علىّ بن موسى الرّضا عليهما السّلام عن أبيه موسى بن جعفر «عن أبيه جعفر خ» بن محمّد عليهم السّلام قال إنّ سليمان بن داود عليه السّلام قال ذات يوم لأصحابه: إنّ اللّه تبارك و تعالى قد وهب لى ملكا لا ينبغى لأحد من بعدى سخّر لى الرّيح و الانس و الجنّ و الطير و الوحوش و علّمنى منطق الطير و آتانى كلّ شىء و مع جميع ما اوتيت من الملك ما تمّ لى سرور يوم إلى اللّيل، و قد أحببت أن أدخل قصرى فى غد فأصعد أعلاه و أنظر إلى ممالكى فلا تأذنوا لأحد علىّ لئلاّ يرد على ما ينقص على يومى، قالوا: نعم.

فلما كان من الغد أخذ عصاه بيده و صعد إلى أعلى موضع من قصره و وقف متكئا على عصاه ينظر إلى ممالكه مسرورا بما أوتى فرحا بما أعطى، إذ نظر إلى

شابّ حسن الوجه و اللّباس قد خرج عليه من بعض زوايا قصره، فلما بصر به سليمان عليه السّلام قال: من أدخلك إلى هذا القصر؟ و قد أردت أن أخلو فيه اليوم فباذن من دخلت؟ فقال الشاب: أدخلنى هذا القصر ربّه و باذنه دخلت، فقال عليه السّلام: ربّه أحقّ به منّى فمن أنت؟ قال: أنا ملك الموت، قال: و فيما جئت؟ قال: جئت لأقبض روحك قال: امض لما امرت به فهذا يوم سرورى و أبى اللّه عزّ و جلّ أن يكون لى سرورى دون لقائه، فقبض ملك الموت روحه و هو متكئ على عصاه.

فبقى سليمان متكئا على عصاه و هو ميّت ما شاء اللّه و النّاس ينظرون إليه و هم يقدّرون أنّه حىّ، فافتتنوا فيه و اختلفوا فمنهم من قال: إنّ سليمان قد بقى متكئا على عصاه هذه الأيام الكثيره و لم يتعب و لم ينم و لم ياكل و لم يشرب إنّه لربّنا الذى يجب علينا أن نعبده، و قال قوم: إنّ سليمان ساحر إنّه يرينا أنه واقف و متكئ على عصاه يسحر أعيننا و ليس كذلك، فقال المؤمنون: إنّ سليمان هو عبد اللّه و نبيّه يدبّر اللّه بما شاء.

فلما اختلفوا بعث اللّه عزّ و جلّ الارضه فدبت فى عصاه، فلما أكلت جوفها انكسرت العصا و خرّ سليمان من قصره على وجهه فشكر الجنّ للارضه صنيعها فلأجل ذلك لا توجد الارضه فى مكان إلاّ و عندها ماء و طين، و ذلك قول اللّه عزّ و جلّ: «فَلَمّا قَضَيْنا عَلَيْهِ الْمَوْتَ ما دَلَّهُمْ عَلى مَوْتِهِ إِلاّ دَابَّةُ الْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنْسَأَتَهُ »، يعنى عصاه «فَلَمّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ الْجِنُّ أَنْ لَوْ كانُوا يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ ما لَبِثُوا فِى الْعَذابِ الْمُهِينِ ».

ثمّ نبّه عليه السّلام على الاعتبار بأحوال القرون الخاليه و الامم الماضيه فقال:

(و انّ لكم فى القرون السالفه لعبره) و أشار إلى وجه العبره على سبيل الاستفهام التقريرى قصدا للتذكير و التذكّر بقوله (أين العمالقه و أبناء العمالقه).

قال الشّارح المعتزلى: العمالقه أولاد لاوز بن ارم بن سالم بن نوح عليه السّلام كان الملك باليمن و الحجاز و ما تاخم ذلك من الأقاليم فمنهم عملاق بن لاوز، و منهم طسم بن لاوز أخوه، و منهم جديس بن لاوز أخوهما، و كان العزّ و الملك بعد عملاق بن لاور فى طسم، فلما ملكهم عملاق بن طسم بغى و أكثر الفساد فى الأرض حتّى كان

يطأ العروس ليله إهدائها إلى بعلها و إن كانت بكرا افتضّها قبل وصولها إلى البعل، ففعل ذلك بامرأه من جديس يقال لها غفيره بنت غفار، فخرجت إلى قومها و هى تقول:

لا أحد أذلّ من جديس أ هكذا يفعل بالعروس

فغضب لها أخوها الأسود بن غفار و تابعه قومه على الفتك بعملاق بن طسم و أهل بيته فصنع الاسود طعاما و دعى العملاق إليه ثمّ وثب به و بطسم فأتى على رؤسائهم و نجا منهم رباح بن مز فصار إلى ذى جيشان بن تبع الحميرى ملك اليمن، فاستغاث به على جديس فصار ذو جيشان فى حمير فأتى بلاد جوّ و هى قصبه اليمامه و استأصل جديس كلّها و أخرب اليمامه فلم يبق لجديس باقيه و لا لطسم إلاّ اليسير منهم ثمّ ملك بعد طسم و جديس و باز بن ايم «بن ظ» لاوز بن ارم فسار بولده و أهله و نزل برمل عالج فبغوا فى الأرض حينا حتّى أفناهم اللّه، ثمّ ملك الأرض بعد و باز عبد صحم بن اثيف بن لاوز فنزلوا بالطايف حينا ثمّ بادوا.

قال الشارح: و ممن يعدّ من العمالقه عاد و ثمود.

فأمّا عاد فهو ابن عويص بن ارم بن سام بن نوح كان يعبد القمر يقال إنّه كان رأى من صلبه أولادا و أولاد أولاد أربعه آلاف، و أنّه نكح ألف جاريه و كان بلاده الأحقاف المذكوره فى القرآن(۱) ، و هى من شجر عمّان إلى حضرموت، و من أولاده شدّاد ابن عاد صاحب المدينه المذكوره فى سوره الفجر.

و أمّا ثمود فهو ابن عابر بن ارم بن سام بن نوح عليه السّلام، و كانت دياره بين الشام و الحجاز إلى ساحل بحر الحبشه.

(أين الفراعنه و أبناء الفراعنه) و هم ملوك مصر فمنهم الوليد بن الريان فرعون يوسف عليه السّلام، و منهم الوليد بن مصعب فرعون موسى، و منهم فرعون بن الأعرج الّذى غزا بنى إسرائيل و أخرب بيت المقدّس.

۱- (۱) قال تعالى: «وَ اذْكُرْ أَخا عادٍ إِذْ أَنْذَرَ قَوْمَهُ بِالْأَحْقافِ»، قال فى مجمع البحرين: هى جمع حقف و هو الرمل المعوج و قيل رمال مستطيله بناحيه شجر و كانت عاد بين جبال مشرفه على البحر بالشجر من بلاد اليمن (منه ره).

(أين أصحاب مداين الرّس) و ستعرف انبائهم فى التذييل الاتى، و هم (الّذين) جحدوا ربّ العالمين و (قتلوا النبيّين) مظلومين (و أطفئوا سنن المرسلين) و شرايع الدّين (و أحيوا سنن الجبّارين) و بدع الشياطين (و أين) الملوك (الّذين ساروا بالجيوش و هزموا الالوف) و فتحوا الأمصار (و عسكروا العساكر) و جمعوهم (و مدّنوا المداين) و بنوها.

و ينبغى

تذييل هذا الفصل من الخطبه بامرين

:

الاول

فى نوادر أخبار ملک سليمان بن داود عليه السّلام

المشار إليه فى هذا الفصل قال تعالى فى سوره النمل: «وَ لَقَدْ آتَيْنا داوُدَ وَ سُلَيْمانَ عِلْماً وَ قالاَ الْحَمْدُ لِلّهِ الَّذِى فَضَّلَنا عَلى كَثِيرٍ مِنْ عِبادِهِ الْمُؤْمِنِينَ وَ وَرِثَ سُلَيْمانُ داوُدَ وَ قالَ يا أَيُّهَا النّاسُ عُلِّمْنا مَنْطِقَ الطَّيْرِ وَ أُوتِينا مِنْ كُلِّ شَيْ ءٍ إِنَّ هذا لَهُوَ الْفَضْلُ الْمُبِينُ » و فى سوره سبأ: «وَ لِسُلَيْمانَ الرِّيحَ غُدُوُّها شَهْرٌ وَ رَواحُها شَهْرٌ وَ أَسَلْنا لَهُ عَيْنَ الْقِطْرِ وَ مِنَ الْجِنِّ مَنْ يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَ مَنْ يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنا نُذِقْهُ مِنْ عَذابِ السَّعِيرِ يَعْمَلُونَ لَهُ ما يَشاءُ مِنْ مَحارِيبَ وَ تَماثِيلَ وَ جِفانٍ كَالْجَوابِ وَ قُدُورٍ راسِياتٍ اعْمَلُوا آلَ داوُدَ شُكْراً وَ قَلِيلٌ مِنْ عِبادِىَ الشَّكُورُ ».

قوله سبحانه: «وَ وَرِثَ سُلَيْمانُ داوُدَ » قال الصّادق عليه السّلام فى روايه اكمال الدين إنّ داود عليه السّلام أراد أن يستخلف سليمان لأنّ اللّه عزّ و جلّ أوحى إليه يأمره بذلك فلما أخبر بنى إسرائيل ضجّوا من ذلك و قالوا: يستخلف علينا حدثا و فينا من هو أكبر منه، فدعى أسباط بنى إسرائيل فقال لهم: قد بلغنى مقالتكم فأرونى عصيّكم فأىّ عصا أثمرت فصاحبها ولىّ الأمر بعدى، فقالوا: رضينا، و قال: ليكتب كلّ واحد منكم اسمه على عصاه، فكتبوا ثمّ جاء سليمان بعصاه فكتب عليها اسمه ثمّ ادخلت بيتا و اغلق الباب و حرسه رءوس أسباط بنى إسرائيل: فلما أصبح صلّى بهم الغداه ثمّ

أقبل ففتح لهم الباب فأخرج عصيّهم و قد ورقت عصا سليمان و قد أثمرت، فسلّموا ذلك لداود عليه السّلام.

و فى البحار من محاسن البرقى عن أبى الحسن موسى بن جعفر عليه السّلام قال:

استخلف داود سليمان و هو ابن ثلاثه عشر سنه، و مكث فى ملكه أربعين سنه.

و قوله: «عُلِّمْنا مَنْطِقَ الطَّيْرِ » قيل: إنّ النّطق عباره و هو مختصّ بالانسان إلاّ أنّ سليمان لما فهم معنى صوت الطير سمّاه منطقا مجازا، و قال عليّ بن عيسى إن الطّير كانت تكلّم سليمان عليه السّلام معجزه له كما أخبر عن الهدهد، و منطق الطير صوت يتفاهم به معانيها على صيغه واحده بخلاف منطق الناس الّذى يتفاهمون به المعانى على صيغ مختلفه، و لذلك لم نفهم عنها مع طول مصاحبتها و لم يفهم هى عنا، لأنّ أفهامها مقصوره على تلك الامور المخصوصه، و لمّا جعل سليمان يفهم عنها كان قد علم منطقها.

قوله: «وَ أُوتِينا مِنْ كُلِّ شَيْ ءٍ » أى من كلّ شىء تؤتى الأنبياء و الملوك، و قيل: من كلّ شىء يطلبه طالب لحاجته اليه و انتفاعه به.

و قوله: «وَ لِسُلَيْمانَ الرِّيحَ غُدُوُّها شَهْرٌ وَ رَواحُها شَهْرٌ » قال الطبرسى أى و سخّرنا لسليمان الريح مسير غدوّ تلك الريح المسخّره مسير شهر و مسير رواحها مسير شهر، و المعنى أنها كانت تسير فى اليوم مسيره شهرين للرّاكب قال قتاده:

كانت تغدو مسيره شهر إلى نصف النهار و يروح مسيره شهر إلى آخر النهار، و قال الحسن: كانت تغدو من دمشق فيقبل باصطخر من أرض اصفهان و بينهما مسيره شهر للمستريح، و تروح من اصطخر فتبيت بكابل و بينهما مسيره شهر تحمله الرّيح مع جنوده أعطاه اللّه الرّيح بدلا من الصافنات الجياد.

«وَ أَسَلْنا لَهُ عَيْنَ الْقِطْرِ » أى أذبنا له عين النحاس و أظهرناها له.

«وَ مِنَ الْجِنِّ مَنْ يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِ » المعنى و سخّرنا له من الجنّ من بحضرته و امام عينه ما يأمرهم به من الأعمال كما يعمل الادمى بين يدى الادمى بأمر ربّه تعالى، و كان يكلّفهم الأعمال الشاقّه، و فيه دلاله على أنّه قد كان من الجنّ

من هو غير مسخّر له.

«وَ مَنْ يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنا نُذِقْهُ مِنْ عَذابِ السَّعِيرِ » أى من يعدل من هؤلاء الجنّ الّذين سخّرناهم لسليمان عما أمرناهم به من طاعه سليمان نذقه من عذاب النار فى الاخره عن أكثر المفسرين، و قيل: نذقه العذاب فى الدّنيا و أنّ اللّه سبحانه وكّل بهم ملكا بيده سوط من نار فمن زاغ منهم من طاعه سليمان ضربه ضربه أحرقته.

«يَعْمَلُونَ لَهُ ما يَشاءُ مِنْ مَحارِيبَ » و هى البيوت الشريفه الشريعه قيل: و هى القصور و المساجد يتعبّد فيها عن قتاده و الجبائى، قال: و كان مما عملوا بيت المقدّس و قد كان اللّه عزّ و جلّ سلّط على بنى اسرائيل الطاعون فهلك خلق كثير فى يوم واحد فأمرهم داود أن يغتسلوا و يبرزوا الى الصّعيد بالذّرارى و الأهلين و يتضرّعوا إلى اللّه تعالى لعلّه يرحمهم، و ذلك صعيد بيت المقدس قبل بناء المسجد، و ارتفع داود عليه السّلام فوق الصّخره فخرّ ساجدا يبتهل إلى اللّه سبحانه و سجدوا معه، فلم يرفعوا رؤوسهم حتى كشف اللّه عنهم الطاعون.

فلما أن شفع اللّه داود فى بنى اسرائيل جمعهم داود بعد ثلاث و قال لهم: إنّ اللّه تعالى قد منّ عليكم و رحمكم فجدّدوا شكرا بأن تتّخذوا من هذا الصعيد الذى رحمكم فيه مسجدا ففعلوا، و أخذوا فى بناء بيت المقدس فكان داود عليه السّلام ينقل الحجاره لهم على عاتقه، و كذلك خيار بنى اسرائيل حتّى رفعوه قامه و لداود عليه السّلام يومئذ سبع و عشرون و مأئه سنه، فأوحى اللّه تعالى إلى داود عليه السّلام أنّ تمام بنائه يكون على يد ابنه سليمان.

فلما صار داود ابن أربعين و مأئه سنه توفّاه اللّه تعالى و استخلف سليمان فأحبّ إتمام بيت المقدس فجمع الجنّ و الشياطين فقسم عليهم الأعمال يخصّ كلّ طائفه منهم بعمل، فأرسل الجنّ و الشياطين فى تحصيل الرخام و المها الأبيض الصافى من معادنه و أمر ببناء المدينه من الرخام و الصفاح و جعلها اثنا عشر ربضا و أنزل كلّ ربض منها سبطا من الأسباط.

ص:۳۳۴

فلما فرغ من بناء المدينه ابتدء فى بناء المسجد فوجّه الشياطين فرقا فرقه يستخرجون الذهب و اليواقيت من معادنها، و فرقه يقلعون الجواهر و الأحجار من أماكنها، و فرقه يأتونه بالمسك و العنبر و ساير الطيب، و فرقه يأتونه بالدرّ من البحار فاوتى من ذلك بشىء لا يحصيه إلاّ اللّه تعالى ثمّ احضر الصناع و أمرهم بنحت تلك الأحجار حتّى يصيروها ألواحا و معالجه تلك الجواهر و اللالى.

و بنى سليمان المسجد بالرخام الأبيض و الأصفر و الأخضر و عمده بأساطين المها الصافى و سقفه بألواح الجواهر و فضض سقوفه و حيطانه باللالى و اليواقيت و الجواهر و بسط أرضه بألواح الفيروزج، فلم يكن فى الأرض بيت أبهى منه و لا أنور من ذلك المسجد كان يضىء فى الظلمه كالقمر ليله البدر.

فلما فرغ منه جمع إليه خيار بنى إسرائيل فأعلمهم أنه بناه اللّه تعالى و اتّخذ ذلك اليوم الذى فرغ منه عيدا.

فلم يزل بيت المقدس على ما بناه سليمان حتّى غزا بخت نصر بنى اسرائيل فخرب المدينه و هدمها و نقض المسجد و أخذ ما فى سقوفه و حيطانه من الذّهب و الدّر و اليواقيت و الجواهر، فحملها إلى دار مملكته من أرض العراق.

قال سعيد بن المسيّب لما فرغ سليمان من بناء بيت المقدس تغلقت أبوابه فعالجها سليمان فلم تنفتح حتّى قال فى دعائه بصلوات أبى داود عليه السّلام إلاّ فتحت الأبواب ففرغ له عشره آلاف من قراء بنى اسرائيل خمسه آلاف بالليل و خمسه آلاف بالنهار و لا يأتى ساعه من ليل و نهار إلاّ و يعبد اللّه فيها.

«وَ تَماثِيلَ » يعنى صورا من نحاس و شبه و زجاج كانت الجنّ تعملها، ثمّ اختلفوا فقال بعضهم كانت صورا للحيوانات، و قال آخرون كانوا يعملون صور السّباع و البهايم على كرسيّه ليكون أهيب له.

فذكروا أنّهم صوّروا أسدين أسفل كرسيّه و نسرين فوق عمودى كرسيّه فكان إذا أراد أن يصعد الكرسى بسط الأسدان ذراعيهما، و إذا علا على الكرسى نشر النسران أجنحتهما فظلّلاه من الشّمس، و يقال: إنّ ذلك كان مما لا يعرفه أحد

من النّاس.

فلما حاول بخت نصر صعود الكرسى بعد سليمان حين غلب على بنى إسرائيل لم يعرف كيف كان يصعد سليمان، فرفع الأسد ذراعيه فضرب ساقه فقدّها فوقع مغشيّا عليه فما جسر أحد بعده أن يصعد ذلك الكرسى.

قال الحسن و لم يكن يومئذ التصاوير محرمه و هى محظوره فى شريعه نبيّنا صلّى اللّه عليه و آله و سلّم، فانه قال: لعن اللّه المصوّرين، و يجوز أن يكره ذلك فى زمن دون زمن، و قد بيّن اللّه سبحانه أنّ المسيح عليه السّلام كان يصوّر بأمر اللّه من الطين كهيئه الطّير و قال ابن عبّاس كانوا يعملون صور الأنبياء و العبّاد فى المساجد ليقتدى بهم.

و روى عن الصّادق عليه السّلام انه قال: و اللّه ما هى تماثيل النساء و الرجال و لكنها الشجر و ما أشبهه.

«وَ جِفانٍ كَالْجَوابِ » أى صحاف كالحياض الّتى يجبى فيها الماء أى يجمع و كان سليمان عليه السّلام يصلح طعام جيشه فى مثل هذه الجفان، فانه لم يمكنه أن يطعمهم فى مثل قصاع الناس لكثرتهم، و قيل: انه كان يجمع على كلّ جفنه ألف رجل يأكلون من بين يديه.

«وَ قُدُورٍ راسِياتٍ » أى ثابتات لا يزلن عن أمكنتهنّ لعظمهنّ، عن قتاده و كانت باليمن و قيل كانت عظيمه كالجبال يحملونها مع أنفسهم و كان سليمان عليه السّلام يطعم جنده.

و فى البحار عن صاحب الكامل قال: لما توفّى داود ملك بعده ابنه سليمان عليه السّلام على بنى إسرائيل و كان عمره ثلاث عشر سنه، و أتاه مع الملك النبوّه و سخّر له الجنّ و الانس و الشياطين و الطير و الريح، فكان إذا خرج من بيته إلى مجلسه عكفت عليه الطير و قام الانس و الجنّ متى يجلس فيه، قيل: أنه سخر له الريح و الجنّ و الشياطين و الطير و غير ذلك بعد أن زال ملكه و أعاده اللّه إليه و كان أبيض جسيما كثير الشعر يلبس البياض، و كان يأكل من كسبه، و كان كثير الغزو، و كان إذا أراد الغزو أمر فعمل بساط من خشب يسع عسكره فيركبون عليه هم و دوابهم «ج ۲۱»

ص:۳۳۶

و ما يحتاجون إليه، ثمّ أمر الريح فسار فى غدوته مسيره شهر و فى روحته كذلك، و كان له ثلاثمأه زوجه و سبعمائه سريه و أعطاه اللّه أخيرا أنه لا يتكلّم أحد بشىء إلاّ حملته الريح فيعلم ما يقول.

و فيه من كتاب قصص الأنبياء بالاسناد عن أبى حمزه عن الأصبغ بن نباته قال:

خرج سليمان بن داود من بيت المقدّس مع ثلاثمائه ألف كرسى عن يمينه عليها الانس و ثلاثمأه ألف كرسى عن يساره عليها الجنّ، و أمر الطير فأظلّتهم و أمّا الريح فحملتهم حتّى وردت بهم المداين، ثمّ رجع و بات فى اصطخر، ثمّ غدا فانتهى إلى جزيره بركاوان، ثمّ أمر الريح فخفضتهم حتّى كادت أقدامهم يصيبها الماء، فقال بعضهم لبعض: هل رأيتم ملكا أعظم من هذا؟ فنادى ملك: لثواب تسبيحه واحده أعظم مما رأيتم.

و فيه منه عن الثمالى عن أبى جعفر عليه السّلام قال: كان ملك سليمان ما بين الشامات إلى بلاد اصطخر.

و فيه عن الطبرسى قال: قال محمّد بن كعب بلغنا أنّ سليمان بن داود عليه السّلام كان عسكره مأئه فرسخ خمسه و عشرون للانس و خمسه و عشرون للجنّ و خمسه و عشرون للوحش و خمسه و عشرون للطير و كان له ألف بيت من القوارير على الخشب فيها ثلاثمأه مهيره و سبعمائه سريه فيأمر الريح العاصف فترفعه و يأمر الرّخاء فتسير به، فأوحى اللّه إليه و هو يسير بين السماء و الأرض أنى قد زدت فى ملكك انّه لا يتكلّم أحد من الخلايق بشىء إلاّ جائت الريح فأخبرتك.

و قال مقاتل: نسجت الشياطين لسليمان بساطا فرسخ فى فرسخ ذهبا فى ابريسم و كان يوضع فيه منبر من ذهب فى وسط البساط فيقعد عليه و حوله ثلاثه آلاف كرسى من ذهب و فضه، فيقعد الأنبياء على كراسى الذهب، و العلماء على كراسىّ الفضّه و حولهم الناس و حول الناس الجنّ و الشياطين و تظلّها الطّير بأجنحتها حتّى لا تقع عليهم الشمس، و ترفع ريح الصبا البساط مسيره شهر من الصباح إلى الرواح، و من الرواح إلى الصباح.

ص:٣٣٧

و فيه من تفسير الثعلبى قال: و روى أنّ سليمان عليه السّلام لما ملك بعد أبيه أمر باتخاذ كرسىّ ليجلس عليه للقضاء و أمر بأن يعمل بديعا مهولا بحيث أن لو رآه مبطل أو شاهد زور ارتدع و تهيب.

قال: فعمل له كرسى من أنياب الفيله و فصّصوه بالياقوت و اللّؤلؤ و الزّبرجد و أنواع الجواهر و حفظوه بأربع نخلات من ذهب شماريخها الياقوت الأحمر و الزّمرّد الأخضر على رأس نخلتين منها طاوسان من ذهب و على رأس الاخرين نسران من ذهب بعضها مقابلا لبعض، و جعلوا من جنبى الكرسى أسدين من الذهب على رأس كلّ واحد منهما عمود من الزّمرّد الأخضر و قد عقدوا على النخلات أشجار كروم من الذهب الأحمر و اتّخذوا عناقيدها من الياقوت الأحمر بحيث يظلّ عريش الكروم النخل و الكرسى.

قال: و كان سليمان عليه السّلام إذا أراد صعوده وضع قدميه على الدرجه السفلى فيستدير الكرسى كلّه بما فيه دوران الرحى المسرعه و تنشر تلك النسور و الطواويس أجنحتهما و تبسط الأسدان أيديهما فتضربان الأرض بأذنابهما، فكذلك كلّ درجه يصعدها سليمان عليه السّلام.

فاذا استوى بأعلاه أخذ النسران اللّذان على النخلتين تاج سليمان فوضعاه على رأس سليمان ثمّ يستدير الكرسى بما فيه و يدور معه النسران و الطاوسان و الأسدان مايلات برءوسها إلى سليمان ينضحن عليه من أجوافها المسك و العنبر.

ثمّ تناولت حمامه من ذهب قائمه على عمود من جوهر من أعمده الكرسى التوراه فيفتحها سليمان و يقرئها على الناس و يدعوهم إلى فصل القضاء، و يجلس عظماء بنى إسرائيل على كراسىّ من الذهب المفصّصه بالجوهر و هى ألف كرسىّ عن يمينه، و تجىء عظماء و تجلس على كراسىّ الفضّه على يساره و هى ألف كرسىّ حافّين جميعا به ثمّ يحفّ بهم الطير فتظلّهم و تتقدّم إليه الناس للقضاء.

فاذا دعى البيّنات و الشهود لإقامه الشهادات درا الكرسىّ بما فيه مع جميع ما

ص:۳۳۸

حوله دوران الرحا المسرعه و يبسط الأسدان أيديهما و يضربان الأرض بأذنابهما و ينشر النسران و الطاوسان أجنحتهما فيفزع منه الشهود و يدخلهم من ذلك رعب و لا يشهدون إلّا بالحقّ.

و فى البحار من كتاب تنبيه الخاطر روى أنّ سليمان بن داود عليه السّلام مرّ فى موكبه و الطير تظلّه و الجنّ و الانس عن يمينه و عن شماله بعابد من عبّاد بنى إسرائيل فقال: و اللّه يا ابن داود لقد أتاك اللّه ملكا عظيما، فسمعه سليمان فقال: للتسبيحه فى صحيفه مؤمن خير مما اعطى ابن داود و إنّ ما أعطى ابن داود تذهب و أنّ التسبيحه تبقى.

و كان سليمان إذا أصبح تصفح وجوه الأغنياء و الأشراف حتّى يجىء إلى المساكين و يقعد معهم و يقول مسكين مع المساكين.

و من ارشاد القلوب كان سليمان مع ما هو فيه من الملك يلبس الشعر و اذا جنّه اللّيل شدّ يديه إلى عنقه فلا يزال قائما حتّى يصبح باكيا و كان قوته من سفايف الخوص يعملها بيده و إنما سأل الملك ليقهر ملوك الكفر.

الثانى

فى بيان مداين الرس و قصه اصحابها

قال تعالى فى سوره الفرقان «وَ عاداً وَ ثَمُودَ وَ أَصْحابَ الرَّسِّ » و فى سوره ق «كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَ أَصْحابُ الرَّسِّ »(۱) قال الطبرسىّ: أى و أهلكنا عادا و ثمود و أصحاب الرّس، و هو بئر رسّوا فيها نبيّهم أى ألقوه فيها عن عكرمه و قيل انهم كانوا أصحاب مواش و لهم بئر يقعدون عليها و كانوا يعبدون الأصنام فبعث اللّه إليهم شعيبا عليه السّلام فكذّبوه فانهار البئر و انخسف بهم الأرض فهلكوا عن وهب.

۱- (۱) الرّس البئر التى لم تطو بالحجاره و لا غيرها (مجمع البيان).

و قیل الرّس قریه بالیمامه یقال لها فلج قتلوا نبیّهم فأهلكهم اللّه عن قتاده.

و قیل كان لهم نبیّ یسمّی حنظله فقتلوه فاهلكوا عن سعید بن جبیر و الكلبی.

و قیل هم أصحاب رسّ و الرّس بئر بانطاكیه قتلوا فیها حبیبا النجار فنسبوا إلیها عن كعب و مقاتل.

و قیل أصحاب الرّس كان نساؤهم سحّاقات عن أبی عبد اللّه علیه السّلام.

و فی البحار من تفسیر علیّ بن ابراهیم أصحاب الرسّ هم الّذین هلكوا لأنّهم استغنوا الرّجال بالرّجال و النّساء بالنّساء.

و من معانی الأخبار معنی أصحاب الرّس أنّهم نسبوا إلی نهر یقال له:

الرّس من بلاد المشرق.

و قد قیل: إنّ الرّس هو البئر و إنّ أصحابه رسّوا نبیّهم بعد سلیمان بن داود علیه السّلام و كانوا قوما یعبدون شجره صنوبره یقال لها شاه درخت كان غرسها یافث ابن نوح فانبتت لنوح علیه السّلام بعد الطوفان و كان نساؤهم یشتغلن بالنساء عن الرّجال فعذّبهم اللّه عزّ و جلّ بریح عاصف شدید الحمره و جعل الأرض من تحتهم حجر كبریت یتوقد و أظلّتهم سحابه سوداء مظلمه فانكفت علیهم كالقبّه جمره تلتهب فذابت أبدانهم كما یذوب الرّصاص فی النار.

و من العرایس للثعلبی قال: قال اللّه عزّ و جلّ «وَ عاداً وَ ثَمُودَ وَ أَصْحابَ الرَّسِّ » و قال «كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَ أَصْحابُ الرَّسِّ » اختلف أهل التفسیر و أصحاب الأقاصیص فیهم.

فقال سعید بن جبیر و الكلبی و الخلیل بن أحمد دخل كلام بعضهم فی بعض و كلّ أخبر بطائفه من حدیث: أصحاب الرّسّ بقیّه ثمود و قوم صالح و هم أصحاب البئر الّتی ذكرها اللّه تعالی فی قوله «وَ بِئْرٍ مُعَطَّلَهٍ وَ قَصْرٍ مَشِیدٍ » و كانوا بفلیج الیمامه نزولا علی تلك البئر و كلّ ركیّه لم تطو بالحجاره و الاجر فهو بئر و كان لهم نبیّ یقال له حنظله بن صفوان، و كان بأرضهم جبل یقال له فتح مصعدا فی السماء میلا، و كانت العنقاء تنتابه و هی كأعظم ما یكون من الطیر و فیها من كلّ

لون و سمّوها العنقاء لطول عنقها و كانت تكون فى ذلك الجبل تنقض على الطير تأكلها، فجاءت ذات يوم فاعوزها الطّير فانقضت على صبىّ فذهبت به، ثمّ إنها انقضت على جاريه حين ترعرعت فأخذتها فضمّتها إلى جناحين لها صغيرين سوى الجناحين الكبيرين، فشكوا إلى نبيّهم فقال: اللّهمّ خذها و اقطع نسلها و سلّط عليها آيه يذهب بها، فأصابتها صاعقه فاحترقت فلم ير لها أثر فضربتها العرب مثلا فى أشعارها و حكمها و أمثالها ثمّ إنّ أصحاب الرّس قتلوا نبيّهم فأهلكهم اللّه تعالى و قال بعض العلماء: بلغنى أنه كان رسّان.

أما أحدهما فكان أهله بدد و أصحاب غنم و مواش فبعث اللّه إليهم نبيّا فقتلوه ثمّ بعث إليهم رسولا آخر و عضده بولىّ فقتلوا الرّسول و جاهدهم الولىّ حتّى أفحمهم و كانوا يقولون إلهنا فى البحر و كانوا على شفيره و كان يخرج إليهم شيطان فى كلّ شهر خرجه فيذبحون و يتّخذونه عيدا فقال لهم الولىّ أرأيتم إن خرج إلهكم الّذى تدعونه إلىّ و أطاعنى أ تجيبوننى إلى ما دعوتكم إليه؟ فقالوا: بلى، و أعطوه على ذلك العهود و المواثيق.

فانتظر حتّى خرج ذلك الشيطان على صوره حوت راكبا أربعه أحوات و له عنق مستعليه و على رأسه مثل التاج، فلمّا نظروا إليه خرّوا له سجّدا و خرج الولىّ إليه فقال ائتنى طوعا أو كرهابسم اللّه الكريم، فنزل عند ذلك عن أحواته فقال له الولىّ ائتنى عليهنّ لئلّا يكون من القوم فى أمرى شكّ فاتى الحوت و اتين به حتّى افضين به الى البرّ يجرّونه.

فكذّبوه بعد ما رأوا ذلك و نقضوا العهد فأرسل اللّه تعالى إليهم ريحا فقذفهم فى البحر و مواشيهم جميعا و ما كانوا يملكون من ذهب و فضّه، فأتى الولىّ الصالح إلى البحر حتّى أخذ التبر و الفضّه و الأوانى فقسّم على أصحابه بالسويّه على الصّغير منهم و الكبير و انقطع هذا النسل.

و أما الاخر فهم قوم كان لهم نهر يدعى الرسّ ينسبون إليه و كان فيهم أنبياء كثيره قلّ يوم يقوم نبىّ إلّا قتل و ذلك النهر بمنقطع آذربيجان بينها و بين أرمنيّه

فاذا قطعته مدبرا دخلت فی حدّ ارمنیّه و إذا قطعته مقبلا- دخلت فی حدّ آذربیجان یعبدون النیران و کانوا یعبدون الجواری «الفذاری» فاذا تمّت لإحدیهنّ ثلاثون سنه قتلوها و استبدلوا غیرها و کان عرض نهرهم ثلاثه فراسخ، و کان یرتفع فی کلّ یوم و لیله حتّی یبلغ أنصاف الجبال الّتی حوله، و کان لا ینصب فی برّ و لا بحر إذا خرج من حدّهم یقف و یدور ثمّ یرجع إلیهم.

فبعث اللّه تعالی ثلاثین نبیّا فی شهر واحد فقتلوهم جمیعا، فبعث اللّه عزّ و جلّ نبیّا و أیّده بنصره و بعث معه ولیّا فجاهدهم فی اللّه حقّ جهاده.

فبعث اللّه تعالی إلیه میکائیل حین نابذوه و کان ذلک فی أوان وقوع الحبّ فی الزرع، و کانوا إذ ذاک أحوج ما کانوا من الماء، ففجر نهرهم فی البحر فانصبّت ما فی أسفله و أتی عیونه من فوق فسدّها و بعث إلیه خمسمائه ألف من الملائکه أعوانا له ففرّقوا ما بقی فی وسط النهر.

ثمّ أمر اللّه جبرئیل فنزل فلم یدع فی أرضهم عینا و لا نهرا إلاّ أیبسه بإذن اللّه عزّ و جلّ و أمر ملک الموت فانطلق إلی المواشی فأماتهم ربضه واحده، و أمر الریاح الأربع الجنوب و الشمال و الدّبور و الصّبا فضمت ما کان لهم من متاع و ألقی اللّه عزّ و جلّ علیهم السّبات، ثمّ حفت الریاح الأربع المتاع أجمع فنهبته فی رءوس الجبال و بطون الأودیه.

فأمّا ما کان من علی أو تبرأ أو آنیه فانّ اللّه تعالی أمر الأرض فابتلعته فأصبحوا و لا شاء عندهم و لا بقره و لا مال یعودون و لا ماء یشربونه و لا طعام یأکلونه، فامن باللّه عند ذلک قلیل منهم و هداهم إلی غار فی جبل له طریق الی خلفه فنجوا و کانوا أحدا و عشرین رجلا- و أربع نسوه و صبیّین و کان عدّه الباقین من الرّجال و النساء و الذراری ستّمأه ألف فماتوا عطشا و جوعا و لم یبق منهم باقیه.

ثمّ عاد القوم إلی منازلهم فوجدوها قد صار أعلاها أسفلها فدعا القوم عند ذلک مخلصین أن یجیهم «ینجیهم» بزرع و ماء و ماشیه و یجعله قلیلا- لئلاّ- یطغوا، فأجابهم اللّه تعالی إلی ذلک لما علم من صدق نیّاتهم و علم منهم الصّدق و آلوا أن لا یبعث رسولا ممن قاربهم إلاّ أعانوه و عضدوه، و علم اللّه منهم الصّدق فأطلق اللّه لهم نهرهم

و زادهم على ما سألوا، فأقام اولئك فى طاعه اللّه عزّ و جلّ ظاهرا و باطنا حتّى مضوا و انقرضوا.

و حدث بعدهم من نسلهم قوم أطاعوا اللّه فى الظاهر و نافقوه فى الباطن فأملى اللّه تعالى لهم و كان عليهم قادرا، ثمّ كثرت معاصيهم و خالفوا أولياء اللّه تعالى فبعث اللّه عزّ و جلّ عدوّهم ممن فارقهم و خالفهم فأسرع فيهم القتل و بقيت منهم شرذمه فسلّط اللّه عليهم الطاعون فلم يبق منهم أحدا و بقى نهرهم و منازلهم مأتى عام لا يسكنها أحد ثمّ أتى اللّه بقرن بعد ذلك فنزلوها و كانوا صالحين سنين ثمّ أحدثوا فاحشه جعل الرجل بنته و اخته و زوجته فينيلها جاره و أخاه و صديقه يلتمس بذلك البرّ و الصّله.

ثمّ ارتفعوا من ذلك إلى نوع آخر ترك الرّجال النساء حتّى شبقن و استغنوا بالرّجال فجاءت النساء شيطانهنّ فى صوره و هى الدّلهاث بنت ابليس و هى اخت الشيصاء و كانت فى بيضه واحده فشهت إلى النساء ركوب بعضهنّ بعضا و علمهنّ كيف يصنعن فأصل ركوب النساء بعضهنّ بعضا من الدّلهاث، فسلّط اللّه على ذلك القرن صاعقه فى أوّل اللّيل و خسفا فى آخر اللّيل، و صيحه مع الشمس فلم يبق منهم باقيه و بادت مساكنهم و لا احسب منازلهم اليوم تسكن.

و فى البحار من كتابى العيون و العلل عن الهمدانى عن علىّ عن أبيه عن الهروى عن الرضا عليه السّلام عن آبائه عن الحسين بن علىّ عليهم السّلام قال:

أتى علىّ بن أبى طالب عليه السّلام قبل مقتله بثلاثه أيام رجل من أشراف تميم يقال له عمرو فقال: يا أمير المؤمنين أخبرنى عن أصحاب الرّس فى أىّ عصر كانوا و أين كانت منازلهم و من كان ملكهم؟ و هل بعث اللّه عزّ و جلّ إليهم رسولا أم لا؟ و بما ذا اهلكوا؟ فانّى أجد فى كتاب اللّه تعالى ذكرهم و لا أجد خبرهم.

فقال له علىّ عليه السّلام لقد سألت عن حديث ما سألنى عنه أحد قبلك و لا يحدثك به أحد بعدى إلّا عنّى، و ما فى كتاب اللّه عزّ و جلّ آيه إلّا و أنا أعرف تفسيرها و فى أىّ مكان نزلت من سهل أو جبل و فى أىّ وقت من ليل أو نهار و إنّ ههنا لعلما جمّا -

و أشار إلى صدره - و لكن طلّابه يسير و عن قليل يندمون لو فقدونى.

كان من قصّـتهم يا أخا تميم أنهم كانوا قوما يعبدون شجره صنوبر يقال لها شاه درخت كان يافث بن نوح غرسها على شفير عين يقال لها روشاب «دوشاب» كانت انبعت لنوح عليه السّـلام بعد الطوفان، و إنما سمّوا أصحاب الرّس لأنهم رسّوا نبيّهم فى الأرض و ذلك بعد سليمان بن داود عليه السّلام.

و كانت لهم اثنتا عشره قريه على شاطىء نهر يقال له الرّس من بلاد المشرق و بهم سمّى ذلك النهر و لم يكن يومئذ فى الأرض نهر أغزر منه و لاـ أعـذب منه و لا قرى أكثر و لا أعمر منها تسـمّى إحـديهنّ أبان، و الثانيه، آذر، و الثّالثه دى، و الرّابعه بهمن، و الخامسه اسـفندار، و السادسه فروردين، و السابعه اردى بهشت، و الثامنه خرداد، و التاسـعه مرداد، و العاشـره تير، و الحادى عشره مهر، و الثانى عشره شهريور.

و كانت أعظم مداينهم اسفندار و هى الّتى ينزلها ملكهم، و كان تركوز بن غابور بن يارش بن شازن بن نمرود بن كنعان فرعون إبراهيم و بها العين و الصـنوبره و قـد غرسوا فى كلّ قريه منها حبّه من طلع تلك الصّـنوبره، و أجروا إليها نهرا من العين التى عند الصنوبره.

فنبتت الحبّه و صـارت شـجره عظيمه و حرّموا مـاء العين و الأنهار فلا يشـربون منها و لا أنعامهم، و من فعل ذلك قتلوه و يقولون هو حياه آلهتنا فلا ينبغى لأحد أن ينقص من حياتها و يشربون هم و أنعامهم من نهر الرّس الّذى عليه قراهم.

و قد جعلوا فى كلّ شـهر من السـنه فى كلّ قريه عيدا يجتمع إليه أهلها، فيضـربون على الشجره التى بها كلّه(۱) من حرير فيها من أنواع الصّور ثمّ يأتون بشاه و بقر فيذبحونهما قربانا للشـجره و يشعلون فيها النيران بالحطب فاذا سطع دخان تلك الذبائح و قتارها فى الهواء و حال بينهم و بين النظر إلى السّماء خرّوا سجّدا يبكون و يتضرّعون إليها أن ترضى عنهم.

۱- (۱) الكلّه بالكسر الستر الرقيق يخاط كالبيت يتوقّى فيه من البقّ (بحار).

فكـان الشـيطان يجىء فيحرّك أغصانهـا و يصـيح من ساقها صـياح الصّبى أن قـد رضـيت عنكم فطيبوا نفسا و قرّوا عينا فيرفعون رؤوسهم عند ذلك و يشربون الخمر و يضربون بالمعازف و يأخذون الدستبند فيكون على ذلك يومهم و ليلتهم ثمّ ينصرفون.

و انما سـمّت العجم شـهورها بأبان ماه و آذرماه و غيرهما اشـتقاقا من أسماء تلك القرى لقول أهلها بعضهم لبعض هذا عيد شهر كذا و عيد شهر كذا.

حتّى اذا كان عيد قريتهم العظمى اجتمع إليها صـغيرهم و كبيرهم فضـربوا عند الصـنوبره و العين سرادقا من ديباج عليه من أنواع الصور و جعلوا له اثنى عشر بابا كلّ باب لأهل قريه منهم و يسجدون للصنوبره خارجا من السرادق و يقرّبون لها الذّبايح أضعاف ما قرّبوا للشجره الّتى فى قراهم.

فيجىء ابليس عند ذلك فيحرّك الصنوبره تحريكا شديدا و يتكلّم من جوفها كلاما جهوريّا و يعدهم و يمنّيهم بأكثر ما وعدتهم و منتهم الشياطين كلّها فيرفعون رؤوسهم من السجود و بهم من الفرح و النشاط ما لا يفيقون و لا يتكلّمون من الشرب و العزف.

فيكونون على ذلك اثنى عشر يوما و لياليها بعدد أعيادهم ساير السّنه ثمّ ينصرفون.

فلمـا طـال كفرهم بـاللّه عزّ و جلّ و عبادتهم غيره بعث اللّه عزّ و جلّ إليهم نبيّا من بنى إسـرائيل من ولـد يهودا بن يعقوب، فلبث فيهم زمانـا طويلاـ يـدعوهم إلى عبـاده اللّه عزّ و جـلّ و معرفه ربوبيّته فلاـ يتّبعونه، فلما رأى شـدّه تماديهم فى الغىّ و الضـلال و تركهم قبول ما دعاهم إليه من الرّشد و النجاح و حضـر عيد قريتهم العظمى قال: يا ربّ إنّ عبادك أبوا إلا تكذيبى و الكفر بك و غدوا يعبدون شجره لا تنفع و لا تضرّ فأيبس شجرهم أجمع و أرهم قدرتك و سلطانك.

فأصبح القوم و قـد يبس شـجرهم كلّها فهالهم ذلك و فظع بهم و صاروا فرقتين فرقه قالت: سـحر آلهتكم هذا الرجل الّذى زعم أنه رسول ربّ السماء و الأرض إليكم ليصرف وجوهكم عن آلهتكم إلى اللّه، و فرقه قالت: لا بل غضبت آلهتكم حين

رأت هذا الرّجل يعيبها و يقع فيها و يدعوكم إلى عباده غيرها فحجبت حسنها و بهائها لكى تغضبوا لها فتنصروا منه.

فأجمع رأيهم على قتله فاتّخذوا أنابيب طوالا- من رصاص واسعه الأفواه ثمّ أرسلوها فى قرار العين إلى أعلا الماء واحده فوق الأخرى مثل البرانج «اليراع خ» و نزحوا ما فيها من الماء ثمّ حفروا فى قرارها بئرا ضيّقه المدخل عميقه و أرسلوا فيها نبيّهم و ألقموا فاها صخره عظيمه ثمّ أخرجوا الأنابيب من الماء و قالوا نرجو الان أن ترضى عنّا آلهتنا إذا رأت أنا قد قتلنا من كان يقع فيها و يصدّ عن عبادتها و دفنّاه تحت كبيرها يتشفى منه فيعود لنا نورها و نضرتها كما كان.

فبقوا عامه يومهم يسمعون أنين نبيّهم عليه السّلام و هو يقول سيدى قد ترى ضيق مكانى و شدّه كربى فارحم ضعف ركنى و قلّه حيلتى و عجّل بقبض روحى و لا تؤخّر إجابه دعوتى حتّى مات عليه السّلام.

فقال اللّه جلّ جلاله لجبرئيل: يا جبرئيل أيظنّ عبادى هؤلاء الّذين غرّهم حلمى و امنوا مكرى و عبدوا غيرى و قتلوا رسولى أن يقوموا بغضبى و يخرجوا من سلطانى كيف و أنا المنتقم ممّن عصانى و لم يخش عقابى و انى حلفت بعزّتى لأجعلنّهم عبره و نكالا للعالمين.

فلم يرعهم فى يوم عيدهم ذلك إلّا ريح عاصفه شديده الحمره فتحيّروا فيها و ذعروا منها و تضام بعضهم إلى بعض، ثمّ صارت الأرض تحتهم حجر كبريت يتوقّد و أظلّتهم سحابه سوداء فألقت عليهم كالقبّه جمرا يتلهّب «يلتهب خ» فذابت أبدانهم كما يذوب الرّصاص فى النّار، فنعوذ باللّه تعالى ذكره من غضبه و نزول نقمته و لا حول و لا قوّه إلّا باللّه العلىّ العظيم.

الترجمه

فصل دويم از اين خطبه در وصيّت بتقوى و پرهيزكاريست مى فرمايد:

وصيّت مى كنم شما را أى بندگان خدا بپرهيزكارى خداوندى كه پوشانيده

بشما لباس فاخر، و واسع گردانیده بر شما أسباب معیشت را، پس اگر احدی می یافت بسوی بقا نردبانی یا از برای دفع مرگ وسیله و راهی هر آینه بودی آن شخص سلیمان بن داود علیه السّلام که مسخّر شد از برای او پادشاهی جنّ و انسان با منصب پیغمبری و بزرگی قرب و منزلت، پس زمانی که استیفا نمود طعمه خود را و استکمال کرد مدّت عمر خود را انداخت او را کمانهای فنا بتیرهای مرگ. و گردید شهرها از وجود او خالی و مسکنها از او معطل و وارث گردید آنها را قوم دیگر، و بدرستی که مر شما را در روزگارهای سابقه هر آینه عبرتی است.

کجایند طایفه عمالقه و پسران عمالقه کجایند فراعنه و پسران فراعنه کجایند أصحاب مدینهای رسّ که کشتند پیغمبران را و خاموش کردند روشنائی طریقهای مرسلین را و زنده کردند طریقهای گردن کشان را و کجایند آن کسانی که سیر کردند با لشکرها و غلبه کردند با هزاران قشون و جمع آوردند لشکرها و بنا کردند شهرها را.

الفصل الثالث منها

اشاره

قد لبس للحکمه جنّتها، و أخذها بجمیع أدبها، من الإقبال علیها، و المعرفه بها، و التّفرّغ لها، و هی عند نفسه ضالّته الّتی یطلبها، و حاجته الّتی یسئل عنها، فهو مغترب إذا اغترب الإسلام، و ضرب بعسیب ذنبه و ألصق الأرض بجرانه، بقیّه من بقایا حجّته، خلیفه من خلائف أنبیائه. ثمّ قال علیه السّلام:

ص:۳۴۷

أيّها النّاس إنّى قد بثثت لكم المواعظ الّتى وعظ بها الأنبياء أممهم، و أدّيت إليكم ما أدّت الأوصياء إلى من بعدهم، و أدّبتكم بسوطى فلم تستقيموا، و حدوتكم بالزّواجر فلم تستوسقوا، للّه أنتم أ تتوّقعون إماما غيرى يطأ بكم الطّريق، و يرشدكم السّبيل، ألا إنّه قد أدبر من الدّنيا ما كان مقبلا، و أقبل منها ما كان مدبرا، و أزمع التّرحال عباد اللّه الأخيار، و باعوا قليلا من الدّنيا لا يبقى، بكثير من الاخره لا يفنى. ما ضرّ إخواننا الّذين سفكت دمائهم و هم بصفّين ألّا يكونوا اليوم أحياء، يسيغون الغصص، و يشربون الرّنق، قد و اللّه لقوا اللّه فوفّاهم أجورهم، و أحلّهم دار الأمن بعد خوفهم، أين إخوانى الّذين ركبوا الطّريق و مضوا على الحقّ؟ أين عمّار؟ و أين ابن التّيهان؟ و أين ذوا الشّهادتين؟ و أين نظراؤهم من إخوانهم الّذين تعاقدوا على المنيّه، و أبرد برءوسهم إلى الفجره. قال: ثمّ ضرب يده على لحيته الشريفه الكريمه فأطال البكاء ثمّ قال عليه السّلام:

أوه على إخوانى الّذين تلوا القرآن فأحكموه، و تدبّروا الفرض فأقاموه، أحيوا السّنّه، و أماتوا البدعه، دعوا للجهاد فأجابوا، و وثقوا بالقائد فاتّبعوه، ثمّ نادى بأعلى صوته: الجهاد الجهاد عباد

ص:۳۴۸

اللّه ألا و إنّى معسكر فى يومى هذا فمن أراد الرّواح إلى اللّه فليخرج. قال نوف و عقد للحسين عليه السّلام فى عشره آلاف، و لقيس بن سعد (ره) فى عشره آلاف، و لأبى أيّوب الأنصارى فى عشره آلاف، و لغيرهم على أعداد اخر و هو يريد الرّجعه إلى صفّين، فما دارت الجمعه حتّى ضربه الملعون ابن ملجم لعنه اللّه فتراجعت العساكر فكنّا كأغنام فقدت راعيها تختطفها الذئاب من كلّ مكان.

اللغه

(الجنّه) بالضم نوع من السلاح (عسيب الذّنب) قال الشارح المعتزلى أصله و قال الفيروزآبادى: العسيب عظم الذنب أو منبت الشعر منه و (جران) البعير صدره أو مقدم عنقه و (الحدا) سوق الابل و الغنا لها و (الترحال) مبالغه فى الرحله و (الغصص) جمع الغصّه و هى ما يعترض فى الحلق و (الرنق) بالفتح و التحريك الكدر من الماء، و فى بعض النسخ بالكسر و لا بأس به قال فى القاموس: رنق الماء كفرح و نصر رنقا و رنقا و رنوقا كدر فهو رنق كعدل و كتف و جبل.

و (ابن التيهان) قال الشارح بالياء المنقوطه باثنتين تحتها المشدّده المكسوره و قبلها تاء منقوطه باثنتين فوقها، و قال العلّامه المجلسى (ره): و المضبوط فى أكثر النسخ بالياء الساكنه و فتح التاء و كسرها معا، و فى القاموس و تيّهان مشدّده الياء و يكسر و تيهان بالسكون.

و (اوه) على إخوانى بسكون الواو و كسر الهاء كلمه توجّع و فيها لغات اخر قال فى القاموس: اوه كجير و حيث و أين واه و إوه بكسر الهاء و الواو المشدّده واو بحذف الهاء و اوّه بفتح الواو المشدّده و اووه بضمّ الواو واه بكسر الهاء منوّنه

واو بكسر الواو منوّنه و غير منوّنه و أوتاه بفتح الهمزه و الواو و المثنّاه الفوقيّه و اوياه بتشديد المثناه التحتيه كلمه يقال عند الشكايه أو التوجّع اه اوها واه تاوها و تاوّه قالها(۱).

و (تختطفها) من الاختطاف و هو أخذ الشيء بسرعه و فى بعض النسخ تتخطفها

الاعراب

قوله: بقيّه خبر لمبتدأ محذوف، و قوله: للّه أنتم، قد مضى تحقيق الكلام فيه فى شرح المختار المأه و التاسع و السبعين، و ما فى قوله ما ضرّ إخواننا، نافيه و يحتمل الاستفهام على سبيل الانكار، و اخواننا بالنصب مفعول ضرّ و فاعله ألّا يكونوا و جمله يسيغون فى محلّ النّصب صفه للاحياء، و الجهاد الجهاد بالنصب على الاغراء

المعنى

اعلم أنّ السيّد (ره) قد سلك فى هذا الفصل من الخطبه مسلك الالتقاط و أسقط صدر الكلام فالتبس الأمر فى قوله:(قد لبس للحكمه جنّتها) حيث اشتبه المرجع لفاعل لبس و لم يدر أنّ الموصوف بتلك الجمله و ما يتلوها من هو، فمن ذلك فسّره كلّ على زعمه و اعتقاده.

قال العلّامه المجلسيّ (ره) إنّه إشاره إلى القائم عليه السّلام و نقله الشارح المعتزلى عن الشيعه الاماميّه.

و قال الصّوفيّه إنه عليه السّلام يعنى به ولىّ اللّه فى الأرض و عندهم لا يخلو الدّنيا من الأبدال و الأولياء.

و قالت الفلاسفه: إنّ مراده عليه السّلام به العارف.

و قالت المعتزله: انه يريد به العالم بالعدل و التوحيد و زعموا أنّ اللّه لا يخلى الامه من جماعه من المؤمنين العلماء بالتوحيد و العدل و انّ الاجماع إنما يكون

۱- (۱) أى قال آوه منه ().

حجّه باعتبار قول أولئك، لكنه لما تعذّرت معرفتهم بأعيانهم اعتبر اجماع الجميع و انما الأصل قول أولئك.

قال الشّارح المعتزلى بعد نقل هذه الأقوال: و ليس يبعد أن يريد عليه السّلام به القائم من آل محمّد صلّى اللّه عليه و آله و سلّم فى آخر الوقت إذا خلقه اللّه تعالى و إن لم يكن الان موجودا، فليس فى الكلام ما يدلّ على وجوده الان، و قد وقع اتّفاق الفرق من المسلمين أجمعين على أنّ الدّنيا و التكليف لا ينقضى إلّا عليه، انتهى.

أقول: أما ما ذكره من كون المراد به القائم عليه السّلام فهو كما ذكره غير بعيد لظهور اتّصافه عليه السّلام بهذه الأوصاف و كونه مظهرا لها، و أما ما زعمه كساير المعتزله من أنّه عليه السّلام غير موجود الان و انما يخلقه اللّه فى آخر الزمان فهو زعم فاسد و وهم باطل، لقيام البراهين العقليه و النقليه على أنّ الأرض لو تبقى بغير حجّه لانخسفت و ساخت، و على أنّه لا بد من وجوده فى كلّ عصر و زمان، و أنه إما ظاهر مشهور أو غايب مستور، و أنّ القائم من آل محمّد صلّى اللّه عليه و آله مخلوق من غابر الزمان و موجود الان و هو غايب مستور لمصالح مقتضيه لغيبته و الانتفاع بوجوده الشريف حال الغيبه كالانتفاع بالشمس المجلّله للعالم المحجوبه بالسحاب.

و بعد قيام الأدلّه المحكمه على ذلك كلّه فلا يعبأ بالاستبعادات الوهميه للمنكرين، و الاستدلالات السخيفه الهيّنه للمبطلين على ما اشير اليها فى كتب أصحابنا الاماميّه المؤلّفه فى الغيبه مع أجوبتها المتقنه، و قد مضى طرف من الكلام على هذا المرام فى شرح الفصل الأوّل من المختار المأه و الثّامن و الثّلاثين فليراجع ثمه، هذا.

و الحكمه اسم لمجامع الخير كلّه قال أبو البقاهى فى عرف العلماء استعمال النفس الانسانيه باقتباس العلوم النظريّه و اكتساب الملكه التامّه على الأفعال الفاضله قدر طاقتها.

و قال بعضهم: هى معرفه الحقائق على ما هى عليه بقدر الاستطاعه و هى العلم النافع المعبّر عنها بمعرفه ما لها و معرفه ما عليها.

ص:٣٥١

و قال ابن دريد: كلّ ما يؤدّى إلى ما يلزمه أو يمنع من قبيح، و قيل: ما يتضمّن صلاح النّشأتين.

و قال فى البحار: العلوم الحقّه النافعه مع العمل بمقتضاها، قال: و قد يطلق على العلوم الفايضه من جنابه تعالى على العبد بعد العمل بما علم.

أقول: و المعانى متقاربه و اليها يرجع تفاسيره المختلفه، فقد يفسّر بأنه معرفه اللّه و طاعته، و قد يفسّر بأنه العلم الذى يرفع الانسان عن فعل القبيح، و فسّر فى قوله تعالى «بِالْحِكْمَهِ وَ الْمَوْعِظَهِ الْحَسَنَهِ » بالنبوّه و فى قوله: «وَ يُعَلِّمُهُ الْكِتابَ وَ الْحِكْمَهَ » بالفقه و المعرفه، و فى قوله: «وَ يُعَلِّمُهُمُ الْكِتابَ وَ الْحِكْمَهَ » بالقرآن و الشريعه، و فى قوله: «يُؤْتِى الْحِكْمَهَ مَنْ يَشاءُ وَ مَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَهَ فَقَدْ أُوتِىَ خَيْراً كَثِيراً وَ ما يَذَّكَّرُ إِلاّ أُولُوا الْأَلْبابِ » بتحقيق العلم و إتقان العمل و فى الصافى من الكافى و تفسير العياشى عن الصّادق عليه السّلام فى تفسير هذه الايه قال: طاعه اللّه و معرفه الامام.

و عنه عليه السّلام معرفه الامام و اجتناب الكبائر التى أوجب اللّه عليها النار.

و عن العياشى عنه عليه السّلام: الحكمه المعرفه و الفقه فى الدّين و من فقه منكم فهو حكيم.

و عن مصباح الشريعه عنه عليه السّلام الحكمه ضياء المعرفه و ميراث التقوى و ثمره الصدق و لو قلت ما أنعم اللّه على عباده بنعمه أنعم و أعظم و أرفع و أجزل و أبهى من الحكمه لقلت، قال اللّه «يُؤْتِى الْحِكْمَهَ مَنْ يَشاءُ وَ مَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَهَ فَقَدْ أُوتِىَ خَيْراً كَثِيراً وَ ما يَذَّكَّرُ إِلاّ أُولُوا الْأَلْبابِ » أى لا يعلم ما أودعت و هيأت فى الحكمه إلاّ من استخلصته لنفسى و خصصته بها و الحكمه هى الكتاب و صفه الحكيم الثبات عند أوائل الأمور و الوقوف عند عواقبها و هو هادى خلق اللّه إلى اللّه.

و عن الخصال عن النبىّ صلّى اللّه عليه و آله رأس الحكمه مخافه اللّه.

و عنه و عن الكافى عنه صلّى اللّه عليه و آله أنه كان ذات يوم فى بعض أسفاره اذ لقاه ركب فقالوا: السّلام عليك يا رسول اللّه، فالتفت إليهم و قال: ما أنتم؟ فقالوا: مؤمنون،

قال: فما حقيقه ايمانكم؟ قالوا: الرّضا بقضاء اللّه و التسليم لأمر اللّه و التفويض إلى اللّه، فقال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله: علماء حكماء كادوا أن يكونوا من الحكمه أنبياء فان كنتم صادقين فلا تبنوا ما لا تسكنون، و لا تجمعوا ما لا تأكلون، و اتّقوا اللّه الّذى إليه ترجعون.

إذا عرفت ذلك فأقول:قوله:قد لبس للحكمه جنّتهاالظاهر أنه أراد بجنّه الحكمه مخافه اللّه كما أنّ النبىّ جعلها رأسها فى روايه الخصال المتقدّمه، فاستعار لفظ الجنّه لها باعتبار أنّ مخافته سبحانه و وجود وصف التّقوى الموجب لقمع النفس عن الشهوات و قلعها عن العلايق و الامنيات مانع عن كون الحكمه غرضا عن الهام الهوى و عن وقوع الحكيم فى الهلاكه و الرّدى، كما أنّ الجنّه و هو ما يستتر به السّلاح كالدّرع و نحوه مانعه للابسها عن اصابه سهام الأعداء.

فيكون محصّل المعنى أنّ ذلك الحكيم قد اتّصف بمخافه اللّه سبحانه و خشيته التى هى بمنزله الجنّه للحكمه لأجل حفظ حكمته و كونها وقايه لها عما يصادمها كما أنّ الجنّه تحفظ الانسان عن صدمات الأعداء.

و بما ذكرنا يظهر ما فى كلام الشارح البحرانى، فانّه قال: لفظ الجنّه مستعار فى الاستعداد للحكمه بالزهد و العباده الحقيقين و المواظبه على العمل بأوامر اللّه، و وجه الاستعاره أنّ بذلك الاستعداد يأمن إصابه سهام الهوى و ثوران دواعى الشهوات القائده إلى النار كما يأمن لابس الجنّه من أذى الضرب و الجرح، انتهى فانّ مفاده كما ترى هو أنّ لفظ الجنّه مستعار للاستعداد الحاصل من الزهد و العباده و المواظبه على التكاليف الشرعيّه.

فيتوجّه عليه حينئذ أوّلا أنّ الاستعداد المذكور لا يكون جنّه للحكمه على ما ذكره، إنّما يكون جنّه للانسان من الوقوع فى النار، و ظاهر كلام الامام يفيد تلبسه بجنّه الحكمه لأجل الحكمه لا لأجل نفسه.

و ثانيا أنّ الاستعداد و التهيّوء للشىء قبل وجود الشىء، فلو جعل الجنّه استعاره للاستعداد للحكمه لكان مفاد كلامه عليه السّلام عدم اتّصاف الرّجل الموصوف

بالحكمه فعلا.

و بعباره اخرى يدلّ على تلبسه و اتّصافه بالاستعداد فقط لا بالحكمه نفسها مع أنّ الغرض من الكلام الوارد فى مقام المدح إفاده اتّصافه بها و كونها حاصلا له بالفعل لا بالقوّه، إذ كمال المدح إنما هو فى ذلك.

و يدلّ على ذلك أيضا أى على الاتّصاف بالفعل صريح قوله (و أخذها بجميع أدبها) أى أخذ الحكمه على وجه الكمال و قام بادابها (من الاقبال عليها و المعرفه بها و التفرّغ لها) يعنى أنّه لما علم أنه لا خصله أعظم و أشرف و أرفع و أبهى من الحكمه و عرف أنه من يؤتها فقد أوتى خيرا كثيرا أقبل الكلّيه عليها و قصر همّته و نهمته فيها و عرف شرفها و قدرها و نفاستها و تفرّغ لها و تخلّى عن جميع العلايق الدنيويه التى تضادّها و تنحّى عن كلّ ما سواها.

(فهى عند نفسه ضالّته الّتى يطلبها و حاجته الّتى يسأل عنها) ذلك مثل قوله عليه السّلام فى أواخر الكتاب:الحكمه ضالّه المؤمن.

فان قلت: قولهيطلبهاويسأل عنهاصريحان فى عدم حصولها له فعلا فينافى ما استظهرت آنفا من كلامه عليه السّلام السابق.

قلت: لا منافاه بينهما لأنه عليه السّلام استعار لها لفظ الضالّه و جمله يطلبها وصف للمستعار منه لا للمستعار له، إذ من شأن الضلاله أن تطلب فهى استعاره مرشّحه لا استعاره مجرّده، و الجامع شدّه الشوق و فرط الرغبه و المحبّه لا الطلب كما زعمه الشارح البحرانى حيث قال استعار لها لفظ الضالّه لمكان انشاده لها و طلبه كما تطلب الضالّه من الابل، نعم قوله عليه السّلام:يسأل عنهاظهوره فيما أفاده الشارح، لكن تأويله على وجه يوافق ما ذكرناه سهل فتأمل، هذا.

و لا يخفى عليك أنّ جعل الكلام من باب الاستعاره إنّما هو جريا على مذاق الشارح البحرانى، و إلاّ فقد علمت فى ديباجه الشرح أنه من باب التشبيه البليغ حيث ذكر المشبّه و المشبّه به و حذف الأداه فيكون الوصف بالطلب ترشيحا للتشبيه لا للاستعاره.

ص:۳۵۴

(فهو مغترب) یعنی هذا الشخص یخفی نفسه و یختار العزله، و هو إشاره إلی غیبه القائم علیه السّلام (إذا اغترب الاسلام) أی إذا ظهر الجور و الفساد و صار الاسلام غریبا ضعیفا بسبب اغتراب الصلاح و السداد کما قال رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله: بدء الاسلام غریبا و سیعود غریبا کما بدء.

ثمّ شبّه الاسلام بالبعیر البارک فی قلّه النفع و الضعف علی سبیل الاستعاره بالکنایه فأثبت له لوازم المشبّه به و قال:(و ضرب بعسیب ذنبه)لأنّ البعیر إذا أعیی و تأذّی ضرب بذنبه(و ألصق الأرض بجرانه)أی مقدّم عنقه فلا یکون له تصرّف و لا نهوض، و قلّ أن یکون له نفع حال بروکه، هذا.

و لما وصفه علیه السّلام بلبسه لجنّه الحکمه و ایثاره العزله و الغیبه عرّفه بأنه (بقیّه من بقایا حجّته) علی عباده و (خلیفه من خلائف أنبیائه) فی بلاده، و هذان الوصفان یقویان الظنّ بکون نظره علیه السّلام بما أورده فی هذا الفصل إلی القائم المنتظر علیه السّلام و آبائه الطاهرین علیهم السّلام.

قال الشارح المعتزلی: فان قلت: ألیس لفظ الحجّه و الخلیفه مشعرا بما یقوله الامامیّه أی کون المراد بها الامام القائم علیه السّلام.

قلت: لا لأنّ أهل التصوّف یسمّون صاحبهم حجّه و خلیفه و کذلک الفلاسفه و أصحابنا لا یمتنعون من إطلاق هذه الألفاظ علی العلماء المؤمنین فی کلّ عصر لأنّهم حجج اللّه أی إجماعهم حجّه و قد استخلفهم اللّه فی أرضه لیحکموا بحکمه.

أقول: فیه أوّلا منع صحّه اطلاق حجّه اللّه و خلیفته علی غیر الأنبیاء و الأوصیاء إذ العصمه منحصره فیهم فیختصّ الحجیّه و الخلافه بهم لمکان العصمه الّتی فیهم، و أما غیرهم فلیس بمعصوم بالاتّفاق فلا یکون قوله و فعله حجّه، و حجّیه إجماع العلماء أیضا باعتبار دخول قول المعصوم فی جمله أقوالهم لا من حیث إنّ کلّا من العلماء من حیث إنّه عالم قوله حجّه.

ص:۳۵۵

و ثانیا علی فرض التنزّل و التسلیم لصحّه اطلاقه علی غیرهم انّ أمیر المؤمنین علیه السّلام لیس بمعتزلی المذهب و لا صوفی المذاق و لا فلسفی المسلک، فلا یحمل لفظ الحجّه و الخلیفه فی کلامه علیه السّلام علی اصطلاحاتهم و إنما یحمل علی المعنی الغالب إرادته من هذه اللفظه فی کلماتهم علیهم السّلام، و غیر خفیّ علی المتتبع بأحادیثهم و کثیر الانس بأخبارهم أنّهم کثیرا ما یطلقون لفظ الحجج و یریدون به الأئمه الاثنی عشر، و قد یطلقونه و یریدن به سایر المعصومین من الأنبیاء و الأوصیاء و یطلقون لفظ الحجّه أیضا احیانا بالقراین علی العقل و القرآن، و لم نر إلی الان أن یطلق هذا اللفظ فی کلامهم علی العارف أو العالم غیر المعصوم أو أحد الأبدال المصطلح فی لسان الفلاسفه و المعتزله و المتصوّفه.

و علی ذلک فحیث ما اطلق لفظ حجّه اللّه فی کلامهم خالیا عن القراین فلا بدّ من حمله علی المعنی الکثیر الدوران فی ألسنتهم و هو الامام، لأنّ الظنّ یلحق الشیء بالأعمّ الأغلب.

و من هذا کلّه ظهر ما فی کلام الشارح البحرانی أیضا فانّه بعد ما جعل قوله علیه السّلام قد لبس للحکمه جنّتها إشاره إلی العارف مطلقا و نفی ظهور کونه إشاره إلی الامام المنتظر علیه السّلام قال فی شرح هذا المقام: قوله: بقیّه من بقایا حججه، أی علی خلقه إذ العلماء و العارفون حجج اللّه فی الأرض علی عباده، و ظاهر کونه خلیفه من خلفاء أنبیائه لقوله صلّی اللّه علیه و آله العلماء ورثه الأنبیاء، انتهی.

و یرد علیه مضافا إلی ما مرّ أنّ استدلاله علی خلافه العلماء و العرفاء بقوله:

العلماء ورثه الأنبیاء و استظهاره من ذلک کون المراد بالخلیفه فی کلام أمیر المؤمنین علیه السّلام هؤلاء لا وجه له.

أمّا أوّلا فلأنّ الدّلیل أخصّ من الدّعوی لافادته وراثه العلماء فقط دون العرفاء مع أنّ المدّعی أعمّ.

و ثانیا إنّ قوله علیه السّلام العلماء ورثه الأنبیاء لم یرد به الوراثه الحقیقیه قطعا و إنما هو من باب التشبیه و المجاز یعنی أنّ علومهم انتقل إلیهم کما أنّ أموال المورث ینتقل

إلى الوارث فكانوا بمنزله الورثه.

و على ذلك فأقول:إنّ وراثه العلماء للأنبياء و خلافتهم عنهم على سبيل المجاز و الاستعاره، و وراثه الامام المنتظر عليه السّلام و خلافته على سبيل الحقيقه، فلا بدّ من حمل لفظ الخليفه فى كلامه عليه السّلام عليه لا على العالم، لأنّ اللّفظ إذا دار بين أن يراد منه معناه الحقيقى و معناه المجازى فالأصل الحقيقه كما برهن فى علم الاصول.

(ثمّ) أخذ عليه السّلام فى نصح المخاطبين و موعظتهم و تذكيرهم و توبيخهم و (قال عليه السّلام أيّها النّاس إنّى قد بثثت) أى نشرت و فرّقت (لكم المواعظ الّتى وعظ بها الأنبياء أممهم) و هى المواعظ الجاذبه لهم إلى اللّه و معرفته و طاعته و القائده إلى النهج القويم و الصّراط المستقيم (و أدّيت إليكم ما أدّت الأوصياء إلى من بعدهم) من الأسرار الالهيّه و التكاليف الشرعيّه.

قال الشارح المعتزلى: و الأوصياء الذين يأتمنهم الأنبياء على الأسرار الالهيّه و قد يمكن أن لا يكونوا خلفاء بمعنى الاماره و الولايه، فانّ مرتبتهم أعلى من مراتب الخلفاء، انتهى.

أقول: غرض الشارح من هذا الكلام اصلاح مذهبه الفاسد، فانّ كلامه عليه السّلام لما كان ظاهرا فى وصايته المساوقه للخلافه و الولايه كما هو مذهب الشيعه الاماميّه أراد الشارح صرفه عن ظاهره و أوّله بما يوافق مذهب الاعتزال.

و محصّل تأويله أنّ الوصايه عباره عن الائتمان على الأسرار الالهيّه و هو غير ملازم للخلافه و الولايه، فلا يكون فى الكلام دلاله على خلافته عليه السّلام و كونه أولى بالتصرّف، و انما يدلّ على كونه وصيّا مؤتمنا على الأسرار فقط.

و فيه أوّلا ـ أنّ النبيّ صلّى اللّه عليه و آله إذا ائتمن الوصيّ على الأسرار و الأحكام و علّمه إيّاها، فإمّا أن يكون غرضه من ذلك أداء وصيّه تلك الأسرار و الأحكام إلى أمّته و إبلاغها اليهم.

أو يكون غرضه منه كونه فقط عالما بها و مكلّفا فى نفسه على العمل بتلك

الأحكام و القيام بوظايف هذه الأسرار من دون أن يكون مأذونا فى الأداء إليهم.

و ظاهر كلامه عليه السّلام بل صريحه كون وصايته على الوجه الأوّل و إلّا لما جاز أن يؤدّى ما أوصى به إلى المكلّفين فحيث أدّاه إليهم علم منه كونه مأذونا فى الأداء و مكلّفا به، و حيث كان مكلّفا به وجب عليهم اطاعته و إلّا لكان الأداء عبثا، و لا ريب أنّ الوصىّ بهذا المعنى أى المؤتمن على الأسرار و الأحكام و المكلّف على أدائها إلى الأمه و الواجب على الامه قبول قوله و طاعته ملازم بل مرادف للخليفه و الأمير و الولىّ.

نعم الوصايه على الوجه الثانى غير ملازم للخلافه و الولايه إلّا أنّه غير مراد فى كلامه عليه السّلام قطعا لما ذكرنا.

و ثانيا أنّ ما ذكره من أنّ الوصىّ أعلى مرتبه من الخليفه أى الأمير و الولىّ فغير مفهوم المراد.

لأنه إن أراد بالخلافه و الأماره و الولايه المعنى الّذى يقول به الشيعه و يصفون أئمّتهم به أعنى النيابه عن الرّسول صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و السلطنه الالهيّه و الأولويه بالتصرّف فلا نسلّم أنّ الوصايه و هى الائتمان بالاسرار أعلى رتبه منها بل الأمر بالعكس، لأنّ الوصايه بالمعنى المذكور من شئونات الولايه المطلقه، و الأولياء مضافا إلى كونهم مؤتمنين على الأسرار أولو الأمر و النّهى و أولى بالتصرّف فى أموال المؤمنين و أنفسهم.

و إن أراد بها المعنى اللّغوى أعنى الاماره على السرايا مثلا و الولايه أى كونه واليا على قوم أو بلد و نحوه فكون رتبه الوصايه أعلى من ذلك مسلّم و غنى عن البيان لأنّ الاطلاع و الائتمان على الأسرار الالهيّه لا نسبه لهما قطعا إلى أمّاره جيش و ولايه قوم إلّا أنّ الاماميّه حيث يطلقون هذه الألفاظ فى مقام وصف الأئمه عليهم السّلام لا يريدون بها تلك المعانى قطعا، فلا داعى إلى ما تكلّفه الشارح و لا حاجه إليه فافهم جيّدا، هذا.

و قد مضى فى شرح الفصل الخامس من المختار الثانى عند شرح قوله عليه السّلام:

و لهم خصايص حقّ الولايه و فيهم الوصيّه و الوراثه، ما له مزيد نفع فى هذا المقام فليراجع ثمّه.

ص:۳۵۸

و قوله(و أدّبتكم بسوطى)الظاهر أنّه كنايه عن تأديبه لهم بالأقوال الغير اللينه (فلم تستقيموا) على نهج الحقّ (و حدوتكم بالزّواجر) أى بالنواهى و الابعادات (فلم تستوسقوا) أى لم تجتمعوا على التمكين و الطاعه (للّه أنتم) أى تعجّبا منكم (أ تتوقّعون إماما غيرى) استفهام على سبيل التقرير لغرض التقريع أو على سبيل الانكار و التوبيخ.

فان قلت: إنّ الاستفهام الّذى هو للانكار التوبيخى يقتضى أن يكون ما بعده واقعا مع أنهم لم يكونوا متوقّعين لامام غيره إذ قد علموا أنه لا إمام وراه.

قلت: نعم انهم كانوا عالمين بذلك إلاّ أنهم لما لم يقوموا بمقتضى علمهم و لم يمحضوا الطاعه له عليه السّلام نزّلهم منزله الجاهل المتوقّع لامام آخر، فأنكر ذلك عليهم و لامهم عليه.

و قوله عليه السّلام (يطا بكم الطريق) أى يذهب بكم فى طريق النجاه (و يرشدكم السبيل) أى يهديكم إلى مستقيم الصّراط (ألا إنّه قد أدبر من الدّنيا ما كان مقبلا) و هو الصّلاح و الرشاد الذى كان فى أيام رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم أو فى أيّام خلافته عليه السّلام فيكون إشاره إلى قرب ارتحاله من دار الفناء (و أقبل منها ما كان مدبرا) و هو الضلال و الفساد الّذى حصل باستيلاء معاويه على البلاد (و أزمع الترحال) أى عزم على الرحله إلى دار القرار (عباد اللّه الأخيار و باعوا) أى استبدلوا (قليلا من الدّنيا لا يبقى بكثير من الاخره لا يفنى).

لا يخفى ما فى هذه العباره من اللّطافه و حسن التعبير فى التنفير عن الدّنيا و الترغيب إلى الأخرى، حيث وصف الاولى مع قلّتها بالفناء، و وصف الثانيه مع كثرتها بالبقاء و معلوم أنّ العقلاء لا يرضون الأولى بالثانيه بدلا.

و أكّد هذا المعنى بقوله (ما ضرّ إخواننا) المؤمنين (الّذين سفكت دماؤهم بصفّين ألاّ يكونوا اليوم أحياء) مثل حياتنا (يسيغون الغصص) و يتجرّعون الهموم من توارد الالام (و يشربون الرنق) أى الكدر من كثره مشاهده المنكرات.

و لما نفى تضرّرهم بعدم الحياه نبّه على ما حصل لهم من عظيم المنفعه بالممات

ص:٣٥٩

فقـال و ل (قـد و اللّه لقوا اللّه فوفّـاهم اجورهم) بغير حسـاب (و أحلّهم فى دار الأمن) مفتّحه لهم الأبواب (بعـد خوفهم) من سوء المال و فتن أهل الضلال.

ثمّ اسـتفهم توجّعا و تحسّرا عن السّلف الصالحين و قال (أين إخوانى الّذين ركبوا الطريق) أى جادّه الشريعه (و مضوا على الحقّ) أى المعرفه و الولايه.

ثمّ اسـتفهم عن بعض من مضـى بعينه و سـمّاه بخصوصه لكونه من أعيـان الصـحابه و أكـابرهم فقال (أين عمار) و هو ابن ياسـر المعروف و أبوه عربىّ قحطـانىّ و امّه أمه لأبى حـذيفه بن المغيره المخزومى ولـدت عمـارا فـاعتقه أبو حـذيفه فمن هناك كان عمّار مولى لبنى مخزوم.

قال الشارح المعتزلى: و للحلف و الولاء الّـذين بين بنى مخزوم و بين عمّار و أبيه ياسـر كان اجتماع بنى مخزوم على عثمان حين نـال من عمـار غلمـان عثمـان مـا نـالوا من الضـرب حتّى انفتق له فتق فى بطنه زعموا و كسـروا ضـلعا من أضـلاعه، فاجتمعت بنو مخزوم فقالوا: و اللّه لئن مات لا قتلنا به أحدا غير عثمان.

قـال أبو عمرو بن عبـد البرّ: كـان عمّار بن ياسـر ممّن عـذّب فى اللّه ثمّ أعطاهم ما أرادوا بلسانه مع اطمينان قلبه فنزل فيه «إِلاّ مَنْ أُكْرِهَ وَ قَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمانِ » و هـذا مما أجمع عليه أهل التفسـير و هاجر إلى أرض الحبشه و صـلّى القبلتين و هو من المهاجرين الأوّلين و شهد بدرا و المشاهد كلّها و أبلى بلاء حسنا ثمّ شهد اليمامه فأبلى فيها أيضا و يومئذ قطعت أذنه.

و قـال ابن عبّـاس فى قوله تعالى «أَ وَ مَنْ كانَ مَيْتاً فَأَحْيَيْناهُ وَ جَعَلْنا لَهُ نُوراً يَمْشِي بِهِ فِي النّاسِ » أنه عمار بن ياسـر «كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُماتِ لَيْسَ بِخارِجٍ مِنْها » أبو جهل ابن هشام.

و روى أبو عمرو عن عايشه أنها قالت: ما من أحد من أصـحاب رسول اللّه صـلّى اللّه عليه و آله أشاء أن أقول فيه لقلت إلاّ عمّار بن ياسر، فإنّى سمعت رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم يقول: إنّه ملىء إيمانا إلى أخمص قدميه.

قال أبو عمرو و من حديث خالد بن الوليد أنّ رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم قال: من أبغض

عمارا أبغضه اللّه.

قال: و من حديث علىّ بن ابى طالب عليه السّلام إنّ عمارا جاء يستأذن رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم يوما فعرف صوته فقال: مرحبا بالطيّب المطيّب، يعنى عمّارا.

قال: و من حديث أنس عن النّبىّ صلّى اللّه عليه و آله اشتاقت الجنّه إلى أربعه: علىّ عليه السّلام و عمّار، و سلمان، و بلال.

قال أبو عمرو: و فضايل عمّار كثير يطول ذكرها.

أقول: و قد مضى جمله من فضائله و مجاهداته بصفيّن و كيفيّه شهادته رضى اللّه تعالى عنه هنالك فى تذييل المختار الخامس و السّتّين و كان سنّه يوم قتل نيفا و تسعين.

(و أين ابن التيهان) و اسمه مالك و اسم أبيه مالك ايضا، و قال أبو نعيم:

أبو الهيثم بن التيهان اسمه مالك و اسم التيهان عمرو بن الحارث كان «رض» أحد النقباء ليله العقبه و شهد بدرا و الأكثر على أنه أدرك صفّين مع أمير المؤمنين عليه السّلام و قتل بها، و قيل: توفّى فى حياه رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله، قال أبو عمرو: و هذا القول لم يتابع عليه قائله، و قيل: توفّى سنه عشرين أو إحدى و عشرين.

(و أين ذو الشهادتين) و هو خزيمه بن ثابت الأنصارى يكنّى أبا عماره شهد بدرا و ما بعدها من المشاهد و شهد صفين مع علىّ عليه السّلام فلما قتل عمّار بن ياسر قاتل «ره» حتّى قتل حسبما عرفته فى تذييل المختار الخامس و السّتين.

و انما لقّب بذو الشهادتين لما رواه الصدوق فى الفقيه بسنده عن عبد اللّه بن أحمد الذّهلى قال: حدّثنا عماره بن خزيمه بن ثابت أنّ عمّه حدّثه و هو من أصحاب النبىّ صلّى اللّه عليه و آله أنّ النبىّ صلّى اللّه عليه و آله ابتاع فرسا من أعرابىّ فأسرع النبىّ صلّى اللّه عليه و آله و سلّم المشى ليقضيه ثمن فرسه فأبطأ الأعرابى، فطفق رجال يعترضون الأعرابى فيساومونه بالفرس و هم لا يشعرون أنّ النبىّ عليه السّلام ابتاعه، حتّى زاد بعضهم الأعرابى فى السّوم على الثمن فنادى الأعرابى فقال: إن كنت مبتاعا لهذا الفرس فابتعه و إلّا بعته، فقام النّبىّ صلّى اللّه عليه و آله حين سمع الأعرابى فقال: أو ليس قد ابتعته منك، فطفق الناس يلوذون بالنبىّ صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و بالأعرابى و هما يتشاجران، فقال الأعرابى: هلمّ شهيدا يشهد أنّى قد بايعتك، و من جاء من المسلمين قال للاعرابى إنّ النبىّ صلّى اللّه عليه و آله و سلّم لم يكن ليقول إلّا حقّا حتّى

جاء خزیمه بن ثابت فاستمع لمراجعه النبیّ صلّی اللّه علیه و آله و سلّم و الأعرابی فقال خزیمه إنّی أشهد أنک قد بایعته، فأقبل النّبیّ صلّی اللّه علیه و آله علی خزیمه فقال: بم تشهد؟ قال: بتصدیقک یا رسول اللّه فجعل النبیّ صلّی اللّه علیه و آله و سلّم شهاده خزیمه بن ثابت شهادتین و سمّاه ذو الشهادتین و روی هذه القصّه فی الکافی بنحو آخر عن علیّ بن إبراهیم عن محمّد بن عیسی عن معاویه بن وهب قال: کان البلاط حیث یصلّی علی الجنائز سوقا علی عهد رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم یسمّی البطحاء یباع فیها الحلیب و السّمن و الأقط و أنّ أعرابیا أتی بفرس له فأوثقه فاشتراه منه رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله، ثمّ دخل لیأتیه بالثمن فقام ناس من المنافقین فقالوا: بکم بعت فرسک؟ قال: بکذا و کذا، قالوا: بئس ما بعت، فرسک خیر من ذلک و أنّ رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم خرج إلیه بالثمن وافیا طیّبا، فقال الأعرابی: ما بعتک و اللّه، فقال رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله: سبحان اللّه بلی و اللّه لقد بعتنی، و ارتفعت الأصوات فقال الناس: رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله یقاول الأعرابی، فاجتمع ناس کثیر فقال أبو عبد اللّه(۱) و مع النبیّ صلّی اللّه علیه و آله و سلّم إذ أقبل خزیمه بن ثابت الأنصاری ففرج الناس بیده حتّی انتهی إلی النبیّ صلّی اللّه علیه و آله فقال: اشهد یا رسول اللّه لقد اشتریته منه، فقال الأعرابی: أتشهد و لم تحضرنا، و قال له النبیّ صلّی اللّه علیه و آله و سلّم: أشهدتنا؟ فقال له: لا یا رسول اللّه و لکنّی علمت أنّک قد اشتریت أ فاصدّقک بما جئت به من عند اللّه و لا اصدّقک علی هذا الأعرابی الخبیث؟! قال: فعجب له رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم فقال له: یا خزیمه شهادتک شهاده رجلین.

(و أین نظراؤهم) و أشباههم (من إخوانهم الّذین تعاقدوا) و تعاهدوا (علی المنیّه) و جدّوا فی المقاتله حتّی قتلوا بصفّین کابن بدیل و هاشم بن عتبه و غیرهما ممّن تقدّم ذکره فی تذییل المختار الخامس و الستّین (و أبرد برءوسهم إلی الفجره) أی ارسلت رؤوسهم مع البرید للبشاره بها إلی الفسقه الطغام من أمراء الشام.

ص:۳۶۲

۱- (۱) هکذا فی نسخه الکافی و الظاهر انه وقع فیه تحریف و سقط لا بدّ من الرجوع الی نسخه صحیحه إن ساعدنا التوفیق إنشاء اللّه تعالی «منه ره».أقول: فی الکافی المطبوع أخیرا ص ۴۰۰ و ۴۰۱ ج ۷ الحدیث هکذا: فقال أبو عبد اللّه (علیه السلام) و مع النبی «صلّی اللّه علیه و آله» أصحابه «إلخ» و زاد فی أوله: عن یونس، بعد قوله: عن محمد بن عیسی، و ذکر فی آخره: و قال، بدل قوله: فقال له. و فی الوافی قال: کا علی عن العبیدی عن یونس عن ابن وهب، ثمّ ذکر الحدیث. «المصحّح»

(قال) الرّاوی (ثمّ ضرب علیه السّلام یده إلی لحیته فأطال البکاء) من تقلّب الزمان و فقد الاخوان و تراکم الهموم و الأحزان (ثمّ قال) توجّعا و تحسّرا.

(اوه علی إخوانی الّذین تلوا القرآن فأحکموه) أی أحسنوا تلاوته و مبانیه و فهموا مقاصده و معانیه و عملوا بمقتضاه و مؤدّاه (و تدبّروا الفرض فأقاموه) أی تفکروا فی علل الواجبات و أسرار العبادات فواظبوا علیها و قاموا بوظایفها تحصیلا للغرض الأقصی منها و هو الزلفی إلی اللّه و القربی إلی رضوان اللّه الّذی هو أشرف اللّذات و أعلی الدرجات و (أحیوا السّنّه) یحتمل أن یکون المراد بها المستحبّات فیکون ذکرها بعد القرآن و الفرض نظیر ما روی عن النّبیّ صلّی اللّه علیه و آله إنما العلم ثلاثه: آیه محکمه أو فریضه عادله أو سنّه قائمه و ما خلاهنّ فهو فضل.

أی العلم النافع آیه محکمه أی واضحه الدّلاله أو غیر منسوخه فانّ المتشابه و المنسوخ لا ینتفع بهما غالبا، و فریضه عادله أی الواجبات المصونه من الافراط و التفریط، و سنّه قائمه أی المندوبات الباقیه غیر المنسوخه، و علی هذا الاحتمال فالمراد باحیاء السنّه الاتیان بها و المراقبه علیها.

إلّا أنّ الأظهر بقرینه المقابله بینه و بین قوله:(و أماتوا البدعه) أن یراد بالسنّه مقابل البدعه، یعنی السنه الّتی سنّها رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و الشریعه الّتی شرعها.

روی فی البحار من معانی الأخبار مرفوعا قال: جاء رجل إلی أمیر المؤمنین علیه السّلام فقال: أخبرنی عن السنّه و البدعه و عن الجماعه و عن الفرقه، فقال أمیر المؤمنین السنّه ما سنّ رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله، و البدعه ما أحدث من بعده، و الجماعه أهل الحقّ و إن کانوا قلیلا، و الفرقه أهل الباطل و إن کانوا کثیرا.

و علی هذا فالمراد باحیاء السنّه أخذ أحکام الشرع و العمل علیها.

روی فی البحار من المحاسن عن أبی جعفر عن أبیه علیهما السّلام قال: قال رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم من تمسّک بسنّتی فی اختلاف أمّتی کان له أجر مأئه شهید.

و المراد باماته البدعه إبطالها و ترکها و الاعراض عنها و عن أهلها.

ص:۳۶۳

روی فی البحار من تفسیر علیّ بن إبراهیم قال فی روایه أبی الجارود عن أبی جعفر علیه السّلام فی قوله تعالی: «وَ الَّذِینَ کَسَبُوا السَّیِّئاتِ جَزاءُ سَیِّئَهٍ بِمِثْلِها وَ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّهٌ ما لَهُمْ مِنَ اللّهِ مِنْ عاصِمٍ » هؤلاء أهل البدع و الشبهات و الشهوات یسوّد اللّه وجوههم ثمّ یلقونه.

و فیه من ثواب الأعمال عن أبی عبد اللّه علیه السّلام قال: من مشی إلی صاحب بدعه فوقّره فقد مشی فی هدم الاسلام.

(دعوا للجهاد فأجابوا) و نهضوا إلیه (و وثقوا) أی اطمأنوا و اتّکلوا (بالقائد) أراد به نفسه الشریف لکونه قائدا لهم إلی سبیل الحقّ (فاتّبعوه).

(ثمّ) إنّه علیه السّلام لما رغّب المخاطبین و رهّب و وعظهم و ذکّر و بشّرهم و أنذر و توجّع من مفارقه أصحابه و تحسّر تخلّص إلی أصل غرضه.

و (نادی بأعلا صوته: الجهاد الجهاد عباد اللّه) أی اسرعوا إلیه و انهضوا به (ألا و انی معسکر فی یومی هذا) أی جامع للعساکر فی المعسکر (فمن أراد الرواح إلی اللّه) أی الذهاب إلی الفوز برضوانه أو إلی لقائه تعالی بالشهاده (فلیخرج) (قال نوف: و عقد للحسین علیه السّلام) رایه (فی عشره آلاف و لقیس بن سعد) ابن عباده (فی عشره آلاف) و کان سعد أبو قیس رئیس الخزرج و لم یبایع أبا بکر و مات علی عدم البیعه و المشهور أنّهم قتلوه لذلک و أحالوا قتله علی الجنّ و افتروا شعرا من لسان الجنّ کما مرّ فی المقدّمه الثالثه من مقدّمات الخطبه الثالثه و فی التنبیه الأوّل من شرح المختار السابع و الستّین.

و قال الشّارح المعتزلی: سعد هو الّذی حاول إقامته فی الخلافه بعد رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و لم یبایع أبا بکر حین بویع و خرج إلی حوران فمات بها، قیل قتلته الجنّ لأنه بال قائما فی الصحراء لیلا و رووا بیتی شعر قیل إنهما سمعا لیله قتله و لم یر قائلهما

نحن قتلنا سیّد الخزرج سعد بن عبادهو رمیناه بسهمین فلم یخط فؤاده

و یقول قوم: إنّ أمیر الشام یومئذ کمن له من رماه لیلا- و هو خارج إلی الصحراء بسهمین فقتله لخروجه عن طاعته، و قد قال بعض المتأخّرین:

يقولون سعد شكّت الجنّ قلبه ألا ربّما صحّحت ذنبك بالعذر

و ما ذنب سعد أنّه بال قائما و لكنّ سعدا لم يبايع أبا بكر

و قد صبرت من لذّه العيش أنفس و ما صبرت عن لذّه النّهى و الأمر

و كان قيس من صحابه رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و كبار شيعه أمير المؤمنين عليه السّلام، و كان طوالا جوادا شجاعا شهد مع أمير المؤمنين عليه السّلام حروبه كلّها، و كان مخلصا فى اعتقاده ثابت الرأى فى التشيّع و المحبّه.

و قد مرّ فى التنبيه الثانى من شرح المختار السابع و الستّين ما يفصح عن جلاله شأنه و رفعه مقامه و أحببت أن أورد هنا روايه مفيده لخلوص عقيدته على وجه الكمال مع تضمّنها لاعجاز غريب لأمير المؤمنين عليه السّلام.

فأقول: روى فى البحار من كتاب إرشاد القلوب عن جابر بن عبد اللّه الأنصارى و عبد اللّه بن عباس قالا: كنّا جلوسا عند أبى بكر فى ولايته و قد أضحى النهار و إذا بخالد بن الوليد المخزومى قد وافى فى جيش قام غباره و كثر صهيل أهل خيله، و إذا بقطب رحى ملوىّ فى عنقه قد فتل فتلا فأقبل حتّى نزل عن جواده و دخل المسجد و وقف بين يدى أبى بكر فرمقه الناس بأعينهم فهالهم منظره.

ثمّ قال: اعدل يا ابن أبى قحافه حيث جعلك الناس فى هذا الموضع الّذى لست له أنت بأهل، و ما ارتفعت إلى هذا المكان إلّا كما يرتفع الطافى من السّمك على الماء، و انما يطفو و يعلو حين لا حراك به، مالك و سياسه الجيوش و تقديم العساكر و أنت بحيث أنت من دنائه الحسب و منقوص النسب و ضعف القوى و قلّه التحصيل لا تحمى ذمارا و لا تضرم نارا فلا جزى اللّه أخا ثقيف و ولد صهّاك خيرا.

إنّى رجعت متكفأ من الطايف إلى جده فى طلب المرتدّين فرأيت علىّ بن أبى طالب عليه السّلام و معه عتاه من الدّين حماليق شزرات أعينهم من حسدك و بدرت حنقا عليك و قرحت آماقهم لمكانك، منهم ابن ياسر و المقداد و ابن جناده أخو غفار و ابن العوام و غلامان أعرف أحدهما بوجهه، و غلام أسمر لعلّه من ولد عقيل أخيه.

فتبيّن لى المنكر فى وجوههم و الحسد فى احمرار أعينهم، و قد توشّح علىّ

بـدرع رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و لبس ردائه السحاب و لقـد اسـرج له دابّته العقاب، و لقد نزل علىّ على عين ماء اسـمها رويه، فلما رءانى اشمأزّ و بربر و أطرق موحشا يقبض على لحيته.

فبادرته بالسلام استكفاء و اتّقاء و وحشه، فاستغنمت سعه المناخ و سهوله المنزل فنزلت و من معى بحيث نزلوا اتّقاء عن مراوغته، فبدانى ابن ياسر بقبيح لفظه و محض عداوته فقر عنى هزؤا بما تقدّمت به إلى بسوء رأيك.

فالتفت إلىّ أصلع الرأس و قـد ازدحم الكلام فى حلقه كهمهمه الأسد أو كقعقعه الرّعد فقال لى بغضب منه: أو كنت فاعلا يا با سليمان؟ فقلت له: إى و اللّه لو أقام على رأيه لضربت الّذى فيه عيناك، فأغضبه قولى إذ صدقته و أخرجه إلى طبعه الذى أعرفه به عند الغضب.

فقال: يا ابن اللّخناء مثلك من يقدر على مثلى أو يجسر أو يدير اسمى فى لهواته الّتى لا عهد لها بكلمه حكمه، ويلك إنى لست من قتلاك و لا من قتلا صاحبك و انى لأعرف بمنيتى منك بنفسك.

ثمّ ضرب بيده إلى ترقوتى فنكسنى عن فرسى و جعل يسوقنى دعا الى رحى للحارث بن كلده الثقفى، فعمد إلى القطب الغليظ فمدّ عنقى بكلتا يديه و أداره فى عنقى ينفتل له كالعلك المسخن.

و أصحابى هؤلاء وقوف، ما أغنوا عنّى سطوته، و لا كفّوا عنّى شرته فلا جزاهم اللّه عنى خيرا، فانهم لما نظروا اليه كأنما نظروا إلى ملك موتهم، فو الّذى رفع السماء بلا اعماد لقد اجتمع على فكّ هذا القطب مأئه «ألف خ» رجل أو يزيدون من أشدّ العرب فما قدروا على فكّه فدلّنى عجز الناس عن فكّه أنه سحر منه أو قوّه ملك قد ركبت فيه، ففكّه الان عنّى إن كنت فاكّه، و خذ لى بحقّى إن كنت آخذه، و إلاّ لحقت بدار عزّى و مستقرّ مكرمتى، قد ألبسنى ابن أبى طالب من العار ما صرت به ضحكه لأهل الدّيار.

فالتفت أبو بكر إلى عمر فقال: ما ترى إلى ما يخرج من هذا الرّجل كأنّ

ولايتى ثقل على كاهله أو شجى فى صدره.

فالتفت إليه عمر فقال: فيه دعابه لا تـدعها حتّى تورده فلا تصـدره «و جهل خ» و حسـد قـد اسـتحكما فى خلده فجريا منه مجرى الدّماء لا يدعانه حتّى يهنا منزلته و يورطاه ورطه الهلكه.

ثمّ قال أبو بكر لمن بحضرته: ادعوا لى قيس بن سعد بن عباده الأنصارى، فليس لفكّ هذا القطب غيره.

قـال: و كان قيس سيّاف النّبىّ صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و كان رجلا طويلا طوله ثمانيه عشر شبرا فى عرض خمسه أشبار و كان أشدّ النّاس فى زمانه بعد أمير المؤمنين عليه السّلام.

فحضر قيس فقال له: يا قيس إنک من شدّه البدن بحيث أنت ففكّ هذا القطب من عنق أخيک خالد.

فقال قيس: و لم لا يفكّه خالد عن عنقه؟ قال: لا يقدر عليه.

قال: فما لا يقدر عليه أبو سليمان و هو نجم عسكركم و سيفكم على أعدائكم كيف أقدر عليه أنا.

قال عمر: دعنا من هزؤک و هزلک و خذ فيما حضرت له.

فقال: لمسأله: تسألونها طوعا أو كرها تجبرونى عليه.

فقال له: إن كان طوعا و إلّا فكرها.

قـال قيس: يـا ابن صـحّاک خـذل اللّه من يكرهه مثلک إنّ بطنـک لعظيمه و إنّ كرشـک لكبيره، فلو فعلت أنت ذلـک مـا كان منک.

فخجل عمر من قيس بن سعد فجعل ينكث أسنانه بأنامله.

فقال أبو بكر: و ما بذلک منه، اقصد لما سئلت.

فقـال قيس: و اللّه لو أقـدر على ذلـک لمـا فعلت، فـدونكم و حـدّادى المـدينه فـأنّهم أقـدر على ذلـک منّى، فـأتوا بجمـاعه من الحدّادين فقالوا: لا ينفتح حتّى نحميه بالنّار.

ص:۳۶۷

فالتفت أبو بكر إلى قيس مغضبا، فقال: و اللّه ما بک من ضعف من فکّه و لکنّک لا تفعل فعلا یعیبک فیه إمامک و حبیبک أبو الحسن، و لیس هذا بأعجب من أنّ أباک رام الخلافه لیبتغی الاسلام عوجا فحدّ اللّه شوکته و أذهب نخوته و أعزّ الاسلام لولیّه و أقام دینه بأهل طاعته، و أنت الان فی حال کید و شقاق.

قال: فاستشاط قیس بن سعد غضبا و امتلأ غیظا، فقال: یا ابن أبی قحافه إنّ لک جوابا حمیا بلسان طلق و قلب جریّ، لولا البیعه الّتی لک فی عنقی سمعته منّی و اللّه لان بایعتک یدی لم یبایعک قلبی و لا لسانی و لا حجّه لی فی علیّ بعد یوم الغدیر و لا کانت بیعتی لک إلاّ کالّتی نقضت غزلها من بعد قوّه أنکاثا، أقول قولی هذا غیر هائب منک، و لا خائف من معرتک، و لو سمعت هذا القول منک بدأه لما فتح لک منّی صالحا.

إن کان أبی رام الخلافه فحقیق أن یرومها بعد من ذکرته، لأنه رجل لا یقعقع بالشنان و لا یغمز جانبه کغمز التینه ضخم صندید و سمک منیف و عز بازخ اشوس، بخلافک أیّها النعجه العرجاء و الدیک النافش لا عن صمیم و لا حسب کریم و أیم اللّه لان عاودتنی فی أبی لألجمنّک بلجام من القول یمجّ فوک منه دما، دعنا نخوض فی عمایتک و نتردّی فی غوایتک علی معرفه منّا بترک الحقّ و اتّباع الباطل.

و أما قولک إنّ علیّا إمامی ما انکر إمامته و لا أعدل عن ولایته و کیف انقض و قد أعطیت اللّه عهدا بامامته و ولایته یسألنی عنه فأنا إن ألقی اللّه بنقض بیعتک أحبّ إلیّ من انقض عهده و عهد رسوله و عهد وصیّه و خلیله.

و ما أنت إلاّ أمیر قومک إن شاءوا ترکوک و إن شاءوا عزلوک، فتب إلی اللّه مما اجترمته و تنصّل إلیه مما ارتکبته، سلّم الأمر إلی من هو أولی منک بنفسک، فقد رکبت عظیما بولایتک دونه و جلوسک فی موضعه و تسمیتک باسمه، و کأنک بالقلیل من دنیاک و قد انقشع عنک کما ینقشع السحاب و تعلم أیّ الفریقین شرّ مکانا و أضعف جندا

و أمّا تعييرك إيّاى بانّه مولاى هو و اللّه مولاى و مولاك و مولى المؤمنين أجمعين آه آه أنّى لى بثبات قدم أو تمكّن وطأ حتّى الفظك لفظ المنجنيق الحجره و لعلّ ذلك يكون قريبا و تكتفى بالعيان عن الخبر.

ثمّ قام و نفض ثوبه و مضى، و ندم أبو بكر عمّا أسرع إليه من القول إلى قيس، الحديث.

قال نوف (و) عقد (لأبى أيّوب الأنصارى) أيضا (فى عشره آلاف) و أبو أيّوب هو خالد بن زيد بن كعب الخزرجى من بنى النجار شهد العقبه و بدرا و ساير المشاهد، و عليه نزل رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله حين قدم المدينه و شهد مع أمير المؤمنين مشاهده كلّها و كان على مقدمته يوم النهروان.

(و) عقد (لغيرهم على اعداد اخر و هو عليه السّلام يريد الرّجعه إلى صفين فما دارت الجمعه حتّى ضربه الملعون) أشقى الأولين و الاخرين شقيق عاقر ناقه صالح (ابن ملجم) المرادى (لعنه اللّه) حسبما عرفت تفصيل ضربته فى شرح المختار التاسع و الستّين.

(فتراجعت العساكر) من المعسكر إلى الكوفه قال الرّاوى (فكنّا كأغنام فقدت راعيها تختطفها الذئاب من كلّ مكان) كما قال الفرزدق:

فلا غرو للأشراف إن ظفرت لها ذئاب الأعادى من فصيح و أعجم

فحربه وحشىّ سقت حمزه الرّدى و قتل علىّ من حسام مصمّم

و المراد من اختطاف الذئاب إمّا النهب و القتل و الاذلال أو الاغواء و الاضلال قال الشارح المعتزلى: يقال: إنّ هذه الخطبه آخر خطبه خطبها أمير المؤمنين عليه السّلام قائما.

الترجمه

فصل سيّم از اين خطبه اشارتست بصفات امام زمان عليه السّلام مى فرمايد كه بتحقيق كه پوشيده است آن بزرگوار از براى حفظ حكمت سپر و زره آنرا و أخذ كرده حكمت را با جميع آدابهاى آن كه عبارتند از اقبال كردن بر آن

ص:۳۶۹

و شناختن قدر و منزلت آن و فارغ شدن از برای آن، پس آن حکمت در پیش آن حضرت بمنزله گم شدهٔ او است که طلب می نماید آنرا، و حاجت اوست که سؤال میکند از آن، پس آن حضرت اختیار غربت و غیبت کننده است زمانی که غریب شود اسلام، و بزند اطراف دم خود را و بچسباند بزمین سینه خود را، آن حضرت بقیّه ایست از باقی ماندگان حجّت خدا، و خلیفه ایست از خلیفهای پیغمبران حق تعالی.

پس فرمود آن حضرت: ای مردمان بدرستی که من منتشر کردم از برای شما موعظهائی که موعظه فرمودند با آنها پیغمبران امتهای خودشان را، و رساندم بسوی شما چیزی را که رساند وصیهای پیغمبران بکسانی که بودند بعد از ایشان، و ادب دادم بشما با تازیانه خودم پس مستقیم نشدید، و راندم شما را بدلائل مانعه از راه ناصواب پس منتظم نگشتید، تعجّب میکنم از شما آیا توقع می کنید امامی را غیر از من که ببرد شما را بجادّهٔ حق، و ارشاد نماید شما را براه راست.

آگاه باشید بدرستی که ادبار کرده است از دنیا چیزی که اقبال نموده بود، و اقبال کرده است از آن چیزی که ادبار کرده بود، و عزم برحلت کردند بندگان پسندیدهٔ خدا و عوض کردند قلیل از دنیا را که باقی نخواهد ماند بکثیر از آخرت که فانی نخواهد شد، ضرر نرساند برادران ما را که ریخته شد خونهای ایشان در جنگ صفین این که نشدند امروز زنده که گوارا کنند غصه ها را و بیاشامند آب کدورت آمیز اندوه را بتحقیق قسم بذات حق که ملاقات کردند پروردگار را پس بتمام و کمال رسانید بایشان اجرهای ایشان را، و فرود آورد ایشان را در سرای امن و امان بعد از خوف و هراس ایشان.

کجایند برادران من که سوار شدند بر راه صدق، و گذشتند بر طریق حق، کجا است عمار یاسر کجا است ابی الهیثم بن التیهان کجا است خزیمه بن ثابت ذو الشهادتین و کجایند امثال ایشان از برادران مؤمنین ایشان که عهد بسته بودند با همدیگر بر مردن در راه دین، و فرستاده شد سرهای ایشان با قاصد بسوی فاجران پس از آن زد آن حضرت دست خود را بمحاسن شریف خود، پس بسیار گریست بعد از آن فرمود:

آه بر برادران من که تلاوت کردند قرآن را پس محکم ساختند آنرا، و تفکر کردند در واجبات پس برپا داشتند آن را، و زنده کردنـد سنّت پیغمبر را و کشـتند بـدعت را، خوانـده شدنـد از برای جهـاد پس اجـابت کردنـد، و اعتماد نمودنـد به پیشوا پس متابعت کردند او را.

بعد از آن ندا فرمود آن حضـرت به آواز بلند و فرمود: بشتابید بسوی جهاد و قتال ای بندگان خدا، آگاه باشید که اردو درست کننده ام در همین روز پس هر که اراده کند توجّه نمودن بسوی پروردگار خود بس باید که خارج بشود باردوگاه.

گفت نوف بکالی: و عقد فرمود حضرت أمیر مؤمنان از برای پسر خود امام حسین علیه السّلام در ده هزار نفر، و معین فرمود از برای قیس بن سعد بن عباده در ده هزار، و از برای أبو أیوب انصاری در ده هزار، و از برای سایرین بر شماره های دیگر و اراده داشت که بر گردد بسوی صـفین پس بر نگردیـد روز جمعه همـان هفته تـا آنکه ضـربت زد آن بزرگـوار را ملعـون ابن ملجم مرادی، خـدا لعنت کنـد او را پس بر گشـتند لشـکریان پس شدیم ما بمنزلهٔ گوسـفندانی که گم کرده باشـند شـبان خود را در حالتی که بربایند آنها را گرگان از هر مکان.

و من خطبه له علیه السّلام و هی المأه و الثانیه

اشاره

و الثمانون من المختار فی باب الخطب

الحمد للّه المعروف من غیر رؤیه، الخالق من غیر منصبه، خلق الخلائق بقدرته، و استعبد الأرباب بعزّته، و ساد العظماء بجوده، و هو الّذی أسکن الدّنیا خلقه، و بعث إلی الجنّ و الإنس رسله،

ليكشفوا لهم عن غطائها، و ليحذّروهم من ضرائها، و ليضربوا لهم أمثالها، و ليبصّروهم عيوبها، و ليهجموا عليهم بمعتبر من تصرّف مصاحّها و أسقامها، و حلالها و حرامها، و ما أعدّ سبحانه للمطيعين منهم و العصاه من جنّه و نار، و كرامه و هوان، أحمده إلى نفسه كما استحمد إلى خلقه، جعل لكلّ شيء قدرا، و لكلّ قدر أجلا، و لكلّ أجل كتابا. منها: فی ذكر القرآن فالقرآن آمر زاجر، و صامت ناطق، حجّه اللّه على خلقه، أخذ عليهم ميثاقه، و ارتهن عليه أنفسهم، أتمّ نوره، و أكرم به دينه، و قبض نبيّه صلّى اللّه عليه و آله و قد فرغ إلى الخلق من أحكام الهدى به، فعظّموا منه سبحانه ما عظّم من نفسه، فإنّه لم يخف عنكم شيئا من دينه، و لم يترك شيئا رضيه أو كرهه إلاّ و جعل له علما باديا، و ايه محكمه تزجر عنه أو تدعو إليه، فرضاه فيما بقی واحد، و سخطه فيما بقی واحد. و اعلموا أنّه لن يرض عنكم بشیء سخطه على من كان قبلكم، و لن يسخط عليكم بشیء رضيه ممّن كان قبلكم، و إنّما تسيرون فی أثر بيّن، و تتكلّمون برجع قول قد قاله الرّجال من قبلكم، قد

كفاكم مؤنه دنياكم، و حثّكم على الشّكر، و افترض من ألسنتكم الذّكر، و أوصاكم بالتّقوى و جعلها منتهى رضاه، و حاجته من خلقه، فاتّقوا اللّه الّذى أنتم بعينه، و نواصيكم بيده، و تقلّبكم فى قبضته، إن أسررتم علمه، و إن أعلنتم كتبه، قد وكّل بكم حفظه كراما، لا يسقطون حقّا، و لا يثبتون باطلا. و اعلموا أنّ من يتّق اللّه يجعل له مخرجا من الفتن، و نورا من الظّلم، و يخلّده فيما اشتهت نفسه، و ينزّله منزله الكرامه عنده فى دار اصطنعها لنفسه، ظلّها عرشه، و نورها بهجته، و زوّارها ملائكته، و رفقاءها رسله، فبادروا المعاد، و سابقوا الاجال، فإنّ النّاس يوشك أن ينقطع بهم الأمل، و يرهقهم الأجل، و يسدّ عنهم باب التّوبه، فقد أصبحتم فى مثل ما سأل إليه الرّجعه من كان قبلكم، و أنتم بنو سبيل على سفر من دار ليست بداركم، و قد أوذنتم منها بالارتحال، و أمرتم فيها بالزّاد. و اعلموا أنّه ليس لهذا الجلد الرّقيق صبر على النّار، فارحموا نفوسكم فإنّكم قد جرّبتموها فى مصائب الدّنيا أ فرأيتم جزع أحدكم من الشّوكه تصيبه، و العثره تدميه، و الرّمضاء تحرقه، فكيف إذا

كـان بين طـابقين من نار، ضـجيع حجر، و قرين شـيطان، أ علمتم أنّ مالكا إذا غضب على النّار حطم بعضـها بعضا لغضـبه، و إذا زجرهـا توثّبت بين أبوابهـا جزعـا من زجرته، أيّهـا اليفن الكبير الّـذى قـد لهزه القتير، كيف أنت إذا التحمت أطواق النّـار بعظـام الأعناق، و نشـبت الجوامع حتّى أكلت لحوم السّواعد. فاللّه اللّه معشـر العباد و أنتم سالمون فى الصّـحّه قبل السّـقم، و فى الفسحه قبـل الضّـيق، فاسعوا فى فكـاك رقابكم من قبل أن تغلق رهائنها، أسـهروا عيونكم، و أضـمروا بطونكم، و اسـتعملوا أقـدامكم و أنفقوا أموالكم، و خـذوا من أجسادكم ما تجودوا بها على أنفسـكم و لا تبخلوا بها عنها، فقد قال اللّه سـبحانه - «إِنْ تَنْصُـرُوا اللّهَ يَنْصُـرْكُمْ وَ يُثَبِّتْ أَقْـدامَكُمْ » - و قال: - «مَنْ ذَا الَّذِى يُقْرِضُ اللّهَ قَرْضاً حَسَـناً فَيُضاعِفَهُ لَهُ وَ لَهُ أَجْرٌ كَرِيمٌ » - فلم يستنصـركم من ذلّ، و لم يستقرضـكم من قلّ، استنصركم و له جنود السّموات و الأرض و هو العزيز الحكيم، و استقرضكم و له خزائن السّموات و الأرض و هو الغنىّ الحميـد، و إنّما أراد أن يبلوكم أيّكم أحسن عملا، فبادروا بأعمالكم، تكونوا مع جيران اللّه فى داره، رافق بهم رسله، و أزارهم

ص:۳۷۴

ملائكته، و أكرم أسماعهم أن تسمع حسيس نار أبدا، و صان أجسادهم أن تلقى لغوبا و نصبا - «ذلِکَ فَضْلُ اللّهِ یُؤْتِیهِ مَنْ یَشاءُ وَ اللّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِیمِ » - أقول ما تسمعون، و اللّه المستعان على نفسى و أنفسكم، و هو حسبنا و نعم الوكيل.

اللغه

(نصب) نصبا من باب تعب أعيا و عيش ناصب و ذو منصبه فيه كدّ و جهد و نصبه الهمّ أتعبه و (هجمت) عليه هجوما من باب قعد دخلت على غفله منه، و هجمت على القوم جعلت يهجم عليهم يتعدّى و لا يتعدّى و (المصاح) جمع مصحّه مفعله من الصحّه كمضار جمع مضرّه، و الصّوم مصحّه بفتح الصاد و كسرها أى فيه صحّه أو يصحّ به و (سخط) سخطا من باب تعب غضب.

و (رجع قول) قال الشارح البحرانى أى المردد منه، و لعلّه وهم لأنّ الترديد معنى الترجيح مصدر باب التفعيل و منه ترجيع الصّوت و هو تحريكه، و ترجيع الأذان و هو تكرير فصوله، و فى القاموس الرجيع من الكلام المردود إلى صاحبه و الروث و كلّ مردود و لم يذكر فى معانى رجع الترديد، فالظاهر أنه بمعنى النفع من قولهم ليس له منه رجع أى نفع و فائده قال فى القاموس: الرجع النفع و رجع كلامى فيه أفاد.

و (يوشك) أن يكون كذا بكسر الشين من أفعال المقاربه مضارع أو شك يفيد الدنوّ من الشىء، و قال الفارابى الايشاك الاسراع، و قال النحاه استعمال المضارع أكثر من الماضى و استعمال اسم الفاعل قليل و قد استعملوا ماضيا ثلاثيا فقالوا و شك مثل قرب و شكا، و فى القاموس و شك الأمر ككرم سرع كوشك و أوشك أسرع السير كواشك و يوشك الأمر أن يكون و أن يكون الأمر و لا تفتح شينه أو لغه رديئه

ص:٣٧٥

و (رهقت) الشيء رهقا من باب تعب قربت منه، قال أبو زيد: طلبت الشيء حتّى رهقته و كدت آخذه أو أخذته، و قال: رهقته أدركته و رهقه الدّين غشيه و (الطابق) وزان هاجر و صاحب و رويا معا الاجر الكبير، و ظرف يطبخ فيه معرب تابه و الجمع طوابيق و (اليفن) محرّكه الشيخ الكبير و (لغب) لغبا من باب قتل و تعب لغوبا أعيا و تعب.

الاعراب

الباء فى قوله عليه السّلام: بمعتبر، للمصاحبه أو التعديه، و من فى قوله: من تصرّف بيانيه، و حلالها بالجرّ عطف على تصرّف أو على أسقامها، و قوله: و ما أعدّ اللّه، إما عطف على معتبر أو على عيوبها، و الى فى قوله: أحمده إلى نفسه، لانتهاء الغايه كما فى نحو الأمر إليك أى منته إليك قال ابن هشام: و يقولون أحمد إليك اللّه، أى انهى حمده إليك آه، و فى قوله كما استحمد إلى خلقه، لانتهاء الغايه أيضا أو بمعنى من كما فى قول الشاعر:

تقول و قد عاليت بالكور فوقها أيسقى فلا يروى إليّ ابن احمرا

أى منّى، و من فى قوله: فعظموا منه زايده أى عظموه، و ما فى قوله: ما عظم مصدريه، و حاجته بالنصب عطف على منتهى.

و قوله: من ألسنتكم الذكر، قال الشارح المعتزلى من متعلّقه بمحذوف دلّ عليه المصدر المتأخر، تقديره: و افترض عليكم الذكر من ألسنتكم.

أقول: و كأنّه نظر إلى أنّ المصدر فى تقدير أن و الفعل، و ان موصول حرفى لا يتقدّم معموله عليه فلا يجوز تعلّقه بنفس المصدر المذكور إلاّ أنه يتوجّه عليه أنّ الظرف و الجارّ و المجرور يتّسع فيه ما لا يتّسع فى غيره كما صرّح به المحقّقون من علماء الأدبيه، و مثله قوله تعالى «فَلَمّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ » فيصحّ فيهما تعلّقهما بالمصدر المذكور و لا حاجه إلى التقدير.

و قوله: ضجيع حجر حال من اسم كان، و على القول بأنّ كان الناقصه و أخواتها

لاـ تعمـل فى الحال كما نسب إلى المحقّقين من علماء الأدبيّه فلا بـدّ من جعل كان تامه بمعنى وجـد، و على ذلك فيكون قوله: بين طابقين ظرفا لغوا متعلّقا بكان.

و قوله: فاللّه اللّه، نصب على الأغراء أى اتقوا اللّه، و هـذا الفعل المحـذوف هو متعلّق قوله فى الصـحه أى اتّقوه سبحانه فى حال الصـحّه، و قوله: قبـل السـقم إمّـا بـدل من قوله فى الصحه أو حال مؤكـده من الصـحّه، و قوله: خـذوا من أجسادكم، حرف من نشويه، و جمله: وافق بهم رسـله استيناف بيانىّ فكأنه سـئل عن ثمره الكون مع جيران اللّه فأجاب بأنّ ثمرته مرافقه الرّسل و زياره الملائكه و غيرهما.

و قوله: و نعم الوكيل، عطف إمّا على جمله هو حسـبنا، فيكون المخصوص محذوفا، و إمّا على حسبنا أى هو نعم الوكيل، فيكون المخصوص هو الضـمير المتقـدّم و على التقـديرين و هو من عطف الانشـاء على الاخبـار و لاـ بأس به كما صرّح به ابن هشام و غيره.

المعنى

اعلم أنّ هـذه الخطبه الشـريفه مسـوقه للثنـاء على اللّه سـبحانه و وصـف الكتـاب العزيز و موعظه المخـاطبين و وعـدهم بـالجنّه و وعيدهم من النار و افتتحها بما هو أحقّ بالافتتاح.

فقال (الحمد للّه) أى الثناء و الذكر الجميل حقّ له سبحانه و مختصّ به لاختصاص أوصاف الجمال و نعوت الكمال بذاته و أشار إلى جمله من تلـك الصّـفات فقـال (المعروف من غير رؤيه) أى معروف بالايـات، موصوف بالعلامـات، مشـهود بما أبـدعه من عجايب القدره و شواهد العظمه فى الأرضين و السّماوات، و ليست معروفيّته كمعروفيّه الأجسام و الجسمانيّات، و ذوى الكيفيّات و الهيـات بـأن يعرف برؤيه العيون بمشاهـده العيـان لكونه تعـالى شـأنه منزّهـا عن المقابله و الجهه و المكان، و غيرها من لواحق الامكـان، و انمـا تعرفه القلوب بحقـايق الايمان على ما عرفت ذلك كلّه تفصـيلا و تحقيقا فى شـرح المختار التاسع و الأربعين و المختار المأه و الثّامن و السّبعين.

ص:۳۷۷

و (الخالق من غير منصبه) يعنى أنه خالق للمخلوقات بلا آلات و أدوات فلا يلحقه ضعف و تعب و اعياء و نصب.

و انما (خلق الخلايق ب) نفس (قدرته) الباهره و مشيّته القاهره المضمره بين الكاف و النون، فأمره إذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون (و استعبد الأرباب بعزّته) أى طلب العبوديّه من السادات و الملوك بقهره و غلبته (و ساد العظماء بجوده) إذ كلّ عظيم فهو بمقتضا امكانه داخر عند وجوده مفتقر إلى إفاضته وجوده.

(و هو الّذى أسكن الدّنيا خلقه) و بثّ فيها من كلّ دابّه (و بعث إلى الجنّ و الانس رسله) بمقتضى اللّطف و الحكمه و واتر إليهم أنبيائه (ليكشفوا لهم عن غطائها) و يرفعوا عنها سترها و حجابها و يسفروا عن وجهها نقابها (و ليحذروهم) منها و (من ضرّائها) و ليرغبوهم فى الاخره و فى سرّائها (و ليضربوا لهم أمثالها).

لأنّ أكثر الأفهام لما كانت قاصره عن إدراك ماهيّات الأشياء إلاّ فى موادّ محسوسه جرت عاده اللّه سبحانه و عاده رسله و أنبيائه فى تبليغ الأحكام و بيان التكاليف و الكشف عن ماهيّات الأشياء على ضرب الأمثال تقريبا للأفهام حسبما عرفت توضيح ذلك فى شرح الفصل الثالث من المختار المأه و الاثنين و السبعين.

و لما كان عمده الغرض من بعث الرّسل و الأنبياء هو جذب الناس إلى طرف الحقّ، و كان حصول ذلك الغرض موقوفا على التنفير عن الدّنيا و الترغيب إلى الأخرى لا جرم أكثروا لها من الأمثال المنفره، فشبّهوها فى وقاحتها و قباحتها بالعجوز الهتماء الشمطاء، و فى سرعه الفناء و الانقضاء بالظلّ الزائل و الضوء الافل، و فى حسن صورتها و قبيح باطنها بالحيّه اللّين مسّها و القاتل سمّها إلى غير هذه من الأمثال المضروبه لها فى الكتاب العزيز و الأخبار و كلمات الأنبياء و الأولياء الأخيار، و قد مضت جمله من تلك الأمثال فى شرح الفصل الثانى من المختار الثانى و الثمانين.

(و ليبصّروهم عيوبها) حتّى يشاهدوا معايبها و يروا معاطبها و يعلموا أنّها و إن كانت يونق منظرها إلاّ أنها يوبق مخبرها مع تضمّنها لقرب الزيال و ازف الانتقال و علز القلق و ألم المضض و غصص الجرض.

(و ليهجموا عليهم بمعتبر من تصرّف مصاحّها و اسقامها) أى ليدخلوا عليهم على حين غفله منهم بما يوجب عبرتهم من تقلّباتها و تصرّفاتها على أهلها بالصحّه و السقم و اللّذه و الألم، فعن قليل ترى المرحوم مغبوطا، و المغبوط مرحوما و ترى أهلها يمسون و يصبحون على أحوال شتّى، فصحيح مشعوف بها مشغول بزخارفها، و مريض مبتلا، و ميّت يبكى، و آخر يعزّى، و عائد يعود، و آخر بنفسه يجود، فانّ فى ذلك تذكره و ذكرى و عبره لاولى النهى إذ على أثر الماضى يمضى الباقى، و سبيل السلف يسلك الخلف.

و قوله (و حلالها و حرامها) قال الشارح المعتزلى يقول عليه السّلام ليدخلوا(۱) عليهم بما فى تصاريف الدّنيا من الصحّه و السقم و ما أحلّ و ما حرّم على طريق الابتلاء به.

و قال الشارح البحرانى بعد ما وافق الشارح المعتزلى فى هذا المعنى: و يحتمل أن يكون عطفا على أسقامها باعتبار أنّ الحلال و الحرام من تصاريف الدّنيا، و بيانه أنّ كثيرا من المحرّمات لنبيّ كانت حلالا من نبيّ قبله و بالعكس، و ذلك تابع لمصالح الخلق بمقتضى تصاريف أوقاتهم و أحوالهم الّتى هى تصاريف الدّنيا. انتهى أقول: و أنت خبير بأنّ هذين المعنيين و إن كانا يصحّحان كون الحلال(۲) و الحرام مما هجم به الأنبياء و كونهما(۳) من تصاريف الدّنيا إلاّ أنهما على هذين لا يكونان مما يوجب العبره كما لا يخفى و قد جعلهما بيانا لقوله معتبر فلا بدّ أن يكون المعنى دخولهم على الأمم و تذكيرهم بتصاريف الحلال و الحرام على وجه يوجب الاعتبار مثل أن يذكروهم:

بأنّ الاكتساب من الحلال يوجب فى الدّنيا زياده المال و بركه له، و فى الاخره يصون من غضب الرّب، و الاقتحام فى الحرام يورث فى الدّنيا تلف المال و ذهابه، و فى الاخره يعقّب الحسره و الندامه و العطب.

۱- (۱) فيكون حلالها على هذا الاحتمال عطفا على تصرّف (منه).

۲- (۲) هذا ناظر الى الاحتمال الأول الّذى وافق عليه الشارحان (منه).

۳- (۳) هذا ناظر الى الاحتمال الثانى الذى تفرّد به الشارح البحرانى (منه ره).

و بأنّ الحلال ربما يتبدّل بالحرام بالظلم و الاثام كما قال عزّ من قائل: «فَبِظُلْمٍ مِنَ الَّذِينَ هادُوا حَرَّمْنا عَلَيْهِمْ طَيِّباتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ » و بأنّ الحرام قد يتبدّل بالحلال اذا اقتضت الضّروره كحاله الاضطرار و المخمصه و نحو ذلك مما يوجب الاعتبار بهما و يبعث على القناعه بالحلال و الكفّ عن الحرام.

و أبلغ التذكر و العبره بتصاريف الحلال و الحرام ما نطق به القرآن قال سبحانه «وَ لَقَدْ عَلِمْتُمُ الَّذِينَ اعْتَدَوْا مِنْكُمْ فِي السَّبْتِ فَقُلْنا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خاسِئِينَ فَجَعَلْناها نَكالاً لِما بَيْنَ يَدَيْها وَ ما خَلْفَها وَ مَوْعِظَةً لِلْمُتَّقِينَ »(و ما أعدّ) اللّه (سبحانه للمطيعين منهم.) أى من الجنّ و الانس (و العصاه من جنّه و نار) نشر على ترتيب اللّف أى جنّه للمطيعين و نار للعاصين (و كرامه) و رضوان للأوّلين و ذلّه (و هوان) للاخرين.

(أحمده إلى نفسه) أى أحمده سبحانه متقرّبا أو متوجّها به إليه تعالى أو منهيا حمدى إلى نفسه أى يكون حمدى منتهيا إليه و مخصوصا به عزّ و جلّ (كما استحمد إلى خلقه) أى يكون حمدى إيّاه فى الكيفيّه و الكميّه على الوجه الّذى طلب الحمد موجّها طلبه إلى خلقه أو على الوجه الّذى طلبه منهم و المال واحد، و المراد بيان فضل الحمد و كونه على وجه الكمال و خلوصه عن شوب الشرك و الريا و قوله (جعل لكلّ شيء قدرا) كقوله تعالى: «قَدْ جَعَلَ اللّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْراً » أى مقدارا معيّنا من الكيفيّه و الكميّه ينتهى إليه، و حدّا محدودا يقف عنده ذلّه (و لكلّ قدر أجلا) أى لكلّ شيء مقدّر وقتا مخصوصا يكون فيه انقضاؤه و فناؤه اذا بلغه (و لكلّ أجل كتابا) أى رقوما تعرفها الملائكه و تعلم بها انقضاء أجل من ينقضى أجله.

و قال الشارح البحرانى: المراد بالكتاب العلم الالهى المعبّر عنه بالكتاب المبين و اللّوح المحفوظ المحيط بكلّ شيء، و فيه رقم كلّ شيء، انتهى، و الأظهر ما قلناه.

ص:۳۸۰

قال السيّد (ره)(منها) أى بعض فصول هذه الخطبه الشريفه (فى ذكر القرآن) و بعض أوصافه.

(فالقرآن آمر زاجر) وصفه بهما من باب التوسع و المجاز لأنّ الامر و الناهى هو اللّه سبحانه إلّا أنّ القرآن لما كان متضمّنا لأمره و نهيه اطلق عليه لفظ الامر و الناهى من باب اطلاق اسم السبب على المسبّب كما قاله الشارح البحرانى، أو من باب سيف قاتل، و إنما القاتل الضارب كما قاله الشارح المعتزلى يعنى تسميه الاله باسم ذى الاله.

أقول: لمّا كان القرآن مظهرا لامريّته و زاجريّته سبحانه يكفى هذا المقدار من العلاقه و الارتباط فى صحّه التجوّز، و لا حاجه الى تمحّل إدخالها فى إحدى العلائق المعروفه،و قد عرفت تحقيق ذلك فى ديباجه الشرح.

(و صامت ناطق) وصفه بالصّمت لأنّه كلام مؤلّف من حروف و أصوات صامته لأنّ العرض يستحيل أن يكون ناطقا، لأنّ النطق إنما يحصل بالأداه و اللّهوات و الكلام و الحروف يستحيل أن يكون ذا أداه تنطق بالكلام.

و يحتمل أن يكون وصفه به من باب المجاز إن قلنا إنّ الصّمت عباره عن عدم النطق عمّن من شأنه أن يكون ناطقا بأن يكون النسبه بينهما مقابله العدم و الملكه، و على هذا فيكون وصفه به من باب الاستعاره تشبيها له بالحيوان الغير الناطق.

و أما وصفه بالنطق فهو من باب الاستعاره التبعيّه أو المكنيّه مثل قولهم نطقت المال بكذا و الحال ناطقه بكذا، و قد عرفت شرحه فى ديباجه الشرح فى المسأله السابعه من مسائل المجاز، و فى التقسيم الثانى من تقسيمات الاستعاره فليراجع ثمّه.

(حجّه اللّه على خلقه) لأنّ اللّه سبحانه يحتجّ على العباد بما أتاهم و عرّفهم به و بالقرآن عرف الأحكام و أبان مسائل الحلال و الحرام و أزال العذر به عن نفسه فى عقاب العاصين أن يقولوا يوم القيامه إنّا كنّا عن هذا غافلين.

و أيضا فهو معجزه للنبوّه و حجّه فى صدقها «كذا» النبىّ صلّى اللّه عليه و آله و قد بعث رسوله صلّى اللّه عليه و آله و سلّم

«لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَهٍ وَ يَحْيى مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَهٍ »، و «لِئَلّا يَكُونَ لِلنّاسِ عَلَى اللّهِ حُجَّهٌ بَعْدَ الرُّسُلِ ».

(أخذ عليهم ميثاقه) أى أخذ الميثاق و العهد من المكلّفين على العمل به و بأحكامه، و المراد به ما ورد فى بعض الايات و صدر عن لسان النبوّه من الحثّ و الترغيب عليه و الأمر باجلاله و إعظامه و القيام بمعالمه و أحكامه.

قال الشارح المعتزلى: و من الناس من يقول: المراد بذلك قصّه الذرّيه قبل خلق آدم عليه السّلام كما ورد فى الأخبار و فسّر قوم عليه الايه انتهى، و الأولى ما قلناه.

(و ارتهن عليه أنفسهم) لما كان ذمم المكلّفين مشغوله بما تضمّنه القرآن من التكاليف و الأحكام و كان اللّازم عليهم الخروج عن عهده التكليف و تحصيل براءه الذّمه شبّههم بالعين المرهونه لدين المرتهن، فانّ فكّ رهانتها موقوف على أداء حقّ صاحب الدّين فكذا فكّ رهانه هؤلاء موقوف على عملهم بالتكاليف الشرعيّه و الأوامر المطلوبه.

و هو نظير قول النبىّ صلّى اللّه عليه و آله فى الخطبه الّتى خطب بها فى فضيله شهر رمضان أيّها الناس إنّ أنفسكم مرهونه بأعمالكم ففكّوها باستغفاركم، و ظهوركم ثقيله من ذنوبكم فخففوا عنها بطول سجودكم.

(أتمّ نوره) أى جعل نوره تامّا كاملا.

أمّا كونه نورا فلأنه نور عقلىّ ينكشف به أحوال المبدأ و المعاد يهتدى به فى ظلمات برّ الأجسام و بحر النفوس قال اللّه عزّ و جلّ «قَدْ جاءَكُمْ مِنَ اللّهِ نُورٌ وَ كِتابٌ مُبِينٌ يَهْدِى بِهِ اللّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوانَهُ سُبُلَ السَّلامِ وَ يُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُماتِ إِلَى النُّورِ » و أمّا تماميّته فلكونه أكمل أسباب الهدايه أما فى بدو الاسلام فلكونه أقوى المعجزات الموجبه لخروج النّاس من ظلمه الكفر إلى نور الاسلام، و أمّا بعده فلبقائه بين الأمه إلى يوم القيامه و اهتدائهم به إلى معالم الدّين و مناهج الشرع المبين يوما فيوما.

(و) بـذلک الاعتبـار أيضـا (أکرم به دينه) أى جعله مکرمـا معزّزا به (و قبض نـبيّه صـلّى اللّه عليه و آله و قـد فرغ إلى الخلـق من أحکـام الهـدى به) يجـوز أن يکون الأحکـام بکسـر الهمزه أى فرغ من جعـل الهـدايه بـالقرآن محکمه أى متقنه مثبته فى قلوب المـؤمنين لکـنّ المضـبوط فيمـا رأيتـه من النسـخ بفتحهـا، فيکـون المراد فراغته صـلّى اللّه عليه و آله من أحکـام الهـدايه أى من التکاليف الّتى يتوقّف الهدايه به عليها، مثل قراءته و تعليمه و تفسـير معانيه و توضـيح مبانيه، و الالزام على العمل باحکامه و نحو ذلک مما يحصل به الاهتداء.

و کيف کان فالمراد أنّ النّبىّ صلّى اللّه عليه و آله لم يمض من الدّنيا إلّا بعد هدايه الناس بالقرآن إلى معالم الاسلام.

روى فى الکافى عن عبد العزيز بن مسلم عن الرّضا عليه السّلام أنّه قال: إنّ اللّه لم يقبض نبيّه صلّى اللّه عليه و آله حتّى أکمل له الـدّين و أنزل عليه القرآن فيه تبيـان کـلّ شـىء بيّن فيه الحلال و الحرام و الحـدود و الأحکام و جميع ما يحتاج إليه الناس کملا فقـال عزّ و جـلّ: «مـا فَرَّطْنـا فِي الْکِتابِ مِنْ شَـىْ ءٍ » و أنزل فى حجّه الوداع و هى آخر عمره صـلّى اللّه عليه و آله و سـلّم: «اَلْيَوْمَ أَکْمَلْتُ لَکُمْ دِينَکُمْ وَ أَتْمَمْتُ عَلَيْکُمْ نِعْمَتِي وَ رَضِـيتُ لَکُمُ الْإِسْلامَ دِيناً » و أمر الامامه من تمام الدّين و لم يمض حتّى بيّن لأمّته معـالم دينهم و أوضـح لهم سبيلهم و ترکهم على قصـد سبيل الحقّ و أقام لهم عليّا عليه السّـلام إماما و ما ترک شـيئا يحتاج إليه الأمه إلّا بيّنه، فمن زعم أنّ اللّه لم يکمل دينه فقد ردّ کتاب اللّه، و من ردّ کتاب اللّه فهو کافر.

و قد مرّ تمام تلک الروايه فى شرح الفصل الخامس من المختار الثالث.

(فعظّموا منه سـبحانه مـا عظم من نفسه) أى عظّموه عزّ و جلّ مثل تعظيمه لنفسه، و المراد به وصـفه بصـفات الجلال و الاعظام و أوصاف الکمال و الاکرام الّتى نطق بها الکتاب، و أفصحت عنها السنّه النبويّه.

و علّل عليه السّلام وجوب تعظيمه بقوله:(فانّه لم يخف عنکم شيئا من دينه) و علّه ذلک باعتبار أنّ الشرعيات مصالح المکلّفين و إذا فعل الحکيم سبحانه بهم ما فيه

صلاحهم فقد أحسن إليهم، و من جمله الشّرعيّات ما هو مقرّب إلى الثواب مبعّد من العقاب، و هذا أبلغ ما يكون من الاحسان و المحسن يجب تعظيمه و شكره بقدر الامكان لا سيّما إذا كان إحسانه بالنعم العظام و العطايا الجسام.

(و) أكّد عدم إخفائه شيئا من دينه بأنه (لم يترك شيئا رضيه) و أدّى إلى ثوابه (أو كرهه) و قرب من عقابه (إلاّ) و عرّفه و بيّنه (و جعل له علما باديا) أى علامه ظاهره (و آيه محكمه) واضحه (تزجر) و تنهى (عنه) لكونه مكروها (أو) تامر و (تدعو إليه) لكونه مرضيّا.

و لما ذكر أنّ اللّه سبحانه قبض نبيّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم بعد ما فرغ من بيان الأحكام و أنّه لم يخف شيئا من مراسم الدّين و معالم الاسلام فرّع عليه قوله:(فرضاه فيما بقى واحد و سخطه فيما بقى واحد) يعنى أنّ مرضيّه فيما بقى واحد و سخطه فيما بقى من الأحكام بين الامه بعد مضىّ النّبى صلّى اللّه عليه و آله واحد، و كذلك مسخوطه فيها واحد.

و هذا هو مذهب أهل الصواب من المخطئه القائلين بأنّ للّه سبحانه فى كلّ واقعه حكما معيّنا واحدا و أنّ المصيب إليه من المجتهدين واحد و غيره خاطئ.

خلافا لأهل الخطاء من المصوّبه القائلين بتعدّد الأحكام و كثرتها و اختلافها على اختلاف آراء المجتهدين، و قد عرفت تفصيل الكلام فى تحقيق التخطئه و التصويب فى شرح المختار الثامن عشر المسوق فى ذمّ اختلاف العلماء فى الفتوى، و هناك فوايد نفيسه نافعه لتوضيح المقام.

و لما ذكر أنّ حكم اللّه سبحانه واحد بالنسبه إلى الأشخاص نبّه على اتّحاده بالنسبه إلى الأزمان فقال (و اعلموا أنّه لن يرض عنكم بشىء سخطه على من كان قبلكم، و لن يسخط عليكم بشىء رضيه ممّن كان قبلكم) يعنى أنّ ما كان محرّما على السالفين الحاضرين فى زمان رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم فهو محرّم على الغابرين العامين «الغائبين ظ»، و ما كان واجبا على الأوّلين فواجب على الاخرين، لأنّ شرع محمّد صلّى اللّه عليه و آله و سلّم مستمرّ إلى يوم القيامه و حكمه على الواحد حكم على الجماعه، فلا يجوز تغيير الأحكام الثابته بالكتاب

و السنّه بالاراء و المقائيس و استحسانات العقليّه.

و هـذا الكلام نظير ما تقـدّم منه عليه السّـلام فى الفصل الثّانى من المختار المأه و الخامس و السّـبعين من قوله: و اعلموا عباد اللّه أنّ المؤمن يسـتحلّ العـام مـا اسـتحلّ عامـا أوّل و يحرّم العام ما حرّم عاما أوّل و إنّ ما أحـدث النّاس لا يحلّ لكم شـيئا مما حرّم عليكم و لكنّ الحلال ما أحلّ اللّه و الحرام ما حرّم اللّه، و قـد مضـى منا فى شـرح هذا الكلام ما يوجب زياده البصـيره فى المقام هذا.

و قد اضطرب أنظار الشارح البحرانى و المعتزلى فى شرح هذه الفقره و الفقره السابقه عليه و قصرت يدهما عن تناول المراد كما يظهر ذلـك لمن راجع إلى شـرحيهما ثمّ إنّه بيّن اشتراك المخـاطبين مع السابقين الأوّلين فى التكاليف و الأحكام و أنّه تعالى لا يرضى منهم إلّا بما كان رضيه عنهم و لا يسخط عليهم إلّا بما سخط به عن الأولين أكّد ذلك بقوله (و انما تسيرون فى اثر بيّن و تتكلّمون برجع قول قد قاله الرجال من قبلكم) و هو جمله خبريّه فى معنى الانشاء.

يعنى اذا كان تكليفكم متّحـدا مع السابقين فلا بدّ لكم أن تسـلكوا منهجهم و تحذوا حذوهم و تسـيروا فى آثارهم البيّنه الرّشد و تعملوا بما علموه من الأحكام الواضحه من الكتاب و السنّه، و أن تتكلّموا بقول نافع قد قالوه قبلكم و تنطقوا بكلام يعود منفعته و فايدته إليكم و إلى غيركم.

و هو كلّ كلام يفضى إلى الحقّ و يهدى إلى الصراط المستقيم و النهج القويم، و تخصيصه بكلمه التوحيد أى لا إله إلّا اللّه كما ذهب اليه الشـارح المعـتزلى لاـ دليـل عليه مع اقتضـاء الأصـل عـدمه فمحصّـِل المراد بـالجملتين أمر المخـاطبين بموافقه السـلف الصالحين فعلا و قولا.

(قـد كفـاكم مؤنه دنيـاكم) قـال الشـارح البحرانى: و تلـك الكفـايه إمّـا بخلقهـا و ايجادهـا، و إمّـا برزقه بكـلّ ما كتب فى اللّوح المحفوظ.

أقول: الظاهر هو الثّانى و هو نظير قوله عليه السّـلام المتقـدّم فى الفصل الأوّل من المختار التسـعين: عياله الخلق ضـمن أرزاقهم و قدّر أقواتهم، و قد تقدّم فى شرحه

فواید نافعه ههنا.

و أقول مضافا إلى ما سبق قال الامام سيّد العابدين و زين الساجدين عليه السّلام فى دعائه التاسع و العشرين من الصحيفه الكامله:

و اجعل ما صرحت به من عدتك فى وحيك و اتبعته من قسمك فى كتابك قاطعا لاهتمامنا بالرزق الذى تكفّلت به، و حسما للاشتغال بما ضمنت الكفايه له، فقلت و قولك الحقّ الأصدق و أقسمت و قسمك الأبرّ الأوفى «وَ فِي السَّماءِ رِزْقُكُمْ وَ ما تُوعَدُونَ » ثمّ قلت: «فَوَ رَبِّ السَّماءِ وَ الْأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقٌّ مِثْلَ ما أَنَّكُمْ تَنْطِقُونَ ».

قوله: «وَ فِي السَّماءِ رِزْقُكُمْ » أى أسباب رزقكم بأن يرسل سبحانه الرّياح فتثير السحاب فيبسطه فى السّماء فينزل الغيث و المطر فيخرج به من الأرض أنواع الأقوات و الملابس و المعايش.

و قيل: و فى السّماء تقدير رزقكم أى ما قسمته لكم مكتوب فى أمّ الكتاب الّذى هو فى السّماء.

و فى حديث أهل البيت عليهم السّلام: أرزاق الخلايق فى السّماء الرّابعه تنزل بقدر و تبسط بقدر.

و قال الصّادق عليه السّلام الرّزق المطر ينزل من السّماء فيخرج به أقوات العالم و قوله: «وَ ما تُوعَدُونَ » قال الصّادق عليه السّلام هو أخبار القيامه و الرّجعه و الأخبار الّتى فى السّماء، و قيل: هو الجنّه فوق السّماء السابعه و تحت العرش، ثمّ أقسم سبحانه بأنّ ما ذكره من أمر الرزق الموعود لحقّ مثل ما أنكم تنطقون، قال الزمخشرى و هذا كقول النّاس إنّ هذا لحقّ كما أنك ترى و تسمع و مثل ما أنك ههنا، قيل إنّه لمّا نزلت هذه الايه قالت الملائكه هلكك بنو آدم اغضبوا الرّب حتّى أقسم لهم على أرزاقهم و نقل فى الكشاف عن الاصمعى قال أقبلت من جامع البصره و طلع أعرابىّ على قعود فقال: من الرّجل؟ قلت: من بنى اصمع، قال: من أين اقبلت؟ قلت:

من موضع يتلى فيه كلام الرّحمان، قال: اتل علىّ، فتلوت: و الذاريات، فلمّا بلغت

ص:۳۸۶

قوله «وَ فِی السَّماءِ رِزْقُکَمْ وَ ما تُوعَدُونَ » قال: حسبک، فقام إلی ناقته فنحرها و وضعها علی من أقبل و أدبر، و عمد إلی سیفه و قوسه فکسرهما و ولّی.

فلمّا حججت مع الرّشید طفقت أطوف فاذا أنا بمن یهتف بی بصوت دقیق، فاذا أنا بالأعرابی قد نحل و اصفرّ فسلّم علیّ و استقرء السّوره فلمّا بلغت الایه صاح و قال: «قَدْ وَجَدْنا ما وَعَدَنا رَبُّنا حَقًّا »، ثمّ قال: و هل غیر ذلک؟ فقرأت «فَوَ رَبِّ السَّماءِ وَ الْأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقٌّ مِثْلَ ما أَنَّکُمْ تَنْطِقُونَ » فصاح و قال: یا سبحان اللّه من ذا الّذی أغضب الجلیل حتّی حلف لم یصدّقوه بقوله حتّی ألجئوه إلی الیمین، قالها ثلاثا و خرجت معها نفسه.

(و حثکم علی الشکر) لطفا بکم و رأفه لکم و رحمه علیکم، لأنّ شکره سبحانه موجب لزیاده نعمته کما أنّ کفرانها موجب لنقصانها قال عزّ من قائل: «لَئِنْ شَکَرْتُمْ لَأَزِیدَنَّکُمْ وَ لَئِنْ کَفَرْتُمْ إِنَّ عَذابِی لَشَدِیدٌ ».

(و افترض من ألسنتکم الذکر) أی أوجب علیکم أن تذکروه سبحانه بألسنتکم کما قال «فَاذْکُرُونِی أَذْکُرْکُمْ وَ اشْکُرُوا لِی وَ لا تَکْفُرُونِ » و قال «وَ اذْکُرْ رَبَّکَ فِی نَفْسِکَ تَضَرُّعاً وَ خِیفَهً وَ دُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ بِالْغُدُوِّ وَ الْآصالِ » و قد مضی تفصیل الکلام فی ذکره تعالی و الأدلّه الوارده فی فضله و الحثّ و الترغیب علیه فی التنبیه الثانی من شرح الفصل السادس من فصول المختار الثانی و الثمانین.

(و أوصاکم بالتقوی) فی قوله «وَ لَقَدْ وَصَّیْنَا الَّذِینَ أُوتُوا الْکِتابَ مِنْ قَبْلِکُمْ وَ إِیّاکُمْ أَنِ اتَّقُوا اللّهَ » و غیرها من الایات الّتی تقدّمت فی شرح المختار الرّابع و العشرین.

(و جعلها منتهی رضاه) فانّها لما کانت موصله إلی اللّه سبحانه مؤدّیه إلی رضوانه موجبه لمحبّته و رضاه صحّ بهذا الاعتبار جعلها منتهی رضاه من خلقه کما قال عزّ و جلّ «إِنَّ اللّهَ یُحِبُّ الْمُتَّقِینَ » و قال «لِلَّذِینَ اتَّقَوْا عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنّاتٌ تَجْرِی مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهارُ خالِدِینَ فِیها وَ أَزْواجٌ مُطَهَّرَهٌ وَ رِضْوانٌ مِنَ اللّهِ وَ اللّهُ بَصِیرٌ بِالْعِبادِ ».

(و) جعلها(حاجته من خلقه)استعار لفظ الحاجه لتأکّد الطلب أی طلبه

المؤكّد فانّه سبحانه لما بالغ فى الحثّ و الحضّ عليها و تكرّر منه تعالى طلبها و الأمر بها فى غير واحده من الايات شبّهها بالحاجه الّتى يفتقر إليها المحتاج و يبالغ فى تحصيلها و الوصول إليها و الجامع المطلوبيّه المتأكّده.

و لمّا نبّه على كونها سببا للوصول إلى رضوانه و غايه المطلوب من خلقه عقّبه بالأمر بها فقال(فاتقوا اللّه الّذى أنتم بعينه)أى بعلمه فاطلق العين و أريد العلم مجازا من باب تسميه المسبّب باسم السبّب، أو اللّازم باسم الملزوم إذ رؤيه الشىء سبب للعلم به و مستلزم له.

و فى الاتيان بالموصول تأكيد الغرض المسوق له الكلام، فانه لما أمر بالتقوى و كانت التقوى حسبما قاله الصادق عليه السّلام عباره عن أن لا يفقدك اللّه حيث أمرك و لا يراك حيث نهاك، أتى بالجمله الموصوله الوصفيّه تنبيها على أنّ اللّه عالم بكم خبير بأحوالكم بصير بأعمالكم سميع لأقوالكم، و من كان هذا شأنه فلا بدّ أن يتّقى منه حقّ تقاته إذ لا يعزب عنه شىء من المعاصى و لا يخفى عليه شىء من الخطايا كما يخفى على ساير الموالى بالنسبه من عبيدهم.

و أكّده اخرى بقوله (و نواصيكم بيده) يعنى أنه قاهر لكم قادر عليكم متمكّن من التصرّف فيكم كيف شاء و أىّ نحو أراد لا رادّ لحكمه و لا دافع لسخطه و نواصيكم بيد قدرته، لا يفوته من طلب و لا ينجو منه من هرب.

و أكّده ثالثه بقوله (و تقلّبكم فى قبضته) أى تصرّفكم فى حركاتكم و سكناتكم تحت ملكه و قدرته و اختياره.

و قوله (إن أسررتم علمه و إن أعلنتم كتبه) هو أيضا فى معنى التأكيد و أن غير الاسلوب على اقتضاء التفنّن، يعنى أنّه عالم بالسرائر خبير بالضمائر سواء عليه ما ظهر منكم و ما بطن لا يحجب عنه شىء ممّا يسرّ و ما يعلن كما قال عزّ من قائل:

«سَواءٌ مِنْكُمْ مَنْ أَسَرَّ الْقَوْلَ وَ مَنْ جَهَرَ بِهِ وَ مَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍ بِاللَّيْلِ وَ سارِبٌ بِالنَّهارِ » هذا و يدلّ قوله: إن أعلنتم كتبه بمفهومه على أنّه لا يكتب ما لا يعلن و إن كان يعلمه، فيفيد عدم المؤاخذه على نيّه المعصيه بمجرّدها، و قد مضى تحقيق الكلام

فیه فی شرح الفصل الخامس من المختار الثالث فلیتذکّر.

و بذلک ظهر ما فی قول الشّارح المعتزلی حیث قال: إنّ قوله علیه السّلام إن أسررتم آه لیس یدلّ علی أنّ الکتابه غیر العلم، بل هما شیء واحد و لکنّ اللّفظ مختلف انتهی فتدبّر.

و عقّب قوله: کتبه بقوله(قد وکل بکم حفظه کراما)من باب الاحتراس فانه لما کان بظاهره متوهّما لکونه تعالی شأنه بنفسه کاتبا أتا بهذه الجمله دفعا لذلک التوهّم، و تنبیها علی أنّ الموکّل بذلک الملائکه الحافظون لأعمال العباد.

قال تعالی «وَ إِنَّ عَلَیْکُمْ لَحافِظِینَ کِراماً کاتِبِینَ » و هم طائفتان ملائکه الیمین للحسنات و ملائکه الشمال للسیئات قال عزّ و جلّ «إِذْ یَتَلَقَّی الْمُتَلَقِّیانِ عَنِ الْیَمِینِ وَ عَنِ الشِّمالِ قَعِیدٌ ما یَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلاّ لَدَیْهِ رَقِیبٌ عَتِیدٌ » هذا.

و فی وصف الحفظه بالکرام(۱) و تعظیمهم بالثناء تفخیم لما وکّلوا به و أنه عند اللّه تعالی من جلائل الامور حیث یستعمل فیه هؤلاء الکرام، و فیه من التهویل من المعاصی ما لا یخفی.

و لهذه النکته أیضا وصفهم ثانیا بقوله (لا یسقطون حقّا و لا یثبتون باطلا) أی لا یسقط من قلمهم ما هو ثابت له أو علیه، و لا یکتبون ما لا أصل له، و من المعلوم أنّ المکلّف إذا التفت إلی ذلک و تنبّه علی شدّه محافظه الحفظه علیه و علی أنّهم لا یترکون شیئا مما هو له أو علیه کان ذلک أقوی داعیا له علی الازعاج عن المعاصی و الاقلاع عن السیئات.

قال الصّادق علیه السّلام: استعبدهم اللّه أی الکرام الکاتبین بذلک، و جعلهم شهودا علی خلقه لیکون العباد لملازمتهم إیّاهم أشدّ علی طاعه اللّه مواظبه و عن معصیته

۱- (۱) و المستفاد من روایه علل الشرائع عن الصادق (علیه السلام) أنّ الملائکه الحفظه غیر الکرام البرره قال (علیه السلام) فی حدیث المعراج انما سمّیت سدره المنتهی لأنّ أعمال أهل الأرض تصعد بها الملائکه الحفظه الی محلّ السدره و الحفظه الکرام البرره دون السدره یکتبون ما یرفع إلیهم من أعمال العباد

أشدّ انقباضا، و كم من عبد همّ بمعصيته فذكر مكانهم فارعوى، و كيف فيقول ربّى يرانى و حفظتى علىّ بذلك تشهد، هذا.

و لما امر بالتقوى و أردفه بذكر ما يحذر من تركها عقّبه بذكر ما يرغب فى الملازمه عليها فقال (و اعلموا أنّ من يتّق اللّه يجعل له مخرجا من الفتن) الموجبه للضلاله (و نورا من الظلم) أى من ظلمات الجهاله، و هو اقتباس من الايه الشريفه فى سوره الطلاق قال سبحانه: «وَ مَنْ يَتَّقِ اللّٰهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجاً وَ يَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لا يَحْتَسِبُ ».

روى فى الصّافى عن القمّى عن الصّادق عليه السّلام قال: فى دنياه، و من المجمع عن النبىّ صلّى اللّه عليه و آله و سلّم أنّه قرأها فقال: مخرجا من شبهات الدّنيا و من غمرات الموت و شدايد يوم القيامه و عنه عليه السّلام إنّى لأعلم آيه لو أخذ بها النّاس كفتهم «وَ مَنْ يَتَّقِ اللّٰهَ » الايه، فما زال يقولها و يعيدها.

(و يخلده فيما اشتهت نفسه) و هو أيضا اقتباس من الايه فى سوره الأنبياء قال تعالى «وَ هُمْ فِي مَا اشْتَهَتْ أَنْفُسُهُمْ خالِدُونَ لا يَحْزُنُهُمُ الْفَزَعُ الْأَكْبَرُ وَ تَتَلَقّاهُمُ الْمَلائِكَهُ هذا يَوْمُكُمُ الَّذِى كُنْتُمْ تُوعَدُونَ ».

(و ينزله منزل الكرامه عنده) أى فى منزل أهله معزّزون مكرّمون عنده سبحانه (فى دار اصطنعها لنفسه) أى اتّخذها صنعه و خالصته و اختصّها بكرامته كما قال سبحانه لموسى بن عمران: «وَ اصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِى » قيل: هو تمثيل لما أعطاه اللّه من التقريب و التكريم.

قال الشارح البحرانى: و الدّار الّتى اصطنعها لنفسه كنايه عن الجنّه و نسبها إلى نفسه تعظيما لها و ترغيبا فيها، و ظاهر حسن تلك النسبه فانّ الجنّه المحسوسه أشرف دار رتّبت لأشرف المخلوقات، و أما المعقوله فيعود إلى درجات الوصول و الاستغراق فى المعارف الالهيّه الّتى بها السعاده و البهجه و اللّذه التامّه، و هى جامع الاعتبار العقلى لمنازل أولياء اللّه و خاصّته و مقامات ملائكته و رسله، و من المتعارف أنّ الملك العظيم اذا صرف عنايته الى بناء دار يسكنها هو و خاصّته أن يقال انّه تختصّ

بالملک و انّه بناها.

و قوله:(ظلّها عرشه) يدلّ على أنّ الجنّه فوق السّماوات و تحت العرش و اليه ذهب الاكثر.

قال الرّازى فى تفسير قوله عزّ و جلّ: «وَ سارِعُوا إِلى مَغْفِرَهٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَ جَنَّهٍ عَرْضُها السَّماواتُ وَ الْأَرْضُ »: و ههنا سؤالات «إلى أن قال» السؤال الثّالث أنتم تقولون إنّ الجنّه فى السّماء فكيف يكون عرضها كعرض السّماء.

و الجواب أنّ المراد من قولنا أنها فى السّماء أنّها فوق السّماوات و تحت العرش قال فى صفه الفردوس: سقفها عرش الرحمن، و قال: و سئل أنس بن مالك عن الجنّه فى الأرض أم فى السّماء؟ قال: فأىّ أرض و سماء تسع الجنّه، قيل:

فأين هى؟ قال فوق السماوات السبع و تحت العرش.

و قال العلّامه المجلسى (ره) فى البحار بعد ذكر الايات و الأخبار فى وصف الجنّه و نعيمها:

اعلم أنّ الايمان بالجنّه و النار على ما وردتا فى الايات و الأخبار من غير تأويل من ضروريات الدّين و منكرهما أو مأوّلهما بما اوّلت به الفلاسفه خارج من الدّين.

و أما كونهما مخلوقتان الان فقد ذهب إليه جمهور المسلمين إلّا شرذمه من المعتزله، فانهم يقولون: سيخلقان يوم القيامه، و الايات و الأخبار المتواتره دافعه لقولهم مزيفه لمذهبهم و الظاهر أنه لم يذهب إلى هذا القول السخيف أحد من الاماميّه إلّا ما ينسب إلى السيد الرّضىّ رضى اللّه عنه و أما مكانهما فقد عرفت أنّ الأخبار تدلّ على أنّ الجنّه فوت السماوات السبع و النار فى الأرض السابعه، و نقل عن شارح المقاصد أنه قال: لم يرد نقل صريح فى تعيين مكان الجنّه و النار، و الأكثرون على أنّ الجنّه فوق السماوات السبع و تحت العرش تشبّثا بقوله تعالى «عِنْدَ سِدْرَهِ الْمُنْتَهى عِنْدَها جَنَّهُ الْمَأْوى » و قوله عليه السّلام:

سقف الجنّه عرش الرّحمن، و النار تحت الأرضين السبع، و الحقّ تفويض ذلک إلى علم

العليم الخبير انتهى.

و ذهب بعضهم إلى أنّها فى السّماء الرابعه نسبه الطبرسىّ فى مجمع البيان إلى صحيح الخبر، و اللّه أعلم.

(و نورها بهجته) قال الطريحى و البهجه الحسن و منه رجل ذو بهجه، و البهجه السّرور و منه الدّعاء: و بهجه لا تشبه بهجات الدّنيا، أى مسرّه لا تشبه مسرّات الدّنيا، و فيه:

سبحان ذى البهجه و الجمال، يعنى الجليل تعالى انتهى.

أقول: فعلى المعنى الأوّل فالمراد أنّ نور الجنّه أى منوّرها جماله سبحانه عظمه الّتى تضمحلّ الأنوار دونها، فأهل الجنّه مستغرقه فى شهود جماله، و نفوسهم مشرقه باشراق أنوار كماله كما قال عزّ من قائل «اَللّٰهُ نُورُ السَّماوٰاتِ وَ الْأَرْضِ » أى منوّرهما، فانّ كلّ شىء استنار منهما و استضاء فبقدرته و جوده و افضاله.

روى فى البحار من تفسير علىّ بن إبراهيم القمّى عن أبيه عن ابن أبى نجران عن عاصم بن حميد عن أبى عبد اللّه عليه السّلام قال: إنّ للّه كرامه فى عباده المؤمنين فى كلّ يوم جمعه فاذا كان يوم الجمعه بعث اللّه إلى المؤمن ملكا معه حلّه فينتهى إلى باب الجنّه فيقول: استأذنوا لى على فلان، فيقال هذا رسول ربّك على الباب فيقول لأزواجه أىّ شىء ترين على أحسن، فيقلن يا سيّدنا و الّذى أباحك الجنّه ما رأينا عليك شيئا أحسن من هذا بعث إليك ربّك فيتّزر بواحده و يتعطّف بالأخرى فلا يمرّ بشىء إلاّ أضاء له حتى ينتهى إلى الموعد فاذا اجتمعوا تجلّى لهم الرّب تبارك و تعالى فاذا نظروا إليه خرّوا سجّدا، فيقول عبادى ارفعوا رؤوسكم ليس هذا يوم سجود و لا يوم عباده قد رفعت عنكم المؤنه، فيقولون: يا ربّ و أىّ شىء أفضل مما أعطيتنا، أعطيتنا الجنّه، فيقول لكم مثل ما فى أيديكم سبعين ضعفا، فيرجع المؤمن فى كلّ جمعه سبعين ضعفا مثل ما فى يديه و هو قوله «وَ لَدَيْنا مَزِيدٌ » و هو يوم الجمعه إنّ ليلها ليله غرّاء و يومها يوم أزهر فأكثروا فيها من التسبيح و التكبير و التهليل و الثناء على اللّه و الصّلاه على محمّد و آله.

ص:٣٩٢

قال فیمرّ المؤمن فلا یمرّ بشیء إلاّ أضاء له حتّی ینتهی إلی أزواجه، فیقلن و الّذی أباحنا الجنّه یا سیّدنا ما رأیناک قط أحسن منک الساعه فیقول: إنّی قد نظرت بنور ربّی الحدیث.

قال العلاّمه المجلسی (ره) قوله - تجلّی لهم الرّب - أی بأنوار جلاله و آثار رحمته و افضاله - فاذا نظروا إلیه - أی إلی ما ظهر لهم من ذلک و علی المعنی الثانی فالمراد أنّ نور الجنّه و أهلها ابتهاج اللّه سبحانه بها و بهم أما وصفه سبحانه بالابتهاج و البهجه فلما قال الحکماء و المتکلّمون المثبتون له تعالی اللّذه العقلیّه من أنّ أجل مبتهج هو المبدأ الأوّل بذاته لأنّ الابتهاج و اللّذه عباره عن إدراک الکمال فمن أدرک کمالا فی ذاته ابتهج به و التذّ، و کماله تعالی أجلّ الکمالات و إدراکه أقوی الادراکات فوجب أن یکون لذّاته أقوی اللّذات.

قال صدر المتألّهین: أجلّ مبتهج بذاته هو الحقّ الأوّل، لأنه أشدّ إدراکا لاعظم مدرک له الشرف الأکمل و النور الأنور و الجلال الأرفع، و هو الخیر المحض و بعده فی الخیریّه و الوجود و الادراک هو الجواهر العقلیّه و الأرواح النوریّه و الملائکه القدسیّه المبتهجون به تعالی، و بعد مرتبتهم مرتبه النفوس البشریّه و السعداء من أصحاب الیمین علی مراتب ایمانهم باللّه.

و أما المقرّبون من النفوس البشریّه و هم أصحاب المعارج الروحانیّه فحالهم فی الاخره کحال الملائکه المقرّبین فی العشق و الابتهاج به تعالی.

إذا عرفت ذلک ظهر لک أنّ ابتهاج اللّه بمخلوقاته راجع إلی ابتهاجه بذاته، لأنه لما ثبت أنه أشدّ مبتهج بذاته لما له من الشرف و الکمال کان ذاته أحبّ الأشیاء إلیه، و کلّ من أحبّ شیئا أحبّ جمیع أفعاله و آثاره لاجل ذلک المحبوب، و کلّ ما هو أقرب إلیه فهو أحبّ الیه و ابتهاجه به أکمل.

فثبت بذلک أنّ اللّه سبحانه مبتهج بالجنّه و أهلها لأنها دار کرامته و رحمته و أقرب المجعولات إلیه، و کذلک أهلها لأنهم مقرّبو حضرته و محبوبون إلیه و مکرّمون لدیه کما أنهم مبتهجون به سبحانه و محبّون إیّاه.

و أما أنّ بهجته تعالى نور لها أى لأهلها فلكون محبّته و ابتهاجه سببا لاستناره نفوسهم بما يفاض عليهم من الأنوار الملكوتيّه الّتى تغشى أبصار البصاير و يستغرق فى الابتهاج بها الأولياء المقرّبون، و على ذلك فتسميه البهجه بالنور من باب تسميه السبب باسم المسبّب، هذا.

و انما خصّ بهجته بالذكر لأنها حسبما عرفت ملازمه للمحبّه، و محبّته تعالى لهم و رضوانه عنهم أعظم الخيرات و أفضل الكمالات.

روى فى البحار عن العياشى عن ثوير عن علىّ بن الحسين عليهما السّلام قال: إذا صار أهل الجنّه فى الجنّه و دخل ولىّ اللّه إلى جنانه و مساكنه، و اتكى كلّ مؤمن منهم أريكته حفّته خدّامه و تهدّلت عليه الثمار و تفجّرت حوله العيون و جرت من تحته الأنهار و بسطت له الزّرابى، و صففت له النمارق و أتته الخدّام بما شائت شهوته من قبل أن يسألهم ذلك قال: و يخرج عليهم الحور العين من الجنان فيمكثون بذلك ما شاء اللّه، ثمّ إنّ الجبّار يشرف عليهم فيقول لهم: أوليائى و أهل طاعتى و سكان جنّتى فى جوارى ألا هل انبئكم بخير مما أنتم فيه؟ فيقولون: ربّنا و أىّ شىء خير مما نحن فيه؟ نحن فيما اشتهت أنفسنا و لذّت أعيننا من النعم فى جوار الكريم، قال:

فيعود عليهم بالقول، فيقولون: ربّنا نعم، فأتنا بخير مما نحن فيه، فيقول لهم تبارك و تعالى: رضاى عنكم و محبّتى لكم خير و أعظم مما أنتم فيه، فيقولون: نعم يا ربّنا رضاك عنّا و محبّتك لنا خير لنا و أطيب لأنفسنا، ثمّ قرء علىّ بن الحسين عليهما السّلام هذه الايه «وَعَدَ اللّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَ الْمُؤْمِناتِ جَنّاتٍ تَجْرِى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهارُ خالِدِينَ فِيها وَ مَساكِنَ طَيِّبَةً فِى جَنّاتِ عَدْنٍ وَ رِضْوانٌ مِنَ اللّهِ أَكْبَرُ ذلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ».

(و زوّارها ملائكته) يعنى أنّ الملائكه يزورون ساكنيها تعظيما لهم و تشريفا و تكريما حسبما عرفت الاشاره إليه فى الروايه الّتى رويناها من روضه الكافى فى شرح الفصل التاسع من المختار الأول.

(و رفقاؤها رسله) كما قال عزّ من قائل «وَ مَنْ يُطِعِ اللّهَ وَ الرَّسُولَ فَأُولئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَ الصِّدِّيقِينَ وَ الشُّهَداءِ وَ الصّالِحِينَ وَ حَسُنَ أُولئِكَ رَفِيقاً »

رغب اللّه تعالى و كذا أمير المؤمنين أهل الطاعه و التّقوى بهذا الوعد و ما أحسنه من وعد و هو كونهم رفيق النّبيين الّذينهم فى أعلا علّيين و الصدّيقين الّذين صدقوا فى أقوالهم و أفعالهم، و الشهداء المقتول أنفسهم و أبدانهم بالجهاد الأكبر و الأصغر و الصالحين الّذين صلحت حالهم و استقامت طريقتهم.

روى فى الصّافى من الكافى عن الصادق عليه السّلام: المؤمن مؤمنان: مؤمن وفى للّه بشروطه الّتى اشترطها عليه فذلك مع النّبيين و الصدّيقين و الشهداء و الصّالحين و حسن اولئک رفيقا، و ذلک ممّن يشفع و لا يشفع له، و ذلک ممّن لا يصيبه أهوال الدّنيا و لا أهوال الاخره، و مؤمن زلّت به قدم فذلک كخامه الزرع كيفما كفته الريح انكفى، و ذلک ممّن يصيبه أهوال الدّنيا و أهوال الاخره و يشفع له و هو على خير.

و فيه من الكافى و العياشى عن الصّادق عليه السّلام لقد ذكركم اللّه فى كتابه فقال:

«فَأُولئِکَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللّهُ » الايه، فرسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم فى الايه النبيّون و نحن فى هذا الموضع الصدّيقون و الشهداء و أنتم الصّالحون فتسمّوا بالصّلاح كما سمّاكم اللّه، هذا.

و لجزاله هذا الوعد أعنى مرافقه النّبيين عقّب اللّه تعالى قوله «وَ حَسُنَ أُولئِکَ رَفِيقاً » بقوله «ذلِکَ الْفَضْلُ مِنَ اللّهِ وَ كَفى بِاللّهِ عَلِيماً » و قد مضى بعض الكلام فى وصف الجنّه و نعيمها فى شرح الفصل الثالث من المختار الثامن و المأه، رزقنا اللّه نيلها بمنّه و جوده.

ثمّ إنه عليه السّلام لما أمر بالتقوى و نبّه على فضلها و عظم ما يترتّب عليها من الثمرات الدّنيويّه و الأخرويّه رتّب عليه قوله (فبادروا المعاد و سابقوا الاجال) أى سارعوا إلى المعاد بالمغفره و التّقوى لأنّها خير الزّاد و استبقوا إلى الاجال بالخيرات و صالح الأعمال.

و المراد بالمعاد هو العود إلى الفطره الاولى بعد الانتقال منها و النزول إلى الدّنيا فالاشاره إلى الابتداء بقوله تعالى «فِطْرَتَ اللّهِ الَّتِى فَطَرَ النّاسَ عَلَيْها » «وَ قَدْ خَلَقْتُکَ مِنْ قَبْلُ وَ لَمْ تَکُ شَيْئاً » و الاشاره إلى الانتهاء «كُلُّ شَىْ ءٍ هالِکٌ إِلاّ وَجْهَهُ »

«كُلُّ مَنْ عَلَيْها فانٍ وَ يَبْقى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلالِ وَ الْإِكْرامِ » فالبدو و الرّجوع متقابلان قال تعالى «كَما بَدَأْنا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ » فالعدم الخاصّ الأوّل للانسان هو الجنّه الّتى كان فيها أبونا آدم عليه السّلام و أمّنا حوّا، و الوجود بعد العدم هو الهبوط منها إلى الدّنيا «اِهْبِطُوا مِنْها جَمِيعاً » و العدم الثانى من هذا الوجود هو الفناء فى التّوحيد، و الأوّل هو النزول و الهبوط، و الثانى هو العروج و الصّعود، و البدايه النزول عن الكمال إلى النقص، و النهايه المعاد من النقصان إلى الكمال و اليه الاشاره بقوله «اِرْجِعِي إِلى رَبِّكِ راضِيَةً مَرْضِيَّةً فَادْخُلِي فِي عِبادِي وَ ادْخُلِي جَنَّتِي » هذا.

و لما أمر عليه السّلام بالمبادره إلى المعاد و المسابقه إلى الاجال علّله بقوله (فانّ الناس يوشک أن ينقطع بهم الأمل و يرهقهم الأجل) يعنى أنه تقريب انقطاع آمالهم الخادعه و مفاجاه آجالهم المستوره (و) أن (يسدّ عنهم باب) الانابه و (التوبه) و من كان هذا شأنه فلا بدّ أن يتّقى ربّه و ينصح نفسه و يقدّم توبته و يغلب شهوته و يستغفر من خطيئته و يستقيل من معصيته، فانّ أجله مستور عنه و أمله خادع له، و الشيطان موكّل به يزيّن له المعصيه ليركبها و يمّنيه التوبه ليسوّفها حتّى يهجم منيته عليه أغفل ما يكون عليها.

(فقد أصبحتم فى مثل ما سأل إليه الرّجعه من كان قبلكم) أى أصبحتم فى حال الحياه و الصحّه و سلامه المشاعر و القوى و البنيه و ساير الأسباب الّتى يتمنّى من كان قبلكم الرجعه إليها لتدارک ما فات و اصلاح الزلّات و الهفوات، و قال: «رَبِّ ارْجِعُونِ لَعَلِّي أَعْمَلُ صالِحاً فِيما تَرَكْتُ »، و لكنّهم قد حيل بينهم و بين ما يشتهون و قيل «كَلّا إِنَّها كَلِمَةٌ هُوَ قائِلُها وَ مِنْ وَرائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلى يَوْمِ يُبْعَثُونَ ».

فالان و الخناق مهمل، و الروح مرسل، فى راحه الأجساد، و باحه الاحتشاد و انتظار التوبه، و انفساح الحوبه، لا بدّ من اغتنام الفرصه و الانابه من الخطيئه قبل الضنک و الضيق، و الرّوع و الزهوق، و قبل أن يروع من الرّجعه و يعظم الحسره

(و أنتم بنو سبيل على سفر من دار ليست بداركم) شبّههم بأبناء السبيل تنبيها على أنّ كونهم فى هذه الدّار بالعرض و أنّ وطنهم الأصلى هو الدّار الاخره و أنهم مسافرون إليها.

(و) قوله (قد أوذنتم منها بالارتحال و أمرتم فيها بالزاد) قد تقدّم فى شرح المختار الثالث و السّتين و غيره توضيح معنى الفقره الأولى، و مرّ غير مرّه أنّ المراد بالزاد الّذى أمروا بأخذها هو التقوى قال عزّ و جلّ «وَ تَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزّادِ التَّقْوى » و الغرض من هاتين الفقرتين و سابقتهما التنفير عن الدّنيا و الترغيب إلى الأخرى و تنبيه المخاطبين من نوم الغفله و الجهاله و إرشادهم إلى الاستعداد و تهيئه الزاد لسلوك مسالك الاخره.

و بيان ذلك بلسان الرمز و الاشاره أنّ للّه تعالى عالمين: عالم الدّنيا و عالم الاخره و نشأتين: الغيب و الشهاده و الملك الملكوت، و أنّ الناس فى مبدء تكوّنهم مخلوقون من موادّ العالم الأسفل و لهم الارتقاء بحسب الفطره الأولى الّتى فطر الناس عليها إلى جوار اللّه سبحانه قاله سبحانه برحمته و عنايته، خلق الأنبياء و بعثهم ليكونوا هداه الخلق إلى معادهم و قوادهم فى السفر إليه و سابقوهم إلى منازلهم، كرؤساء القوافل و أنزل الكتب ليعلّمهم و يبيّن لهم كيفيّه السفر و الارتحال و أخذ الزاد و الراحله و تعريف الأحوال عند الوصول إلى منازلهم فى الاخره.

و الخلق ما داموا فى الدّنيا و لم يصلوا إلى أوطانهم الأصليّه، فهم فى الظلمات على حالات متفاوته مختلفه، فمنهم نائمون، الناس نيام إذا ماتوا انتبهوا، الدّنيا منام و العيش فيها كالأحلام، و منهم موتى لقوله تعالى «أَمْواتٌ غَيْرُ أَحْياءٍ ».

فمن مات عن هذه الحياه المجازيه الموسومه باللّعب و اللّهو كما قال تعالى «إِنَّمَا الْحَياةُ الدُّنْيا لَعِبٌ وَ لَهْوٌ » فقد انتبه عن نوم الغفله و حىّ بالحياه الأبديّه.

فانّ الموت على ضربين أحدهما الارادى المشار إليه بقوله عليه السّلام: موتوا قبل أن تموتوا، و الاخر الطبيعى و إليه الاشاره بقوله تعالى: «أَيْنَما تَكُونُوا يُدْرِكْكُمُ الْمَوْتُ ».

فکلّ من مات بالموت الارادی أی قلع قلبه عن العلایق و الامنیّات و نهی نفسه عن الهوی و الشهوات فقد حیّ بالحیاه السّرمدیّه الطبیعیّه.

قال أفلاطن: مت بالاراده تحیی بالطبیعه، و کلّ من مات بالموت الطبیعی فقد هلک هلاکا أبدیّا عقلا و ضلّ ضلالا بعیدا و من کان فی هذه أعمی فهو فی الاخره أعمی و أضلّ سبیلا، هذا.

و لما أمر علیه السّلام بالتقوی و بشّر بما رتّب علیها من الثواب و حسن الماب أردف ذلک بالانذار و الوعید من ألیم السخط و العذاب فقال (و اعلموا أنه لیس لهذا الجلد الرقیق صبر علی النار) الّتی قعرها بعید، و حرّها شدید، و شرابها صدید، و عذابها جدید، و مقامعها حدید، لا یفتر عذابها، و لا یموت ساکنها، کلّما نضجت جلودهم بدّلناهم جلودا غیرها لیذوقوا العذاب إنّ اللّه کان عزیزا حکیما.

روی فی البحار من تفسیر علیّ بن إبراهیم عن ابن أبی عمیر عن أبی بصیر عن أبی عبد اللّه علیه السّلام قال: قلت له: یا بن رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله خوّفنی فانّ قلبی قد قسی، فقال: یا با محمّد استعد للحیاه الطویله، فانّ جبرئیل جاء إلی رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و هو قاطب و قد کان قبل ذلک یجیء و هو متبسّم، فقال رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم: یا جبرئیل جئتنی الیوم قاطبا فقال: یا محمّد قد وضعت منافخ النار، فقال صلّی اللّه علیه و آله: و ما منافخ النار یا جبرئیل؟ فقال:

یا محمّد إنّ اللّه عزّ و جلّ أمر بالنّار فنفخ علیها ألف عام حتّی ابیضّت، ثمّ نفخ علیها ألف عام حتّی احمرّت، ثمّ نفخ علیها ألف عام حتّی اسودّت، فهی سوداء مظلمه لو أنّ قطره من الضریع قطرت فی شراب أهل الدنیا لمات أهلها من نتنها، و لو أنّ حلقه واحده من السلسله الّتی طولها سبعون ذراعا وضعت علی الدّنیا لذابت الدّنیا من حرّها، و لو أنّ سربالا من سرابیل أهل النار علّق بین السماء و الأرض لمات أهل الدّنیا من ریحه.

قال علیه السّلام فبکی رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و بکی جبرئیل، فبعث اللّه إلیهما ملکا فقال لهما: ربکما یقرئکما السلام و یقول قد امنتکما أن تذنبا ذنبا اعذّبکما علیه فقال أبو عبد اللّه علیه السّلام: فما رأی رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم جبرئیل متبسّما بعد ذلک.

ثمّ قال: إنّ أهل النار يعظمون النّار، و إنّ أهل الجنّه يعظمون الجنّه و النعيم و إنّ جهنّم إذا دخلوها هووا فيها مسيره سبعين عاما فاذا بلغوا علاها قمعوا بمقامع الحديد، فهذه حالهم و هو قول اللّه عزّ و جلّ «كُلَّما أَرادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْها مِنْ غَمٍّ أُعِيدُوا فِيها وَ ذُوقُوا عَذابَ الْحَرِيقِ » ثمّ تبدّل جلودهم غير الجلود الّتى كانت عليهم، قال أبو عبد اللّه عليه السّلام حسبك؟ قلت: حسبى حسبى.

(فارحموا نفوسكم) إلى مصير هذه النّار الّتى علمت وصفها و عرفت حال أهلها (فانّكم قد جرّبتموها فى مصائب الدّنيا) و لم تصبروا على أهون مصائبها و أحقر آلامها (أ فرأيتم جزع أحدكم من الشوكه تصيبه و العثره تدميه و الرّمضاء) أى الأرض الشديده الحراره (تحرقه فكيف) حاله و تحمّله (إذا كان بين طابقين من نار) يغشيهم العذاب من فوقهم و من تحت أرجلهم و يقول ذوقوا ما كنتم تعملون (ضجيع حجر) أشير إليه فى قوله: «وَقُودُهَا النّاسُ وَ الْحِجارَهُ » قال ابن عبّاس و ابن مسعود: إنّها حجاره الكبريت لأنّها أحرّ شىء إذا احميت و قيل إنهم يعذّبون بالحجاره المحميه بالنّار.

(و قرين شيطان) و هو المشار إليه فى قوله سبحانه «وَ مَنْ يَعْشُ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطاناً فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ »، و «قالَ قَرِينُهُ رَبَّنا ما أَطْغَيْتُهُ وَ لكِنْ كانَ فِي ضَلالٍ بَعِيدٍ » قال ابن عباس و غيره: أى شيطانه الّذى أغواه و إنما سمّى قرينه لأنه يقرن به فى العذاب.

و فى البحار من تفسير علىّ بن إبراهيم فى روايه أبى الجارود عن أبى جعفر عليه السّلام فى قوله تعالى «وَ إِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ » قال عليه السّلام أما أهل الجنّه فزوّجوا الخيرات الحسان و أما أهل النار فمع كلّ إنسان منهم شيطان يعنى قرنت نفوس الكافرين و المنافقين بالشياطين فهم قرناؤهم.

(أعلمتم أنّ مالكا) و هو اسم مقدّم خزنه النار و الملائكه الموكّلين لأمرها قال تعالى «عَلَيْها مَلائِكَهٌ غِلاظٌ شِدادٌ » روى عن رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله أنه قال: و الّذى نفسى

بیده لقد خلقت ملائکه جهنم قبل أن تخلق جهنّم بألف عام فهم کلّ یوم یزدادون قوّه إلی قوّتهم.

و فی البحار من تفسیر علیّ بن إبراهیم عن أبیه عن ابن أبی عمیر عن هشام بن سالم عن الصّادق علیه السّلام فی خبر المعراج قال: قال النبیّ صلّی اللّه علیه و آله: فصعد جبرئیل و صعدت حتّی دخلت سماء الدّنیا فما لقینی ملک إلاّ و هو ضاحک مستبشر حتّی لقینی ملک من الملائکه لم أر أعظم خلقا منه کریه المنظر ظاهر الغضب فقال لی مثل ما قالوا من الدّعا إلاّ أنّه لم یضحک و لم أر فیه الاستبشار ما رأیت ممّن ضحک من الملائکه فقلت: من هذا یا جبرئیل؟ فانّی قد فزعت منه، فقال: یجوز أن تفزع منه فکلّنا نفزع منه إنّ هذا مالک خازن النار لم یضحک قط و لم یزل منذ ولاه اللّه جهنّم یزداد کلّ یوم غضبا و غیظا علی أعداء اللّه و أهل معصیته فینتقم اللّه به منهم و لو ضحک إلی أحد کان قبلک أو کان ضاحکا إلی أحد بعدک لضحک إلیک، و لکنّه لا یضحک فسلّمت علیه فردّ السلام علیّ و بشّرنی بالجنّه.

فقلت لجبرئیل و جبرئیل بالمکان الّذی وصفه اللّه «مُطاعٍ ثَمَّ أَمِینٍ »: ألا تأمره أن یرینی النار؟ فقال له جبرئیل: یا مالک أر محمّدا صلّی اللّه علیه و آله النار، فکشف منها غطائها و فتح بابا منها فخرج منها لهب ساطع فی السّماء و فارت و ارتفعت حتّی ظننت لیتناولنی مما رأیت، فقلت: یا جبرئیل قل له: فلیرد علیها غطائها، فأمرها فقال لها: ارجعی فرجعت إلی مکانها الّذی خرجت منه، الحدیث، فقد علم به زیاده قوّته و شدّه غیظه و غضبه.

(إذا غضب علی النار حطم بعضها بعضا لغضبه) أی أکله أو کسره و منه الحطمه اسم من أسماء جهنم قال تعالی «لَیُنْبَذَنَّ فِی الْحُطَمَهِ » أی لیطرحنّ فیها قال مقاتل و هی تحطم العظام و تأکل اللحوم حتّی تهجم علی القلوب و لتفخیم أمرها قال تعالی «وَ ما أَدْراکَ مَا الْحُطَمَهُ نارُ اللّهِ الْمُوقَدَهُ » المؤجّجه أضافها سبحانه إلی نفسه لیعلم أنها لیست کنیران الدّنیا.

«ج ۲۵»

ص:۴۰۰

(و اذا زجرهـا توثّبت بين أبوابها جزعا من زجرته) و لمّا حـذّر من أهوال الجحيم و أفزعهم بـذكر وصف مالك خازنها حـذّرهم بأسلوب آخر و أيّهم بقوله:

(أيّها اليفن) أى الشيـخ (الكبير الّذى قد لهزه) أى خالطه (القتير) و المشيب، و تخصيصه بالخطاب من بين ساير المخاطبين لكونه أولى بالحذر و الاقلاع عن المعصيه و الخطاء لاشراف عمره على الزوال و الانقضاء و قرب تورّطه فى ورطات الاخرى.

(كيف أنت) استـفهام على سبيل التقرير تقريعا على المعصـيه (إذا التحمت) أى التصـقت و انضـمّت (أطواق النار بعظام الأعناق) كما قال تعالى «فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ إِذِ الْأَغْلالُ فِي أَعْناقِهِمْ وَ السَّلاسِلُ يُسْحَبُونَ فِي الْحَمِيمِ ثُمَّ فِي النّارِ يُسْجَرُونَ ».

(و نشـبت الجوامع) أى علقت الأغلال الجـامعه بين الأيـدى و الأعناق (حتّى أكلت لحوم السّواعـد) قال تعالى فى سوره الرّحمن «يُعْرَفُ الْمُجْرِمُونَ بِسِيماهُمْ فَيُؤْخَذُ بِالنَّواصِي وَ الْأَقْدامِ » قال الطبرسىّ أى تأخذهم الزّبانيه فيجتمع بين نواصيهم و أقدامهم بالغلّ، و فى سوره الفرقـان «وَ إِذا أُلْقُوا مِنْها مَكاناً ضَيِّقاً مُقَرَّنِينَ دَعَوْا هُنالِكَ ثُبُوراً لا تَدْعُوا الْيَوْمَ ثُبُوراً واحِداً وَ ادْعُوا ثُبُوراً كَثِيراً » قال الطبرسىّ مقرّنين أى مصفّدين قرنت أيديهم إلى أعناقهم فى الأغلال.

(فاللّه اللّه) أى اتّقوه سـبحانه يا (معشر العباد و أنتم سالمون فى الصحّه قبل السقم) أى فى زمان صحّتكم قبل أن ينزل بكم السّقم (و فى الفسـحه قبل الضيق) أى فى سعه الأعمار قبل أن تبدل بالضيق(فاسعوا فى فكاك رقابكم)من النّار بالتوبه و التقوى(من قبل أن تغلق رهائنها)أصل غلق الرّهن عباره عن بقائه فى يد المرتهن لا يقدر راهنه على انتزاعه.

قال ابن الاثير و كان من فعل الجاهليّه أنّ الراهن إذا لم يؤدّ ما عليه فى الوقت المعيّن ملك المرتهن الرّهن فأبطله الاسلام.

إذا عرفت ذلـك فـأقول: إنّ ذمم المكلّفين لكونها مشـغوله بالتكاليف الشـرعيّه المطلوبه منهم فكأنّها رهن عليها، و كما أنّ انتزاع الرّهن من يد المرتهن و التمكّن من التّصرف فيه موقوف على أداء الدّين، فكذلك تخليص الرّقاب موقوف على

الخروج من عهده التكاليف، فمن أجل ذلك أمر عليه السّلام بالسّعى فى فكاكها و استخلاصها و على ذلك فالاضافه فى رهائنها من قبيل إضافه المشبّه به إلى المشبّه و ذكر الغلق ترشيح للتشبيه.

و لما أمر بالسّعى فى الفكاك إجمالا أشار إلى ما به يحصل الفكّ تفصيلا و لكمال الاتّصال بين الجملتين ترك العاطف فقال:

(أسهروا عيونكم) أى بالتهجّد و صلاه اللّيل و ساير النوافل و قد تقدّم بعض الأخبار فى فضلها فى شرح الفصل السادس من المختار الثانى و الثمانين.

و أقول هنا مضافا إلى ما سبق: روى الصّدوق فى ثواب الأعمال عن عبد اللّه بن سنان عن أبى عبد اللّه عليه السّلام قال: شرف المؤمن صلاه اللّيل و عزّ المؤمن كفّه عن النّاس.

و فيه عن معاويه بن عمار عن بعض أصحابه عن أبى عبد اللّه عليه السّلام قال: عليكم بصلاه اللّيل فانها سنّه نبيّكم و دأب الصالحين قبلكم و مطرده الداء عن أجسادكم.

و بهذا الاسناد قال: قال أبو عبد اللّه عليه السّلام صلاه اللّيل تبيض الوجه و صلاه اللّيل تطيب الرّيح، و صلاه اللّيل تجلب الرّزق.

و فيه عن أبى بصير عن أبى عبد اللّه عليه السّلام قال: حدّثنى أبى عن جدّى عن آبائه عن علىّ عليهم السّلام قال: قيام اللّيل مصحّه للبدن، و رضاء الرّبّ، و تمسّك بأخلاق النبيّين، و تعرّض لرحمه اللّه تعالى.

و عن إبراهيم بن عمرو رفعه إلى أبى عبد اللّه فى قول اللّه عزّ و جلّ «إِنَّ الْحَسَناتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئاتِ » قال: صلاه المؤمن باللّيل تذهب بما عمل من ذنب بالنهار.

و فيه عن أبيه قال: حدّثنى سعد بن عبد اللّه عن سلمه بن الخطاب عن محمّد بن الليث عن جعفر بن إسماعيل عن جعفر بن محمّد عن أبيه عليهما السّلام أنّ رجلا سأل أمير المؤمنين عليه السّلام عن قيام اللّيل بالقرآن، فقال له عليه السّلام ابشر:

من صلّى من اللّيل عشر ليله للّه مخلصا ابتغاء ثواب اللّه «يقول اللّه ظ» عزّ و جلّ لملائكته اكتبوا لعبدى هذا من الحسنات عدد ما انبت من النباتات فى النيل «اللّيل خ» من حبّه

ص:۴۰۲

و ورقه و شجره و عدد کلّ قصبه و خوطه(۱) و مرعی.

و من صلّی تسع لیله أعطاه اللّه عشر دعوات مستجابات و أعطاه کتابه بیمینه یوم القیامه.

و من صلّی ثمن لیله أعطاه اللّه عزّ و جلّ أجر شهید صابر صادق النیّه و شفع فی أهل بیته.

و من صلّی سبع لیله خرج من قبره یوم القیامه و وجهه کالقمر لیله البدر حتّی یمرّ علی الصراط مع الامنین.

و من صلّی سدس لیله کتب مع الأوّابین و غفر له ما تقدّم من ذنبه و ما تأخّر.

و من صلّی خمس لیله زاحم إبراهیم خلیل اللّه فی قبّته.

و من صلّی ربع لیله کان أوّل الفایزین حتّی یمرّ علی الصّراط کالرّیح العاصف و یدخل الجنّه بغیر حساب.

و من صلّی ثلث لیله لم یلق ملکا «لم یبق ملک خ» إلاّ غبطه بمنزلته من اللّه عزّ و جلّ و قیل له ادخل من أیّ أبواب الجنّه الثّمانیه شئت.

و من صلّی نصف لیله فلو اعطی ملاء الأرض ذهبا سبعین ألف مرّه لم یعدل أجره، و کان له بذلک أفضل من سبعین رقبه یعتقها من ولد إسماعیل.

و من صلّی ثلثی لیله کان له من الحسنات قدر رمل عالج أدناها حسنه أثقل من جبل أحد عشر مرّات.

و من صلّی لیله تامّه تالیا لکتاب اللّه عزّ و جلّ ذکره راکعا و ساجدا و ذاکرا اعطی من الثواب أدناها أن یخرج من الذّنوب کما ولدته أمّه و یکتب له عدد ما خلق اللّه من الحسنات و مثلها درجات، و یبثّ النور فی قبره و ینزع الاثم و الحسد من قلبه، و یجار من عذاب القبر و یعطی براءه من النار و یبعث من الامنین و یقول الرّب تبارک و تعالی لملائکته: ملائکتی انظروا إلی عبدی أحیی لیله ابتغاء مرضاتی أسکنوه الفردوس و له فیها مأئه ألف مدینه فی کلّ مدینه جمیع ما یشتهی الأنفس

۱- (۱) الخوط بالضمّ الغصن الناعم أو کلّ قصب (صلی الله علیه و آله).

و تلذّ الأعين و ما لا يخطر على بال سوى ما أعددت له من الكرامه و المزيد و القربه.

(و أضمروا بطونكم) أى بالصيام و الجوع و قد مضى الأخبار فى فضل الصوم فى شرح المختار المأه و التاسع (و استعملوا أقدامكم) أى فى القيام إلى الصلوات أو مطلق القربات كاستعمالها فى تشييع الجنائز و السّعى إلى المساجد و المشى إلى المشاهد المشرّفه و نحوها.

روى فى ثواب الأعمال باسناده عن الأصبغ بن نباته قال: قال أمير المؤمنين عليه السّلام: إنّ اللّه عزّ و جلّ ليهمّ أن يعذّب أهل الأرض جميعا حتّى لا يتحاشى منهم أحدا إذا عملوا بالمعاصى و اجترحوا السيئات، فاذا نظر إلى الشيّب ناقلى أقدامهم إلى الصّلاه و الولدان يتعلّمون القرآن رحمهم فأخّر ذلك عنهم.

(و أنفقوا أموالكم) أى فى الزكاه و الصدقات و صنايع المعروف، و قد عرفت فضل هذه كلّها فى شرح المختار المأه و التاسع أيضا(و خذوا من أجسادكم فجودوا بها على أنفسكم)و هو كنايه عن إتعاب الأبدان و إذابتها بالعبادات و الرّياضات و سلوك مسالك الخيرات، و معلوم أنّ الأخذ من الأجساد بهذه القربات جود بها على النفوس و لذلك قال: جودوا بها عليها (و لا تبخلوا بها عنها) ثمّ استشهد على ما رامه بكلام الحقّ سبحانه و قال:

(فقد قال اللّه سبحانه) فى سوره محمّد صلّى اللّه عليه و آله «إِنْ تَنْصُرُوا اللّهَ يَنْصُرْكُمْ وَ يُثَبِّتْ أَقْدامَكُمْ » قال فى مجمع البيان أى إن تنصروا دين اللّه و نبىّ اللّه بالقتال و الجهاد ينصركم على عدوّكم و يثبت أقدامكم إى يشجعكم و يقوى قلوبكم لتثبتوا، و قيل:

ينصركم فى الاخره و يثبت أقدامكم عند الحساب و على الصراط، و قيل: ينصركم فى الدّنيا و الاخره و يثّبت أقدامكم فى الدّارين و هو الوجه.

قال قتاده: حقّ على اللّه أن ينصر من نصره لقوله: «إِنْ تَنْصُرُوا اللّهَ يَنْصُرْكُمْ » و أن يزيد من شكره لقوله: «لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ »، و أن يذكر من ذكره لقوله:

«فَاذْكُرُونِى أَذْكُرْكُمْ ».

(و قـال) فی سوره الحدیـد «مَنْ ذَا الَّذِی یُقْرِضُ اللّهَ قَرْضـاً حَسَـناً فَیُضاعِفَهُ لَهُ وَ لَهُ أَجْرٌ کَرِیمٌ » و نحوه فی سوره البقره إلاّ أنّ فیها بدل قوله: «وَ لَهُ أَجْرٌ کَرِیمٌ »:

«أَضْعافاً کَثِیرَةً ».

قال فی مجمع البیان: ثمّ حث اللّه سبحانه علی الانفاق فقال «مَنْ ذَا الَّذِی یُقْرِضُ اللّهَ » أی ینفق فی سبیل اللّه و طاعته، و المراد به الأمر «قَرْضاً حَسَـناً » و القرض الحسن أن ینفق من حلال و لا یفسـده بمنّ و لا أذی، و قیل: هو أن یکون محتسبا طیّبا به نفسه، و قیـل: هو أن یکون حسن الموقع عنـد الانفـاق فلاـ یکون خسیسا، و الأـولی أن یکون جامعـا لهـذه الأـمور کلّهـا فلاـ تنـافی بینها «فَیُضـاعِفَهُ لَهُ » أی یضـاعف له الجزاء من بین سـبع إلی سـبعین إلی سـبعمائه «وَ لَهُ أَجْرٌ کَرِیمٌ » أی جزاء خـالص لاـ یشوبه صـفه نقص، فالکریم الّذی من شأنه أن یعطی الخیر الکثیر فلما کان ذلک الأجر یعطی النفع العظیم وصف بالکریم و الأجر الکریم هو الجنّه.

و لمـا کـان ظـاهر النصره موهمـا لکونها من الـذلّه، و ظاهر القرض موهما لکونه من القلّه أردف ذلک من باب الاحتراس بقوله (فلم یستنصـرکم من ذلّ و لم یستقرضـکم من قلّ) أی لیس اسـتنصاره و اسـتقراضه من أجل الذلّه و القلّه حسبما زعمته الیهود و قالوا: إنما یسـتقرض منّا ربّنا عن عوز فانما هو فقیر و نحن أغنیاء فأنزل اللّه سـبحانه «لَقَـدْ سَـمِعَ اللّهُ قَوْلَ الَّذِینَ قالُوا إِنَّ اللّهَ فَقِیرٌ وَ نَحْنُ أَغْنِیاءُ » بل سـمّی نصـره دینه و نبیّه نصـره له و الانفاق فی سبیله قرضا تلطّفا للـدّعاء إلی فعلهما و تأکیدا للجزاء علیهما، فانّ النّصر یوجب المکافاه و القرض یوجب العوض.

و إلیه أشـار بقـوله (استنصـرکم و له جنود السّـموات و الأـرض و هو العزیز الحکیم) یعنی أنّه عزیز فی سـلطانه أی قـادر قـاهر لا یتمکّن أحد أن یمنعه من عذاب من یرید عذابه، ذو قدره علی الانتقام من أعدائه، و انّه حکیم فی أفعاله واضع کلاّ منها فی مقام صالح له و لایق به.

(و استقرضـکم و له خزائن السّموات و الأرض و هو الغنیّ الحمید) یعنی غنیّ بنفسه عن غیره غیر مفتقر إلی شیء من مخلوقاته و محمود فی أفعاله و صنایعه و أحکامه

ص:۴۰۵

و أوامره.

(و انما أراد) باستقراضه و استنصاره (أن يبلوكم أيّكم أحسن عملا) و قد مرّ فى شرح المختار الثانى و السّتين معنى بلاء اللّه سبحانه أى ابتلائه و اختباره.

(فبادروا بأعمالكم) إلى آجالكم(تكونوا مع جيران اللّه فى داره)و المراد بهم أولياؤه المتّقون الّذين لا خوف عليهم و لا هم يحزنون، و استعار لفظ الجيران لهم باعتبار شمول الألطاف و العنايات الخاصّه الالهيّه لهم كما أنّ الجار ينال الكرامه من جاره و الاضافه فيه و فى تاليه للتشريف و التكريم.

(رافق بهم رسله و أزارهم ملائكته) حسبما عرفت ذلك فى شرح هذه الخطبه و غيرها (و أكرم أسماعهم أن تسمع حسيس نار أبدا) كما قال عزّ من قائل «إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنى أُولئِكَ عَنْها مُبْعَدُونَ لا يَسْمَعُونَ حَسِيسَها وَ هُمْ فِي مَا اشْتَهَتْ أَنْفُسُهُمْ خالِدُونَ ».

قال الطبرسىّ أى يكونون بحيث لا يسمعون صوتها الّذى يحسّ.

روى فى الصّافى من المحاسن عن النّبىّ صلّى اللّه عليه و آله إنّه قال لعلىّ عليه السّلام يا علىّ أنت و شيعتك على الحوض تسقون من أحببتم و تمنعون من كرهتم و أنتم الامنون يوم الفزع الاكبر فى ظلّ العرش يوم يفزع الناس و لا تفزعون، و يحزن النّاس و لا تحزنون، و فيكم نزلت هذه الايه «إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنى » الايه، و فيكم نزلت «لا يَحْزُنُهُمُ الْفَزَعُ الْأَكْبَرُ » الايه.

و فيه من المحاسن عن الصّادق عليه السّلام قال: إنّ اللّه يبعث شيعتنا يوم القيامه على ما فيهم من الذّنوب أو غيره مبيضّه وجوههم مستوره عوراتهم آمنه روعتهم قد سهلت لهم الموارد و ذهبت عنهم الشدائد، يركبون نوقا من ياقوت فلا يزالون يدورون خلال الجنّه عليهم شرك من نور يتلألأ توضع لهم الموائد فلا يزالون يطعمون و الناس فى الحساب، و هو قول اللّه تبارك و تعالى «إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ » الايه.

(و صان أجسادهم أن تلقى لغوبا و نصبا) كما قال سبحانه حكايه عنهم «وَ قالُوا الْحَمْدُ لِلّهِ الَّذِى أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزَنَ إِنَّ رَبَّنا لَغَفُورٌ شَكُورٌ اَلَّذِى أَحَلَّنا دارَ الْمُقامَهِ مِنْ »

«فَضْلِهِ لا يَمَسُّنا فِيها نَصَبٌ وَ لا يَمَسُّنا فِيها لُغُوبٌ ».

قال فی مجمع البیان أی أنزلنا دار الخلود یقیمون فیها أبدا لا یموتون و لا یتحوّلون عنها «مِنْ فَضْلِهِ » أی ذلک بتفضّله و کرمه «لا یَمَسُّنا فِیها نَصَبٌ » لا یصیبنا فی الجنّه عناء و مشقّه «وَ لا یَمَسُّنا فِیها لُغُوبٌ » أی و لا یصیبنا فیها إعیاء و متعبه فی طلب المعاش و غیره.

و فی الصّافی عن القمّی قال: النّصب العناء و اللّغوب الکسل و الضجر و دار المقامه دار البقاء، و قال صاحب الصافی: النّصب التّعب و اللّغوب الکلال إذ لا تکلیف فیها و لا کدّ اتبع نفی النصب بنفی ما یتبعه مبالغه.

(ذلک) المذکور من النعم العظیمه (فضل اللّه) أی تفضّل منه سبحانه (یؤتیه من یشاء) من عباده (و اللّه ذو الفضل العظیم) یتفضّل بما لا یقدر علیه غیره و یعطی الکثیر بالقلیل (أقول ما تسمعون و اللّه المستعان علی نفسی و أنفسکم) فی حفظها عن متابعه الهوی و الشهوات و وقایتها من المعاصی و الهفوات (و هو حسبنا و نعم الوکیل) و نعم المعین و نعم النصیر.

الترجمه

از جمله خطب شریفهٔ آن وصیّ مختار و ولیّ پروردگار است می فرماید:

حمد و ثنا مر خداوندی را سزاست که شناخته شده بدون رؤیت، و خلق فرموده بدون رنج و مشقت آفرید مخلوقات را بقدرت کاملهٔ خود، و طلب بندگی نمود از سلاطین و ملوک با عزّت قاهره خود، و مالک واجب الاطاعه شد بر بزرگان با بخشش فراوان خود، و اوست آن کسیکه ساکن فرمود در دنیا آفریدگان خود را، و مبعوث کرد بسوی جنّ و انس پیغمبران خود را، تا این که کشف کنند مر ایشان را از پردهای دنیا، و بترسانند ایشان را از پریشانیهای دنیا، و بیان کنند از برای ایشان مثلهای آن را، و بنمایند بر ایشان عیبهای آن را، و تا هجوم آور بشوند بر ایشان با چیزی که باعث عبرت ایشان بشود از صحّتهای آن و بیماریهای آن، و حلال آن و حرام آن

و بـا آنچه که مهیّا فرموده خداونـد تعالی از برای اطاعت کننـدگان از ایشان، و معصـیت کننـدگان ایشان از بهشت و جهنّم، و عزّت و خواری.

حمـد میکنم او را در حالتی که قصـد تقرّب میکنم بسوی او و چنان حمدی که طلب کرده از مخلوقات خود گردانید از برای هر چیزی اندازهٔ معیّنی، و از برای هر اندازه مدّت مخصوصی، و از برای هر مدّت نوشته مشخّصی.

بعضی دیگر از این خطبه در ذکر قرآن کریم است می فرماید:

پس قرآن امر کننـده اسـت و نهی کننـده، و سـاکت است بحسب ظـاهر و نـاطق است بحسب بـاطن، حجّت پروردگـار است بر خلقان او أخذ فرموده است بر او عهد و پیمان ایشان را، و رهن کرده است در مقابل او نفسهای ایشان را، تمام فرمود نور آنرا و گرامی داشت با آن دین خود را، و قبض فرمود نبیّ خود را در حالتی که فارغ شده بود بسوی خلق از احکام هدایت با آن.

پس تعظیم نمائیـد از حقّ سـبحانه و تعالی مثل تعظیم کردن او ذات خود را، پس بـدرستی که پنهان نداشـته است حق تعالی از شما چیزی را از دین، و فرو نگذاشـته چیزی را که پسـندیده یا ناخوش گرفته مگر این که گردانیده از برای آن علامتی ظاهر و آیهٔ محکم که منع نماید از آن یا دعوت کند بسوی او پس رضای خدا در چیزی که باقی مانده یکی است و سخط و غضب او در چیزی که باقی مانده یکی است.

و بدانیـد که حق تعالی هرگز راضـی نمی باشد از شـما بچیزی که دشـمن گرفته است آنرا بر کسانی که بودند پیش از شـما، و هرگز غضب نمی کند بر شـما بچیزی که رضا داشـته بأو از کسانی که بودند پیش از شـما، و جز این نیست که باید سیر نمائید در أثر واضح گذشتگان، و تکلّم نمائید بکلام با منفعت که گویا شدند بان مردانی که پیش از شما بودند.

بتحقیق که کفـایت کرد خداونـد عالم معیشت دنیای شـما را، و تحریص فرمود شـما را بر شـکر، و واجب کرد از زبانهای شـما ذکر را، و وصیّت فرمود شما را

ص:۴۰۸

بتقوی و پرهیزکاری، و گردانید آنرا منتهی خوشنودی و حاجت خود از خلق، پس بپرهیزید از خدائی که شما در پیش نظر اوئید، و پیشانیهای شما در ید قدرت او است و گردیدن شما در قبضهٔ اقتدار او است، هر گاه پنهان دارید چیزی را در قلب خودتان میداند آنرا، و اگر اظهار نمائید أعمال خود را نویسد آنرا، بتحقیق موکّل فرموده بان نوشتن ملائکه که حافظانند با کرامت در حالتی که اسقاط حق نمی کنند و إثبات باطل نمی نمایند، یعنی چیز بی اصل را نمی نویسند.

و بدانید بدرستی که هر کس بترسد از خدا و صاحب تقوی باشد قرار می دهد خدا از برای او بیرون آمدنی از فتنها، و روشنی از ظلمتها، و مخلّد می نماید او را در چیزی که خواهش دارد نفس او، و نازل می فرماید او را در منزل کرامت در نزد خود در خانه که اختیار فرموده آنرا از برای خود، چنان خانه که سقف آن عرش او است، و نور آن جمال او است، و زیارت کنندگان آن ملکهای او است، و رفیقهای آن پیغمبران او است.

پس بشتابید بسوی معاد، و سبقت کنید بسوی أجلها از جهت این که مردمان نزدیکست که بریده شود از ایشان آرزوها، و در یابد ایشان را أجلها، و بسته شود بروی ایشان در توبه.

پس بتحقیق که صباح کردید در مثل چیزی که سؤال کردند بر گشتن بسوی آنرا اشخاصی که بودند پیش از شما، و شما أبناء السّبیل هستید بر سفر کردن از خانه که نیست خانهٔ شما، بتحقیق که اعلام کرده شدید بکوچ کردن از آن، و مأمور شدید در آن بأخذ کردن توشه.

و بدانید بدرستی که نیست مر این پوست لطیف را صبر کردن بر آتش سوزان پس رحم نمائید نفسهای خود را پس بدرستی که شما تجربه نمودید نفوس خود را در مصائب و صدمات دنیا، پس دیده اید جزع و فزع یکی از شما را از خاری که برسد بأو یا لغزیدنی که خون آلود سازد او را، یا زمین بسیار گرمی که بسوزاند او را، پس

چگونه باشد حال او زمانی که بشود در میان دو تابه یا دو طبقه از آتش که همخوا به سنگ سوزان باشد و همنشین شیطان، آیا دانسته اید این که مالک خازن جهنّم هر وقت غضب نماید بر آتش بشکند بعضی از آتش بعضی دیگر را، و هر گاه زجر کند آتش را بر جهد شرارهٔ آن از میان درهای دوزخ از جهه جزع کردن آن از زجر او.

ای پیر بزرگ سال که آمیخته است بأو پیری و سستی چگونه است حالت تو زمانی که متّصل شود و پیوند گردد طوقهای آتش باستخوانهای گردنها، و فرو روند غلهای جامعه آتش در أعضاء، تا این که بخورد گوشتهای بازوها را پس بترسید از خدا أی بندگان خدا در حالتی که شما سلامت هستید در زمان صحّت پیش از بیماری و در فراخی و وسعت پیش از تنگی، پس سعی نمائید در گشادن و فکّ نمودن گردنهای خودتان پیش از این که بسته شود گروهای گردنها، بیدار کنید چشمهای خود را با تهجّد و قیام، و تهی سازید شکمهای خود را با گرسنگی و صیام، و استعمال نمائید قدمهای خود را در خیرات، و انفاق کنید مالهای خود را در زکاه و صدقات، و أخذ نمائید از بدنهای خودتان تا بخشش نمائید با آنها بر نفسهای خود و بخل نورزید به آنها.

پس بتحقیق که فرموده است حق تعالی در کلام مجید خود «إِنْ تَنْصُرُوا اللّهَ یَنْصُرْکُمْ وَ یُثَبِّتْ أَقْدامَکُمْ » یعنی اگر یاری کنید خدا را یاری میکند خدا شما را و ثابت می فرماید قدمهای شما را در مواضع لغیزدن.

و باز فرموده «مَنْ ذَا الَّذِی یُقْرِضُ اللّهَ قَرْضاً حَسَناً فَیُضاعِفَهُ لَهُ وَ لَهُ أَجْرٌ کَرِیمٌ » یعنی کسیست آن کسی که قرض دهد خدا را قرض دادن نیکو پس زیاده گرداند آنرا از برای او و مر او راست أجر با کراهت.

پس یاری نخواست خدای تعالی از شما از بابت ذلّت، و قرض طلب نکرد از شما از جهت کمی و قلّت، یاری خواست از شما در حالتی که از برای او است لشکرهای آسمانها و زمین و حال آنکه او است صاحب عزّت و حکمت، و طلب قرض نمود از شما در حالتی که از برای او است خزانهای آسمانها و زمین و حال آنکه او است بی نیاز و ستوده،

و جز این نیست که اراده فرموده که امتحان نماید شما را که کدام از شما نیکوتر است از حیثیّت عمل.

پس مبادرت نمائید بسوی عملهای خودتان تا باشید با همسایهای خدا در خانه خدا که رفیق ساخته ایشان را با پیغمبران خود، و بزیارت ایشان أمر نموده فرشتگان را و گرامی داشته گوشهای ایشان را از این که بشنوند آواز آتش را هرگز، و نگه داشته جسدهای ایشان را از آنکه برسد بمشقّت و کسالت، این فضل و احسان خداست که عطا می فرماید آنرا بهر کس که می خواهد از بندگان خود، و خداوند است صاحب فضل عظیم، من می گویم چیزی را که می شنوید و خداست یاری خواسته شده، یعنی از او استعانت میکنم بر نفس خودم و بر نفسهای أمّارهٔ شما، و اوست کفایت کنندهٔ ما و چه خوب وکیل است.

و من کلام له علیه السّلام و هو المأه و الثالث

اشاره

و الثمانون من المختار فی باب الخطب

قاله للبرج بن مسهر الطّائی و قد قال له بحیث یسمعه: لا حکم إلّا للّه، و کان من الخوارج:

أسکت قبّحک اللّه یا أثرم فواللّه لقد ظهر الحقّ فکنت فیه ضئیلا شخصک، خفیّا صوتک، حتّی إذا نعر الباطل نجمت نجوم قرن الماعز.

اللغه

(البرج) بضمّ الباء الموحّده و الراء المهمله ثمّ الجیم و (مسهر) بضمّ المیم و کسر الهاء و (قبّحک اللّه) بالتخفیف و التشدید أی نحّاک و قیل: من قبحت الجوزه کسرتها و (الثرم) بالفتح سقوط الاسنان و (ضؤل) الرّجل بالضمّ ضؤله نحف

و حقر، و ضؤل رأيه صغر و (الماعز) واجد المعز من الغنم اسم جنس و هو خلاف الضّأن.

الاعراب

جمله قبّحک اللّه دعائیّه لا محلّ لها من الاعراب و قوله: کنت فیه ضئیلا شخصک:

یجوز أن یکون کان ناقصه اسمها تاء الخطاب و ضئیلا خبرها و فیه متعلّقا به مقدّما علیه للتوسّع و شخصک بالرّفع فاعل ضئیلا قام مقام الضمیر الرابط للجرّ إلی الاسم من أجل اضافته إلی کاف الخطاب الّذی هو عین الاسم أو أنه بدل من اسم کان.

و یجوز أن تکون تامّه و ضئیلا حالا ـ من فاعلها و شخصک فاعل الحال و باضافته إلی کاف الخطاب استغنی أیضا عن الرابط للحال أو أنه حال من شخصک مقدّم علی صاحبه و شخصک بدل من فاعل کان، و هذا مبنیّ علی ما هو الأصحّ من مذهب علماء الأدبیّه من أنّ العوامل اللّفظیّه کلّها تعمل فی الحال إلاّ کان و أخواتها و إلاّ فیجوز علی تقدیر کون کان ناقصه جعل ضئیلا حالا أیضا فیکون فیه خبرها و یکون ظرفا مستقرّا، فافهم جیّدا.

المعنی

اعلم أنّ هذا الکلام حسبما أشار إلیه السیّد (قاله للبرج بن مسهر الطائی) علی وجه التعریض و التحقیر (و قد قال له) البرج بشعار الخوارج (بحیث یسمعه لا ـ حکم إلاّ ـ للّه) أی لا ـ لک، و فی نسخه الشارح البحرانی لا حکم إلاّ اللّه أی لا أنت (و کان) البرج ذلک (من الخوارج) من شعرائهم المشهوره.

فقال علیه السّلام (اسکت قبّحک اللّه) أی نحّاک عن الخیر أو کسرک (یا أثرم) أی الساقط الثنیه دعاه بافته إهانه و تحقیرا کما هو العاده فی تنقیص صاحب العاهات و إهانتهم، فیقال: یا أعور و یا أعرج و نحو ذلک (فو اللّه لقد ظهر الحقّ فکنت فیه) أی فی ظهور الحقّ و قوّه الاسلام و زمان العدل (ضئیلا شخصک) أی حقیرا خامل الذکر(خفیّا صوتک)کنایه عن عدم التفات أحد إلی أقواله و عدم الاستماع و التوجّه

ص:۴۱۲

إليها (حتّى إذا نعر الباطل) أى صاح.

قال الشارح البحرانى استعار لفظ النعير لظهور الباطل ملاحظه لشبهه فى قوّته و ظهوره بالرجل الضّائل الصائح بكلامه عن جرأه و شجاعه.

(نجمت نجوم قرن الماعز) أى طلعت بلا شرف و لا سابقه و لا شجاعه و لا قدم، بل بغته و على غفله كما يطلع قرن الماعز، و الغرض من التشبيه توهين المشبّه و تحقيره حيث شبّهه بأمر حقير.

الترجمه

از جمله كلام آن والامقام است مر برج بن مسهر الطائى را و بتحقيق گفت آن ملعون مر آن حضرت را بحيثى كه مى شنوانيد او را كه: هيچ حكم نيست مگر خداى را و بود آن ملعون از جمله خوارج نهروان آن حضرت فرمود:

ساكت باش دور گردانـد خدا تو را از خير أى دندان افتاده، پس قسم بخدا كه بتحقيق ظاهر شد حق پس بودى تو در آن حقير و نحيف، شخص تو خفى، و پنهان بود آواز تو تا اين كه نعره زد باطل طلوع كردى و ظاهر شدى مثل ظاهر شدن شاخ بز.

هـذا آخر المجلد العاشر من هذه الطبعه الجديده القيمه، و قد وفق لتصحيحه و ترتيبه و تهذيبه العبد - الحاج السيد ابراهيم الميانجى - عفى عنه و عن والديه، فى اليوم الرابع عشر من شهر ربيع الاول سنه - ۱۳۸۲ - و سيليه انشاء اللّه الجزء الحادى عشر و اوله:

«المختار المأه و الرابع و الثمانون» و الحمد للّه ربّ العالمين

ص:۴۱۳

درباره مرکز

بسمه تعالی

هَلْ یَسْتَوِی الَّذِینَ یَعْلَمُونَ وَالَّذِینَ لَا یَعْلَمُونَ

آیا کسانی که می‌دانند و کسانی که نمی‌دانند یکسانند ؟

سوره زمر/ ۹

مقدمه:

موسسه تحقیقات رایانه ای قائمیه اصفهان، از سال ۱۳۸۵ هـ.ش تحت اشراف حضرت آیت الله حاج سید حسن فقیه امامی (قدس سره الشریف)، با فعالیت خالصانه و شبانه روزی گروهی از نخبگان و فرهیختگان حوزه و دانشگاه، فعالیت خود را در زمینه های مذهبی، فرهنگی و علمی آغاز نموده است.

مرامنامه:

موسسه تحقیقات رایانه ای قائمیه اصفهان در راستای تسهیل و تسریع دسترسی محققین به آثار و ابزار تحقیقاتی در حوزه علوم اسلامی، و با توجه به تعدد و پراکندگی مراکز فعال در این عرصه و منابع متعدد و صعب الوصول، و با نگاهی صرفا علمی و به دور از تعصبات و جریانات اجتماعی، سیاسی، قومی و فردی، بر مبنای اجرای طرحی در قالب « مدیریت آثار تولید شده و انتشار یافته از سوی تمامی مراکز شیعه» تلاش می نماید تا مجموعه ای غنی و سرشار از کتب و مقالات پژوهشی برای متخصصین، و مطالب و مباحثی راهگشا برای فرهیختگان و عموم طبقات مردمی به زبان های مختلف و با فرمت های گوناگون تولید و در فضای مجازی به صورت رایگان در اختیار علاقمندان قرار دهد.

اهداف:

۱.بسط فرهنگ و معارف ناب ثقلین (کتاب الله و اهل البیت علیهم السلام)

۲.تقویت انگیزه عامه مردم بخصوص جوانان نسبت به بررسی دقیق تر مسائل دینی

۳.جایگزین کردن محتوای سودمند به جای مطالب بی محتوا در تلفن های همراه ، تبلت ها، رایانه ها و ...

۴.سرویس دهی به محققین طلاب و دانشجو

۵.گسترش فرهنگ عمومی مطالعه

۶.زمینه سازی جهت تشویق انتشارات و مؤلفین برای دیجیتالی نمودن آثار خود.

سیاست ها:

۱.عمل بر مبنای مجوز های قانونی

۲.ارتباط با مراکز هم سو

۳.پرهیز از موازی کاری

۴.صرفا ارائه محتوای علمی

۵.ذکر منابع نشر

بدیهی است مسئولیت تمامی آثار به عهده ی نویسنده ی آن می باشد .

فعالیت های موسسه :

۱.چاپ و نشر کتاب، جزوه و ماهنامه

۲.برگزاری مسابقات کتابخوانی

۳.تولید نمایشگاه های مجازی: سه بعدی، پانوراما در اماکن مذهبی، گردشگری و...

۴.تولید انیمیشن، بازی های رایانه ای و ...

۵.ایجاد سایت اینترنتی قائمیه به آدرس: www.ghaemiyeh.com

۶.تولید محصولات نمایشی، سخنرانی و...

۷.راه اندازی و پشتیبانی علمی سامانه پاسخ گویی به سوالات شرعی، اخلاقی و اعتقادی

۸.طراحی سیستم های حسابداری، رسانه ساز، موبایل ساز، سامانه خودکار و دستی بلوتوث، وب کیوسک، SMS و...

۹.برگزاری دوره های آموزشی ویژه عموم (مجازی)

۱۰.برگزاری دوره های تربیت مربی (مجازی)

۱۱. تولید هزاران نرم افزار تحقیقاتی قابل اجرا در انواع رایانه، تبلت، تلفن همراه و... در ۸ فرمت جهانی:

۱.JAVA

۲.ANDROID

۳.EPUB

۴.CHM

۵.PDF

۶.HTML

۷.CHM

۸.GHB

و ۴ عدد مارکت با نام بازار کتاب قائمیه نسخه :

۱.ANDROID

۲.IOS

۳.WINDOWS PHONE

۴.WINDOWS

به سه زبان فارسی ، عربی و انگلیسی و قرار دادن بر روی وب سایت موسسه به صورت رایگان .

درپایان :

از مراکز و نهادهایی همچون دفاتر مراجع معظم تقلید و همچنین سازمان ها، نهادها، انتشارات، موسسات، مؤلفین و همه

بزرگوارانی که ما را در دستیابی به این هدف یاری نموده و یا دیتا های خود را در اختیار ما قرار دادند تقدیر و تشکر می نماییم.

آدرس دفتر مرکزی:

اصفهان -خیابان عبدالرزاق - بازارچه حاج محمد جعفر آباده ای - کوچه شهید محمد حسن توکلی -پلاک ۱۲۹/۳۴- طبقه اول

وب سایت: www.ghbook.ir

ایمیل: Info@ghbook.ir

تلفن دفتر مرکزی: ۰۳۱۳۴۴۹۰۱۲۵

دفتر تهران: ۸۸۳۱۸۷۲۲ ـ ۰۲۱

بازرگانی و فروش: ۰۹۱۳۲۰۰۰۱۰۹

امور کاربران: ۰۹۱۳۲۰۰۰۱۰۹



قائمیه
مرکز تحقیقات رایانه‌ای
اصفهان
www
برای داشتن کتابخانه های‌تخصصی
دیگر به سایت این مرکز به نشـــانی
www.Ghaemiyeh.com
www.Ghaemiyeh.net
www.Ghaemiyeh.org
www.Ghaemiyeh.ir
مراجعه و برای سفارش با ما تماس بگیرید.
۰۹۱۳ ۲۰۰۰ ۱۰۹